

# تفسير الفخر الرازي

## المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب

لإمام محمد الرازي قرطبي ابن العلامة ضياء الدينية عز  
الشهر وطيب الرضى نفع الله الميامين

٥٤٤ — ٦٠٤ هـ



حفظ في الطبع بمطبعة المشرق  
الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ١٩٨٦ م

تماز هذه الطبعة بغهر من كتاب الأحكام

دار الفكر

الطبعة الأولى والنشر والتوزيع

مفرد الطبع مجموعة للنشر  
الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : لبنان - بيروت - مجلة حريث شمع عبد النور  
ماتف ٦٧٦٩٥١ - ٦٧٦١٨٧ ح . ب ٧٠٦١ بيروت فكي

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنَّا نَتَّبِعُ الْهُدَى مَعَكَ تَخَطَّفَ مِنَ الْأَرْضِ أَوَلَمْ نُنَمِّكُنْهُمْ حَرَمًا مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَمَكَرْتُ كُلُّ شَيْءٍ عِزًّا مِنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ وقالوا : ﴿ إِنَّا نَتَّبِعُ الْهُدَى مَعَكَ تَخَطَّفَ مِنَ الْأَرْضِ أَوَلَمْ نُنَمِّكُنْهُمْ حَرَمًا مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَمَكَرْتُ كُلُّ شَيْءٍ عِزًّا مِنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

علم أن في قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ شكر لله يهدي من يشاء مستحق :

﴿ المسألة الأولى ﴾ هذه الآية لا دلالة في ظاهرها على كسر أو جالب ثم هذا الزجاج : أجمع المشركون على أنها نزلت في أبي طالب وذلك أن أبا طالب قال عند موته ياد بشر من عند منقلب أطيعوا محمد وعبادته فاعلموا وترشدوا قال عليه السلام : « يعزنا سرهم بالصلح لأصحابه » وتدعها نفسك ! قالوا تريد بالإنس أقال أريد منك كلمة واحدة فذلك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا إله إلا الله ، أشهد أنك يا عبد الله تعالى : قول بالسرقة صحت أنك صادق ولكي أكره أن يقال حرج عند الموت ولو لا أن يكون عليك وعي من أهلك ففادته ومضى بعدى عنها ولا فورت بها عينك عند العراق لما أرى من شدة وحدك ونفصك ، وأكره سوف الموت عني من الأشياخ عبد المطلب وحاشم وعند مناف .

﴿ المسألة الثانية ﴾ أنه تعالى قال في هذه الآية ( إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ) وقال في آية أخرى ( وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) ولا تنافي بينهما بل يهدي الله عبده وأخذه إليه الدعوة والبيان والذي نرى منه هداية التربين - وشرح الصدر وهو نور يهدف في قلب فبجاء القلب كما قال سبحانه ( أَوْ مِنْ كَانُ مِتًّا فَعَبِينَهُ وَجَعَلْنَاهُ هَادِيًّا ) الآية .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ احتج الأصحاب بهذه الآية في مسألة الهدى والضلال ، فقالوا قوله ( إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ) ولكن الله يهدي من يشاء ، يقتضى أن تكون الهداية في الموصوفين يهدي واحد كانه لو كان المراد من الهداية في قوله ( إِنَّكَ لَا تَهْدِي ) شيئاً وفي قوله ( وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ) شيئاً آخر لا غفل الغفر ، ثم تأمل أن يكون المراد من الهداية بيان الدلالة أو الدعوة إلى الجنة أو تعريف

طريق الجادة أو خلق الشجرة في قلبه على شكل الإبل أو خلق المعرفة في قلوب لا على شكل الإبل . لا حائر أن يكون أفراد بأن الأدلة لا عليه السلام هدى الكل جدا المعنى هو غير الهداية التي هي أنه عموما . ولكننا العولاني الهداية بمعنى الهدى إلى الجنة . وأما الهداية بمعنى تزيين طريق الجنة أيضا غير مرادة من الآية لأنه تعالى على هذه الهداية على المشيئة وتزيين طريق الجنة غير متعلق على الهداية لأنه واجب على الله تعالى والتواجب لا يكون مطلقا على الهداية من جهة عليه آية سورة . فأنظر . لا يجوز أن يقولوا : إن أعطى عشرة دنانير . إنما الهداية بمعنى الإبل . وتفسيره غير جائز لأن ذلك مذهب قبيح من الله تعالى في حق المكلف وعلى القبيح مستند . للجهل أو الحاجة . وهذا الإعلان ومسلم . أنخل هناك هناك محل من الله تعالى والمحل لا يغير حقيقة في المشيئة . ولما كانت الهداية لم يبق إلا أن المراد أنه تعالى بحسب النص يخلق الهداية والمعرفة يرجع النص منها . ولا يسأل عما يعمل . ومن أدلت الكلام على هذا الوجه سقط كل ما أورده النفاذ عن ذلك .

أما قوله (وهو اعلم بالمستتر) فادعى أنه المختص بعلم الغيب فلو لم يهدي الله من لا اله الا الله . ثم إنه سبحانه قد أن ذكر عليهم وأجاب عنهم الآية الواضحة . وبين أن وصوح الدلائل لا يكفي . ثم سبحانه إليه هداية الله تعالى . حكمي منهم نسبة أخرى متعلقة بأمران الدين . هي فوجهم (إن تفتح القدي ملك تختص من أرضنا) قال المير . الخلف . لا تخرج سريرة . روى أن المحدث بن عامر بن رومان بن عبد ماب قال لرسول الله ﷺ : إنا اعلم أن الذي نعوذ حق . ولكني بينما من ذلك تحطعا من أرض . أي يهتمون على عذرنا وفرحونا من أرضنا . لأجاب الله سبحانه وتعالى عما هو ووجه (القول) قوله (أو لم تكن لهم حرما آتيا) أي أعضاءكم مسكنا لا خوف لكم فيه . إنما لأن العرب كانوا يخشون الحرم وما كانوا يترضون الله للسكنة . فإنه يروى أن العرب سألوا الحرم كانوا يستعملون الذهب والفضة . وما كانوا يترضون الله لسكنة . أو لقوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) أما قوله (يأيها الذين آمنوا) أي الذين آمنوا بالله . هو تعالى كما بين كون ذلك الموضع غالبا عن الخوف والأمان بين كبرية التعريف . ومعنى (يجي) يجمع من قولهم : جيت الماء في الخوض إذا جمعه . قرأ أهل المدينة يحيى بالك . وأهل الكوفة . وأبو عمرو بالك . وذلك أن ثابث الثقات مأس . جمع رئيس بتأنيت حقيق . وجود تأنيته على اللفظ والتذكير على المعنى . ومنى التكبيرة الكثيرة كثوفه (رأوت من كل شيء) . وحاصل (الجواب) أنه تعالى لما جعل الحرم آمنا وأكثر فيه الرزق حال كونه موعدين عن عبادة الله تعالى مقبلين على عبادة الأوثان . فترآوا فكان شاء هذه الحالة أولى . قال القاضي . ولو أن الرسول قال لهم إن الذي ذكرتم من الخلف لو كان حراما لم يكن عندكم شيء أن لا تؤموا وخذ طهرت الخيمة لا تملأوا . أو قال لهم إن تحطعتم لكم بأقبل وغيره . وقد استمر كالهداية لكم فهو

وَكُنْمُ أَهْلَكُنْمَا مِنْ قَرْيَةٍ مَبْنِيَّتَهَا قُتِلَتْكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُكُنْ مِنْ بَنِيهِمْ  
إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٢٥﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ  
رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ أَبْتَلْنَاوَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٢٦﴾

نفع عائد عليكم لا تظنوا أيضاً ، ونوراً لمن ماضى مصرّة التعطف في جنب العقاب الدائم الذي  
أوحىكم منه أن يغير على كبركم لا تظنوا ، لكنه تعالى احتج بانه أولى من حيث بين كذبهم  
في أنهم ينظفون من حيث عرفوا من حال بقية بالادة ، أن ذلك لا يجري إن أتوا ، ومثل ذلك  
إذا تمكّن بيانه للخصم فهو أولى من سائر ما ذكرنا ، فذلك قدّمه الله تعالى ، والآية دالة على صحة  
الحجج الذي يوصل به إلى إزالة شبهة المطالب ، في ههنا :

(الآية) قال صاحب التفسير في التفسير ورقاً إن جملة مصنفها جاز أن ينصب بمعنى  
ما قبله ، لأن معنى يعنى إليه ثمرات كل شيء ، ويرى ثمرات كل شيء ، واحد ، وأن يكون مفعولاً  
له ، وإن جعله معنى مرزوق كان حالاً من الثمرات لخصيصه بالإضافة ، كما ينصب عن التكرار  
الخاصة بالصفة .

(تأني) احتج الأصحاب بقوله ( ورقاً من يدنا ) في أن فعل العبد خلق الله تعالى ، وبيانه أن  
تلك الأرضاني إنما كانت فصل إليهم ، لأن الناس كانوا يمدونها إليهم فلم يكن فعل العبد خلقاً  
له تعالى لما صحت تلك الإضافة ، فإن قيل سبب تلك الإضافة أنه تعالى هو الذي أنشأ تلك الأرضاني  
في قلوب من ذمبت تلك الأرضاني إليهم ، قلنا تلك الأرضاني إن اقتضت الرحمة ، فقد بينا في  
غير موضع أنه متى حصل الرحمة ، صدر حصول الوجوب ، وحينئذ يحصل المقصود ، وإن لم يحصل  
الرحمة انقطعت الإضافة بالكلية ، واعلم أنه تعالى إنما بين أن تلك الأرضاني ما وصلت إليهم إلا  
من الله تعالى ، لأجل أنهم متى علوا ذلك صاروا بحيث لا يخافون أحداً سوى الله تعالى ولا  
يرعون أحداً غير الله تعالى ، فيبقى ظنهم سقطاً عن الخلق متعلقاً بالخالق ، وذلك بوجوب كمال  
الإيمان والإعراض بالكلية عن غير الله تعالى والإقبال بالكلية على طاعة الله تعالى .

قوله تعالى : ﴿ وكنم أهلكنما من قرية مبنيتها قتلتك مسكنهم لم تكن من بنيهم إلا قليلاً  
وكنا نحن الوارثين ﴾ ، وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمم رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما  
كنّا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون .

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْجَبَّةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ وَعْدَ اللَّهِ حَسْبًا فَمَا هُوَ لَكُمْ أَنْ تُنْفَكُوا عَنْ مَتَاعِ الْحَيَاةِ

اعلم أن هذا هو (الجواب الثاني) عن تلك التسبحة ، وذلك لأنه تعالى لما بين لأهل مكة ما حصره الله من نعم الله بما آتاه الله تعالى بالأمم الماضية الذين كانوا في نعم الدنيا ، فلبسوا كمدوا الرسل أن الله عنهم تلك النعم ، والمقصود أن الكفار لما ذكروا أن لا يؤمن حرقاً من زوال نعمه الدنيا ، فأنه تعالى بين لهم أن الإصرار على عدم قبول الإيمان هو الذي يزيل هذه النعم ، لا الإقدام على الإيمان ، فإن ما ذهب أنكشف الظاهر من أحاديث النبي وهو أن لا يحفظ حتى الله تعالى به ، وتصيب ميسرتها إما خذف الجار واتصال الفعل كقوله (وأحضر موسى قومه) أو تقدير حذف الزمان المضاف وأصله نظرت أيام ميسرتها ، وإنما تصحبت نظرت من كثرة

فأما قوله (فذلك مما كرمهم لم يسمكوا من بعدهم إلا قليلاً) في هذا الاستثناء وجوه (أولها) قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم يسمكوا إلا المسافر وماز الطريق يوماً أو ساعة (وإنها) بمعنى أن شؤم معاصي المؤمنين بقي أزيد في ديارهم ، هكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها إلا قليلاً وكما نحن نوارث من لما بعد هلاك أهلها ، وإذا لم يبق للشيء ملك معين قيل إنه ميراث الله لأنه الباقي بعد فساد خلقه ، ثم إنه سبحانه ما ذكر أنه أهلك تلك القرى بسبب بطر أهلها ، مكان مثلاً أورد السؤال من (الأول) ماذا ما أهلك الله الكفار قيل بحث يتلوه مع أنهم كانوا مستعززين في الكفر والعداوة (ثاني) ماذا ما أهلككم بعد صحت محمد يتلوه مع تبادى القوم في الكفر بالله تعالى وتكذيب محمد يتلوه فأجاب عن السؤال الأول بقوله (وما كان ربك مهلك القرى حتى يست في أمها رسولاً ينزل عليهم آياتنا) وحاصل الجواب أنه تعالى قدم بيان أن عدم إتيانهم بحرفي نعم الله القوم ، فوجب أن لا يجوز إهلاكهم إلا بعد البعثة ، ثم ذكر المنصرون وجهين (أولهم) (وما كان ربك مهلك القرى حتى يست في أمها رسولاً) أي في القرية التي هي أمها وأصلها وفصلها التي هي أصلها ونوابعها رسولاً فترام الخبوة وقصر المنزلة (الثاني) وما كان ربك مهلك القرى التي في الأرض حتى يست في أم القرى يعني مكة رسولاً وهو محمد يتلوه عنهم الآيات ، ومعنى (ينزل عليهم آياتنا) يؤذي ويضعف ، وأجاب عن السؤال الثاني بقوله (وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) أنفسهم بالشر وأهل مكة ليسوا كذلك ومن مصهم قد آمن وبصفتهم علم الله منهم أنهم سيبرون وبعض آخرون علم الله أنهم وإن لم يؤسوا الكثرة يخرج من سلمهم من يكون مؤمناً قوله تعالى : ﴿٦﴾ وما أوتيتم من شيء فتناع الجبّة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا

الَّذِينَ آمَنُوا هُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿١٦﴾

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ

عَقُوبُهُمْ أَفَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا هُوَ لِأَنَّهُ كَانَ مِنَّا خِيفَةُ الْإِيمَانِ هُمُ الْيَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ

المحضرين .  
اعلم أن هذا هو ( الجواب الثالث ) عن تلك الشبهة لأن حاصل شبهتهم أن قالوا إن كذا الدين  
لأنهم نزلوا الدنيا بين نكسائهم أن ذلك خطأ عظيم لأن ما وعد الله خير وأبقى ، أما أنه خير فتوجهوا  
( أحدهم ) أن المنافع هناك أعظم ( وثانيها ) أنها خالصة عن انشوائهم . ومنافع الدنيا مشوبة  
بالمضار بل المضار فيها أكثر ، وأما أنها أبقى فلائها دائماً غير منقطعة ومنافع الدنيا مقطعة ومتى  
قرب الانتهاء يغير المتأخرى كان عدماً فكيف وتصيب كل أحد بالقياس إلى منافع الدنيا كلها كالآخرة  
بالقياس إلى البحر . فظهر من هذا أن منافع الدنيا لا نسبة لها إلى منافع الآخرة البتة فكان من  
الجهل عظيم ترك منافع الآخرة لاستيفاء منافع الدنيا ولما به سبحانه على ذلك قال ( أظلمت قلوبهم )  
يعنى أن من لا يرجع منافع الآخرة على منافع الدنيا كأنه يكون خارجاً عن مدار العقل ، ورحم الله  
الشافعي حيث قال : من أوصى نكته ما له لا عقل الناس صرف ذلك النكته إلى المشغولين بصناعة الله  
تعالى ، لأن عقل الناس من أعظم القليل وأخذ الكثير وما هم إلا المشغولون بالعاطفة . فكانه رحمه  
الله إنما أخذ من هذه الآية ، ثم إنه تعالى أكد هذا الترجيح من وجه آخر وهو أن لو قدرنا  
أن نعم الله كانت تنتهى إلى الاضطجاع والفتنة وما كانت تنصل بالانقلاب الدائم لتكان صريح العقل  
يفتضى ترجيح نعمة الآخرة على نعم الدنيا فكيف إذا انصبت نعم الدنيا بمقابل الآخرة ففى عقل  
يرتاب في أن نعم الآخرة واجبة عليها . وهذا هو المراد بقوله ونحن وعدناه وعداً حسناً فهو  
لأنه ( فهو يكون كمن أعطاه الله قدر أقل من منافع الدنيا ثم يكون في الآخرة من المحضرين  
العذاب ، والمقصود أنهم لما قالوا تركنا الدين ليدنيا فقال الله لهم لو لم يحصل عقوب دينكم مضره  
العقاب لتكان العقل يفترض ترجيح منافع الآخرة على منافع الدنيا ، فكيف وهذه الدنيا يحصل  
بعدها العقاب الدائم . وأورد هذا الكلام على لفظ الاستفهام ليكون أبلغ في الاعتراف بالترجيح  
وتخصيص لفظ المحضرين بالذين أحضروا المساب أمر عرف من القرآن قال تعالى ( لكنت من  
المحضرين ، منهم محضرون ) وبذلك المعنى إنداره لأن الإحضار شعور بالانكشاف والإرام . وذلك  
لا يلقى بمجائز الله إنما يلقى بعقوبات الضرر والمكروه .

قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ . قال الذين عن عليهم قول  
رب هؤلاء الذين أغويهم كأغويهم نزلنا إليك ما كانوا زبانا يبيسون ، ونحن أنعمنا

عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا  
إِبْرَاءًا يَعْبُدُونَ ﴿١٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا  
الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهِتَدُونَ ﴿١٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ  
﴿١٥﴾ فَجَعِلَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٦﴾

شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون . ويوم يناديهم يقول  
ماذا أجبتهم المرسلين . فجعلت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون ﴿١٦﴾ .

اعلم أنه سبحانه وتعالى ذكر في هذه الآية أنه يسأل الكفار يوم القيامة عن ثلاثة أشياء  
( أحدها ) قوله ( ويوم يناديهم يقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ) لما نجد أن الكافر  
يوم القيامة قد عرفوا بطلان ما كانوا عليه وعرفوا حجة التوحيد والنبوة بالضرورة فيقول لهم  
أين ما كنتم تعبدونه وتحملونه شريكاً في العبادة وتزعمون أنه يشفع ؟ أين هو ليصيركم ويخلصكم  
من هذا الذي رزقكم . ثم بين تعالى ما يقوله من حق عليه لقول ، والمراد من القول هو قوله  
( لا إعلان لهم من الجنة والناس أجمعين ) ومنى حق على القول أي حق عليه مقتضاه ، واختلفوا  
في أن الذين حق عليهم هذا القول من هم ؟ قال بعضهم الرؤسا . الدعاة إلى الضلال . وقال بعضهم  
الشياطين قوله ( ربنا هؤلآء الذين أغويانا ) هؤلآء مبتدأ والذين أغويانا صفة وإرجاع إلى  
الموصوف محذوفه وأغويانهم الخبر ، والكاف صفة مصدر محذوف تقديره أغويانهم فذروا قياً  
مثل ما غويوا والمراد كما أن غيبت باختيارنا فكذلك غيبت باختيارهم يعني أن يغويانا لهم ما ألهمهم إلى  
الغواية بل كانوا مختارين بالإقدام على تلك المغايرة والأعمال . وهذا معنى ما حكاه الله عن الشياطين  
أنه قال ( إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن أدعوتكم  
فاستجبتم لي فلا تخوفني ولو هموا بأكفكم ) وقال تعالى لإبليس ( إن عبادي ليس لك عليهم سلطان  
إلا من ابتغى من الثوابين ) قوله ( إلا من ابتغى ) يدل على أن ذلك الاتباع لهم من قبل أنفسهم  
لا من قبل الجاهل الشيطان بل ذلك ، ثم قال تباركنا إليك معهم ومن عتدهم وأحاطهم ما كانوا إيانا  
يعبدون . إيماناً كانوا يعبدون أهوائهم ، والحاصل أنهم يتبرعون منهم كما قال تعالى ( ذموا الذين  
اتبعوا من الذين اتبعوا ) وأيضاً فلا يتبع في قوله تعالى ( أين شركائي ) أن يريد به هؤلآء الرؤسا  
والشياطين فانهم لما أطاعوهم فقد صيروهم لسكان الطاعة بمنزلة الشريك قد تعالى ، وإذا حل  
الكلام على هذا الوجه كان جرائهم أن يقولوا إلهنا هؤلآء ما عبدونا إيماناً عبدوا أهوائهم الفاسدة



(وثانيها) قوله تعالى ( رقيب ادعوا شركاءكم فدعواهم فلم يستجيبوا لهم ) والاغرب أن هذا على سبيل تقرير لأنهم يعلمون أنه لا فائدة في دعائهم لهم ، فالمراد أنهم لو دعواهم لم يوجد منهم إجابة في النصرة وأن العذاب ثابت فيهم ، وكل ذلك على وجه التوبيخ ، وفي ذكره رده ورجوعه في دار الدنيا ، فاما قوله تعالى ( لو أنهم كانوا يهتدون ) فكثير من المفسرين ذهبوا أن جواب لو محذوف وذكروا فيه وجوها ( أحدها ) قال الضحاك وعقائل بني المنجوع والتابع يرون العذاب ولو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا ما أبصروه في الآخرة ( وثانيها ) لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا لعلموا أن العذاب حق ( وثالثها ) ودوا حين رأوا العذاب لو كانوا في الدنيا يهتدون ( ورابعها ) لو كانوا يهتدون لوجه من وجوه الخيل لدفعوا به العذاب ( وخامسها ) قد آمن لهم أن يهتدوا لو أنهم كانوا يهتدون إنذارا أو العذاب وبذلك ذلك قوله تعالى ( لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الآليم ) وعندى أن الجواب غير محذوف وفي تقريره وجوه ( أحدها ) أن الله تعالى إذا خاطبهم بقوله ( ادعوا شركاءكم ) مهيئاً يشد الخوف عليهم ويحققهم شيء كالسند والدوار ويصبرون بحيث لا يبصرون شيئاً فقال تعالى ( ورأوا العذاب ل أنهم كانوا يهتدون ) شيئاً أما صاروا من شدة الخوف بحيث لا يبصرون شيئاً لاجرم مارأوا العذاب ( وثانيها ) أنه تعالى لما ذكر عن الشركاء وهي الأصنام أنهم لا يجيبون الذين دعواهم قال في حقهم ( ورأوا العذاب ل أنهم كانوا يهتدون ) أى هذه الأصنام كانوا يشاهدون العذاب لو كانوا من الأصنام المهتدين ولذلكها ليست كقصة فلا جرم مارأت العذاب فان قيل قوله ( ورأوا العذاب ) ضمير لا يبين إلا المتعلا فكيف يصح عوده إلى الأصنام ؟ فلما هذا كقوله ( دعواهم فلم يستجيبوا لهم ) وإنما ورد ذلك على حسب اعتقاد القوم فكذلك ههنا ( وثالثها ) أن يكون المراد من الرقابة رؤية القلب أى والتفكير عدوا حقبة هذا العذاب في الدنيا لو كانوا يهتدون وهذه الوجوه عندى خير من الوجوه الخفية على أن جواب لو محذوف فان ذلك يقتضى تفكيك النظم من الآية ( الأمر الثالث ) من الأمور التى يسأل الله التكفاد عنها قوله ( ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ) نصرت عليهم الأنبياء أى فصلت الآية : كالمعصية عليهم جميعاً لا تهتدى إليهم فهم لا يفسدوا لولم لا يسأل بعضهم بعضاً كما يسأل الناس في المشكلات لأنهم يشاؤون جميعاً على عصى الإنبياء عليهم وانحصر عن الجواب ، وقرئ : غيبتم وإذا كانت الآية : فلو ذلك يقتضون في الجواب عن مثل هذا السؤال ، ويفرضون الأمر إلى علم الله تعالى وذلك قوله تعالى ( يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ) قالوا لا أعلم لنا إلهك أنت علام الغيوب ( فأتى ففك جهولاً : الغفلة ) قال القاضي هذه الآية تدل على حلال القول بالخبر لأن قسماً لمكان خلقاً من إله تعالى ويجب وقوعه بالقدرة والإرادة لما عصى عليهم الأنبياء ونفواوا إنما أتينا في تكذيب الرسل من جهة خلقك دينا تكذيبهم والقدرة الموجبة لذلك ، فكانت حججهم على الله تعالى ظاهرة وكذلك القول فيها تقدم لأن الشيطان كان له أن يقول إنما أمرت بخلفك في العراية ، وإنما قبل من دعونه لحمل ذلك

فَمَا مِنْ نَابٍ وَأَمِنْ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٣٥﴾ وَرَبِّكَ  
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٦﴾  
وَرَبِّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ  
الْحُكْمُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٨﴾

فتكون الخيرة لهم في ذلك قوة والعذر ظاهراً ( والحجاب ) أن غاصى لا يترك آية من الآيات  
المستغنى على اندح والدم والثوب والعقاب إلا ويعد استدلالاً بها . وكان أن رجعه استدلاله في لكل  
هذا الحرف فكذا وحده جوازاً حرف واحد وهو أن علم الله تعالى بعدم الإيمان مع وقوع  
الإيمان متناولاً لهما مع العلم بعدم الإيمان إذا أمر داخل الإيمان في الوجود فقد أمر  
بالجمع بين العدين . والذي يعتمد الغاصى عليه في دفع هذا الحرف في كتبه الكلامية قوله خطأ  
ممن من يقول إنه يمكن وخطأ قول من يقول إنه لا يمكن بل الواجب السكوت ولو أورد للكافر  
هذا الدال على أنه لما كان له عنه جواب إلا السكوت . فتكون حجة الكافر قوية وعذره ظاهراً  
فتبين أن الإشكال مشترك والله أعلم

قوله تعالى : ﴿ فَمَا مِنْ نَابٍ وَأَمِنْ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ . وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ  
وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . وَرَبِّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ،  
وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحُكْمُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

اعلم أنه تعالى لما بين حال المذنبين من التكفر وما يجرى عليهم من التوبيخ أبعده بذكر من  
يتوب منهم في الدنيا ترغيباً في التوبة وزجراً عن التيات على الكفر فقال ( فَمَا مِنْ نَابٍ وَأَمِنْ  
وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ) وفي عسى وجوه : ( أحدها ) أنه من الكرام تحقيق  
والله أكرم الأكرمين ( وثانيها ) أن يراد نسي التائب وطمعه كأنه قال فليطمع في الفلاح ( وثالثها )  
عسى أن يكونوا كذلك إن داموا على التوبة والإيمان ولو لم يكن أن لا يعودوا . وأعلم أن التوب القوم  
كانوا يذكرون شبه أخرى ويحولون ( ولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ) بعنوان  
الوليد بن المغيرة أو أياً مسمود تنقضي . فأجاب الله تعالى عنه بقوله ( وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ )  
والمراد أنه المسائل المطلق وهو منزوع عن النفع والعرضة أن يخص من شاء بما شاء لا اعتراض  
عليه شيء . وعلى طريقة المعتزلة لما ثبت أنه حكيم مطلق علم أنه كل ما ضله كان سكة وصراباً فليس  
لأحد أن يعترض عليه وقوله ( مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ) والخيرة اسم من الإختيار قام مقام للصند

والخيرية أيضاً اسم للثواب يقال محمد خيرة الله في خلقه إذا عرفت هذا فقول في الآية وجهان :  
 (الأول) وهو الأحسن أن يكون تمام الوصف على قوله ( ويختار ) ويكون ما خيراً ، والمعنى  
 ( ويربك يختار ما يشاء ويختار ) ليس لهم الخيرة ( إذ ليس لهم أن يختاروا ) على الله أن يفعل ( والثاني )  
 أن يكون ما يعني الذي فيكون الوقت عند قوله ( ويربك يختار ما يشاء ) ثم يقول ( ويختار )  
 ما كان لهم الخيرة ، قال أبو القاسم الأنصاري وهذا مثل المنزلة في إعجاب الصالح والأصلح عليه ،  
 وإلى صلاح في تكليف من علم أنه لا يؤمن ولو لم يكلمه لاستحق الجنة والله من فضل الله ،  
 فإن قيل لما كلفه استرحب على الله ما هو الأصل لأن المستحق أفضل من المتفضل به فلماذا إذا علم  
 قطعاً أنه لا يحصل ذلك الأفضل فترويعه في الصفات الأبدى لا يكون رعاية للصلوة ، ثم فوهم  
 المستحق غير من المتفضل به جهل لأن ذلك التفاوت إنما يحصل في حق من يستدرك من فضله ،  
 أما الذي ما حصل الذات والصفات إلا تحققة وبفضله وإحسانه فكيف يستدرك من فضله ، ثم  
 قال ( سبحانه ) الله تعالى عما يشركون ) والمقصود أن يعلم أن الخلق والاختيار والاعراض والإذلال  
 مفروض إليه ليس لأحد فيه شركه ومنازعة ثم أكد ذلك بأنه يعلم ما تكن صدورهم من عداوة  
 رسول الله ﷺ وما يملكون من مطاعهم فيه وقولهم فلا اختير غيره في النبوة ، ولما بين عليه بما  
 هم عليه من الغل والحسد والسفاهة قال ( وهو الله لا إله إلا هو ) وفيه تنبيه على كونه قادراً على كل  
 الممكنات ، وعالمًا بكل المطامع ، منزهاً عن النقائص والآفات مجازي المؤمنين على طاعتهم  
 ويعاقب العصاة على عصيانهم وفيه نهاية الزجر والردع للمصاة ونهاية توبة القاب للطغيان ، ومتمثل  
 أيضاً أنه لما بين صادر طريق المشركين من قوله ( يوم يتأدبهم ) يقول ( أين شركائي ) ختم الكلام  
 في ذلك باظهار هذا التوحيد وبيان أن الحمد والتسابيح لا يليق إلا به .

أما قوله ( له الحمد في الأولى والآخرة ) فهو ظاهر على قولنا لأن الثواب غير واجب عليه  
 بل هو سبحانه يملأه فضلاً وإحساناً له الحمد في الأولى والآخرة ، ويؤكد ذلك قول أهل الجنة  
 ( الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ) الحمد لله الذي صدقنا وعده ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين )  
 أما المنزلة فتقدم الثواب مستحق فلا يستحق الحمد فعلة من أهل الجنة ، وأما أهل النار فما أعم  
 عليهم حتى يستحق الحمد منهم ، حال نقاضي إنه يستحق الحمد والشكر من أهل النار أيضاً بما فعله  
 بهم في الدنيا من التكثير والتيسير والإعلاف وسائر النعم ، لأنهم بإسائتهم لا يخرج ما أنعم الله  
 عليهم من أن يوجب الشكر ، وهذا فيه نظر ، لأن أهل الآخرة مضطرون إلى معرفة الحق فإذا علموا  
 بالضرورة أن التوبة عن الصالح يجب على الله فتوخوا وعلموا بالضرورة أن الإشتغال بالشكر  
 الواجب عليهم يوجب على الله الثواب وهم قادرين على ذلك وعالمون بأن ذلك مما يختصهم عن  
 العذاب ويدخلهم في استحقاق الثواب أفترى أن الإنسان مع الله بذلك والفرد عليه بترك هذه  
 التوبة ؟ كلا ، بل لا بد أن ينوبوا وأن يشتغلوا بالشكر ، ومنى فعلوا ذلك فقد بطل العقاب .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ  
يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَظْلَمَ لَكُمْ ۖ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى  
يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَكْسُونَ فِيهَا أَعْيُنُكُمْ ۖ وَإِنْ  
رَحِمَهُ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِنَتَّكِفُوا فِيهِ وَلِنَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

55

أما قوله (وله الحكم) فهو إما في الدنيا أو في الآخرة فأما في الدنيا لحكم كل أحد سواء إماماً  
تفقد بحكمه، فلو لا حكمه لما تفقد على العبد حكم سيده ولا على الزوجة حكم زوجها ولا على الابن  
حكم أبيه ولا على الرعية حكم سلطانهم ولا على الأمة حكم الرسول، فهو الحاكم في الحقيقة. وأما  
في الآخرة فلا شك أنه هو الحاكم، لأنه الذي يتولى الحكم بين العباد في الآخرة، فينتصف  
الظالمين من الظالمين.

أما قوله (وإليه ترجعون) فالمعنى وإلى محل حكمه ونصاته ترجعون ، فإن كلمة إلى لاشارة ، الفاعلة  
وهو تعالى منزّه عن المكان والجهة .

فَقُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بِهِ أَفَلَا تَسْمَعُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بِالنَّارِ لَنْ تَكُونُوا فِيهِ أَفَلَا تَهْتَفُونَ . وَمَنْ رَحِمَهُ جَعَلَ أَسْكُنًا لِيَلْجَأَ إِلَيْهِ وَالنَّارَ لَتَكُونَا فِيهِ وَلَيُضِلَّنَّاهُ مَنْ يَضِلُّ فَلْيَسْكُنْ النَّارَ وَلَيَمْلِكُنَّ أَصْحَابُهَا

اعلم أنه تعالى لما بين من قبل استحقاقه للحمد على وجه الاجمال بقوله (وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاول والاخرة وله الحكم وإليه ترجعون) فصل حبيب ذلك بعض ما يجب أن يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه فقال نرسوله (فترأيتهم يأنسبون إلى جلالته حليم الكليل سرمداً إلى يوم القيامة) فبه على أن الوجه في كون الليل والنهار نعمتان يشاقبان على الزمان، لأن المرء في الدنيا وفي حال التكليف مدفوع إلى أن ينسب لتحصيل ما يحتاج إليه، ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار، ولأنه يحصل الاجتماع بين الماشات ومعظم أن ذلك لا يتم لولا الراحة والحركة بالليل فلا بد منهما والمخافة منه، فاما في الجنة فلا نصب ولا تعب فلا حاجة بهم إلى الليل فذلك يدوم لهم العيش والنفات، فحين تعالى أنه لا يدعو على ذلك إلا الله تعالى، ولما قال (أفلا تسمعون):

وَيَوْمَ نَبْدِئُكَ فِيقُوتَ أَيْنَ شَرَكَاؤُكَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٥٦﴾ وَتَزْعُمُونَ كُلُّ أُنثَىٰ  
شَهِيدٌ لِّمَا نَافَعُنَا رَبُّكَ فَأَقْبِلْنَا عَلَى الْقَلْبِ أَنِ الْحَقِّ لَئِيْلَ الْفَاعِلُونَ ﴿٥٧﴾

(أفلا تبصرون) لأن العرض من ذلك الاعتناء بما يسمعون وببصرون من جهة التدبر فليعلم  
يتفهموا أنزلوا أمثلة من لا يسمع ولا يبصر قال الكلبي قوله (أفلا تسمعون) معناه أفلا تطيعون  
من جعل ذلك وقوله (أفلا تبصرون) معناه أفلا تبصرون ما أنتم عليه من الخطأ والضلal، قال  
صاحب الكتاب المحدث الفيلسوف المتصوف من البردة وهو المشافعة، ومعه قوله في الإنشاء الحرم  
ثلاثة مردود واحد فرد. قال فيل خلا قال: بهاء تبصرون فيه، كما قيل: دليل تسكتون فيه؟ قال:  
ذكر الصفاء وهو ضوؤه الشمس لك المانع التي تتساقط به منكثرة ليس للبصير في انماض وحده  
والفلاهم ليس بفتح الفتح، وإنما قرأ بالسند أفلا تسمعون، لأن السمع يدرك والا يبصر  
من ذلك ما معه ووصف هو الله، وقرن دليل أفلا تبصرون لأن غيرك يدرك من منقطة الفلاهم  
ما تبصرون من السكون وعمود، ومن رحمة زواج رب الفيل، وتبهر لأعراض ثلاثة لمسكون في  
أحدهما وهو التليل، ولتخبراً من صلة في الآخر وهو هار ولأدال، التكر على المغنبي معاً،  
وأعط أنه وإن كان الكون زيارتك وأستعد صل الله أنيب بركاً إلا أن الأبي بكل  
واحد منهما ما ذكره الله تعالى به فليدركه .

فَوَيْلٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُجْءُونَ ﴿١٢﴾ فَأَنظِرُوا لِمَنْ دُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّهُمْ لَخَائِفَتُهُ مُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾

اعلم أنه سبحانه لما أجيى طريقة المشركيين أولاً : ألهم ذكر التوحيد ودلائله ، ثانياً : عاد إلى تبيين طرقهم مرة أخرى وتبريح حالهم في الآخرة فقال ( يوم يا أيها الضالون ) أي الضالين فيقول ( أين شركائي الذين كنتم تزعمون ) أي الذين ادعيتهم أصنامكم ، أو الذين عولمتم قريباً إلى الله زائل وقد علموا أن لا إله إلا الله فيكون ذلك رافداً في ضميرهم إذا غشوا بهذا القول .

أما قوله: «ورغم أن كل أمة شريفة عتراء» ربما أرادوا التبريد عليهم، ثم قال بعضهم هم  
الأنبياء، ينددون بأنهم يعرفون القوم الثلاثة، ولعلوا في إيهامها على غاية ليعلم أن انقضاء منهم  
يكون ذلك ذاتي فيهم، وقال آخرون فيهم التبريد الذين يشهدون على الناس في كل زمان  
ويدخل في حظهم الأعداء وهذا الأقرب لأنه تعالى عز كل أمة وكل جماعة ما يزع منهم التبريد  
فيدخل فيه الأحوال التي لم يوجد فيها النبي وهي أرومة معتزلات والأزمنة التي حصلت بعد

إِنْ قُلُودٌ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَعَثْ عَلَيْهِمْ وَأَتَيْنَهُ مِنَ الْكُتُورِ مَا  
 إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُودًا بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
 الْفَرِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا  
 وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
 الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ  
 مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ  
 الْمَجْرُمُونَ ﴿٦٩﴾

محمد ﷺ صلوا حيثما أن الخلق قد وارسله (وضل عنهم) غاب عنهم غيبة الشيء الضائع (ما كانوا  
 يقترون) من الباطل والكذب.

قوله تعالى : فإن إن فارون كان من قوم موسى فبني عليهم وأتينا من الكتور ما إن مفاتيحه  
 لتدور بالعصبة أولى القوة ، إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ، وابتغ فيما آتاك الله  
 الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض  
 إن الله لا يحب المفسدين ، قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من  
 القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴿٦٩﴾

اعلم أن نصر القرآن يدل على أن فارون كان من قوم موسى عليه السلام ، وظاهر ذلك يدل  
 على أنه كان من قدامه به ولا يجد أيضاً حله على القرابة ، قال الكلبي : إنه كان ابن عم موسى  
 عليه السلام ، لأنه كان فارون بن بصير بن قاهت بن لاوي ، وموسى بن عمران بن قاهت بن لاوي  
 وقال محمد بن اسحق إنه كان عم موسى عليه السلام ، لأن موسى بن عمران بن قاهت بن قاهت  
 وفارون بن بصير بن قاهت ، وعن ابن عباس أنه كان ابن خاله ، ثم قيل إنه كان يسمى المنور  
 لحسن صوته وكان أفرا بن إسرائيل للثوراة ، إلا أنه نافع كما تافى إسماعيلي .

أما قوله (فبني عليهم) فيه وجوه (أحدها) أنه بنى بسبب ماله ، وبنيته أنه استخف بالفقراء  
 ولم يرج لهم حق الإبلان ولا عظمهم مع كثرة أمواله (والثاني) أنه من الظلم ، قبل ملكه فرعون على

بى إسرائيل عظيم ( ثالث ) قال الفخار : فى عليهم أى طالب العسل عليهم وأن يكونوا تحت يده ( اربع ) قال الصداك : طم عليهم واستطاع عليهم فلم يوقظهم فى أمر ( الخامس ) قال امر عباس بنجر وشكر عليهم وحمض عليهم ( سادس ) قال شهر بن حوشب : بنى عليهم أنه زاد عليهم فى الثياب ذرا . وبعد يورد إل شكر ( سابع ) قال السكاكي : بنى عليهم أنه حمدهم على الحيرة . يروى أن موسى عليه السلام لما قطع البحر وأغرق الله نمل فرعون جعل الحيرة لمرون . فحدثت له الحيرة والحيرة فكانت صاحب القرمات والمدبح ، وكان موسى الرسالة ، فوجد فارون من ذلك فى نفسه . فقال يا موسى إنك الرسالة . ولمرون الحيرة . وأست فى حق . ولا أصبر لثأرى هذا . فقال موسى عليه السلام : والله ما صنعت ذلك لمرون ولكن الله جعله له . فقال والله لا أصدقك أبدا حتى تأتينى آية أعرف بها أن الله جعل ذلك لمرون . قال فأمر موسى عليه السلام رؤس بى إسرائيل أن يجرى كل رجل منهم حصاة ، فذرواها . فألقاها موسى عليه السلام فى قبته . وكان ذلك بأمر الله تعالى . فثبته أن يرجع بين ذلك . فإلوا يجرسون حصصهم فأصبحت حصه هرون تتر هذا وبنى أحضر وكانت من ثمر اللوز . فقال موسى لفلان أمارى ما صنع الله لمرون . فقال والله ما هذا بأعجب مما أصعب من البحر . فاعتزل فارون ومعه ناس كثير . وولى هرون الحيرة والمدبح . فتمزيك . فكان بنو إسرائيل يأثرون هداهم إلى هرون . فبعضها فى المدبح ونزل النار من السماء فأكلها . واعتزل فارون بأبنائه . وكان كثير المال وانبع من بنو إسرائيل . لما كان بأن موسى عليه السلام . ولا يخاله . وروى أبو أمية الباهلي عن النبي ﷺ أنه قال وكان فارون من السبعين المختارة الذين سموا كلام الله تعالى .

أما قوله ( وآتاهم من الكنوز ما إن مفاتحه تنور بالصبى أولى القوة ) فيه أخبار :

( الأول ) قال السكاكي : أنتم تقولون إن الله لا يفتح الحرام فكيف أحضار الله مال فلان بك نفسه بعله ( وأماه ) ؟ وأجاب بأنه لا حجة فى أنه كان حراما ، ويجوز أن من نفسه من اللواتي جمعوا وكبروا لظفر فارون بذلك . وكان هذا الفاسطريق الخلف . أو وصل إليه بالإثبات من حيث . ثم بالثبوت من جهة المضاربات وغيرها وكان الشكل محتملا .

( ثبوت الثاني ) في الفتح جمع مفتاح تكرار الميم وهو ما يفتح به . وجل هو الخوازمي وقياس واحدتها مفتاح بفتح الميم . ويقال له به أجل إذا أفضله حتى أماله . والصبى جماعة تشكيرة والصبابة مثله . فالعشرة عصبه بدليل قوله تعالى فى آخره يوسف عليه السلام ( ونحن عصه ) وكانوا عشرة لأن يوسف وأخاه يكرهوا معهم .

إذا عرفت معنى الالفاظ فنقول : هذا قولنا ( أحدهم ) أن المراد بالمفاتيح المفاتيح وهي التي يفتح بها اللباب . قالوا كانت مفاتيحه من جلود الإبل وكل مفتاح مثل إصبع . وكان لكل خزائن مفتاح . وكان إذا ركب فارون حلت المفاتيح على ستين بعلا . ومن الناس من طعن فى هذا القول

من وجهين (الأول) أن مال الرجل الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ، ولو أننا قدرنا لمدة عملة من الذهب والجواهر لكثافتها أعداد خيالية من المائتين . دأى حاجة إلى تكثير هذه المائتين (الثاني) أن الكنوز في الأموات المدفونة في الأرض ، فلا يجوز أن يكون لها مائتين (والجواب) عن الأول أن المال إذا كان من جنس أموال ، لا من جنس أنفس ، لا بد أن يبلغ في الكثرة إلى هذه الحدود ، وأيضاً فهذا الذي يقال إن تلك المائتين باقت سنين حلالاً ، ليس مذكوراً في القرآن فلا نقل منه الرواية ، وتفسير القرآن أن تلك المائتين كانت كثيرة . وكان كل واحد منها معيماً لشيء آخر ، فكان ينقل على العصبية مضطرباً ومزعزعا بسبب كثرتها ، وعلى هذا توجه قول الاستيعاد ، وعن الثاني أن ظاهر الممكن وإن كان من جهة العرف ما ذكرنا فقد يقع على المال المجموع في المواضع التي عليها أغلاق (القول الثاني) وهو اختيار أن عباس وأخيه لم يحملوا المائتين على حس المال وهذا أبين من الشبهة أدلة ، قال ابن عباس كانت خزائنه يحملها أربعون رجلاً أو ثوباً ، وكانت خزائنه أربع مائة فيحمل كل رجل عشرة آلاف (القول الثالث) وهو اختيار ابن مسلم : أن المراد من المائتين العلم والإحاطة بكيفية (وعدة) مائتين (سبب) والمراد آتيانها من الكنوز ما إن جمعها والإحاطة عليها (لأنه) على النصف أول القوة والقدرة . أي هذه الكنوز لكثرتها واختلاف أصنافها تسبب حفظها والاعتماد عليها أن يحفظوها . ثم إنه تعالى بين أنه كان في قومه من وعظه بأمر (أحدها) قوله (لا تخرج إن الله لا يحب الفرجين) والمراد أن لا يبلغه من الطر والفك بالدنيا ما يليه عن أمر الآخرة أصلاً ، وقال بعضهم : إنه لا يفرج بالدنيا إلا من رضي بها وأعطى إليها فأما من يعلم أنه سيغرق الدنيا عن قريب لم يفرج بها وما أحسن ما قاله المتن :

أشد الم عدى في حرور . يعني منه صاحبه انتقالاً

وأحسن وأحر منه ما قاله تعالى (سكروا بأسوا على ما فأنكم ولا تم حواياتكم) قال ابن عباس : كان فرجه ذلك شركاً ، لأنه ما كان يخاف منه عقوبة الله تعالى (وثانيها) قوله (وابتغ فداء) أي تلك الله الدار الآخرة (وتطالع) أنه كان مفرجاً بالآخرة ، والمراد أن يصرف المال إلى ما يؤدبه إلى الجنة وسلك طريقة التواضع (وثالثها) قوله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وفيه وجه (أحدها) لأنه كان مستغرق في طلب الدنيا فلا يبالى ذلك ما كان يفرج للسحر والاشتغال بهما الواقع عن ذلك (وثانيها) لما أمره الواحظ بصرف المال إلى الآخرة بين له بهذا الكلام أنه لا بأس بالتمتع بالوجوه المباحة (وثالثها) المراد منه ألا يفرج في طاعة الله فإن ذلك هو نصيب المرء من الدنيا دون الذي يأكل ويشرب قائمه بجهنم السلام في طاعة الله من غيبه الله . ومن ديار الآخرة . ومن الشبهة قيل الكبر . ومن الجبانة من الموت . هو الذي عسى محمد يده ما بعد الموت من مستعجب ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة والثار . (ورابعها) قوله (وأحسن كما أحسن الله إليك) أي أنه



بالإحسان إلى المال أمره بالإحسان مطلقاً ويدخل فيه الإمان بالمال والجاء وحلقة الوجه وحسن القصد وحسن الذكر ، وإنما قال ( كما أسس الله إليك ) تنبيهاً على قوله ( لنن شكرهم لأن يذكركم ) وعامداً لقوله ( ولا تلخ الفساد في الأرض ) وانفراد ما كان عليه من الظلم والظني ونيل إن هذا القاتل هو موسى عليه السلام . وقال آخرون بن مؤمنو قومه ، وكيف كان قد جمع في هذا الوعد جالو قيل لم يكر عليه مزيد . لكنه أدى أن يشن بإزاد عليه تكفر النعمة فقال إنما أوتيته على علم عندى وقبه وسوءه : ( أحدهما ) قال فزادة ومفاضل وشكلى كلى فآخرون أنقرأ بنى اسرائيل لتوراة هان ( إنما أوتيته لفضل على واستحقاق لذلك ) وثالثها ( قال سعيد بن المسيب والصحاح كان موسى عليه السلام أنزل عليه علم الكيمياء من سماء فعم قرون تلك العلم ويوشع ثلثه وكالب ثلثه فذبحهما قرون حتى أصابف عليهما إلى علم فكان يأخذ الرصاص فيحصل فضة والنجاس فيجعله ذهباً ) ورابعها ( أراد به علمه بوجوه المكاسب والتجارات ) ورابعها ( أن يكون قوله ( إنما أوتيته على علم عندى ) أى أنه أعطاه ذلك مع كونه عالماً بى وبأسوانى فلو لم يكن ذلك مصنعة لما فعل وقوله ( عندى ) أى عندى أن الأمر كذلك ، كما يقول المفسر عندى أن الأمر كذلك أى مذهبي واعتقادي ذلك . ثم أحاب الله تعالى عن كلامه قوله ( أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جماً بوفيه وجهان : ( الأول ) يجوز أن يكون هذا إيماناً لعلمه بأن الله تعالى قد أهلك قبله من القرون من هو أقوى منه وأخو لاء ندرأه في التوراة وأخبر به موسى عليه السلام وصحبه من حفاظ التورايخ كأنه قيل له : أو لم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يفتخر بكثرة ماله وقوته ( الثاني ) يجوز أن يكون نبأاً علمه بذلك كأنه لما قال أوتيته على علم عندى فتعطف بالعلم وتنظم به . فين أئنده مثل ذلك العلم الذى ادعاه ، ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة . ولم يعلم هذا العلم شافع حتى بنى به نفسه مصارع المالكيين ؟ .

أما قوله ( وأكثر جماً ) فاللعن أكثراً جماً للساك أو أكثر جماعة وعدداً ، وحاصل الجواب أن اغترابه بسمائه وقوته وجموعه من الخطأ العظيم ، وأنه تعالى إذا أراد إهلاكه لم ينفعه ذلك ولا ما يزيد عليه أضاعافاً .

فأما قوله ( ولا يسأل عن ذنوبهم المحرمون ) فالمراد أن الله تعالى إذا عاقب المحرمين فلا حاجة به إلى أن يسألهم عن كيفية ذنوبهم وكيفيةها ، لأنه تعالى عالم بكل المذمومات فلا حاجة به إلى السؤال . فان قيل كيف أضع بينه وبين قومه ( قوربك لمسالهم أجمعين ) ؟ قلنا يحصل ذلك على وتبين على ما قرأناه . وذكر أبو مسلم وجهاً آخر فقال : السؤال قد يكون للتحسبة ، وقد يكون لتقرير والتسبيح . وقد يكون للاستنباب ، وأما الوجه بهذه الآية الاستنباب لقوله ( ثم لا يؤذون الذين كفروا ولا هم يستنبئون ) هذا يوم لا ينطقون ، ولا يؤذون لهم فيمضون .

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَبْلَيْتُ لَنَا  
مِثْلَ مَا أُولَى قَرُونٌ إِنَّهُمْ لَكَاظِمُونَ عَظِيمٌ ﴿٥٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوْبًا  
اللَّهُ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهُ إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٥٧﴾ فَخَصَّصْنَا لَهُ وَبَدَارِهِ  
الْأَرْضَ فَإِذَا هُوَ مِنْ فَتْنَةٍ يَبْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْصَرِفِينَ

﴿٥٦﴾

قوله تعالى : فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يابلت لنا مثل ما أولى  
قارون به يذو مط عظيم ، وقال الذين أوتوا العلم وبإيمانكم تواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا  
ولا يلقاها إلا السماء والى ، فخصصناه وبداره الأرض فإذا كان له من فتنه يَبْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
وما كان من المنصرفين .

أما قوله ( فخرج على قومه في زينته ) فيدل على أنه خرج بأظهر زينته وأكملها ونص في القرآن  
إلا هذا التقدير ، إلا أن الناس ذكروا وجوها متعددة في كيفية تلك الزينة ، قال مقاتل خرج على زينته  
شبهاء عليها سرج من ذهب ومنه أربعة آلاف فارس على الجيول وعليها الثياب الأرجوانية ومنه  
ثلاثة حارية يمشي عليها الخيل والياباب البحر على الدفال انصب ، وقال بعضهم بل خرج في كسبه  
أنفعا حكاه ، وقال آخرون بل على ثيافته ، والأولى ترك هذه خبريات لأنها متناقضة ، ثم إن  
الناس لما أدره على تلك الزينة فإلهم كان منهم يرغب في الدنيا ( يابلت لنا مثل ما أولى قارون ) من  
هذه الأمور والأموال ، والى الخوف فيحمل أن يكونوا من الكفار وأن يكونوا من المسلمين الذين  
يجنون الدنيا ، وأما العلماء وأهل الدين فالمرءة للذي آمنوا بها ربحوا ثواب الله خير من هذه لهم ،  
لأن ثواب منافع عظيمة وخاصة عن شوائب المضار وبائنه ، وهذه الدار العاجلة على الله ،  
هذه الصدقات الثلاث ، قال صاحب الكشاف : ربيك بأمله المدعى بالهلاك ، ثم استعمل في الزجر  
والردع والبهت على ترك ما لا ينفع .

أما قوله ( ولا يلقاها إلا الصابرون ) فقال المفسرون لا يوفق لها وأنصبر في يلقاها إلى ما إذا  
يعرده في وجهان : ( أحدهما ) إلى ما دل عليه قوله : آمن وعمل صالحا ، يعني هذه الأعمال لا يؤتاها  
إلا الصابرون ( والثاني ) قال المرحوم بدي ، ولا ينقي هذه الكلمة وهي توهم ثواب الله خير ولا  
الصابرون على أولاد الطاعات والاحتراز عن المحرمات ، وعلى الفارضا هذا الله في كل ما قسم من  
الشافع والنصار .

وأما قوله ( نخسف به وبداره الأرض ) فبفتح وجهاً : ( أحدهما ) أنه لما أشر وبهر وصاح  
خسف الله به وبداره الأرض جزاء على غيوه وظلمه ، وإلقاء نبل على ذلك ، لأن الله تعالى يجرى بالعلية  
( وثانيها ) قيل إن قارون كان يؤذى نبي الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه فقرباً إلى  
بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار ، وعن حشك ألف درهم على  
درهم فحسبه فاستكثره فذهبت نفسه لجمع بني إسرائيل . وقال إن موسى يريد أن يأخذ  
أموالكم فقالوا أنت سيدنا وكبيرنا فربنا بما شئت ، قال برحط ثلاثة البنى حتى تنسبه إلى نفسها  
فبرخصه بنو إسرائيل لجلل لها طسناً من ذهب مطرواً ذهباً فلما كانت يوم عيد قام موسى  
فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ، ومن زنى وهو [غير] محصن جلدهناه وإن أحسن رجلاً ،  
فقال قارون وإن كنت أنت ؟ قال وإن كنت أنا . قال قال بني إسرائيل يقولون إنك لم تفرط  
بخلاناً فأحضرت فاشهدا موسى بالله الذى خلق البحر وأمرل النوراة أن تصدق فتداركها الله  
تعالى ، فقلت كذبوا بل جعل لى قارون جعلاً على أن أتذلك بنفسى ، فخر موسى ساجداً بيكى ،  
وقال يارب إن كنت رسلك فالخسف لى . فأوحى الله عز وجل إليه أن مر الأرض بما شئت  
فأبنا طليعة لك . فقال يا بني إسرائيل إن الله بعثنى إلى قارون كما بعثنى إلى فرعون فمن كان معه طليز  
مكاته ومن كان معى طليعزول فأعزولوا جميعاً غير رجلين . ثم قال : يا أرض خذيهم فأطعهم إلى  
الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم ( إلى الأوساط ) ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأمانى وقارون وأصحابه  
يتضرعون إلى موسى عليه السلام ويتأشدونه بالله والرحم . وموسى لا يلتفت إليهم لشدة غضبه .  
ثم قال خذيهم فانطبت الأرض عليهم فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ما أفطك استأثرا  
بك سراراً فلم ترحمهم . أما وعزنى لو دعوتى مرة واحدة لوجدت قرياً بجياً . فأصبحت بنو إسرائيل  
يتأججون بينهم إغماً دعا موسى على قارون ليشهد بداره وكثوره فتدا الله حتى خسف بداره  
وأمواله ، ثم إن قارون يخسف به كل يوم مائة فائمة . قال القاضى إذا ظلك بالخسف فسواء نزل  
عن ظاهر الأرض إلى الأرض السابعة أو دون ذلك فإنه لا يتمتع ما روى على وجه المبالغة فى  
الزجر ، وأما قولهم إنه تعالى قال لو استنثا لى لأعنته . فإن صح حل على استنثا مفعولة بالثبوت  
فأما وهو ثابت على ما هو عليه مع أنه تعالى هو الذى حكم بذلك الخسف لأن موسى عليه السلام  
ماضيه إلا عن أمره فيميد ، ونولم إنه يتجمل فى الأرض أبداً . فميد لأنه لا يلد له من نهاية  
وكذا القول فيما ذكر من عدد القصاصات ، والذى عندى فى أمثال هذه الحكايات أنها طيلة القادة  
لأنها من باب أخبار الآحاد فلا تغيد اليقين . وليست المسألة مسألة عملة حتى يكنفى فيها بالنظر . ثم  
لها فى أكثر الأمر متلازمة مضطربة فالأولى طرحها والاكتفاء بما دل عليه نص القرآن  
وتقوى سطر التماسيل إلى عالم الغيب .

أما قوله ( وما كان من المنتصرين ) فالمراد من المنتصرين من موسى أو من المؤمنين من عذاب

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآلَائِهِمْ يَقُولُونَ وَيَكُنَّ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَبِكَانُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْكَ الْآدَارُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٦﴾

الله تعالى يقال نصره من عدوه فانتصر ، أى منه فانتصر .  
قوله تعالى : ﴿ وأصبح الذين كفروا بآلائهم يقولون ويكأن الله يسطر الرزق لمن يشاء من عباده يدور لولا أن من الله علينا لخسف بنا وبكأنه لا يفلح الكافرون ﴾ . تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ .  
اعلم أن القوم الذين شاهدوا قارون في زينة لما شاهدوا ما نزل به من الخسف صار ذلك زاجراً لهم عن حب الدنيا ومخالفة موسى عليه السلام وداعياً إلى الرضا بقضاء الله تعالى وقسمته وإلى إظهار الطاعة والانقياد لأوامر الله ورسوله .

أما قوله ( ويكأن الله ) فاعلم أن وى كلمة مفصلة عن كأن وهي كلمة مستعملة عند النحويين للتعطى وإظهار التندم ، فتأ قالوا ( يا ليت لنا مثل ما لوقى قارون ) ثم شاهدوا الخسف تنهوا لمخطئهم فقالوا وى ثم قالوا كأن الله يسطر الرزق لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وسكته لا شكرانه عليه ، ويضيق على من يشاء لا لقوان من يضيق عليه بل لحسنة ونصائه ابتلاء . وقته ( قال سيبويه ) سألت الخليل عن هذا الحرف فقال إسنـبـ وى مفصلة من كان وأن القوم تنهوا وقالوا استدين على ما سلف منهم وى . وذكروا أنواء وجهين ( أحدهما ) أن المعنى وىك الخسف واللام وإيما جاز هذا الخسف لكثرة ما في الكلام وجعل أن مقترنة بفعل مضمر كأنه قال وىك اعلم أن الله ، وهذا قول فخرى حكاها عن يونس ( الثالث ) وى متضمنة من كأن وهو التشجب بقول الرجل لغيره وى أما ترى ما بين يديك فقال الله وى ثم استأنف كان الله يسطر فاقه تعالى إيما ذكرها نصيباً لحسنه ، قالوا الواحدي وهذا وجه مستقيم غير أن العرب لم تكنها متضمنة ولو كان على ما قالوه لكتبوها مفصلة . وأجاب الأولون بأن غط المصحف لا يقاس عليه ، ثم قالوا ( لولا أن من الله علينا لخسف بنا وبكأنه لا يفلح الكافرون ) وهذا تأكيد لما قبله .

أما قوله ( تلك الدار الآخرة ) فنظام لها وخبر لها بأنها بيتى تلك التى سمعت بذكر ما وبكأنك وعنها ولم يعلق الوعد بترك المعصية والفساد ، ولكن بترك إرادتهما وميل القلب إليهما ، وعن على

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَبَاتٍ ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِي قَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ وَمَا كُنْتُ تَرْجُو أَنَّ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنِّي ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بِعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعَ إِلَىٰ دِينِكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۗ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٢﴾

عليه السلام : إن الرجل ليجبه أن يكون ذراك فله أجود من ثراك فقل صاحب فدخل تحته ، قال صاحب الكشف : ومن تطوع من يحمل العلولهم عن لعله (إن فرعون علا في الأرض) وانفساد فلادون قوله (ولا نبغ الفساد في الأرض) ويقول من لم يكن مثل فرعون وفادون له تلك الدار الآخرة ولا يتدر فرله (والهبة للفتن) كما تدره على بن أبي طالب عليه السلام قوله تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر مثبات ﴾ من جاء بالسببة فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ، إن الذي عرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين ، وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا راحة من ربك فلا تكون ظهيراً للكافرين ، ولا يصدك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكون من المشركين ، ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴿ ٣٢ ﴾ .

اعلم أنه تعالى لما بين أن الدار الآخرة ليست لمن يرد علواً في الأرض ولا صاعداً ، بل هي للفتن من بعد ذلك ما يحصل لهم بعد ( من جاء بالحسنة فله عشر مثبات ) وفيه وجوه ( أحدها ) المتي من جاء بالحسنة حصل له من تلك الكلمة خير ( وثاني ) حصل له شئ هو أفضل من تلك الحسنة ، ومثناه أنهم يزدون على ثوابهم وقد مر تفسيره في آخر التعليل . وأما قوله ( ومن جاء بالسببة فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ) مظاهره أن لا يزدادوا على ما يستحقون .

وإذا صبح ذلك في البينات دل أن المراد في الحيات بما هو خير منها ما ذكرناه من مزيد الفضل على الثواب . قال صاحب الكشف تقدير الآية : ومن جاء بالبينة فلا يحجزون إلا ما كانوا يعملون . لكنه كرر ذلك لأن في إساد عمل البينة إليهم مكرراً بفضل نهجين لحالهم وزيادة تبيين البينة إلى قلوب السامعين . وهذا من فضله العظيم أنه لا يحجز بالبينة إلا مثلها . ويحجز بالحسنة عشر أمثالها . وهذا هو الان :

(سؤال الأول) قال تعالى (إن أحسنهم أحسنكم أنفسكم وإن أسوأهم فها) كره ذلك الإحسان واكتفى بذكر الإساءة بمرة واحدة . وفي هذه الآية كره ذكر الإساءة مرتين واكتفى في ذكر الإحسان مرة واحدة . فالتسبب (الجواب) لأن هذا المقام مقام الترتيب في الدار الآخرة . فكانت المبالغة في الزجر عن المعصية لانتفاء هذا الباب . لأن المبالغة في الزجر عن المعصية مبالغة في الدعوى إلى الآخرة . وأما الآية الأخرى فهي شرح حاله فكانت المبالغة في ذكر محاسنهم أول .

(سؤال الثاني) كيف قال : لا يحجز البينة إلا بنتها ؟ مع أن البينة تكلف الكفر إذا مات في الحان عذب أيد الأعداء (والجواب) لأنه كان على عزم أنه لو عاش أبداً فحال ذلك فصول فيقتضى عزمه . قال الحنفى : وهذا يدل على بطلان مذهب من يجوز على الله تعالى أن يذهب الأفعال عذاباً دائماً بغير جرم . قلنا لا يجوز أن يفعله وليس في الآية ما يدل عليه . ثم إنه سبحانه لما شرح (سورة أمم القبيلة) واستقصى في ذلك ، شرح له ما يتصل بأحواله فقال (إن الذي فرض عليك القرآن (لأنه إلى معاد) قال أبو علي : الذي فرض عليك أحكامه وفرائضه لئلا يردك بعد الموت إلى معاد . وتتكبر المعاد لمعقوبه . كأنه قال (إن معاد وأى معاد . أى ليس لنفرك من البشر مثله . وقيل المراد به مكة . ووجهه أن راد برده إليها يوم الفتح . ووجه تكفيره أنها كانت في ذلك اليوم معنوا له شأن عظيم لاستيلاء رسول الله ﷺ عليها وفهره لأهلها وإظهار عز الإسلام وإبطال حرب الكفر والسورة مكية . فكان الله تعالى وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها أنه يهاجر منها ويقيم إليها طاهراً ظافراً . وقال مقاتل : إنه عليه السلام خرج من مكة وسار في غير الطريق بخلافه الطلب . فبما أمر رجوع إلى الطريق ونزل بالمدينة بين مكة والمدينة . وعرف الطريق إلى مكة واشتاق إليها وذكر مولده ومولد أبيه . فزحل جبريل عليه السلام وقال : نشأت في بلدك ومولدك . فقال عليه السلام : نعم . فقال جبريل عليه السلام : فإن الله تعالى يقول (إن الذي فرض عليك القرآن لردك إلى معاد) ينسب إلى مكة طاهراً عليهم وهذا أقرب . لأن ظاهر المعاد أنه كان فيه وقاره وحصل الموت . وذلك لا يليق إلا بمكة . وإن كان سائر الرجوع محتملاً لكن ذلك أقرب . قال أهل التحقيق : وهذا أحد ما يدل على نبوته . لأنه أخير عن التنبؤ ووقع كل شئ فيكون معجراً . ثم قال (قل ربني أعلم من جاء بالبينة ومن هو في ضلال مبين) ووجه تعلقه بما قبله أن

لغة تعالى لما ورد برسوله (الرد إلى معاد ، قال (عل) للشركين (ربى أعلم من جاء بالهدى) بمنى نفسه وما يستحقه من الثواب في المعاد والإعزاز بالإعادة إلى مكة (ومن هو في ضلال بين) بينهم وما يستحقون من العقاب في معادهم ، ثم قال برسوله (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا راحة من ربك) نفى كلة (إلا وجهه) (أحدهما) أنها للاستثناء ، ثم قال صاحب الكتاب : هنا كلام محمول على المعنى كأنه قيل (وما أنى إليك الكتاب إلا راحة من ربك) ويمكن أيضاً إيجازه على ظاهره ، أى وما كنت ترجو إلا أن يرحمك الله برحمته فيمنع عليك بذلك ، أى ما كنت ترجو إلا على هذا (والوجه الثانى) أن الإلحاح بمعنى لكن للاستدراك ، أى ولكن راحة من ربك ألقى إليك وتطيره قوله (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك) خصصك به ، ثم إنه كلفه بأمره (أحدهما) كلفه بأن لا يكون مظهراً للكفار فقال (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) (وثانيها) أن قال (ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك) المثل إلى المشركين ، قال الضحاك وذلك حين يدعو إلى دين آياته ليرى وجهه وبذا سموه شطراً من عالمهم ، أى لا تلتفت إلى هؤلاء ولا تركن إلى قولهم فيصدونك عن اتباع آيات الله (وثالثها) قوله (وادع إلى ربك) أى إلى دين ربك ، وأراد التشديد في دعاء الكفار والمشركين ، فذلك قاله (ولا تكونن من المشركين) لأن من رضى بغيرهم أو مال إليهم كان منهم (ورابعها) قوله (ولا تدع مع الله شيئاً آخر) وهذا وإن كان واجباً على الكل إلا أنه تعالى خاطبه به خصوصاً لأجل التعظيم ، فإن قيل الرسول كان معلوماً أنه لا يفعل شيئاً من ذلك ، فبما فائدة هذا تنبيه ؟ قلنا لعل الخطاب معه ولكن المراد غيره ، ويجوز أن يكون المعنى لا تعتمد على غير الله ولا تتخذ غيره وكيلاً في الأمور ، فإن من وثق بغير الله تعالى فكان له بكل طريقه في التوحيد ، ثم بين أنه لا إله إلا هو ، أى لا مانع ولا صار ولا معلى ولا مانع إلا هو . كقول (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذة وكيلاً) فلا يجوز اتخاذ إله سواه ، ثم قال (كل شيء هالك إلا وجهه) وفيه مسائل :

المسألة الأولى : اختلقوا في قوله «كل شيء هالك» لأن الناس من فسر الهلاك بالعدم ، والمعنى أن الله تعالى يعدم كل شيء سواه ، ومنهم من فسر الهلاك بإخراجه عن كونه منتزعا به ، إما بالإماتة أو بتفريق الأجزاء ، وإن كانت أجزاءه باقية ، فانه يقال هلك الثوب وملك المتاع ولا يربطون به هذه الأجزاء ، بل خروجها عن كونه منتزعا به ، ومنهم من قال : معنى كونه هالكا كونه قابلا للهلاك في ذاته ، فإن كل ما عدا الله يمكن الوجود لذاته وكل ما كان يمكن الوجود كان قابلا لعدم فكان قابلا للهلاك ، فأطلق عليه اسم الهلاك نظراً إلى هذا الوجه .

واعلم أن المشككين لما أرادوا إقامة الدلالة على أن كل شيء سوى الله تعالى يقبل العدم والهلاك قالوا : ثبت أن العالم محدث ، وكل ما كان محدثاً كان حقيقته قابلاً لعدم الوجود ، وكل ما كان كذلك وجب أن يبقى على هذه الحالة أبداً ، لأن الإمكان من لوازم الماهية ، ولازم الماهية

لا يزل قط ، إلا أننا نظرن في هذه الدلالة ما وجدناها في هذا القرض ، لأجهم إنما أقاموا الدلالة على حدوث الأجسام والأعراض ، فلو قدرنا على إقامة الدلالة على أن ماسوي الله تعالى إما متبعض أو قائم بالمتبعض ثم غرضهم ، إلا أن الحضم يثبت موجودات لا متبوعة ولا قائمة بالمتبعض ، فالله تعالى الذي بين حدوث المتبعض والقديم بالمتبعض لا يبين حدوث كل ماسوي الله تعالى إلا بصحاح الدلالة على نفي ذلك القسم الثالث ، ولهم في نفي هذا القسم الثالث طريقان ( أحدهما ) فلو لم يلدل عليه فوجب نفيه وهذه طريقة ركيكة ينسفونها في الكسب الكلامية ( والثاني ) فلو لم يوجد موجود حكفاً للكان مشاركاً له تعالى في نفي المكان والزمان والإمكان ، ولو كان كذلك لصار علاقة تعالى وهو ضعيف ، لا احتمال أن يقال إنها وإن اشتركا في هذا السلب إلا أنه يتميز كل واحد منهما عن الآخر بخاصية وحقيقة ، وإذا كان كذلك ظهر أن دليلهم القلي لا يفي بإثبات أن كل شيء هالك إلا وجهه ، والذي يعتمد عليه في هذا الباب أن يقول ثبت أن صانع العالم واجب الوجود لذاته فيستحيل وجود موجود آخر واجب لذاته ، وإلا لاشتركا في الوجود وامتاز كل واحد منهما عن الآخر بخصوصية ، وما به المشاركة غير ما به المماثلة فيكون كل واحد منهما مركباً عما به المشاركة وعما به المماثلة وكل مركب ممكن منفر إلى جزئه ، ثم إن الجزئين إن كانا واجبين كانا مشتركين في الوجود ومتمايزين باعتبار آخر فيلزم تركيب كل واحد منهما أيضاً ويلزم التمثل وهو محال ، وإن لم يكونا واجبين فالتركيب عنهما المنفرد إليهما أولى أن لا يكون واجباً ، ثبت أن واجب الوجود واحد وأن كل ما عداه فهو ممكن وكل ممكن فلا بد له من مرجع ، واقتضاه إلى المرجع ، إما حال عدمه أو حال وجوده ، فإن كان الأول ثبت أنه محدث ، وإن كان الثاني فافتقار الموجود إلى المؤثر ، إما حال حدوثه أو حال بقائه ، والثاني باطل لأنه يلزم إجماع الموجد وهو محال ، ثبت أن الافتقار لا يحصل إلا حال الحدوث ، وثبت أن كل ماسوي الله تعالى محدث سواء كان متبعضاً أو قائماً بالمتبعض أو لا متبعضاً ولا قائماً بالمتبعض ، فإن قضت هذه الدلالة بذات الله وصفاته ، فاعلم أن هناك فرقا قوياً وإذا ثبت حدوث كل ماسواء ثبت أن كل ما كان محدثاً كان قابلاً لعدم ثبت هذا البرهان الباهر أن كل شيء هالك إلا وجهه ، بمعنى كونه قابلاً للهلاك والعدم ، ثم إن الذين فسروا الآية بذلك قالوا هذا أولى وذلك لأنه سبحانه حكيم حكيمها حاله في الحال ، وعلى ما قلناه فهي حاله في الحال ، وعلى ما قلناه أنها سبقت لا إنها حاله في الحال ، فكان قولنا أولى وأيضاً فالممكن إذا وجد من حيث هو لم يكن مستحقاً للوجود ولا لعدم من ذاته ، فهذه الاستحقاق مستحقة له من ذاته ، وأما الوجود فوارد عليه من الخارج فالوجود له كالثوب المستعمل له وهو من حيث هو عو كالإنسان الفقير الذي استشار توباً من رجل غني ، فإن الفقير لا يخرج بسبب ذلك من كونه فقيراً كذا المسكنات عارية عن الوجود من حيث هي ، وإنما الوجود ثوب حصل لها بالمارة فصح أنها تبدأ حاله من حيث هي ، أما الذين حملوه على أنها



ستقدم فقد احتجوا بأن قالوا : الهلاك في الآفة له معنيان ( أحدهما ) خروج الشيء عن أن يكون متصفاً به ( والثاني ) القضاء والعدم لا جائز حل اللفظ على الأول لأن ملاكها بمعنى خروجها عن حد الانفعال محال ، لأنها وإن تفرقت أجزاءها فإنها متفعل بها لأن الفعل المطلوب كونها بحيث يمكن أن يستدل بها على وجود الصانع القديم ، وهذه المنفعة باقية سواء بقيت منفردة أو مجتمعة ، وسواء بقيت موجودة أو صارت معسومة . وإذا نفذر حل الهلاك على هذا الوجه وجب حله على القضاء . أجاب من حل الهلاك على التفريق قال : هلاك الشيء ، خروجه عن المنفعة التي يكون الشيء مطلوباً لأجلها ، فإذا مات الإنسان قيل هلك لأن الصفة المطلوبة منه جاتته وعطفه ، وإذا تفرق الثوب قيل هلك . لأن المقصود منه صلاحه ليس ، فإذا تفرقت أجزاء العظام خرجت السموات والكواكب والجبال والبحار عن صفاتها التي لأجلها كانت متصفاً بها انتفاعاً عاماً . فلا جرم صح إطلاق اسم الهالك عليها فأما صحة الاستدلال بها على الصانع سبحانه فلهذه المنفعة ليست منفعة خاصة بالشمس من حيث هي شمس والقمر من حيث هو قمر ، فلم يلزم من بقائها أن لا يطلق عليها اسم الهالك ثم احتجوا على بقاء أجزاء العالم بقوله ( يوم تبدل الأرض غير الأرض ) وهذا صريح بأن تلك الأجزاء باقية إلا أنها صارت متصفة بصفة أخرى فهذا ما في هذا الموضع .

﴿ المسألة الثانية ﴾ احتج أهل التوحيد بهذه الآية على أن الله تعالى شيء ، قالوا لأنه استثنى من قوله ( كل شيء ) ( استثناء ) يخرج ما لولاه لوجب أو لمصح دخوله تحت اللفظ ، فوجب كونه شيئاً يؤكد ما ذكرناه في سورة الأنعام ، وهو قوله ( قل أي شيء أكبر شهادة قل الله ) واحتجاجهم على أنه ليس بشيء بقوله ( ليس كشيء شيء ) والكاف بمثابة المثل فتقدير الآية ليس مثل مثله شيء ومثل مثل الله هو الله فوجب أن لا يكون الله شيئاً . جوابه : أن الكاف صلة زائدة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ استدلت النجسة بهذه الآية على أن الله تعالى جسم من وجوب ( الأول ) ظنوا الآية صريحة في إثبات الوجه وذلك يقتضي الجسمية ( والثاني ) قوله ( وإليه ترجعون ) وكلمة إل لاتباع الغاية وذلك لا يقفل إلا في الأجسام ( والجواب ) لو صح هذا الكلام يلزم أن ينفى جميع أعضائه وأن لا يبق منه إلا الوجه ، وقد ألزم ذلك بعض المشبهة من الرافضة . وهو يأنه ابن سحنان وذلك لا يقفل به عاقل ، ثم من الناس من قال الوجه هو الوجود والخفية يقال وجه هذا الأمر كذا أي حقيقته ، ومنهم من قال الوجه صلة ، والمراد كل شيء هالك إلا هو ، وأما كلمة إل فالمعنى وإل موضع حكمه وتخصه ترجعون .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ استدلت المنتزعة به على أن الجنة والنار غير مخلوقتين ، قالوا لأن الآية تقتضي نقض الكل فلو كانتا مخلوقتين لغنينا ، وهذا يناقض قوله تعالى في صفة الجنة ( أكلفناهم ) ( والجواب ) هذا معارض بقوله تعالى في صفة الجنة ( أعدت للمؤمنين ) وفي صفة النار ( وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ) ثم لما أن يجعل قوله ( كل شيء هالك ) على الأكفر ، كقولهم

(٢٦) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ بِكَسْبِ  
وَأَنبِئَانِهَا السَّبْعَ وَمِثْلُونِ

وقيل مدينة وقيل ترك من أولها إل وأس عشر بمكة وباقيا بالمدينة أو نزل إلى آخر  
المشر بالمدينة وباقيا بمكة بالنكس . وهي سبعون أو ثمان وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَآمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ ﴿١﴾

(أو أتيت من كل شيء) (أو يجعل قوله (أكلها دائم) على أن زمان ثنائهما لما كان قليلا بالنسبة  
إلى زمان جاتها لا يبرم أطلق لفظ الدوام عليه .

في المسألة الخامسة في قوله (كل شيء حالك) يدل على أن الذات ذات بالفعل ، لأنه حكم  
بالهلاك على شيء . فدل على أن شيء في كونه شيئا قابلا للهلاك ، فوجب أن لا يكون المصنوع شيئا  
واقعه أعلم . واحمد لله رب العالمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ألم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفقهون ﴾ في تفسير الآية وفيها  
يتعلق بالتفسير مسائل :

في المسألة الأولى في في تعلق أول هذه السورة بما قبلها وفيه وجه (الأول) لما قال الله  
تعالى قبل هذه السورة (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) وكان المراد منه أن يرد  
إلى مكة ظاهرا غالبا على الكفار ظاهرا خائفا قاترا . وكان به احتمال مشاق القتال حسب على البعض  
ذلك فقال الله تعالى ( ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا ) ولا يؤمروا بالجهاد ( الوجه  
الثاني ) هو أنه تعالى لما قال في أواخر السورة المتقدمة ( وأدع إلى ربك ) وكان في الدعاء إليه  
الطمأن والحراة والخراب ، لأن الذي عليه السلام وأصحابه كانوا أمويين بالجهاد إن لم يؤمن  
الكفار بمجرد الدعاء . فشق على البعض ذلك فقال ( أحسب الناس أنه يتركوا ) ( الوجه الثالث )  
هو أنه تعالى لما قال في آخر السورة المتقدمة ( كل شيء حالك إلا وجهه ) ذكر بعده ما يعلل قول  
المسكرين للعترة فقال ( نه الحكم وإليه يرجعون ) يعني ليس كل شيء حالكا من غير وجوه بل  
كل حالكا . وانه رجوع إلى الله . إذا تبين هذا ، فاعلم أن منكري الخبر يقولون لا فائدة في التكليف  
فلما مشاق في الحال ولا فائدة لها في أمثال إذ لا مآل ولا مرجع بعد الهلاك والزيوال ، فلا فائدة  
فيها . علما بين الله أنهم إليه يرجعون بين أن الأمر ليس على ما حسموه . بل حسن التكليف لينيب

الشكور ويعذب الكفور فقال (أحسب الناس أن يتركوا) غير مكلفين من غير عمل رحيمون به بل رحم .

﴿ المسألة الثانية ﴾ في حكمة افتتاح هذه السورة بحروف من التجرى ، ولتقدم عليه كلاماً كثيراً في افتتاح السور بالحروف فتقول : الحكيم إذا خاطب من يكون على ثقة أو من يكون مشغول البال يشغل من الأعمال يقدم على الكلام المقصود شيئاً غيره ليلفت الانتباه بسببه إليه ، يقول بقله عنه ، ثم يشرع في المقصود . إذا ثبت هذا فنقول ذلك المقدم على المقصود قد يكون كلاماً له معنى ومفهوماً ، كقول القائل اجمع ، واحذر بالك إلى ، وكل ، وقد يكون شيئاً حرفي معنى كالكلام المقصود كقول القائل أزيد ، ويزيد ، ولا يارب ، وقد يكون ذلك المقدم على المقصود صورة أو غير مفهوم كمن يصغر خائف الإنسان ليلفت إليه ، وقد يكون ذلك الصوت بغير المقصود كما يصنع الإنسان يديه ليقبل السامع عليه ، ثم إن موقع الكلمة كما كان الأمر والكلام المقصود كان أهم ، كان المقدم على المقصود أكثر . ولهذا يتدلى الغريب بالأمثلة وقال أزيد ، والبعبعبا فقال يارب ، وتفاعل بينه أولاً فقال لا يارب . إذا ثبت هذا فنقول إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يظن الجان لكنه إنسان يفقه شأن عن شأن فكان يحسن من الحكيم أنه يقدم على الكلام المقصود حرفاً هي كلمات ، ثم إن تلك الحروف إذا لم تكن بحيث يفهم معناها تكون أهم في إعادة المقصود الذي هو انتباه من يقدم الحروف التي لها معنى ، لأن تقديم الحروف إذا كان لإقبال السامع على المتكلم استباح ما بعد ذلك فإذا كان ذلك المقدم كلاماً معلوماً وتولاه فهو ما إذا سمعه السامع وبما يضر أنه كل المقصود ولا كلام له بعد ذلك فيقطع الإشارات عنه ، أما إذا سمع منه صوتاً لا معنى يقبل عليه ولا يقطع نظره عنه فالحرف يسمع غيره جزؤه بأن ما بعده ليس هو المقصود ، بل قد يسمع الحروف التي لا معنى لها في الوضع على الكلام المقصود فيه حكمة بالغة ، وإن قال قائل فما الحكمة في اختصاص بعض السور بهذه الحروف ؟ فنقول عقل البشر عن إدراك الأشياء الخفية على نفاستها عاجز والله أعلم بجميع الأشياء ، نذكر تذكر ما يؤيدنا أنه في قول كل سورة في أولها حروف انتهى في أوائلها ذكر الكتاب أو التزيين أو التبريق كقوله تعالى ( ألم ذاك الكتاب ) ( ألم آتته إلا حراً ملى القيم نزل عليك الكتاب ) . ( المص " كتاب أنزل إليك ) . ( يس " وأمرآن ) ١٠ ( ص " والقرآن ) ( ن " والقرآن ) . ( الم " أنزل في كتاب ) . ( حم " تزيين الكتاب ) . إلا ثلاثة سور ( كهيعص ) . ( الم " أحسب الناس ) . ( الم " تحت الزوم ) . والحكمة في افتتاح السور التي فيها القرآن أو التزيين أو الكتاب بالحروف هي أن القرآن تعظيم والإتيان له فقد والكتاب به عب ، كما قال تعالى ( إذا سئلت عن كتابك قل لا يعلمه إلا الله ) وكل سورة في أولها ذكر القرآن والكتاب والتبريق فمما عليه به يوجب ثبات الاحتياط لاستماعه ، لا يقال كل سورة قرآن واستماعه استماع القرآن سواء كان فيها ذكر القرآن فقط أو لم يكن ، فكان الواجب أن يكون في أوائل كل سورة منه . وأيضاً هذا . . . . .

سور فيها ذكر الإنزال والكتاب ولم يذكر قبلها حروف كقوله تعالى ( الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ) وقوله ( سورة أنزلناها ) وقوله ( تبارك الذي نزل الفرقان ) وقوله ( إنا أنزلناه في ليلة القدر ) لانا نقول جواباً عن الأول لا ريب في أن كل سورة من القرآن لكن السورة التي فيها ذكر الترتي والكتاب مع أنها من القرآن تنبه على كل القرآن بأن قوله تعالى ( الحمد لله الذي أنزلناه عليك القرآن ) مع أنها بعض القرآن فيها ذكر جميع القرآن فيصير مثاله مثال كتاب يرد من ملك على ملوكه فيه لغفلها ، وكتاب آخر يرد منه عليه فيه : إنا كتبنا إليك كتاباً إليك كتبنا فيها أوامرنا فاستشها ، لا شك أن عب الكتاب الآخر أكثر من نقل الأول وعن الثاني أن قوله ( الحمد لله ، وتبارك الذي ) تسبحات مقصودة وتبسيح الله لا يغفل عنه السبد فلا يحتاج إلى منه بخلاف الأوامر والأوامر ، وأما ذكر الكتاب فيها فليبان وصف عطلة من له التبسيح ( وسورة أنزلناها ) قد بينا أنها من القرآن فيها ذكر الإنزال وفي السورة التي ذكرناها ذكر جميع القرآن فهو أعظم في النفس والغفل .

وأما قوله تعالى ( إنا أنزلناه ) فنقول هذا ليس وارد على مشغول القلب بنوعه ، بدليل أنه ذكر التكاليف فيها وهي ترجع إلى مذكور سابق أو معلوم وقوله ( إنا أنزلناه ) جاء راجع إلى معلوم عند الناس عليه السلام فكان متنبهاً له فلم ينه . واعلم أن التنبيه قد حصل في القرآن بغير الحروف التي لا يفهم معناها كما في قوله تعالى ( يا أيها الناس اتقوا ربكم إن ذلذة الساعة شيء عظيم ) وقوله ( يا أيها النبي اتق الله ، ويا أيها النبي لم تحرم ) لأنها أشياء هائلة عظيمة ، فإن تقوى الله حق فانه أمر عظيم فقدم عليها البدء الذي يكون للبعد الغافل عنها تنبهاً ، وأما هذه السورة افتتحت بالحروف وليس فيها الإبتداء بالكتاب والقرآن ، وذلك لأن القرآن كله وعنه بما فيه من التكاليف والمعارف . وهذه السورة فيها ذكر جميع التكاليف حيث قال ( أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً ) يعني لا يتركوا بمجرد ذلك بل يؤمرون بأنواع من التكاليف فوجه المعنى الذي في السور التي فيها ذكر القرآن المشتمل على الأوامر والنواهي فإن قيل مثل هذا الكلام ، وفي مقامه ورد في سورة التوبة وهو قوله تعالى : ( أم حسبكم أن تتركوا ) وما يعلم الله الذين يجاهدوا منكم ولم يقدم عليه حروف التهجى فنقول الجواب عنه في غاية الظهور ، وهو أن هذا ابتداء كلام ، ولهذا وقع الاستعظام بالهجرة فقال ( أحسب ) وذلك وسط كلام يبدل وقوع الاستعظام بأم والتبسيح يكون في أول الكلام لا في آخره . وأما ( ألم غلبت الروم ) فسيجيء في موضعه إرشاد الله تعالى هذا تمام الكلام في الحروف .

المسألة الثالثة في إعراب ( ألم ) وقد ذكر تمام ذلك في سورة البقرة مع الوجوه المنقولة في تفسيره وزيد هنا على ما ذكرناه أن الحروف لا إعراب لها لأنها جارية مجرى الأصوات المنبهة .

المسألة الرابعة في سبب نزول هذه الآيات وفيه أقوال : ( الأول ) أنها نزلت في حمار ابن ياسر وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وسنة بر هشام وكاهرا يعذبون بمكة ( الثاني )

أما نزلت في أقوام منكاهة وادعوا وتعمهم الكفار فاستشهد بعضهم وبما الباقون ( الثالث ) أما نزلت في مبعوث عبد الله تعالى يومئذ .

( المسألة الخامسة ) في التفسير قوله : أحسب الناس أن يتركوا ) يعني أطوا أهم يتركوا بمجرد تركهم ( أما وهم لا يفتنون ) لا يتلون القرآن في البدنية والمالية ، واختلف أئمة النحوي في قوله ( أن يقولوا ) فقال بعضهم : أن يتركوا ، وأن يقولوا ، وقال بعضهم : أن يتركوا يقولون أما ، ومقتضى ظاهر هذا أنهم يمتنعون من قولهم أما ، كما يفهم من قول القائل نحن أنك ترك أنك تعزب زيد أي تمنع من ذلك ، وهذا بعيد فإنه لا يجمع أحداً من أن يقول آمنت ، ولكن مراد هذا المفسر هو أنهم لا يتركون يقولون آمنان غير ابتلاء فيؤمنون من هذا المجموع بإجابات القرآن عظيم .

( المسألة السادسة ) في الفوائد المنوعة ، وهي أن المقصود الأخص من الخلق العبادة والمقصد الأعلى في عبادة حصول محبة الله كما ورد في الخبر : لا يزال العبد يتقرب إلى بالعبادة حتى أحبه وكل من كان قلبه أشده امتلاء من محبة الله فهو أعظم درجة عند الله ، لكن القلب زحاج وهو الإنسان ، ولسان مصداقات هو الأصحاب ، وهذه المصداقات مركبات فإذا قال الإنسان آمنت باللسان فقد ادعى محبة الله في الجنان ، فلا بد له من شهود فإذا استمع الأركان في الإيمان بما عليه بيان الإيمان حصل له على دعاء شهود مصداقات فإذا بذل في سبيل الله نفسه وماله ، وزكى بترك ما سواه أعماله ، زكى شهود الذين صدقوه فيما قاله ، فحرر في حرمانه الخبيث اسمه ، ويقرر في أقسام المخرين نفسه ، وإليه الإشارة بقوله ( أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا ) يعني أطلقوا أن تقبل منهم دعواهم بلا شهود وشهودهم بلا مركزين ، بل لابد من ذلك جبره ليكونوا من المحبين . ( قائمة ثالثة ) وهي أن أدنى درجات تعبد أن يكون مسلماً قائماً بحدود دركات الكفر ، فالإسلام أول درجة تحصل للعبد فإذا حصل له هذه المرتبة كتب اسمه وأثبت قسمه ، لكن المستخدمين عند الملوك على أقسام منهم من يكون ناهضاً في شغل خاص في دولة ، فيقبل من خدمة إلى خدمة أعلى منها مرتبة ، ومنهم من يكون كسلاً لا متخلفاً فيقبل من خدمة إلى خدمة أدنى منها ، ومنهم من يترك على شغل من غير تغيير ، ومنهم من يقطع رحمه ويحرم من الجرائد اسمه ، فكذا تلك عباداته قد يكون المسلم عابداً مقبلاً على العبادة مقبلاً للعبادة فيقبل من مرتبة المؤمنين إلى درجة المؤمنين وهي درجة المقرين ومنهم من يكون قليل الطاعة مشتغلاً بالحلاعة ، فيقبل إلى مرتبة دونه وهي مرتبة النصارى ومنه التمداد ، وقد يستصغر تعبد ويستكثر الذنوب فيخرج من العبادة محروماً ويلحق بأهل الضاد مرحوماً ، ومنهم من يبق في أول درجة الجنة وهم بالله ، فقال الله بشارته للطبع الناهض ( أحسب الناس أن يتركوا ) يعني أطلقوا أنهم يتركون في أول المقامات لا ، بل ينقلون إلى أعلى الدرجات كما قال تعالى ( والذين آمنوا العلم درجات ) ( فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة ) . وقال بعضه للكسلان ( أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا ) يعني إذا قال آمنت ، ويختلف

وَلَقَدْ نَفَخْنَا بِالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيعَلَّيْنَ أَفْهَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيعَلَّيْنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٠﴾

بالعصيان يترك وروى عنه ، لا يلى ينقل إلى مقام أدنى وهو مقام العاصي أو الكافر .

ثم قال تعالى : ﴿ وَنَفَخْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيعَلَّيْنَ أَفْهَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيعَلَّيْنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ .

ذكر الله ما يوجب عقابهم فقال كذلك قبل الله من قبلكم ولم يتركهم بمجرد قولهم ( أمنا )

بل فرض عليهم الطاعات وأوجب عليهم وفي قوله ( فَلَيعَلَّيْنَ أَفْهَ الَّذِينَ صَدَقُوا ) وجوه : ( الأول )

قول مقاتل في الذين الله ( الثاني ) يظهرون الله ( الثالث ) فليبرزن الله ، فالمحاصل على هذا هو أن

المفسرين تناولوا أد حل الآية على ظاهرها بوجوب تجديد علم الله والله عالم بالصدق والكاذب قبل

الاستحلال ، فكيف يمكن أن يقال بعلمه عند الامتحان فقول الآية محمولة على ظاهرها وذلك أن علم

الله صفة يظهر فيها كل ما هو واقع كما هو واقع ، قبل التكليف كان الله يعلم أن زيدا مثلا سيطيع

وعمرأ سبى ، ثم وقت التكليف والاثبات يعلم أنه مطيع والآخر عاصر وبعد الاثبات يعلم أنه

أطاع والآخر عصي ولا يخبر عنه في شيء من الأحوال ، وإنما المتغير المعلوم وبين هذا مثال

من الحسابات وفيه المثل الأعلى ، وهو أن المرأة الصائبة الصغيلة إذا غلبت من موضع وتغول بوجهها

وجهة ولم تحزنه ثم عبر عليها زيد لابساً ثوباً أبيض ظهر فيها زيد في ثوب أبيض ، وإذا عبر عليها

عمرو في لباس أصفر يظهر بها كذلك فهل يقع في ذهن أحد أن المرأة في كونها حديداً تغيرت ،

أو يقع له أنها في تنويرها تبدلت ، أو يذهب فهمه إلى أنها في صفاتها اختلفت أو يخطر بباله أنها

عن سكاها اختلفت ، لا يقع لاحد شيء من هذه الأشياء ، ويقطع بأن التنوير المخلجات ، فاتهم علم

الله من هذا المثال بل أعلى من هذا المثال ، فإن المرأة ممكنة التغير وعلم الله غير ممكن عليه ذلك

فقوله ( فَلَيعَلَّيْنَ أَفْهَ الَّذِينَ صَدَقُوا ) يعني يقع من يعلم الله أن يطاع الطاعة فيعلم أنه مطيع بذلك

المعلم ( وليد ليس الكاذبين ) يعني من قال أما مؤمن وكان صادقاً عند فرض العبادات يظهر منه ذلك

ويدل من قال ذلك وكان منافقاً كذلك يعني ، وفي قوله ( الَّذِينَ صَدَقُوا ) بصيغة الفعل وقوله

( الْكَاذِبِينَ ) باسم الفاعل قائم مع أن الاختلاف في اللفظ أدل على القسامة ، وهي أن اسم الفاعل

يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصنف في الفاعل ودرجته فيه والفعل الماضي لا يدل عليه

كما يقال فلان شرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان نكح امرأه وفلان ناهض الأمر قائم لا يهتم من

صيغة الفعل التكرار والرسوخ ، ومن اسم الفاعل يفهم ذلك إذا ثبت هذا فنقول وقت نزول

الآية كانت المحكاة عن قوم فريي العهد بالسلام في أوائل إيجاب التكليف وعن قوم مستهينين

لذكرهم مستمرين عليه حال في حق المؤمنين ( الذين صدقوا ) بصيغة الفعل أي وجد منهم الصدق

وقال في حق الكافر ( الكاذبين ) بالصيغة المشبهة عن الثبات والقرار ولهذا قال ( يوم ينفع

الصابغون صدقهم ) بلفظ اسم الفاعل ، وذلك لأن في اليوم المذكور الصدق قد برسح في قلب

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ مَنْ  
كَانَ يَرْجُوا نَفَاةَ اللَّهِ فَلَيْسَ أَجَلَ اللَّهِ لَهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٧﴾

المؤمن وهو اليوم الآخر ولا كذلك في أوائل الإسلام .

ثم قال تعالى ﴿ أم حسب الذين يعبدون السبلات أن يسفقونا ساء ما يحكمون ﴾

لما بين حسن التكليف بقوله ( أحسب الناس أن يتركوا ) بين أن من كلف شيء ولم يأت به بعدد وإن لم يعذب في الحال فسيعذب في المستقبل ولا يموت الله شيء في الحال ولا في المثال . وهذا إبطال منعب من يقول التكليف إرشادات والإبعاد عليه ترغيب وترهيب ولا يوجد من الله تعذيب ولو كان يعذب ما كان عاجزاً عن العذاب عاجلاً فلم كان يؤخر العذاب فقال تعالى ( لم حسب الذين يدعون السبلات أن يسفقونا ) يعني ليس كما قالوا بل يعذب من يعذب وترتيب من يشب بمحكم الوعد والإبعاد والله لا يخلف الميعاد ، وأما الإمهال فلا يقضى إلى الإمهال والتعجيل في جزاء الأعمال شمل من عتاف الوقت لم لا الاستعجال .

ثم قال تعالى ( ساء ما يحكمون ) يعني حكمهم بأنهم يعصون ويخالفون أمر الله ولا يعادون حكم سيء . ومن الحكم الحسن لا يكون إلا حكم العقل أو حكم الشرع والعقل لا يحكم على الله بذلك فإن الله أن يفعل ما يريد والشرع حكمه بخلاف ما قالوه ، فحكمهم حكم في غاية السوء والرداءة . ثم قال ﴿ من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ﴾

لما بين بقوله : أحسب الناس أن العبد لا يترك في الدنيا مدى ، وبين في قوله ( أم حسب الذين يعبدون السبلات ) أن من ترك ما كلف به يعذب كذا بين أن يعترف بالأخرة ويعمل لها لا يصنع عمله ولا يحجب عمله ، وفي الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ : إذا ذكرنا في مواضع أن الأصول ثلاثة وهي الأول وهو الله تعالى ووحدهيته والأصل الآخر وهو اليوم الآخر والأصل المتوسط وهو الذي المرسل من الأول الموصل إلى الآخر لا يكاد يفصل في الذكر الإلهي بعضها عن بعض ، بقوله ( أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا ) فيه إشارة إلى الأصل الأول يعني أطروا أنه يكفي الأصل الأول وقوله ( وهم لا يعقلون والله عند الذين من قبلهم ) يعني ما رساله المرسل وإيضاح السبل فيه إشارة إلى الأصل الثاني وقوله ( أم حسب الذين يعبدون السبلات ) مع قوله ( من كان يرجو لقاء الله ) فيه إشارة إلى الأصل الثالث وهو الآخر .

﴿ المسألة الثانية ﴾ : ذكر بعض المفسرين في تفسير لقاء الله أنه الوزية وهو ضيق فإن اللقاء والملاقاة يعني وهو في اللغة بمعنى الوصول حتى أن حماد بن إذا توحلا فقد لاقى أحدهما الآخر .

## وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠١﴾

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال بعض المفسرين المراد من الجهاد الخوف والمعنى من قوله (من كان يرجو لقاء الله) من كان يخاف الله وهو أيضاً ضعيف ، فإن المشهور في الجهاد هو نوع الجهاد لا غير ولا ما أجمنا على أن الجهاد ورد بهذا المعنى يقال أرحم الله ولا يقم منه أضاف فضل الله ، وإذا كان وارداً لهذا لا يكون لغيره مضافاً للاشمراك .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ يمكن أن يكون المراد بأجل الله الموت ويمكن أن يكون هو الغاية الثانية بالخير ، فإن كان هو الموت فهذا ينو عن بقاء النفوس بعد الموت كما ورد في الأخبار وذلك لأن غايته إذا كان من كان يرجو الخير فإن السلطان وأمره يقدم منه أن مصلحاً ووصول السلطان يكون هو الخير حتى أنه لو وجس هو وأخر الخير يصبح أن يقال للفاضل . أما ذلك ما قلت ووصل السلطان ولم يظهر الخير ، فلم يحصل اللقاء عند الموت ، ما حسن ذلك كما ذكرنا في المثال ، وإذا ثبت هذا ظروفاً لم يحصل اللقاء .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قوله (من كان يرجو) شرط ومزاجه (فإن أجل الله آت) والشرط بالشرط عدم الشرط فمن لا يرجو لقاء الله لا يكون أجل الله آتياً له ، وهذا باطل فما الجواب عنه ؟ قول المراد من ذكر إثبات الأجل بعد المطيع بما بعده من الثواب ، يعني من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله آتياً ثواب الله يثاب على طاعته وعدمه ولا شك أن من لا يرجوه لا يكون أجل الله آتياً على وجه يثاب هو .

﴿ المسألة السادسة ﴾ قال (وهو السمع العليم) ولم يذكر صفة غيرهما كالعز والحقيم وغيرهما ، وذلك لأنه سبق القول في قوله (أحب الناس أن يتركوا أن يقولوا) وسبق الفصل بقوله (وهم لا يفترقون) ويقولون (فليعلم الله الدين صدقوا) وقوله (أهم حسب الذين يبدلون الديانات) ولا شك أن القول بترك بالسمع والعمل عنه ما لا يترك بالبصر ووه ما يترك به كالتقصود والتمسك بها وهو السمع بسمع حاقظه وهو العليم يعلم من صدق فيها قال (من كذب) وأيضاً عليهم يعلم ما يعمل فليس ويعاقب وهذا لطيفة وهي أن العبد له ثلاثة أمور هي أصناف حسنة (أحدها) عمل قلبه وهو التصديق وهو لا يرى ولا يسمع ، وإنما يعلم وعمل لسانه وهو يسمع وعمل أعضائه وهو يرى فإذا أتى بهذه الأشياء بحمد الله تسمو به ما لا أذن سمعت ، ولم ير ما لا عين رأت ، وله عمل قلبه ما لا خطر على قلب أحد . كما وصف في الخبر في وصف الجنة .

ثم قال تعالى : ﴿ ومن جامع غلبا يجاهد نفسه إن الله غني عن العالمين ﴾  
 فما بين أن التكليف حسن واقع وأن عليه وعداً وإياداً ليس غياداً ، من أن طلب الله ذلك



من المكاف ليس تنفع يعود إليه فإنه نفى مطلقاً ليس شيء غيره يتوقف كما له عليه ومثل هذا كثير في القرآن كقوله تعالى (من عرف صلاتاً لنفسه) وقوله تعالى (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) وفي الآية مسائل :

❖ المسألة الأولى ❖ الآية تسأله مع هذه الآية بوجوب أكثر التبت من العمل الصالح وانعائه له ، وذلك لأن من يفعل فعلاً لأجل ملك ويعلم أن الملك يراه ويعصره بحس العمل بقلبه ، وإذا علم أن نفعه له ومفسر بغير عمله بكثر منه ، فإذا قال الله إنه سيجع عليم فانه يدب نفس عمله ويخلصه له وإذا قال إن جواده لنفسه بكثر منه

❖ المسألة الثانية ❖ لما قلنا أن يقول هذا يدل على أن الجهاد على العمل لأن الله تعالى لما قال (من جاهد فإنما يجاهد نفسه) فهم منه أن من جاهد روحه يهاده ما لولا لما ربح فنقول هو كذلك ولكن بحكم الوعد لا بالاحتياط ، ويانه هو أن الله تعالى لما بين أن المكاف إذا جاهد يتيه فإذا أتى به هو يكون جهاداً تاماً له ولا نزاع فيه ، وإنما النزاع في أن الله يحب عليه أن ييب على العمل لولا الوعد ، ولا يجوز أن يحس إلى أحد إلا بالعمل ولا دلالة لكافة عليه .

❖ المسألة الثالثة ❖ قوله (فانما) يقتضي المحصر فنحن أن يكون جهاد المرء لنفسه محب ولا يضر به غيره وليس كذلك فإن من جاهد بنفسه به ومن يريده ونفعه ، حتى أن الوالد والولد يبركه المجاهد وجهاده بنفسه فنقول ذلك نفع له فإن انتفاع أولئك انتفاع الآب والمحصر ههنا معناه أن جهاده لا يصل إلى الله منه نفع وبدل عليه قوله تعالى (إن الله يفر عن العالمين) وفيه مسائل :

❖ الأولى ❖ تدل الآية على أن رعاية الأصلح لا يحب على الله لأنه بالأصح لا يستفيد فائدة وإلا لكان مستكلاً بملك الغائبة وهي غيره ، ومن من العالم فيكون مستكلاً بغيره فيكون محتاجاً إليه وهو غنى عن العالمين ، وأيضاً أعماله غير مفعلة لما بينا .

❖ المسألة الثانية ❖ تدل الآية على أنه ليس في مكان وليس على العرش على الخصوص فإنه من العلم وإتقته غنى عنه والمستغنى عن المكان لا يمكن دونه في مكان لأن الداخل في المكان يشار إليه بأنه ههنا أو هناك على حيل الاستقلال ، وما يشار إليه بأنه ههنا أو هناك يستحيل أن لا يوجد له ههنا ولا هناك ولا يجوز العقل إدراك حيز لائق مكان وله محال .

❖ المسألة الثالثة ❖ لو قلنا قلنا ليست قدرته بقدرة ولا عاينته بجم وإلا لكان هو في قدرته محتاجاً إلى قدرة من غيره وكل ما هو غيره فهو من العالم فيكون محتاجاً وهو غنى ، فنقول لم غنى إن قدرته من العالم وهذا لأن العالم كل موجود سوى الله بصفاته أي كل موجود هو خارج عن مفهوم الإله إلى القادر لمجرد العالم السميع البصير المتكلم والقدرة ليست خارجة عن مفهوم القادر ، والعالم ليس خارجاً عن مفهوم العالم .

❖ المسألة الرابعة ❖ الآية فيها يشار ذمها بإذار ، أما الإذار لأن الله إذا كان غنياً عن

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا

الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾

الأماني فو أهلك عماره بعباده فلاشي، عليه لغناه عنهم وهذا يوجب الحرف العظيم ، وأما البشارة فلاه إذا كان غنياً . فلأعلى جيع ماخلفه لعبد من عباده لاشي عليه لاستغناؤه عنه . وهذا يوجب الرجا، الثام .

ثم قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أجرن الذين كانوا يعملون ﴾

لما بين إحالة أن من يعمل صالحاً نفسه ، بين مفصلاً بعض التفصيل أن جزاء المطيع الصالح عمله فقال ( والذين آمنوا ) وفي الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ أما يدل على أن الأعمال مقابلة للإيمان لأن العطف يوجب التناظر .  
﴿ المسألة الثانية ﴾ أنها تدل على أن الأعمال داخلة فيها هو المقصود من الإيمان لأن تكفير السيئات والجزاء بالآخرة معلق عليها وهي ثمرة الإيمان ، ومثال هذا شجرة مثمرة لا شك في أن عرونها وأغصانها منها ، والماء الذي يجري عليها والثمار التي حو اليها غير داخل فيها لكن الثمرة لا تحصى إلا بذلك الماء والتراب الخارج فكذلك العمل الصالح مع الإيمان وأيضاً الشجرة لو احتوت بها الحشرات المفسدة والأشواك المضرّة بنقص ثمرة الشجرة وإن غلبتها عدت ثمرة بالكلية وفسدت فكذلك الذنوب تدخل بالإيمان .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ الإيمان هو التصديق كما قال (وما أنت بمؤمن لنا) أي بمصدق واحتصر في استعمال الشرع بالتصديق بجميع ما قال الله وقال رسول الله ﷺ على سبيل التفصيل إن علم مفصلاً أنه قول الله أو قول الرسول أو على سبيل الإجمال فيما لم يعلم ، والعمل الصالح عندنا كل ما أمر الله به صار صالحاً بأمره ، ولو نهي عنه لما كان صالحاً فليس الصلاح والاعتقاد من لوازم الفعل في نفسه ، وقالت المعتزلة ذلك من صفات القدر ويرتّب عليه الأمر والنهي ، فالصدق عمل صالح في نفسه وأمر الله به لذلك ، فنفسه ذات الصلاح والنقاء والحقم والقيح يرتّب على الأمر والنهي ، وعندم الأمر والنهي يرتّب على الحسن والقبح والمسألة يطولها في [ كتب ] الأصول .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ السبل الصالح الحق لأن الصالح في مقابلة الفاسد والقاعد هو أمالك الخائف ، يقال فسدت الزروع إذا هلكت أو خرجت عن درجة الاعتدال ويقال هي بعد سالحة أي ماقية على ما ينبغي . إذا علم هذا فنقول العمل الصالح لا يبق بنفسه لأنه عرض ، ولا يبق بالمثل أيضاً لا تعمالك كما تعالى (كل شيء هالك إلا بوجهه لابد من أن يكون بشي . لكن الباقي هو وجه الله

لقول (كل شيء هالك إلا وجهه) فينبغي أن يكون العمل لوجه الله حتى يبقى فيكون صالحاً ، وما لا يكون له وجه لا يبقى لا نفسه ولا بالمثل ولا بالمعدول له فلا يكون صالحاً ، فالعمل الصالح هو الذي أن به المكلف مخلصاً .

❖ المسألة الخامسة ❖ هذا يقتضي أن تكون النية شرطاً في الصالحات من الأعمال وهي قصد الإيقاع به ، ويندرج فيها النية في الصوم خلافاً لغيره ، وفي الوضوء خلافاً لأن حنيفه رحمه الله .

❖ المسألة السادسة ❖ العمل الصالح مرفوع لقوله تعالى (العمل الصالح يرفع) لكنه لا يرتفع إلا بالكلم الطيب قال ، يصعد نفسه كما قال تعالى (إله يصعد الكلم الطيب) وهو يرتفع العمل فاعمل من غير الخوف لا يقبل ، ولهذا قدم الإيمان على العمل ، وهذا الظيفة ، وهي أن أعمال المكلف ثلاثة عمل قلب وهو فكره واعتقاده وتصديقه ، وعمل لسان وهو ذكره وشهادته ، وعمل جوارحه وهو طاعته وعبادته . فالعبادة البدنية لا ترتفع بنفسها وإنما ترتفع بفكرها ، والقول الصادق يرتفع بنفسه كما بين في الآية ، وعمل القلب وهو الفكر ينزل إليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وإن الله ينزل إلى السماء الدنيا ويقول هل من تائب ، والثواب ان شاء الله . وكذلك قوله عليه السلام « يقول الله عز وجل أنا عند المسكرة قلوبهم » يعني بالمسكرة في عجزه وفقره وحفائه وعظمى ومن حيث العمل من تصكر في آلاء الله وجداته وحضرته ، نعم أن العمل القلب يأتي الله وعمل اللسان يذهب إلى الله وعمل الأعضاء يوصل إلى الله ، وهذا تنبيه على فضل عمل القلب .

❖ المسألة السابعة ❖ ذكر الله من أعمال العبد نوعين : الإيمان والعمل الصالح ، وذكر في مقابلهما من أفعال الله أمرين تكفير السيئات والجزاء بالأحسن حيث قال ( شكفرون عنهم سيئاتهم ولجزائهم أحسن ) فكفير السيئات في مقابلة الإيمان ، والجزاء بالأحسن في مقابلة العمل الصالح . وهذا يقتضي أموراً ( الأول ) للمؤمن لا يخلد في النار لأن إيمانه تكفير سيئاته فلا يخلد في العذاب ( الثاني ) الجزاء الأحسن المذكور هنا غير الجنة ، وذلك لأن المؤمن بإيمانه يدخل الجنة إذ تكفير سيئاته ومن كفرته سيئاته أدخل الجنة ، فالجزاء الأحسن يكون غير الجنة وهو حال عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ولا يبعد أن يكون هو الرؤية .

( الأمر الثالث ) هو أن الإيمان يستر قبح الذنوب في الدنيا فيستر الله عبوه في الآخرة ، والعمل الصالح يحسن حال الصالح في الدنيا فيجزيه الله الجزاء الأحسن في البقي ، فالإيمان إذن لا يطاله السعيان بل هو ينال المعاصي ويسترها وعمل صاحبها على التمسك . والله أعلم .

❖ المسألة الثامنة ❖ قوله ( شكفرون عنهم سيئاتهم ) يستدعي وجود السيئات حتى تكفر ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات ) بأسرها من أن يكون لهم سيئة ؛ فنقول (الجزء عنه) من وحيين ( أحدهما ) أن وعد الجميع بأشياء لا يستدعي وعد كل واحد بكل واحد من تلك الأشياء ، مثله : إذا قال الملك لأهل بلده إذا أعطيتوني أكرم أبائكم واحترم أبائكم وأنتم عليكم وأحسن

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا نَشَأُ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾

إليك ، لا يقتضى هذا أنه يكرم أباه من توفى أبوه ، أو يحترم ابن من لم يولد له ولد ، بل مضبوحة أنه يكرم أب من له أب ، ويحترم ابن من له ابن ، فكذلك يكفر سيئة من له سيئة ( الجواب الثانى ) ما من مكاف إلا وله سيئة ، أما غير الإنبياء فظاهر ، وأما الإنبياء فلأن ترك الإعتصام منهم كالسيئة من غيرهم ، ولهذا قال تعالى ( عفا الله عنك لم أذنت لهم ) .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قوله ( وتجزئهم أحسن ) يحصل وجهين ( أحدهما ) تجزيهم بأحسن أعمالهم ( وثانيهما ) تجزيهم أحسن من أعمالهم ، وعلى الوجه الأول معناه تقدر أعمالهم أحسن ما تكون وتجزئهم عنها لا أنه يختار منها أحسنها ويجزى عليه ويترك الباقى ، وعلى الوجه ( الثانى ) معناه قريب من معنى قوله تعالى ( من جاء بالغنمة فله عشر أمثالها ) وقوله ( فله غير منها ) .

﴿ المسألة السادسة ﴾ ذكر حال المؤمن ، محملاً بقوله ( ثم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ) إشارة إلى التذيق بمحلاً ، وذكر حال المؤمن محملاً بقوله ( ومن جاهد فأنا مجاهد لنفسه ) ومنفصلاً بهذه الآية . ليكون ذلك إشارة إلى أن رحمة أهم من غضبه وفعله أهم من عذبه . قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِنْ مَرَجَعَكُمُ فَاتَّخَذْتُمْ مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وفى الآية مسائل :

( الأولى ) ما راجع لتعلق الآية بمسايقها ، فنقول : لما بين الله حسن التكليف ووجوبها ، وبين ثواب من حقق التكليف أصولها وفروعها تعريضاً للمكلف على الطاعة ، ذكر المسامحة ومنعه من أن يختار اتباعه ، فقال الإنسان إن اتفاد لأحد يغنى أن يتفاد لأبيه ، ومع هذا لو أمره بالمعصية لا يجوز اتباعها فضلاً عن غيرها فلا يخفى أحدكم شئ من طاعة الله ولا يتبع أحد من أمر بمعصية الله .

﴿ المسألة الثانية ﴾ فى القراءة قرئ : حسناً وإحساناً وحسناً أظهرهما ، ومن قرأ إحساناً فمن قوله تعالى ( وبالوالدين إحساناً ) والتفسير على القراءة المشهورة هو أن الله تعالى وصى الإنسان بأن يضل مع والده حسن الثأبى بالفضل والقول ، ونكر حسناً ليدل على الكمال ، كما يقال إن زيد مالا .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ فى قوله ( ووصينا الإنسان بوالديه حسناً ) دليل على أن ما بينهم فى الكفر لا يجوز ، وذلك لأن الإحسان بالوالدين واجب بأمر الله تعالى فتوثر العبد عبادة الله تعالى بقول الوالدين ترك طاعة الله تعالى فلا يتفاد لما وصاه به فلا يحسن إلى الوالدين ، فاتباع العبد أبويه

## وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿١١﴾

لأجل الإحسان إليهما بغضى إلى ترك الإحسان إليهما ، وما بغضى وجوده إلى عدمه باطل كالإباح باطل ، وأما إذا امتنع من التبرك بنى على الطاعة والإحسان إليهما من الطاعة فيأتى به فترك هذا الإحسان صورة بغضى إلى الإحسان حقيقة .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ الإحسان بالوالدين مأثور به ، لاهما سبب وجود الولد بالولادة وسبب بقاءه بالترية المعتادة فهما سبب مجزأ ، والله تعالى سبب له فى الحقيقة بالإرادة . وسبب بقاءه بالإعادة لقاعدة ، فهو أولى بأن يحسن إليه حاله معه ، ثم قال تعالى ( وإن جاهدك فلشرك ب ما ليس لك به علم فلا تطعهما ) بقوله ( ما ليس لك به علم ) يعنى التقليد فى الإيمان ليس بحيد فضلا عن التقليد فى الكفر ، فإذا امتنع الإنسان من التقليد لمبه ولا بطبع بغير العلم لا يطعهما أصلا ، لأن العلم بصحة قولهما عمال الحصول ، فإذا لم يشرك تقليداً وبسبيل التبرك مع العلم ، فالشرك لا يحصل منه قط .

ثم قال تعالى ( إلى مرجعكم فأنتنكم ) أى كنتم تعلمون ( بهى عاقبتكم ومآلكم إلى ، وإن كان اليوم عاقبتكم ومجالتكم مع الآباء والأولاد والأقارب والمشار ، ولا شك أن من يدل أن مجالت مع واحد غالبه متقطعة ، وضوءه بين يدي غيره دأتم غير متقطع لا يترك مراعى من تدوم منه محبة (حما من يتركه فى زمان آخر ،

ثم قوله تعالى ( فأنتنكم ) فيه لطيفة وحى أن الله تعالى يقول لا تفنوا أنى عاقبتكم وآياتكم حاضرون فتواقون الحاضرين فى الحال اعتاداً على غيبي وعدم على بختنكم (بأى فأن حاضركم أعلم ما تفنلون ولا أنسى فأنتنكم بجميعه .

قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾ . وفى الآية مسائل :  
 ﴿ المسألة الأولى ﴾ ، ما الفائدة فى إعادة ( الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) مرة أخرى ؟ بقول الله تعالى ذكر من المكافئين فسمين مبتدأ وضلا بقوله ( فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ) وذكر حال الضال عملا وحال المهندي مفعلا بقوله ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ) ولما تم ذلك ذكر فسمين آخرين مادياً ومضلا بقوله ( ووصينا الإنسان بوالديه حساً ) يقتضى أن يندى بهما وقوله ( وإن جاهدك فلشرك ) وإن إحسانها وقوله ( إلى مرجعكم فأنتنكم ) بطريق الإجمال تهديد المفضل وقوله ( والذين آمنوا ) على سبيل التخصيل وعد الهادى قد ذكر ( الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) مرة لبيان حال المهندي ، ومرة أخرى لبيان حال الهادى والذى يدل عليه هو أنه قال ( أولا ) ( لنكفرن عنهم سيئاتهم ) ، وقال ( ثانياً ) ( لنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ) ( والصالحن هم الهداة لأنه مرتبة الأتباع ، ولهذا قال كثير من الأنبياء ( ألقى بالصالحن )

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ يَقُولُ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ يَأْلَمُ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١٠١﴾

﴿ المسألة الثانية ﴾ قد ذكرنا أن الصالح باقٍ والصالِحون باقون ، وبناؤهم ليس بأنفسهم بل بأعمالهم النافعة فأعمالهم نافعة ، والمعمول له وهو وجه الله باقٍ ، والماطلون باقون بفناء أعمالهم وهذا على خلاف الأمور الدنيوية ، فإن في الدنيا يفناء الفعل بالمفاعل وفي الآخرة يفناء المفاعل بالفعل .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قبل في معنى قوله ( لندخلهم في الصالحين ) لندخلهم في مقام الصالحين أو في دار الصالحين والاولى أن يفكر لأحاجة إلى الاختار بل يدخلهم في الصالحين أي يجعلهم منهم ويدخلهم في عدادهم كما يقال الغيبة داخل في انحصار .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قال الحكماء عالمنا ناصر عالم الكون والفساد وما فيه ينطرق إليه الفساد فإن الفساد يخرج عن كونه ماداً وينسب وينسكون منه هواء ، وعالم السموات لا يكون فيه ولا فساد بل يوجد من عدم ولا يندم ولا يصير المثلث ثراباً بخلاف الإنسان فإنه يصير تراباً أو شيئاً آخر وعلى هذا فالعالم البقري ليس بغائب فهو صالح لقوله ( تعالى لندخلهم في الصالحين ) أي في المحردين الذين لا فساد لهم .

تعالى تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أُوذِيَ في الله جعل فتنه الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ، وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ﴾ .

نقول أقسام المكلفين للآمة مؤمن مظهر محس اعتقاده ، وكافر مجاهر يكفره وعنده ، ومذبذب بينهما يظهر الإيمان بلسانه ويحضر الكفر في قواذه ، والله تعالى لما بين القسمين قوله تعالى ( فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ) وبين أحوالها بقوله ( أم حسب الذين يعملون السيئات ) إلى قوله ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات ) بين القسم الثالث وقال ( ومن الناس من يقول آمنا بالله ) وفي مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال ( ومن الناس من يقول آمنا ) ولم يقل آمنت مع أنه وعد الإنمال التي بعده كقولها تعالى ( فإذا أُوذِيَ في الله ) وقوله ( جعل فتنه الناس ) وذلك لأن الملتحق كان يشبه

نفسه بالمؤمن ، ويقول إيماناً كما يملك فقال ( آمناً ) يعني أنا ، والمؤمن حقاً آمناً ، إيماناً بأن إيمانه كإيمانه ، وهذا كما أن الجبان الضعيف إذا خرج مع الأبطال في القتال ، وهرموا خصومهم يقول الجبان خرجوا وقائدهم ، وهرمناهم ، فيصيح من السامع لسلامته أن يقول وماذا كنت أنت فيهم حتى تقول خرجنا وقائداً ، وهذا الزد يدن على أنه يهجم من كلامه أن خرجنا وقتله كخروجهم وقتلهم ، لأنه لا يصح الإنكار عليه في دعوى نفس الخروج والقتال ، وكذا قول القائل أنا والملك أمية فلا تأ ، واستثناءه ينكر ، لأن المقصود منه المساواة فهم لما أرادوا إظهار كون إيمانهم كإيمان المحقق كان الواحد يقول ( آمناً ) أي أنا والنحو .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله ( فاذا أودى في الله ) هو في معنى لقوله ( وأخرجوا من ديارهم وأرؤنا في سبيل ) غير أن المراد بذلك الآية انصارون على أذية الكافرين والمراد هنا الضم لم يصبروا عليها فقال هناك ( وأرؤنا في سبيل ) وقال هنا ( أودى في الله ) ولم يقل في سبيل الله والتعطية به أن الله أراد بيان شرف المؤمن الصابر وخسة المنافق الكافر فقال هناك أودى المؤمن في سبيل الله ليرث سيده ولم يتركه ، وأودى المنافق الكافر فتركه الله بفسه ، وكان يمكنه أن يظهر موافقتهم إن سلخ الإبداء إلى حد لا كراه ، ويكون قلبه مطعناً بالإيمان فلا يترك الله ، ومع هذا لم يفعله بل ترك الله بالكلمة ، والمؤمن أودى ولم يترك سبيل الله بل أظهر كفى التهادية ومسير على الطاعة والعبادة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله ( جعل فتنة الناس كعذاب الله ) قال الزمخشري جعل فتنة الناس حجارة من الإيمان كما أن عذاب الله حجارة من الكفر ، وقيل حزرعوا من عذاب الناس كما حزرعوا من عذاب الله ، وبالجملة معناه أنهم - طوائف الناس مع ضعفها وانقطاعها كعذاب الله الأليم الهائم حتى ترددوا في الأمر ، وقالوا إن آمناً تتعرض للثأر من الناس وإن ترك الإيمان تتعرض لما نوحده الله محمد عليه الصلاة والسلام - واحتلوا الاستراضة التأني الماحل ولا يكون التردد إلا عند التساوي ومن أين إلى أين تسبب الناس لا يكون شديداً ، ولا يكون حديداً لأن عذاب إن كان شديداً كعذاب النار وغيره يموت الإنسان في الحال فلا يدرك العذاب ، وإن كان حديداً كالجسر والمحصر لا يكون شديداً وعذاب الله شديد وزمانه عديد ، وأيضاً عذاب الناس له دفع وعذاب الله حاله من دفع ، وأيضاً عذاب الناس عليه ثواب عظيم ، وعذاب الله بسفه عذاب اليم ، والمشفقة إذا كانت مستقيمة فتراحة العظيمة عظيم ولا تعد عذاباً كما تقطع السلسلة المؤذية ولا تعد عذاباً .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قال ( فتنة الناس ) ولم يقل عذاب الناس لأن فضل العبد ابتلاء وامتحانين الله وفتنة تسليط بعض الناس على من أظهر كلمة الإيمان ليؤذيه فتبين منزلته كما جعل التكليف ابتلاء وامتحاناً وهذا إشارة إلى أن التحير على البلية الصادرة ابتلاء وامتحاناً من الإنسان كالصبر على العبادات .

في المسألة الخامسة ﴿ لو قال قائل هذا يقتضي مع المؤمن من إظهار كلمة الكفر بالإكراه ، لأن من أظهر كلمة الكفر بالإكراه احتفظاً عن تشذيب العاجل يكون قد جعل فئة الناس ككذاب الله ، فتعزى ليس كذبتك . لأن من أكره على الكفر وقته مطمئن بالإيمان لم يجعل فئة للناس ككذاب الله ، لأن عذاب الله واجب ترك ما يهذب عليه ظاهراً وباطناً ، وهذا المؤمن المذكور لم يجعل فئة للناس ككذاب الله بحيث ترك ما يهذب عنه ظاهراً وباطناً ، بل في باطنه الإيمان ، ثم قال تعالى ( ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنما كنا معهم ) يبنى دأب المنافق أنه إن رأى اليد للظالم أظهر ما أخفى وأظهر الدنيا وأخفى البقية . وفيه فوائد نذكرها في مسائل :

( الأولى ) قال ( ولئن جاء نصر من ربك ) يراد به من غلب ، مع أن ما تقدم كان كفه يذكر الله كقوله ( لو دى في نقد ) وقوله ( ككذاب الله ) وذلك لأن الرب أهم مدلوله الخاص به الصفقة والوجه . والله اسم مدلوله كلية والصفة . بعد النصر ذكر القسط الدال على الزحمة والاعطية ، وبعد العذاب ذكر القسط الدال على العطية .

في المسألة الثانية ﴿ لم يقل ( ولئن جاء نصر من ربك ) ( ولئن جاء نصر من ربك ) وتضمن ما كانوا يقولون ( إنما كنا معهم ) وهذا يقتضي أن يكونوا قائلين : إنما معكم إذا جاء نصر سوا جاد ، أو جاء المؤمنين ، فتعزى هذا التكلام يقتضي أن يكونوا قائلين : إنما معكم إذا جاء النصر . لكن النصر لا يحمي ، إلا المؤمن . كما قال تعالى ( وكان حذاً علينا نصر المؤمنين ) ولأن غلبة الكافر على المسلم ليس بنصر ، لأن النصر ما يكون غلبه سليمة دليل أن أحد الجانبين إن أجرم في الحال . ثم كرر المهزوم كره أخرى وهزموا السالين ، لا يطلق نصر انقصور إلا على من كان له العاقبة . فكذلك المسلم وإن كسر في الحال والعاقبة للمؤمن ، والنصر لهم في الحقيقة .

في المسألة الثالثة ﴿ في لقون قرأتان : ( إحداهما ) الفتح حلا على قوله ( من يقول آمنا ) يعني من يقول آمنا إذا أورد في ترك ذلك القول . وإذا جاء النصر بقولنا إنما كنا معهم ( وثانيهما ) الضم على الجمع إنداد لقول إلى الجميع الذين دل عليهم المصهور . فإيه المنافقين كانوا جماعة . ثم بين الله تعالى أنهم أرادوا التمسك ولا يصح ذلك لهم . لأن التمسك إنما يكون عند ما يخالف تقوى القلب . فالسالم يس الأمر على قوله ولا يدرى ما في قلبه فينس الأمر عليه . وأما الله تعالى فهو عليم بذات الصدور ، وهو أعلم بما في صدر الإنسان من الإنسان فلا يفتن عليه الأمر . وهذا إشارة إلى أن الاعتبار بما في القلب ، فالمنافق الذي يظهر الإيمان ويصبر سكره كاهن . والمؤمن المذكور الذي يظهر الكفر ويعتبر الإنسان مؤمن والله أعلم بما في صدورهم . وما بين أنه أعلم بما في قلوبهم . يعني أنه يعلم المؤمن الحق وإن لم يتكلم ، والمنافق وإن تكلم فقال ( وليعلم الله الذين آمنوا وليعلم المنافقين ) وقد سبق تفسيره . لكن فيه مسألة واحدة وهي أن الله قال هناك ( وليعلم الله الذين صدقوا ) وقال هنا ( وليعلم الله الذين آمنوا ) فتعزى لما كان المذكور هناك للمؤمن



وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِمُحْمِلِينَ

مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٦﴾

والكافر ، والكافر في قوله كاذب ، فإنه يقول : الله لا كثر من واحد ، والمؤمن في قوله صادق فإنه كان يقول الله واحد ، ولم يكن هناك ذكر من يضمن خلاف ما يظهر . وكان الحاصل هناك قسمين صادقاً وكاذباً . وكان هذا المتناقض صادقاً في قوله فإنه كان يقول الله واحد ، واعتبر أمر القلب في المتناقض فقال ( وليلعن المتنافقين ) واعتبر أمر القلب في المؤمن وهو تصديق فقال ( وليلعن الله الذين آمنوا ) .

ثم قال تعالى ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحمليين من خطاياهم من شيء . إنهم لكانذبون ﴾ .

لما بين الله الفرق الثلاثة وأحوالهم ، وذكر أن الكافر يدعو من يقول آمنت إلى الكفر ، فالتفت ، وبين أن عذاب الله فرقها . وكان الكافر يقول للمؤمن نصير في الدل ، وعلى الإبداء ، لا شيء ، ولم لا يدفع عن نفسك الذل والهداب ، عواقبنا ؟ فكان جواب المؤمن أن يقول غرقاً من مذاب الله على خطيئة مدعكم ، ضالوا لا خطية فيه وإن كان فيه خطية فليها ، وفي الآية مسائل : المسألة الأولى ﴿ ولحمل صيغة أمر . والمأمور غير الأمر . فكيف يصح أمر النفس من الشخص ؟ يقول الصيغة أمره الذي شرط وحزاء ، أي إن اتبعتمونا حملنا خطاياكم . قال صاحب الكشف : هو في معنى قول من يريد احتجاج أمرين في الوجود . فيقول ليكن ملك العطاء وليكن من الدعاء ، فعوله ونحمل ، أي ليكن من الحل وليس هو في الحقيقة أمر عذب وإيجاب .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال ( وما هم بحمليين من خطاياهم ) وقال بعد هذا ( ولنحمل ) أنقاهم وأنفلا مع أنقاهم ، فهناك نبي الخلق ، هو هنا أمس الخلق ، فكيف الجمع بينهما ، فقول قول القائل : فلان حل عن فلان عهد أن حل فلان حلف ، وإذا لم تحلف حمله فلا يكون قد حل منه شيئاً . فكشفت هنا ما هم بحمليين من خطاياهم يعني لا يردون عنهم خطيئتهم وهم يحملون أوزاراً . فوجب إضلالهم وحملون أوزاراً بسبب ضلالهم ، كما قال النبي صبه السلام « من من منة مينة فقله وورعها وورع من عمل بها من غير أن ينقص من زكوة شيء » .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ « صيغة أمر ، والأمر لا يدخله تصديق والتكذيب . فكيف يفهم قوله ( إنهم لكانذبون ) ؟ قول قد بين أن معناه شرط وحزاء ، « كأنهم قالوا إن اتبعونا نحمل خطاياكم وهم كذبوا في هذا ما هم لا يحملون شيئاً » .

وَيَحْسِنُونَ أَفْعَالَهُمْ وَأَفْعَالًا مَعَ أَفْعَالِهِمْ وَلَيَسْلُنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ

(٤٢)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ، فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ

ثم قال تعالى : ﴿ ولحسن أفعالهم وأفعالا مع أفعالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ في الذي كانوا يفترونه بمشغل ثلاثة أوجه ( أحدها ) كان قومهم ( ولحسن أفعالهم ) صلوا لا اعتقادهم أن لا خطيئة في الكفر . ثم يوم القيامة يظهر لهم خلاف ذلك فيسألون عن ذلك الاعتقاد ( وثانيها ) أن قومهم ( ولحسن أفعالهم ) كان عن اعتقاد أن لا حشر ، فإذا جاء يوم القيامة ظهر لهم خلاف ذلك فيسألون ويقال لهم أما قلتم أن لا حشر ( وثالثها ) أنهم لما قالوا إن تبعونا نحمل يوم القيامة خطاياكم ، يقال لهم فاحتموا خطايام فلا يحملون فيسألون ويقال لهم لم اقربتم .

ثم قال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ﴾ . وجه تعلق الآية بما قبلها هو أن الله تعالى لما بين التكليف وذكر أقسام المكلفين ووجه المؤمن الصادق بالثواب العظيم ، وأمره بالكفر والمنافق بالعذاب الإلهم ، وكان قد ذكر أن هذا التكليف ليس محصيا بالثواب وأحصاه وأمنه حتى صعب عليهم ذلك ، بل فيه كان كنفك كما قال تعالى ( ولقد فتنا الذين من قبلهم ) ذكر من جملة من كلف جماعة منهم نوح النبي عليه السلام وقومه ومنهم إبراهيم عليه السلام وغيرهما ، ثم قال تعالى ( فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ) وفي الآية مسائل :

( الأول ) ما الفائدة في ذكر مدة لبثه ؟ فقول كان النبي عليه السلام يعزى بعده بسبب عدم دخول الكفار في الإسلام وإصرارهم على الكفر فقال إن نوحا لبث ألف سنة فتريأ في الدعاء ولم يؤمن من قومه إلا قليل ، وحصر وما حصر فأنت أول بالعصر لفة مدة لبثك وكثرة عدد أمته ، وأيضاً كان الكفار يفترون بأنخير العذاب عنهم أكثر ومع ذلك ما نجوا فهذا القدر من التأخير لا ينبغي أن يفتروا فإن العذاب يلحقهم .

( المسألة الثانية ) قال بعض العلماء الاستثناء في القدر تكلم بالباقي ، فافعال التفاضل لفلان على عشرة إلا ثلاثة ، فكأنه قال على سبعة ، إذا علم هذا فقول ( ألف سنة إلا خمسين عاما ) كقولهم سبعة وخمسين سنة ، فالفائدة في الجدول عن هذه العبارة إلى غيرها ؟ فنقول قال العشرى فيه فائدتان ( أحدهما ) أن الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فأن من قال

تَطُوفُونَ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١﴾ فَاخْذِيهِمْ وَأَصْحَابَ الْمَيْمَنَةِ وَجَمَلَتِهَا آيَةُ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾

عاش غلات ألف سنة يمكن أن يتوهم أن يقول ألف سنة تقريباً لا تحقيقاً ، بل داخل إلا شهراً أو إلا سنة يزول ذلك اليوم ويضم منه التحديق ( الثانية ) هي أن ذكر ليل نوح عليه السلام في قوله كان لأنه مبر كثره قالني عليه لتسلم أولى بالمر مع قصر مدة دعائه وإذا كان كذلك فذكر الله الذي في أعلى مراتب الأعداد التي لها اسم مفرد موصوع . فان مراتب الأعداد من الواحد إلى العشرة والعشرات إلى المائة والمئات إلى الألف . ثم بعد ذلك يكون الكثير بالسكرير يقال عشرة آلاف . ومائة ألف . وألف ألف .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال بعض الأهل ، الصبر الانساني لا يربط على مائة وعشرين سنة والاية تدل على خلاف قولهم . واللفظ يوضحها فان البقاء على التركيب الذي في الانسان يمكن لذاته . ولا لما من . واما تأثير المؤثر فيه ، يمكن لأن المؤثر فيه إن كان واجب الوجود فظاهر الدوام وإن كان غيره . فله مؤثر . وينتهي إلى الواجب وهو دائم . فتأثيره يجوز أن يكون دائماً فاذن البقاء ممكن في ذاته . فان لم يكن فعارض يمكن العارض يمكن التعميم والإلا لما بني هذا المقدار لوجوب وجود العارض المانع فظهر أن كلامهم على خلاف الفعل والفعل ( ثم قول ) لا نزاع بيننا وبينهم لأنهم يقولون الشعر الطبيعي لا يكون أكثر من مائة وعشرين سنة ونحن نقول هذا الشعر ليس طبيعياً بل هو عطاء إلهي . وأما الشعر الطبيعي فلا يدوم عدداً . ولا لحظة . فضلاً عن مائة أو أكثر قوله تعالى : ﴿ فَاخْذِهِم بِأَفْوَاجٍ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾

فيه إشارة إلى طبيعة وهي أن الله لا يعذب على مجرد وجود الظلم وإلا لعذب من ظلم وناب . فان الظلم وجد منه . وإنما يعذب على الإصرار على الظلم . قوله ( وهم ظالمون ) يعني أهلكهم وهم على ظلمهم . ولو كانوا تركوه لما أهلكهم .

قوله تعالى : ﴿ فَاخْذِيهِمْ وَأَصْحَابَ الْمَيْمَنَةِ وَجَمَلَتِهَا آيَةُ لِلْعَالَمِينَ ﴾

في الراجع إليه إله في قوله ( حملناها ) وجبان ( أحدهما ) أنها راجعة إلى السفينة المذكورة وعلى هذا في كونها آية وجوه ( أحدها ) أنها اتخذت قبل ظهور الماء . وتولا لإسلام الله نوحاً وإبنيه إياه به لما اشتغل بها فلا تحصل لهم النجاة ( وثانيها ) أن نوحاً أمر بأخذ قوم معه ورفع قدم من القوت والبحر العظيم لا يتوقع أحد نجاته . ثم إن الماء غيظ فين غدا الزاد ولولا ذلك لما حصل النجاة فهو غيظ الله لا بمجرد السفينة ( وثالثها ) أن الله تعالى كتب سلامة السفينة عن الرياح المرجفة والحيوانات المؤذية . ولولا ذلك لما حصلت النجاة ( ورابعها ) أنها راجعة إلى

وإبراهيم إذ قال لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ



الواقعة أو إلى النجاة أي جئنا الواقعة أو النجاة آية للمؤمنين .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ لما رغب من الإشارة إلى حكاية نوح ذكر حكاية إبراهيم وفي إبراهيم وجهان من الفرافة (أحدهما) التصب وهو المشهور ، والثاني (الثاني) الرغب على معنى ومن المرسلين إبراهيم ، (والأول) فيه وجهان أحدهما أنه منصوب بفعل غير مذكور وهو منى إذ ذكر إبراهيم ، والثاني أنه منصوب بمذكور وهو قوله ( ونشد أرسلنا ) فيكون كأنه قال وأرسلنا إبراهيم ، وعلى هذا ففي الآية مسائل :

( الأولى ) قوله ( إذ قال لقومه ) ظرف أرسلنا أي أرسلنا إبراهيم إذ قال لقومه لكن قوله ( لقومه اعبدوا الله ) دعوة والإرسال يكون قبل الدعوة فكيف يصح قوله ، وأرسلنا إبراهيم حين قال لقومه مع أنه يكون مرسلًا قبله ، نقول الجواب عنه من وجهين ( أحدهما ) أن الإرسال أمر يستدعي فيه حال قوله لقومه اعبدوا الله كان مرسلًا ، وهذا كما يقول القائل وقتنا للأمير إذ خرج من الدار وقد يكون الوقوف قبل الخروج ، لكن لما كان الوقوف متبداً إلى ذلك الوقت صح ذلك ( الوجه الثاني ) هو أن إبراهيم بمجرد حدياية الله إياه كان يعلم فساد قول المشركين وكان يهديهم إلى الرشاد قبل الإرسال ، ولما كان هو مشغلاً بالهداية إلى الإسلام أرسله الله تعالى وقوله ( اعبدوا الله واتقوه ) إشارة إلى التوحيد لأن التوحيد إثبات الإله ونفي غيره بقوله ( اعبدوا الله ) إشارة إلى الإثبات ، وقوله ( واتقوه ) إشارة إلى نفي غيره لأن من يشرك مع الملك غيره في ملكه يكون قد أتى بأعظم الجرائم ، ويمكن أن يقال ( اعبدوا الله ) إشارة إلى الإتيان بالواجبات ، وقوله ( واتقوه ) إشارة إلى الامتناع عن المحرمات ويدخل في الأول الاعتراف بالله ، وفي الثاني الامتناع عن الشرك . ثم قوله ( ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ) يعني عبادة الله وتقواه خير ، والأمر كذلك لأن خلاف عبادة الله تعالى تعطيل وخلاف تقواه تشريك وكلاهما شر عقلاً واعتباراً ، أما عقلاً فلأن الممكن لا بد له من مؤثر لا يكون ممكنًا قطاً للتسلل وهو واجب الوجود فلا تعطيل إذ لنا زلة ، وأما التشريك فبطلانه عقلاً وكون خلافه غيراً وهو أن شريك الواجب إن لم يكن واجباً فكيف يكون شريكاً وإن كان واجباً لزم وجود واجبين فيشتركان في الوجوب وينبئان في الإلهية ، وما به الاشتراك غير ما به الامتياز فيزوم التشريك فيما فلا يكونان واجبين لكونهما مركبين فيزوم التعطيل ، وأما اعتباراً فلأن الشرف أن يكون مسلماً أو قريباً منه ، لكن الإنسان لا يكون مسلماً للسماوات والأرضين

إِنْ أَنْتُمْ تَحِبُّونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَقْنَا وَتَحَقُّونَ إِنْكَا إِنْ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾

طاعني درجانه ان يكون قريب ائلك فلكن القرية العبادة كما قال تعالى ( واسجد واقترب ) . وقال هل في ثوب الاغروف الى بئس ادا ما اخرجت عليمه وقال لا يزال لعبد يقترب بالعبادة الى هالططل ائلك ولا قريب ملك عدم اعتفاده ملك فلا مرتبة له اصلا . واما الشريك فلان من يكون سبه لا نظيره يكون اعلى رتبة من يكون سبه له شركا خسية . فاذن من يقول ان في لا اله الا الله شي اعلى مرتبة من يقول سيدي صم منحوت عاصر ملك . فثبت ان عبادة الله وهواه خير وهو خير لكم اي خير للناس ان كانوا يطلون ما ذكرناه من الدلائل والاعتبارات . ثم قال تعالى : ﴿ اِعْبَادُوا مَنْ دُونِ اللَّهِ اَوْثَقًا وَتَحَقُّونَ إِنْكَا ﴾ .

ذكر بطلان مدعهم بأبلغ الوجوه . وذلك لان المعبود إما يبد لاحد امور . إما لكونه مستعنا بعبادة ملكه كالسيد يخدم سيده الذي اشتواه سواء اطاقه من الطوع او منه من المهرج . وإما لكونه ناعيا في الحال كمن يخدم غيره . فخير بوجهه اليه كالمستخدم بأجرة . وإما لكونه ناعيا في المستقبل كمن يخدم غيره متردنا منه أمرا في المستقبل . وإما لكونه خائفا منه . فقال إبراهيم ( انا اعبدون من دون الله اوثانا ) إشارة الى أنها لا تستحق العبادة لانها لكونها اوثانا لا تشرف لها . قوله تعالى : ﴿ اِنْ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

إشارة الى عدم المنفعة في الحال وفي الآل . وهذا لان النفع إما في الوجود . وإما في البقاء . لكن ليس منهم نفع في الوجود . لان وجودهم مستمك حيث تحلقونها وتعتوبها . ولا نفع في البقاء لان ذلك بالرزق . وليس منهم ذلك . ثم بين ان ذلك كله حاصل من الله فقال ( فابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ) ففعله ( الله ) إشارة الى استحقاق عبوديته لذاته وقوله ( الرِّزْقَ ) إشارة الى حصول النفع منه عاجلا وآجلا وفي الآية مسئلة :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال ( لا يملكون لكم رزقا ) نكرة . وقال ( فابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ) معرفة فاما الفائدة انقول قال الزمخشري قال ( لا يملكون لكم رزقا ) نكرة في معرض التنزيه لا رزق عندهم اصلا . وقال معرفة عند الإتيان عندنا هي كل الرزق عنده ماطلوه منه . وفيه وجه آخر وهو ان الرزق من الله معروف بقوله ( وما من دابة في الارض الا على الله رزقا ) والرزق

وإن تكذبوا فقد كذبتم أمم من قبلكم وما على الرسل إلا البلاغ المؤمنون

﴿٢٥﴾

أو لم يروا كيف يبدى الله الخلق ثم يعيده . إن ذلك على الله يسير ﴿٢٦﴾

من الأول : إن غير معلوم فقال ( لا يهلكون لكم رؤفأ ) لعدم حصول العلم به وقال ( فابعدوا عدا الله الرزق ) الموجود به ، ثم قال ( فابعدوه ) أى اعيووه لكونه مستغنياً للعبادة لقائه واشكروا له أى لكونه سابقاً لشم الخلق وواصلها بالرزق ( وإليه ترجعون ) أى اعبدوه لكونه مرجعاً منه ينفع الخبير لا غير .

ثم قال تعالى : وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين . لما فرغ من بيان توحيد الله بالهدى فقال ( وإن تكذبوا ) وفي الخطاب في هذه الآية وجهان : ( أحدهما ) أنه قوم ( إبراهيم ) والآية حكاية عن قوم ( إبراهيم ) كأن إبراهيم قال لعمري : إن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وأنا أتيت بما على من التبليغ . فإن الرسول ليس عليه إلا البلاغ والبيان ( والثاني ) أنه خطاب مع قوم محمد عليه السلام ووجهه أن الحكايات أكثرها إما أن تكون لقاصد لكنها تنسى لطيب الحكاية ولهذا كثيراً ما يقول الحاشي لأى شئ . حكيت هذه الحكاية فإني عليه السلام كان مقصوده تذكير قومه بحال من مضى حتى يحسوا من التكذيب ويرتدعوا خوفاً من التعذيب ، فقال في أثناء حكايتهم يا قوم إن تكذبوا فقد كذب قبلكم أقوام وأهلكوا فإن كذبهم أخاف عليكم ما جاء على غيركم ، وعلى الوجه الأول في الآية مسائل :

﴿ الأولى ﴾ أن قوله ( فقد كذب أمم ) كيف يعهم ، مع أن إبراهيم لم يسفه إلا قوم نوح وهم أمّة واحدة ؟ ( والجواب ) عنه من وجهين : ( أحدهما ) أنه قد لوح كان أقوام كفوم إدريس وقوم نبت وأدم ( والثاني ) أن قوما عاشوا ألفاً وأكثر وكان لهم بنون وبني ، أولاد والأبناء ، يوصون الأبناء بالإستماع عن الأتباع فكفى بقوم نوح أمماً .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ما ( البلاغ ) وما ( المبين ) ؟ فعقول البلاغ هو ذكر الحقائق ، والإبانه هي إقامة البرهان عليه .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ الآية تدل على أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز لأن الرسول إذا بلغ شيئاً ولم يبينه فإنه لم يأت البلاغ المبين ، فلا يكون آتياً بما عليه .

ثم قال تعالى : ﴿ أو لم يروا كيف يبدى الله الخلق ثم يعيده ، إن ذلك على الله يسير ﴾ . لما بين الأصل الأول وهو التوحيد ، وأشار إلى الأصل الثاني وهو الرسالة بقوله ( وما على

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ الْآخِرَةَ إِنَّ

الرسول (إلا البلاغ المبين) شرع في بيان الأصل ثالث وهو المفسر ، وقد ذكرنا مراراً أن  
الآخرون الثلاثة لا يكاد يفصل بعضها عن بعض في الذكر الإلهي ، فأبينا بذكر الله تعالى منها اثنين  
بذكر الثالث ، وفي الآية مسائل :

(المسألة الأولى) في الإنسان متى رأى بدء الخلق حتى يقال (أولم يروا كيف يبدى الله) ؟  
فقول المراد أنهم الواضع الذي كثر ربه والعاقب يعلم أن الله لأن الخلق الأول لا يكون  
من محلول وإلا لما كان الخلق الأول خلقاً أول ، فهو من الله هذا إن قلنا إن المراد بإتيان نفس  
الخلق ، وإن قلنا إن المراد بالبدء خلق الأدمي أولاً وبالأعادة خلقه ثانياً ، فنقول العاقب لا يعني عليه  
أن خلق نفسه ليس إلا فادركهم بصورة الأولاد في الأرحام ، ويخلفه من خلقه في غاية الإتيان  
والإحكام ، فذلك الذي خلق أولاً معلوم ظاهر مطلق على ذلك العلم لفظ الرواية ، وقال (أولم يروا)  
أي ألم يعلموا علماً ظاهراً واضحاً (كيف يبدى الله الخلق) يخلفه من ثواب جسمه فكذلك بجميع  
أجزائه من التراب ينفتح فيه روحه بل هو أسهل بالنسبة اليكم ، فإن من تحت حجرات ووضع شيئاً  
بحسب شيء خرقه أمر ما فانه يقول وضعه شيئاً بحسب شيء في هذه التوبة أسهل على لأن الحجابات  
منسوبة ، ومعلوم أن آية واحدة منها تصلح لأن تكون بحسب الأخرى ، وعلى هذا المخرج خرج  
كلام الله في قوله (وهو أمرن) وإليه الإشارة بقوله (إن ذلك على الله يسير) .

(المسألة الثانية) قال (أولم يروا كيف يبدى الله الخلق) خلق الزوجة بالكيفية لا بالخلق  
وما قال : أولم يروا أن الله خلق ، أو بدأ الخلق ، والكيفية غير معلومة فتقول هذا القدر من  
الكيفية معلوم ، وهو أنه خلقه ولم يكن شيئاً مذكوراً ، وأنه خلقه من خلقه من من خلقه هو من  
سائر تراب وهذا القدر كاف في حصول العلم بإمكان الإعادة فإن الإعادة مثله .

(المسألة الثالثة) لم قال (ثم يعيده إرب ذلك على الله يسير) فأبرز اسمه مرة أخرى ، ولم  
يقال إن ذلك عليه يسير كما قال ثم يعيده من غير إبراز دخول مع إقامة البرهان على أنه يسيراً كده  
بإظهار اسمه فانه يرجب المفسر أيضاً بكون ذلك يسيراً ، فإن الإنسان إذا سمع لفظ الله وفهم معناه  
أنه الله القادر ، يقدره كاملة ، لا يمحونه شيء ، التام يعلم بحسب بذرات كل جسم ، فانه الإرادة لا أراد  
لما أراد ، يفطن بحول الإعادة .

ثم قال تعالى : قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ الآخرة

## الله على كل شيء قدير ﴿٥٠﴾

إن الله على كل شيء قدير ﴿٥٠﴾

الآية المقدسة كانت إشارة إلى علم الخدس وهو الحاصل من غير طلب فقال (أو لم يروا) على سبيل الاستفهام بمعنى اعتماد عدمه . وقال في هذه الآية إن لم يحصل لكم هذا العلم فافكروا في أقطار الأرض لتعلموا بالعلم الفكري ، وهذا لأن الإنسان له مراتب في الإدراك بعضهم يدرك شيئاً من غير تعليم وإقامة برهان له ، وبعضهم لا يفهم إلا بإيالة وبعضهم لا يفهم أصلاً فقال : إن كنتم لستم من القليل الأول فسيروا في الأرض ، أى سيروا ففكركم في الأرض وأجيبوا ذهبتكم في أحوادث الخارجة عن أنفسكم فتمسكوا بده الخلق وفي الآية مدلول :

(الاول) قال في الآية الأول سنط الرؤية وفي هذه بلفظ النظر المحسنة فيه ؟ يقول العلم الخدسي أهم من العلم الفكري كالتبين ، والرؤية أهم من النظر لأن النظر يفضي إلى الرؤية ، فقال نظرت رأيته والمفصّل إلى الشيء دون ذلك الشيء ، فقال في الأول أما حصلت لكم الرؤية فافكروا في الأرض لتحصل لكم الرؤية .

﴿المسألة الثانية﴾ ذكر هذه الآية بصيغة الأمر وفي الآية الأولى بصيغة الاستفهام لأن العلم الخدسي إن حصل فالأمر به تحصیل الحاصل . وإن لم يحصل فلا يحصل إلا بالطلب لأن بالطلب يصير الحاصل فكراً فيكون الأمر به تكليف مالا يطاع ، وأما العلم الفكري فهو مقدور فورد الأمر به .

﴿المسألة الثالثة﴾ أبرز اسم الله في الآية الأولى عند البدء حيث قال (كيف يدعى الله) وأخبره عند الاندفاع وفي هذه الآية أخبره عند البدء ، وأبرزه عند الإعادة حيث قال (ثم انه ينشئ) لأن في الآية الأولى لم يسبق ذكر الله بفعل حتى يستدل إليه البدء فقال (كيف يدعى الله) ثم قال (ثم يعيده) كما يقول القائل ضرب زيد عمراً ثم ضرب بكرّاً ولا يحتاج إلى إظهار اسم زيد اكتفاءً بالأول . وفي الآية الثانية كان ذكر كَيْد مستنداً إلى الله فاكفني به ولم يبرزه كقول القائل أما علمت كيف خرج زيد ، اسمع مني كيف خرج ، ولا يظهر اسم زيد ، وأما إظهاره عند الانشاء ثانياً حيث قال (ثم الله ينشئ) مع أنه كان يكفي أن يقول : ثم ينشئ : النداء الأخيرة . فلهذا كان الله وهو ما ذكرنا أن مع إقامة تبرهان على إمكان الإعادة إظهار اسم من يفهم المسمى به بصنات كماله ونعوت جلاله بقطع بمواز الإعادة فقال الله يظهر أمرراً ليعرف في ذهن الإنسان من اسمه كمال قدرته وشمول عنه ونفوذ إرادته ويمتدح برؤوسه وجواز إعادته ، فإن قيل فلم يقل ثم الله يعيده ليس ما ذكرت من الحكمة والفائدة ؟ نقول لو جهين (أخبرهما) أن الله كان يظهر أمرراً فرب منته وهو في قوله (كيف يدعى الله الخلق) ولم يكن بينهما إلا لفظ الخلق وأما منها فلم يكن



يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَيَلِيهِ تَقْلُوبُكُمْ ﴿١٧﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٨﴾

هذا كبرياء عند الله وأفعاله (وثانيها) أن الدلائل هاتم على سائر الأعمدة لأن الدلائل متعصرة في الآفاق وفي الأغصان كما قال تعالى (سنخرجهم أجمعين في الآفاق وفي الأغصان) وفي الآية ثلثه إشارة إلى الدلائل المتعصرة من الآفاق قوله (من يشاء ويرحم من يشاء) وعندهم هم الذين يذكرون القادر باسمه وأما الدلائل الأولى فأكدوا بالدليل الثاني فلم يقل نعم الله بعيد

﴿ المسألة الرابعة ﴾ في الآية الأولى ذكر لفظ المستعجل فقال (أولم يروا كيف يبدؤهم بها) قال لفظ (يبدؤهم) ولم يقل كيف بدأ فقال (تبدؤهم) في الآية الأولى هو الدليل النسي الموحى للعلم الحسي وهو في كل حال يوجب العلم عند الخلق فقال (إن كان لهم علم على أن الله في كل حال بدأ فعلموا العلم وإلى الاستعداد المخلوقة لبعضكم علم أو الله بدأ خلقاً) وبجمل اختلافت من هذا القدر أنه ينشأ كما بدأ ذلك

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قال في هذه الآية (إن الله على كل شيء قدير) وقال في الآية الأولى (إن الله على كل شيء قدير) وفيه عائدتان (أحدهما) أن العلم الأول هو الدليل الحسي وهو وإن كان موحى للعلم الحسي القائم ولكن عند انقضاء دليل الأفعالي إليه يحصل العلم العام فلهذا بالظن في نفسه علم نفسه وحاشية إلى الله بوجوده منه وبالنظر إلى العلم علم حاشية غيره وإليه وجوده منه فلهذا علمه بأن كل شيء من الله تعالى عند تمام ذكر الدلائل (إن الله على كل شيء قدير) وقال عند الدلائل الواحد (إن ذلك) وهو إعادته (على الله يسير) (الثانية) هي أنه بدأ بالعلم الأول أم وإن كان الثاني أهم وكون الأمر يسير على الماعل أهم من كونه مقدورا له دليل أن القائل يقول في حق من يجعل مائة من أهله قدير عليه ولا يقول له سهل عليه فإذا مثل من حله عشرة أسنان يقول إن ذلك سهل عليه يسير فقول قال الله تعالى إننا لم نجعل لكم العلم العام بأن هذه الأمور عند الله سهل يسير وبما في الأرض لتعلموا أنه مقدور وبما كونه مقدورا أكلف في إمكان الإعادة

ثم قال تعالى ﴿ يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تَقْلُوبُكُمْ ﴾ وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ﴿

لما ذكر الله الأخرى ذكر ما يكون فيه وهو تعذيب أهل التكذيب عدلا وحكمة وإثابة أهل الإجابة فضلا ورحمة وفي الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قدم التعذيب في التذكير على الإقناع أن رحمة سافرة كما قال عليه السلام  
 « ما كان منه سبقت رضى غصبي » فنقول ذلك لوجهين ( أحدهما ) أن السابق ذكر التكفير وذكر  
 العذاب سبق ذكر منصفه بحكم الإلهاد وحقه بالرحمة ، وكما ذكر ، بعد إثبات الأصل الأول وهو  
 التوحيد - التهديد بقوله ( وإن تكفروا فقد كذبتم وأهلكوا بالتكذيب ) كذلك ذكر بعد  
 إثبات الأصل الآخر التهديد بذكر التعذيب ، وذكر الرحمة وقع تباعاً لتلا يكون العذاب تذكيراً  
 وحده وهذا يخفى قوله ( سبقت رضى غصبي ) وذلك لأن الله حيث كان المقصود ذكر العذاب  
 لم يحسن في التذكير بل ذكر الرحمة معه .

﴿ المسألة الثانية ﴾ إذا كان ذكر هذا المخوف المصطفى وتفرج المؤمن فنوقال يعذب الكافر  
 ويحمي المؤمن لكان أخص في تعيين المقصود وقوله ( يعذب من يشاء ) لا يجر تكفير الجواب  
 أن يقول إني لا أكون من شاء الله عذابه ، فنقول بهذا الطبع في التفسير ، وذلك لأن الله أثبت  
 به ، إلهاده مثبت إذا أراد تعذيب شخص فلا يمنعه من مانع ، ثم كان من المودود للعباد بحكم التوعد  
 والإلهاد أنه شاء تعذيب أهل النفاق ، فلم يسهل من الخوف التام بخلاف ما لو قال يعذب الله من شاء  
 لا يدل على كمال مشيئة - لأنه لا يفيد أنه لو شاء عذاب المؤمن لعدب - فإذ لم يبد هذا فيقول  
 الكافر إذا لم يحصل مراده في تلك السورة يمكن أن يحصل في حدوده أخرى ، ولتضرب له مثلاً  
 فعون . إذا قيل إنه لما لم يقدر على ضرب كل من في بلاده وقال من خالفني أضربه يحصل الخوف  
 التام لمن يخافه ، وإذا قيل إنه قادر على ضرب المخالفين ولا يقدر على ضرب المطيعين ، فإذا قال  
 من خالفني أضربه يقع في وهم احتمال أنه لا يقدر على ضرب فلان المطيع ، فلا يقدر على أيضاً  
 لشكوى منه ، وفي هذا فائدة أخرى وهو الخوف التام والرجاء التام ، لأن الأمن شكل من الله  
 يوجب الحرارة ببعضه إلى صيرورة المطيع غاصياً .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال ( ثم إليه تحضرون ) مع أن هذه المسألة قد سبق إثباتها وتحريرها ثم  
 أعادها فنقول لما ذكر الله التعذيب والرحمة وهما قد يكونان متجاولين ، فهاهنا تسلل عاد تفسر  
 عنكم ذلك فلا تفهموا أنه ذات ، فإن زايه إلهابكم وعليه جلائكم وعنده يدسر أولادكم وعقائكم ، ولهذا  
 قال بعدها ( وما أنتم بمعجزين ) يعني لا تفوتون الله بين الاختلاف إليه ولا يمكن الإلهالات منه ،  
 وفي تفسير هذه الآية إطلاق ( أحدها ) هي تعجز المعبود عن التعذيب إما بغير منه أو التمسك  
 له والمقاومة معه بالدفع ، وذكر الله القسرين فقال ( وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء )  
 يعني بالهزيمة أو صدمتهم في عن السماك في السماء أو هبطهم إلى مرصع السموك في الأرض لا تخفون  
 من الله وبره أنه فلا مضيق في الإغارة بالحرب ، وأما بالثبات فكذلك لأن الإعجاز إما أن يكون  
 بالاستناد إلى زك شديد يشفع ولا يمكن للمدب مخالفة فيقوته المدب ويعجز عنه أو بالانتصار  
 يقوم يوم معه بالدفع وكلاهما محال ، فانكم ما كنتم من دون الله ولي الشفع ولا نصير يدفع فلا يعجز

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَنِعَايِهِ ۖ أُولَٰئِكَ يَسُوءُ مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ هُمُ

عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٥٦﴾

لا بالمحروب ولا بالقاتل (الثانية) قال (وما أنتم بمحجوزين) ولم يمس لانهجوزون بصيغه الفعل . وذلك لأن نفي الفعل لا يبدل على نفي التصاحبة . فان من قال إن فلانا لا يحيط لا بدل على ما بدل عليه قوله يا أيها ليس يحيط (ثالث) ضم الأرض على السماء . وتقول عن الصبر . لأن هرهم المعك في الأرض . قال كان يقع منهم حرب يكون في الأرض . ثم إن فرضنا لهم قدرة غير ذلك فيكون لهم مدد في السماء . وأما دفع من تعاقب ما تمكنه الله مع ما نحن نطرق فلا يرتق إلى غيره . والشفاعة أجل . ولأن ما من أحد في الشاهد إلا ويكون له شفيع يسكن في حقه عدد ملك ولا يكبر كل أحد به ناصر يعادي الملك لأخيه

ثم قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴾  
 ما بين الآيتين التوحيد والإعانة وتروهما بالجرهان وهذه من حاله على حيل التخصيل  
 هناك (والذين كفروا بآيات الله وأياته) يذكرونه إلى الكفار بالله . فان الله في كل شيء آية دالة على وحدانيته . فإذا أشرك كفر بآيات الله وإشارة إلى الذكر لا محذور من أنكره كفر بآيات الله تعالى (أولئك يَسُوءُ مِن رَّحْمَتِي) لما أشركوا أخرجوا أنفسهم عن عن الرحمة . لأن من يكون له جهة واحدة تدفع حاجته لاغير رحم . وإذا كان له جهات متعددة لا ينفذ خلالها عنه . فإذا جعلوا لهم آله لم يترفعوا بالحق إلى شريك من عباده أو من رحمة الله . ولما أشركوا الحشر وقاموا لا عذاب مناسب تعذيبهم تحفظاً لكرامتهم . وهذا كما أن المثلث إذا قيل أعذب من بئس معنى فأشكره بعد عنه وقال هو لا يصل إلى . فإذا أحضر بين يديه بحس منه أن يعذبه ويقول من شئت وهل عذبه أم لا . فبين تبيين أن عدم الرحمة يناسب الإشراف . والعذاب الكلام يناسب إنكار الحشر . ثم نزل في الآية قوله (يا أيها) قوله (أولئك يَسُوءُ) حتى يكون معاً عن حصر الناس بهم وقال أيضاً (وأولئك هم عذاب أليم) لذلك . وأولئك الذين كفروا بآيات الله ولقائه يسوءون رحمتي عذاب أليم . ما كان يحصل هذه الفائدة فان قال قائل لو أنكرت قوله (أولئك) مرة واحدة كان يكفي في إفادة ما ذكر . ثم قلنا لا وذلك لأنه لو قال أولئك بشرنا ولم عذاب . كان يذهب وهم أحد إلى أن هذه المجموع من حصر فيهم . فلا يوجد المجموع إلا فيهم ولكن واحد منهم واحد يمكن أن يوجد في غيره . فإذا قال أولئك يسوءون أولئك لهم عذاب أقار أن كل واحد لا يوجد إلا فيهم (الثانية) عدد ذكر الرحمة أضافها إلى نفسه فقال رحمتي عند العذاب لم ينقصه لبق رحمة وإعلاماً بعباده . وهو ما هو له (الثالث) أضاف أبأس إليهم

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنْ مُنْشَرِّينَ فِي

ذَلِكَ لَا يَسْتَلِقُوهُمْ يَوْمَهُمْ ﴿١١﴾

بقوله (أو تلك يشوا) خرمها عليهم ولو علموا إلا بأحدا لهم . فهو قال قائل ما ذكرت من مقابلة  
الأميرين وما اليأس ونداب أمرين وما الكفر بالإيات والكفر بالقد . يقتضى أن لا يكون  
الغضب الأليم لمن كفر بالله واعترف بالخشى . أو لا يكون اليأس لمن كفر بالخشى وأمن بالله  
وقول : معنى الآية أنهم يسروا ولم عذاب أنهم راد بسبب كفرهم بالخشى . ولا شك أن الغضب  
بسبب الكفر بالخشى لا يكون إلا للكافر بالخشى . وأما الآخر فالكافر بالخشى لا يكون مؤمناً  
بالله . لأن الإيمان به لا يصح إلا إذا صدق فيه خاله والخشى من جملة ذلك .

ثم قال ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنْ الدَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

لما أتى إرهابهم عليه تسلام يدينه لأصول ثلاثة وأقام البرهان عليه . بقى الأمر من جانبيه . إما  
الإجابة أو الإنذار . يصلح أن يكون جوابهم يأتيوا إلا به ولم (اقتلوه أو حرقوه) وفي الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ كيف سمى قوتهم (اقتلوه) جواباً مع أنه ليس بجواب ؟ نقول (الجواب  
عنه) من وجهين (أحدهما) أنه خرج منهم مخرج كلام المشكك كما يقول الملك رؤسوه خصمه  
جوابك السيف . مع أن السيف ليس بجواب . وإنما معناه لا أقبله بالجواب . وإنما أقبله بالسيف  
فكذلك قالوا لا نجيبوا عن رايته واقتلوه أو حرقوه (الثاني) هو أن الله أراد بيان حلالهم  
وهو أنهم ذكروا في معرض الجواب هذا مع أنه ليس بجواب . فبين أنهم لم يكن لهم جواب  
أصلاً وذلك لأن من لا يجب غيره . ويسكت . لا يعلم أنه لا يقدر على الجواب لجواز أن يكون  
سكوتهم إدمم الانفات . أما إذا أجاب بحجاب فاسد . علم أنه قصد الجواب وما عذر عليه .

﴿ المسألة الثانية ﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِمْ قَوْلُهُمْ اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ . أَيْضاً هُمْ .  
فَيَكُونُ الْأَمْرُ نَفْسِ الْأَمْرِ ؟ فنقول (الجواب عنه) من وجهين (أحدهما) أنه كل واحد منهم قال  
لن نجده اقتلوه . فحصل الأمر من كل واحد وصار الأمر لكل واحد ولا اتحاد . لأن كل واحد أمر  
غيره (وثانيهما) هو أن الجواب لا يكون إلا من الأكاره والرؤساء . فإذا قال أحيان لم كلاماً يقال اتفق  
أهل بيته على هذا ولا يلتفت إلى عدم قول النبي والأرذالة . فكان جواب قومه وهم الرؤساء . أن  
قالوا لا نطيعهم وأمرهم اقلوه . لأن الجواب لا يباشره إلا الأكاره والقتل لا يباشره إلا الاتباع .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ أو يذكر بين أمرين الثاني مهبطاً بفك عن الأول كما يقال زوج أو فرد .  
ويقال هذا إنسان أو حيوان . يبنى إن لم يكن إنساناً فهو حيوان . ولا يصح أن يقال هذا حيوان

أو إنسان إذا فهم منه أنه يقول هو جيم إن من لم يكن حيواناً فهو إنسان وهو محال لكن التعرّيق مشتق من جعل الشيء أهلاً أو مرفقاً كقولهم أهلاً أو مرفقاً كقولهم أهلاً أو مرفقاً (الجواب عنه) من وجوب (أحدهما) أن الاستهزاء على خلاف ما ذكره شافعي فيكون (أو) مستغلاً في وضعه بل كما يقول القائل أعطيه ديراً أو ديناراً . وكما يقول القائل أعطه ديناراً بن دينارين قال الله تعالى (فم الجبل إلا قليلاً نفعه أو انقصه قليلاً أو رد عليه) فكذلك هنا أقلوه أو يزيدوا على القل وحرقوه (الجواب الثاني) هو أما سلم ما ذكرتم من الأمر ما كذلك ، لأن التعرّيق من مفض إلى القتل وقد تخلص عنه القتل لأن من ألقى بحرقه في النار حتى احترق حلقه بأسره ، وأخرج منها جأً يصح أن يقال احترق جلاً وأحرقه جلاً وما مات ، وكذلك هم فأما القول أولاً لتعجيل آفته وعذوبه بالنار ، إلى أن يقال مثلاً تخروا به وإن أصر ظنوا في النار عذوبه .

ثم قال تعالى ( فأجابه الله من النار ) أعطف القليل في كيفية الإجابة ، بهضم قال يرد النار وهو أن أصبح المواقف لقوله تعالى (النار كوني رداً) وبهضم قال خلق في إبراهيم كيفية استعبد معها النار وقال بهضم ترك إبراهيم على ما هو عليه من النار على ما كانت عليه وسع أي تبارك عنه ، وتكمل لكن والله قادر عليه ، والذكر ينسب الأول الكمال أما سلب الحرارة عن النار ، قالوا بالحرارة في النار دابة كالأرواح في الأرواح لا يمكن أن تعزها ، وأما خلق كيفية تسترد النار فلا بد من إخراج الإنسان له طرعا ثم يطرأ وإفراط ، فخرج عنها لا يبقى إنساناً لموا لا يعيش . صلا المزاج إلى أن كان النار فيه عشرة أجزاء يكون إنساناً فإن صار أحد عشر لا يكون إنساناً وإن صارت لأجزاء أربعة عشرة يبقى إنساناً فإذا صارت أربعة لا يبقى إنساناً لكن العودة التي يستد معها النار مزاج السموات من حصى في الإنسان مات أو لكان ذلك كان لنفس ثابتة فأخرج ، وأما الثالث فحاصل أن تكون العطش في النار والنار كما هي ، والعطش كما هي ولا تغترق ، وهو قول الآية رد عليهم والدفع من النار للقل ، أما الأول فموجوب (أحدهما) أن الحرارة في النار تعين الاشتداد والصف ، فإن النار في نفسها إذا تفتح فيه يشتد حتى يذهب الخشب وإن لم يفتح لا يشتد . يمكن تنصيف هو عدم بعض من الحرارة التي كانت في النار ، فإذا تمكن عدم البعض جاز عدم البعض الآخر ، ذلك مما لا يمكن أن يفتقر إلى عدم لا يؤمن إلا بالعدم ، ولا كذلك أرواحها لما لا تشتد ولا تصد (وإنما) وهو أن في أصول العلم ، ذكر أن تارها كجب حارة كما أن السدلة كجبة حارة لكن رأياً بأن كجبة تزل عنه البرودة وهو ما فكذلك النار تزل عنها الحرارة وتبقى بارداً وهو مورد غير محقق ، وأما الثاني فبعضاً يمكن دفعه لم يتعرج من وجوب (أحدهما) أن ينع أصلهم من كون النفس تابعة للمزاج إلى الله قادر على أن يعطى النفس الإنسانية في المزاج الذي على مزاج الله (وإنما) أي قول على أسدكم لا يلزم الخلل لأن الكيفية التي ذكرناها تكون في ظاهر الخلق كالأجزاء الزمنية غير ولا يأتى إلى الغلب والاختصاص ، الرئيسية ، الأري أن الإنسان

وَقَالِ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوتَارًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ  
الْآخِرَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَبَلَغَ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَا تَكْرَأُ وَأَنتُم  
فَرِحْتُمْ نَصْرِينَ ﴿٦٥﴾

إذا من الله وما من حس حرة بار لا يؤثر النار في إحراق يده مثل ما تؤثر في إحراق يده من  
أخرج يده من جبهه ، ولهذا تحرق يده قبل يده هذا ، فإذا جاز وحود كيفية في ظاهر جلد الإنسان  
فمن تأثير النار فيه بالإحراق زماناً فيجوز أن تتجدد تلك الكيفية لحظة لحظة حتى لا تحترق ،  
(وأما الثالث) فمجرد الاستدراك بأن عدم الاعتداد وعن سلم أن ذلك غير معتاد لأنه مبعثر والمبعثر  
يبنى أن يسكن ، عارفاً للعادة .

ثم قال تعالى : ﴿ إِن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يدعى في إجماعه من الآيات . وهذا مسائل :  
﴿ المسألة الأولى ﴾ قال في إجماع نوح وأصحاب السفينة (سملهاه آية) وقال فيها (آيات) .  
بالجم لأن الإجماع السفينة هي تدعى له القول فلم يكن فيه من الآية إلا بسبب إعلام الله إياه  
بالإجماع وقتها حاجة ، فإنه لو لم يسم الله له أخذ لعدم حصول علمه بما في السيف . وبسبب أن الله صان  
السفينة عن الهندكيات كإبراهيم العاصفة ، وأما الإجماع من العار صحيح فقال فيه آيات .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال هناك (آية للمؤمنين) وقال فيها (لقوم يؤمنون) خص الآيات بالؤمنين  
لأن السفينة بنيت أعواماً حتى مر عليها الناس وأروها فحصل تعلم بها لكل أحد ، وأما نريد النار  
إياه لم يبق لم يظهر أن يسمه إلا بطريق الإتيان به والتصديق ، وفيه لطيفة : وهي أن الله لما رد  
النار على إبراهيم بسبب اعتدائه في جسده وهدايته لأبيه جفنه ، وقد قال الله للمؤمنين بأن لهم أسرة  
حسنة في إبراهيم ، فحصل للمؤمنين بشاره بأن الله يريد عليهم النار يوم القيامة ، فقال إن في ذلك  
استدراك لآيات لقوم يؤمنون .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال هناك (جملهاه) وقال فيها (جملهاه) لأن السفينة مناصرات آية في نفسها  
وتم لا خلق الله الطارقات التي فعل روح سمها . فافقه فقال جعل السفينة يسم وجودها آية ، وأما نريد  
نار فهو في نفسه آية إذا وجدت لا تحتاج إلى أمر آخر تكفي الطوفان حتى يصير آية .

ثم قال تعالى : ﴿ وَقَالِ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوتَارًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَبَلَغَ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَا تَكْرَأُ وَأَنتُم  
فَرِحْتُمْ نَصْرِينَ ﴾ لما خرج إبراهيم من النار عاد إلى تلك الكفار وبيان عدا ما هم عليه ، وقال إذا يست لكفوا  
بدهم وما كان لكم جواب ولا رجوع عنه ، فجلس هذا بلا تقديراً ، قال بين بعضكم وبعض مودة

فلا يريد أحدكم أن يجارته صاحبه في السيرة والطريقة أو ينسك وبين آباءكم مودة فورحمهم وأخذتم عقابهم ولأنهم ضلالتهم وجهاتهم قوله ( إنما اتخذتم... مودة بينكم ) يعني ليس بدليل أصلا وجه وجه آخر وهو تحقيق دفين . وهو أن يقال قوله ( إنما اتخذتم... مودة بينكم ) أي مودة بين الأوثان وبين عبديها ، وتلك المودة هي أن الإنسان مشتغل على جسم وعقل ، وجسمه لذات جسيانية ولغفلته لذات عقلية ، ثم إن من غلبت فيه الجسيانية لا يلتفت إلى الذات العقلية ، ومن غلبت عليه العقلية لا يلتفت إلى الذات الجسيانية ، كالجنون إذا احتاج إلى قضاء حاجة من أكل أو شرب أو إراقة ماء . وهو بين قوم من الأكارب في مجمع يحصل ما به تده جسمه من الأكل وإراقة الماء وغيرهما ولا يلتفت إلى القلة العقلية من حشد السيرة وسعد الأوصاف ومكرمة الأخلاق . والمائل بحول الألم الجسدي ويحصل القلة العقلية ، حتى لو غلبت قوته الدافعة على قوته الماسكة وخرج منه ريح أو قطرة ماء يكاد يموت من الحاجة ، والألم العقلي . إذا ثبت هذا فهم كانوا قبل الفعل غلبت الجسيانية عليهم فلم ينسع عقابهم لمعبود لا يكون فوقهم ولا تحتهم ، ولا بينهم ولا بينهم ، ولا قدامهم ولا وراءهم ، ولا يكون جسمهم من الأجسام . ولا شيئاً يدخل في الأرواح . ورواوا الأجسام المناسبة للذات بهم مزينة بجواهر فودعها فاتخذهم الآلات كان مودة بينهم وبين الأوثان ، ثم قال تعالى ( ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ) يعني يوم يذول هي القلوب وتبين الأمور لليبس والفعل يكفر بعضكم ببعض ويعلم خاد ما كان عليه فيقول العابد ما هذا معبودي ، ويقول المعبود ما هؤلاء عبادي . ويلعن بعضكم بعضاً ، ويقول هذا لاك أنت أرفعتني في العذاب حيث عبدتني ، ويقول ذلك لهذا أنت أرفعتني فيه حيث أضللتني بعبادتك . ويريد كل واحد أن يعد صاحبه باللعن ولا يلبصرون . بل هم مجتمعون في النار كالكفرة مجتمعين في هذه النار كما قال تعالى ( وما أوأكم النار ) ثم قال تعالى ( وما لكم من نصيرين ) يعني ليس تلك النار مثل ناركم التي أنجى الله منها إبراهيم ونصره فأنتم في النار ولا نصير لكم ، وهذا مسائل :

❖ **المسألة الأولى** ❖ قال قبل هذا ( وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ) على لفظ الواحد . وقال هنا على لفظ الجمع ( وما لكم من نصير ) والمسألة فيه أنهم لما أرادوا إخراج إبراهيم السلام قالوا نحن نصر أنفسنا كما حكي الله تعالى عنهم ( حرقوه وانصروا آلهتكم ) فقال أنه أدعيتهم أن هؤلاء نصيرين فاللهم ، أي للأوثان وعبدتها من نصيرين ، وأما هناك ما سبق منهم دعوى النصيرين فذئ الجسدي بقوله ( ولا نصير ) .

❖ **المسألة الثانية** ❖ قال هناك ( ما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ) وما ذكر الرن هنا فنقول : قد بينا أن المراد بالوعد الشفيع يعني ليس لكم شفيع ولا نصير دافع . وهذا لما كان الخطاب دخل فيه الأوثان أي ما لكم كلكنم لم يغفل شفيع لأنهم كانوا معتزتين أن كلكنم ليس لهم شفيع لأنهم كانوا يدعون أن آلهتهم شفعا . كما قال تعالى عنهم ( هؤلاء شفعاؤنا ) والشفيع لا يكون

## قُلْ لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْيَاكُمْ يُقْبَلْ مِنْكُمْ تَابِعُوا

له شفيع : فإني عنهم الشفيع لعدم الحاجة إلي نبي لا غفرانهم به . وأما هناك فكان الكلام معهم وهم كانوا يدعون أن لا غفرانهم شيء ما جنى .

المسألة الثالثة : قال هناك (مالككم من دين الله) وذكر على معنى الاستدعاء . وقوله أن لهم نصراً وديناً هو الله وليس لهم غيره . ولى . وانصر وقال بها (مالككم من النصرين) من غير استثناء . يقول كان ذلك واردة على أنهم في الدنيا فقال لهم في الدنيا . لا تفتشوا أنكم تصرون الله فما لكم أحد ينصركم ، بل الله تعالى ينصركم إن شئتم . فهو ناصر مدد لكم من أرواحه انصهرتموه بالتوبة وهذا يوم القيامة كما قال تعالى ثم يوم القيامة (يكفر بهكم بعض) . وعدم الناصر عام لأن توبة في ذلك اليوم لا تقبل فسوا . نبي أو لم ينو أو لم ينو . لا ينصرهم الله ولا ينصرهم غيره فلا ناصر لهم مطلقاً .

ثم قال تعالى : قُلْ لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْيَاكُمْ يُقْبَلْ مِنْكُمْ تَابِعُوا

يعنى لما رأى لوط معجزته آمن (وقال) إبراهيم (إني مهاجر إلى ربى) أى إلى حيث أمرنى بالتوجه إليه (إني هو العزيز الحكيم) عزيز بمعنى أشدنى عن يدينى أمرته . وحكيم لئلا أمرنى بالإجبا بواجب فكان حكمته . وفى الآية مسائل :

المسألة الأولى : قوله (فإن لوط) أى إنه ما رأى منه المعجز القاهر ودرجة لوط كانت عالية ، وجازاه إلى هذا الوقت لما يقص من الدرجة ألا ترى أن المجرى لما قيل دين محمد ﷺ وكان يراقب قلبه قبل التكلم ، من غير سماع تكلم الخصم ولا رؤية أشفاق القهر ، يقول إن لوطاً لما رأى معجزته آمن برسائه . وإما بالوجدانية فآمن حيث سمع حس مفاته ، وإليه أشار بقوله (فإن لوط) وما قال قائل لوط .

المسألة الثانية : ما نفاق قوله وقال (إني مهاجر إلى ربى) بما تقدم ؟ فنقول لما بالغ إبراهيم في الإرشاد ولم يندبه قومه ، وحصل أيسر الكلى حيث رأى القوم الآية الكبرى (ولم يؤمنوا) رجب المهاجرة . لأن الهادى إذا هدى قومه ولم ينفخوا فبقاؤه فيهم فسد لا إله إلا الله على الإرشاد كان اشتد إلا لا يتبع به مع عبده فيصور كمن يقول للمعجز صدق وهو يبيت أو يسكت والدعوات دليل الرضا فيقال بأنه صار منا ودنى بأفعاله ، وإذا لم يبق للآفة وجه وجبت المهاجرة .

المسألة الثالثة : قال (مهاجر إلى ربى) ولم يقل مهاجر إلى حيث أمرنى ربى مع أن المهاجرة إلى الرب توهم الجهة ، فنقول قوله (مهاجر) إلى حيث أمرنى ربى ليس في الإخلاص كقول (إني) (ربى) لأن الملك إذا صدر منه أمر بروج الأجناد إلى الموضع الثلاثى ثم (إن) وأشد أنهم ساروا إليه لغرض (إني) نفسه يصيبه فهدى مهاجر إلى حيث أمره الملك ولكن لا مخلصاً كوجهه فقال (مهاجر إلى ربى) يعنى توجهى إلى الجهة المأمورة بالمهاجرة إليها ليس طلباً للجهة إنما هو طلب لله .



وَوَعَدْنَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَيُحْيَىٰ وَيُحْيَىٰ وَوَعَدْنَاكَ فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَوَعَدْنَاهُ أَجْرَهُ

## فِي النَّبِيِّ وَوَعَدْنَاكَ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾

ثم قال تعالى : ﴿ وَوَعَدْنَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَيُحْيَىٰ وَوَعَدْنَاكَ فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَوَعَدْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴾ .

فذكر ما في تفسير قوله تعالى (الْكُفْرَانُ) ففهم بذلك أنهم يثابرون ويحجزونهم بأن تترك رحمة الله في أمرين في الآذان ، سوء العذاب والآفات بحسن الثواب وهو أصل إلى المؤمن في الدار الآخرة قطعاً بحكم وعد الله في العذاب عنه العبد يشترك وإثبات الثواب لإثبات التواضع ، ولكن هذا ليس بواجب ، الحصول في الدنيا ، هل كثيراً ما يكون الكفار في رغبة والتواضع جانيه في يومه متعكر في أمر غده لكعب اعطاه الله في الدنيا ، أما دفع العذاب لاحقاً فإنه ورد في دعا النبي ﷺ ، قوله : «وَقَدْ عَذَّبَ الْعَقْرُ وَشَارَهُ عَذَابَ الْعَقْرِ لِشَاوَرَةٍ إِلَى دَفْعِ الْعَذَابِ الْعَاجِلِ» ، وأما الثواب اعطاه الله في قوله (ربنا أنشأ في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) ، إذا علم هذا فقول : إن إبراهيم عليه السلام لما أتى بيانا للتوحيد أولاً دفع الله عنه عذاب الدنيا ، وهو عذاب الدار ، ولما أتى به مرة بتدبره مع إصرار التوهم على الشرك والكذب وبضراهم به بالعذاب ، أسقطه الخلال الآخر ، وهو الثواب عاجل ومعدده عليه بقوله (وَوَعَدْنَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَيُحْيَىٰ) وفي الآية لطيفة : وهي أن الله من جميع أحوال إبراهيم في الدنيا ، أعد لها ما أراد ، فحرم نفسه من النار وكان وحيداً فريداً ، فدون وحده ما لكثرة حتى جعل الحبيب من ذريته ، ولما كان أولاً قومه وأقربهم القرنة ضالين متضلين من علمهم أقر ، دل الله أفكاره بأقرب مهتدين هادين ، ثم ذريت بعدهم جعل الله فيها النبوة والكتب ، وكان أولاً لاجتماعه ولإيمانهم ، غاية الله الدنيوية أنه الله أجروا من المال والجاه ، فكثرت ما في كمال له من المراتبي ما علم الله عادة ، حتى قيل إنه كان له اثنا عشر ألف كعب حار من بأطواق ذهب ، وأما إظهاره صدار بحسب بغير الصلاة عليه بالصلاة على سائر الأنبياء إلى يوم القيامة ، إظهار مبروراً بشيخ نمرسايد بعد أن كان ضاملاً ، حتى قال قائلهم (عصا مني يذكرهم بحالهم إبراهيم) وهذا الكلام لا يقال إلا في محبوب بن الناس ، ثم إن الله تعالى قال (وَأَنَّ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ) يعني ليس له هذا في الدنيا فحسب كما يكون لمن قدم له ثواب حسنة أو أمل له استمراراً ليكثر من حيثته على هذا له علة وله في الآخرة ثواب الدلالة والرسالة وهو كونه من الصالحين ، فمن كونه الله صاحباً أعلى من الله ، لما بدأ أن الصالح هو الباقي على ما ينبغي ، يقال تعظيم بعد صانع ، أي هو الباقي على ما ينبغي ، ومن بني على يدني لا يكون في عذاب ، ويكون له كل ما يريد من حسن ثواب وفي الآية مسائلان : (إحداهما) أن إسماعيل كان من أولاده الصالحين ، وكان قد أسلم لأمر الله بالذبح والقام

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنْتَؤُنَّ فَاحِشَةٌ مَّا سَبَقَتْكُمْ يَهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ  
 ﴿٥٨﴾ إِنَّكُمْ لَأَنْتَؤُنَّ الرِّجَالُ وَتَقَطِّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ  
 جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٩﴾ قَالَ  
 رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

حكم الله ، فلم يذكره فقال هو المذكور في قوله (وجعلنا في ذرية النوء) ولكن لم يصرح باسمه  
 لأنه كان فرجه تبيين فعله عليه بهذه الأولاد والأخوة . وذكر من الأولاد واحداً وهو الأكبر .  
 ومن الأخوة واحداً وهو الأكبر . كما يقول الفاضل إن السلطان في خدمته الموكب والأمرام الملك  
 القلائي والأمير القلاي ولا يبعد [إكل] لأن ذكر ذلك الواحد لبين الجنس لا لخصويته ولو  
 ذكر غيره فهم من الضمير واحد يعاب الكل بالذكور ، فيصير أنه ليس منه غير المذكورين .

المسألة الثانية : أن الله تعالى جعل في ذرية النوء إجابة لخطائه والوالد يستحب منه أن  
 يسرى بين ولديه ، فكيف صارت الذرية في أولاد إسحاق أكثر من ذرية في أولاد إسماعيل ؟  
 فنقول : الله تعالى أمر الزمان من وقت إبراهيم إلى القيامة فسمي الناس جميعاً ، فاقسم الأول  
 من الزمان بعث الله فيه أنبياء ، فهم تضائل جنة وجازوا نرى واحداً بعد واحد ، ويختمون في عصر  
 واحد كلهم من ذرية إسحاق عليه السلام ، ثم في القسم الثاني من الزمان أخرج من ذرية ولده  
 الآخر وهو إسماعيل واحداً جمع فيه ما كان فيهم وأرسله إلى كافة الخلق وهو محمد صلى الله عليه  
 وسلم وجعله خاتم النبيين ، وقد دام الخلق على دين أولاد إسحاق أكثر من أربعة آلاف سنة  
 فلا يبعد أن يبقى الخلق على دين ذرية إسماعيل مثل ذلك المقدار .

ثم قال تعالى : ﴿٥٨﴾ ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لانتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من  
 العالمين ، إنكم لانتون الرجال وتقطعون السبل وتأتون في ناديكم المنكر ، فما كان جواب  
 قومه إلا أن قالوا اتنا بعذاب الله إن كنتم من الصادقين . قال رب انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ  
 الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ .

الإعراب في لوط ، والتفسير كما ذكرنا في قوله (وإبراهيم إذ قال لقومه) وهما مسائل :  
 (الاولى) قال إبراهيم لقومه (اعبدوا الله) وقال عن لوط هبنا أنه قال لقومه (لأنتون  
 الفاحشة) فنقول لما ذكر الله لوطاً عند ذكر إبراهيم وكان لوط في زمان إبراهيم لم يذكر عن  
 لوط أنه أمر قومه بالتوحيد مع أن الرسول لابد من أن يقول ذلك فنقول حكاية لوط وغيرها

هنا ذكرها لئلا على سبيل الاختصار ، فاختصر على ما اختصر به لوط وهو المنع من الفاحشة ، ولم يذكر عنه الأمر بالتوحيد وإن كان قائم في موضع آخر حيث قال ( اعبدوا الله ما لكم من إله غير ) لأن ذلك كان قد أتى به إبراهيم وسحق عصار كالمختصر به ولو لم يبلغ ذلك عن إبراهيم . وأما المنع من عمل قوم لوط كان مختصاً بلوط ، فإن إبراهيم لم يظهر ذلك ( في زعمه ) ولم يمنعهم منه هذا ككل واحد بما اختصر به وسبق به غيره .

المسألة الثانية : لم سمى ذلك الفعل فاحشة ؟ فنقول : الفاحشة هو القبيح الظاهر فيجب ، ثم إن الشهوة والنفس صفتان تقع لولا مصلحة ما كان يحفظهما الله في الإنسان ، فمصلحة الشهوة القرابية هي بقاء النوع بتوليد الشخص . وهذه المصلحة لا تحصل إلا بوجود الولد وبقاءه بعد الأب ، فإنه لو وجد ومات قبل الأب كان يقضى النوع بقاء القرن الأول ، لكن الزنا قضاء شهوة ولا يقضى إلى بقاء النوع ، لأننا بينا أن البقاء بالوجود وبقاء الولد بعد الأب لكن الزنا وإن كان يقضى إلى وجود الولد ولكن لا يقضى إلى بقاءه ، لأن نسيان إذا استنبت لا يعرف الوالد ولده فلا يقوم بربيته والافتقار عليه فيضيع ويهلك ، فلا يحصل مصلحة البقاء ، فالحزن الشهوة فيجوز غالباً عن المصلحة التي لأجلها خلقت ، فهو يبيع ظاهره فحبه حيث لا تستر المصلحة فهو فاحشة . وإذا كان الزنا فاحشة مع أنه يقضى إلى وجود الولد ولكن لا يقضى إلى بقاءه ، فالقواصة التي لا تقضى إلى وجوده أولى بأن تكون فاحشة .

المسألة الثالثة : الآية دالة على وجوب الحنن في المراقبة ، لأنها مع الزنا اذتركت في كونها فاحشة حيث قال الله تعالى ( ولا تقرورا الزنا إنه كان فاحشة ) واشترط كتماناً في العادة يناسب الزجر عنه ، فلا شرع زاجراً هناك بشرع زاجر آخر ، وهذا وإن كان قياساً إلا أن سامعه مستفاد من الآية ، ووجه آخر ، وهو أن الله جعل عذاب من أتى بها إبطار المجازاة حيث أمطر عليهم حجارة عاجلاً ، فوجب أن يعذب من أتى به بإبطار المجازاة به عاجلاً وهو الرجم ، وقوله ( ما سبقكم بها من أحد ) يشمل وجوب ( أحدهما ) أن قبلهم لم يأت أحد بهذا القبيح وهذا ظاهر ، ( والثاني ) أن قبلهم ربما أتى به واحد في القنطرة فكيف بالقرآن فيه ، فقال لهم ما سبقكم بها من أحد ، كما يقال إن فلاناً سبق البخلاء في البخل ، وسبق الثمان في اللزم إذا زاد عليهم ، ثم قال تعالى ( أنتم كنتم لتأثرون الرجال ونظمون السيل ) بياناً لما ذكرنا ، يعني تفضون الشهوة بالرجال مع قطع السيل المتداد مع النساء المشتمل على المصلحة التي هي بقاء النوع ، حتى يظهر أنه قبيح لم يسر فيه مصلحة ، وحينئذ يصير هذا كقوله تعالى ( أنتم كنتم الرجال شهوة من دون النساء ) يعني إثبات النساء شهوة قيمة مسترة بالمصلحة فلكم دافع فحاشاكم لا فاحشة فيه وتتركونه وتأثرون بالرجال شهوة مع الفاحشة وقوله ( وأنتم كنتم في نادى المكسر ) يعني ما كذا لم قبيح فلكم حتى تفضون إليه قبيح الاظهار ، وقوله ( فما كان جواب نومه ) في التفسير ، كقوله في قصة إبراهيم ( وما كان جواب نومه ) وفي الآية مسائل :

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ عَذْرَاةِ  
 إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٢٦﴾ قَالَ إِن فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ  
 وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿١٢٧﴾

(في الأول) قال قوم إبراهيم (انقذوه أو حرّوه) وقال قوم لوط (انقذوا بذياب الله) وما  
 عدوه . مع أن إبراهيم كان أعظم من لوط . فإن لوطاً كان من نومه . فنقول إن إبراهيم كان يفتح  
 في دينهم ويشتم آهلهم بتعدد صفات نقصهم بقوله : لا يسمع . ولا يعبر . ولا يعي . والفتح في  
 النون صعب . بطولوا جراه القتل والتحريق . ولوط كان يسكر طغيماً فعليه وبهم إلى ارتكاب  
 الحرام وهم ما كانوا يقولون إن هذا واجب من الدين . فلم يصعب عليهم مثل ما صعب على قوم  
 إبراهيم قول إبراهيم . قالوا : إنك تقول إن هذا حرام والله يعذب عليه ونحن نقول لا يعذب .  
 فإن كنت صادقاً فأنا بتعذاب . وإن قيل إن الله تعالى قال في موضع آخر (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا  
 أضلّم أبصارهم) فنقول لوط كان نبياً على الارتداد مكرراً عليهم التمييز والنهي والوعيد . فقلنا  
 أولاً انقذنا لوطاً كذا . ثم ذلك ولم يسمع منهم قلوا أخرجوا . ثم إن لوطاً لما بقى منهم طلب  
 الهرة من الله وذكرهم بما لا يجب الله (فقال رب تصرفني على القوم المفسدين) فإنه لا يجب  
 المفسدين . حتى يلجئهم إلى الله .

واعلم أن سباً من الإنبياء ما طلب هلاك قوم إلا إذا علم أن عدوهم خير من وجودهم . كما  
 قال نوح (إنك إن تفرهم يصلوا عبادة ولا يبدوا إلا هجراً كنعاناً) يعني المصلحة إما بهم  
 حالاً لم يبدوهم مآلاً ولا مصلحة بهم . فبهم يصلون في الحال وفي الحال فبهم يوصون الأولاد  
 من صغرهم لا تمنع من الانباج . فكذلك لوط لما رأى أنهم يفسدون في الحال واشتغوا بما  
 لا يرجى منه منهم ولم يصانعهم الله . بطلت المصلحة حالاً ومآلاً . فندمهم صار خيراً .  
 فطلب العذاب .

ثم قال تعالى : ولما جاءك رسولك إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها  
 كانوا ظالمين . قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجيه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ﴿١٢٦﴾  
 لما دعا لوط على قومه بقوله (رب انصروني) استجاب الله دعاءه . وأمر ولا تتركه بأهلهم  
 وأرسلهم مبشرين ومنذرين . فجاءوا إبراهيم وبشروه طيبة وقالوا (إنا مهلكوا أهل هذه  
 القرية) يعني أهل سدوم . وفي الآية الطيفتان : (إحداهما) أن الله جعلهم مبشرين ومنذرين .

لكن البشارة أفرحة والإيذار بالهلاك أثر الغضب . وروحته صفت غضبه . تقدم البشارة على الإيذار . وقال ( جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ) ثم قال ( إنا مهلكوا ) ( الثانية ) حين ذكروا البشرى ما علوا وقالوا إنا نبشرك لك ذلك رسول . أو لك مؤمن أولئك عادل . وحين ذكروا الإهلاك عشوا . وقالوا ( إنا أهلها كانوا ظالمين ) لأن ذا الفضل لا يكون فضله يمرض . وهما ذل لا يكون عناء إلا على جرم . وفيه مسائلان :

( إحداهما ) لو قال قائل أى تعلق هذه البشرى بهذا الإيذار . يقول له أراد الله إهلاك قوم وكان فيه إهلاك الأرض عن العباد قدم على ذلك إهلاك إبراهيم بأنه تعالى يهلك الأرض من العباد الصالحين حتى لا يتأفف على إهلاك قوم من أبناء جنسه .

( والثانية ) قال في قوم نوح : فأخذهم الطوفان ) وقد قلت إن ذلك إشارة إلى أنهم كانوا على ظلمهم حين أخذهم . ولم يقل فأخذهم وكانوا ظالمين . وهذا قال ( إنا أهلها كانوا ظالمين ) ولم يقل وإنيهم ظالمون . فنقول لا فرق في الموصفين في كونهم مهلكين وهم مصروف على الظلم . لكن هناك الإخبار من الله وعن الماضي حيث قال ( فأخذهم ) وكانوا ظالمين . قال أخذهم وهم عند الوقوع في العذاب ظالمون . وهذا الاختصار من الملائكة وعن المستقبل حيث قالوا ( إنا مهلكوا ) قالوا لك ذكروا ما يحتاجون إليه في إلباس حسن الأمر من الله بالإهلاك . فقالوا ( إنا مهلكوهم ) لأن الله أمرنا . وحال ما أمرنا به كانوا ظالمين . نحن أمر الله عند كل أحد . ولما نحن فلا نغير بما لا حاجة لنا إليه . فإن الكلام عن الملك يغير إذنه سوء . أدب . فمن ما احتجنا إلا إلى هذا القصد . وهو أنهم كانوا ظالمين حيث أمرنا الله بإهلاكهم بربا لحسن الأمر . وأما أنهم ظالمون في وقتنا هذا أو يبقون كذلك فلا حاجة لنا إليه . ثم إن إبراهيم لما سمع قولهم قال لهم إن فيها لوطاً إنشافاً عليه ليعلم حاله . أو لأن الملائكة لما قالوا ( إنا مهلكوا ) وكان إبراهيم يعلم أن الله لا يهلك قوماً وفيهم رسوله . فقال تمجياً إن قيم لوطاً فكيف يهلكون . فقالت الملائكة نحن أعلم بهن فيها . حتى نعلم أن قيم لوطاً فأنجيت وأهلك الباقين . وهذا لطيفة . وهو أن الجماعة كانوا أهل الخير . أي إبراهيم والملائكة . وكل واحد كان يزيد على صاحبه في كونه خيراً . أما إبراهيم فنامع قول الملائكة ( إنا مهلكوا ) أظهر الإنشاف على لوط رضى نفسه وما يشروه ولم يظهر بها فرحاً أو قال ( إن فيها لوطاً ) ثم إن الملائكة لما رأوا ذلك منه زادوا عليه . وقالوا ( لك ذكرت لوطاً وحده ونحن نسجبه ونسجبه معه أهله . ثم استنوا من أهل أمراته . وقالوا ( إنا مهلكوا ) كانت من النافرين ) أى من المهلكين . وفي استنبال النافرين المهلك وجهاً . وذلك لأن النافرين لفظ مشترك في الماضي . وفي الباقى يقال فيها غير من الزمان أى فيما مضى وبالحال الفعل ماضٍ وغير أى باق . وعلى الوجه الأول يقول إن ذكر الظالمين سبق لقولهم ( إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين ) ثم جرى ذكر لوط بتذكير إبراهيم وجواب الملائكة . فقالت الملائكة ( إنا

وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا إِلَيْهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ وَلَا تَحْزَنْ  
 إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٢٥﴾ إِنَّا مَنَزَلُونَا عَلَى أَهْلِ هَذِهِ  
 الْقَرْيَةِ رِجَازًا مِنَ السَّمَاءِ لَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً  
 لِّقَوْمٍ يَعْتَبُونَ ﴿٢٧﴾

من الغابرين ( أي الماتين ) ذكرهم لأن الذين تنجي منهم . أرتقول المهلك بقى وبعضى زمانه  
 والناجي هو الباقي فقالوا ( أيها من الغابرين ) أي من الراضحين الماضين لأن الباقيين المسمرين .  
 ولما على الوجه الثاني فنقول لما قضى الله على القوم بالإهلاك كان الكل في الهلاك إلا من تنجي  
 منه فقالوا إِنَّا نُنْجِي لُوطًا وَاهْلَهُ . وأما امرأته فهي من الباقيين في الهلاك .

ثم قال تعالى : ﴿ ٢٥ ﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا إِلَيْهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ وَلَا  
 تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ . إِنَّا مَنَزَلُونَا عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجَازًا  
 مِنَ السَّمَاءِ لَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ . ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون ﴿ ٢٦ ﴾

ثم إنهم جاؤا من عند إبراهيم إلى لوط على صورة البشر فظنهم بشرأ مخاف عليهم من قومه  
 لأنهم كانوا على أحسن صورة خلق الله والقوم كما عرف عالم نفسي بهم أي جاءه ما ساءه وخاف  
 ثم يخبر عن تذييرهم لوط وضايقهم ذرعاً كناية عن السجزي في تذييرهم . قال الزمخشري يقال  
 طال ذرعه وذراعاه للقادح وضايق للهاجر ، وذلك لأن من طال ذراعاه يصل إلى ما لا يصل إليه  
 فصار القدرع والاستعانة بمحمل وجهاً صفواً لا غير ذلك . وهو أن الخوف والحرور يوجعان انقباض  
 الروح ويضعه اشتغال القلب عليه فينبض هو أيضاً والقلب هو المعتبر من الانسان . فكان الانسان  
 انقبض والجمع وما يكون كذلك يقل ذرعه وضاعته فينبض . وهاك في الحزن ضائق ذرعه  
 والغضب والفرح يوجبان انقباض الروح فينبسط مكانه وهو غضاب وينبع يقال اتسع ذرعه .  
 ثم إن الملائكة لما دأوا خوفه في أول الأمر وحزنه بسبب تذييرهم في ثاني الأمر قالوا لا تحزن  
 علينا ولا تحزن بسبب التفكير في أمرنا ثم ذكروا ما يوجب زوال خوفه وحزنه فإن مجرد زوال  
 الغشاق لا تحزن لا يوجب زوال الخوف فقالوا معرضين بحالهم ( إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ ) وَإِنَّا  
 مَنَزَلُونَا عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ حَتَّى يَشِينُ لَهُمْ هَلَاكُهُمْ فَيَطُوفُ ذَرْعُهُ وَزَوَالُ رَوْعِهِ وَفِي الْآيَةِ مَسَائِلُ :  
 ( إحداهما ) أنه تعالى قال من نحل ( ولما جاءت رسلنا إبراهيم ) وقال منها ( ولما أن  
 جاءت رسلنا ) فما الحكمة فيه ؟ فنقول حكمة بالمدى وهي أن الواقع في وقت المعصية هناك قول

الملائكة (إنا مهلكوا) وهو لم يكن متصلاً بجهنم لأنهم بشروا أولاً ولشوا ، ثم قالوا (إنا مهلكوا) وأيضاً والثاني وأثبت بعد المعجزة ثم الإخبار بالهلاك حسن فإن من جاء معه خير هائل يحسن منه أن لا يخشى به ، والواقع هنا هو خوف لوط عليهم ، والمؤمن حين ما يشعر بمضرة تصل بريئاً من الجناية ينبغي أن يعرف ويتخفى عليه من غير تأخير ، إذا علم هذا فعرفه هنا (ولما أن جلدت رسلاً) بعد الانفصال يعني خاف حين المعجزة ، فإن قلت هذا يأكل بما أن هذه الحكاية جاءت في سورة هود ، وقال (ولما جاءت رسلاً لوطاً) من غير أن ، فنقول هناك جاءت حكاية إبراهيم صفة أخرى حيث قال هناك (وتقد جاءت رسلاً إبراهيم بالشرى) فقوله هناك (ولقد جاءت) لا يدل على أن قومهم (إنا أرسلنا) كان في وقت المعجزة ، وقوله (ولما جاءت رسلاً لوطاً) بهم (دلى على أن خوفه كان وقت المعجزة) ، إذا علم هذا فنقول : هناك قد حصل ما ذكرنا من المقصود بقوله في حكاية إبراهيم (وتقد جاءت رسلاً إبراهيم بالشرى) ثم جرى أمور من الكلام وتقديم المقدم ، ثم قالوا (لا تخف) ولا تخزن (إنا أرسلنا إلى قوم لوط) فحصل تأخير الإخبار ، وبقوله في حكاية لوط (ولما جاءت رسلاً) حصل بيان تدجيل الخزن ، أما هنا لما قال في قصة إبراهيم (ولما جاءت) قال في حكاية لوط (ولما أن جاءت) لما ذكرنا من القادة .

❖ المسألة الثانية ❖ قال هنا (إنا متجوك وأهلك) وقال لإبراهيم (لتنجيه) بصيغة الفعل فهو فيه قائم ؟ فك ما من حرف ولا حركة في القرآن إلا وفيه فائدة ، ثم إننا نقول البشرية تدرك بعضها ولا تصل إليه أكثرها ، وما أوزر البشر من العلم إلا قليلاً ، والذي يظهر لعقل الضعيف أن هناك لما قال لهم إبراهيم (إن فيها لوطاً) وعدوه بالنجية ووعد الكريم حتم ، وهنا لما قالوا لوط وكان ذلك بعد سبب الوعد مرة أخرى قالوا (إنا متجوك) أي ذلك واقع ما كفوله تعالى (إنا متجوك وأهلك) الضرورة وفوقه .

❖ المسألة الثالثة ❖ وهم (لا تخف ولا تخزن) لا تناسب (إنا متجوك) لأن خوفه ما كان على نفسه ، فنقول بينهما مناسبة في غاية الحسن ، وهي أن لوطاً لما حلف عليهم وحزن لأجلهم قالوا له لا تخف عبداً ولا تخزن لأخلاقنا ملائكة ، ثم قالوا له : بالوط تخفت علينا وحزنت لأجلنا ، فحق مقابلة خوفك ولطف الخوف زيل خوفك ونجيتك ، وفي مقابلة حزنك زيل حزنك ولا تتركك تنصع في أهلك فقالوا (إنا متجوك وأهلك) .

❖ المسألة الرابعة ❖ القوم عديد ؛ بسبب ما صدر عنهم من الفاحشة وأمر أنه لم يصدر منها تلك لتكفي كانت من التابرين معهم ؟ فنقول الدال على الشر له نصيب كفاحل الشر ، كما أن الدال على الخير كفاحله وهي كانت تدل القوم على صيوف لوط حتى كانوا يقصدونهم ، فبالذلة سارت واحدة منهم ، ثم إني بعد إشارة لوط بالنجية ذكروا أنهم متزاوون على أهل هذه القرية العذاب فقالوا (إنا متزاوون على أهل هذه القرية دجراً من السباء) واعتفوا في ذلك ، فقال بعضهم حجارة

وقبل نادر وقبل خسف ، وعلى هذا فلا يكون عينه من السماء وإنما يكون الأمر بالخسف من السماء أو القضاء به من السماء . ثم اعلم أن كلام الملائكة مع لوط جرى على نطق كلامهم مع إبراهيم قدموا بالزيارة على الأنظار حيث قالوا ( إنا منجوك ) ثم قالوا ( إنا حزنون على أهل هذه القرية ) ولم يصطروا المنجية ، فما قالوا ( إنا منجوك ) لأنك نبي أو عابد ، وعلووا الإهلاك بقولهم ( إنا كنا نرغبون ) وقالوا ( بما كانوا ) كما قالوا هناك ( إن أهلها كانوا ظالمين ) ثم قال تعالى ( ولقد تركنا منها آية بينة لغيرهم يعقلون ) أي من القرية فإن القرية معلومة وبها النساء الأسود وهي بين القدس والكرك وبها مسائل :

( جعل الله في الآية في نوح وإبراهيم بالنجاة حيث قال ( فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية ) وقال ( فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات ) وجعل ههنا الهلاك آية قبل عندك فيه نحو : ؟ فقول نعم ، أما إبراهيم فلا لأن الآية كانت في النجاة لأن في ذلك الوقت لم يكن إهلاك ، وأما نوح فلا لأن الإنجاء من انطوخان الذي علا الجبل بأسره أمر عجيب إلى ، وما به السقا هو السفينة كان باقياً ، والفرق لم يبق لمن يبدئه أثره فجعل الباقي آية . وأما ههنا فنجاة لوط لم يكن بأسره يبق أثره للحس والإهلاك أثره محسوس في البلاد فجعل الآية الأمر الباقي وهو هذا البلاد وهناك السفينة وههنا الطغيان : وهي أن الله تعالى آية قدرته موجودة في الإيعاء والإهلاك فذكر من كل باب آية وقدم آيات الإنجاء لأنها أثر الرحمة وأثر آيات الإهلاك لأنها أثر العضب ورحمة سابقة .

( المسألة الثانية ) قال في السفينة ( وجعلناها آية ) ولم يقل بينة وقال مهنا آية بينة خزل لأن الاتحاد بالسفينة أمر يتبع له كل عقل وقد يقع في وهم جعل أن الإيعاء بالسفينة لا يختص إلى أمر آخر ، وأما الآية ههنا الخسف وحمل ديار معمورة عليها سافلها وهو ليس بتصاد ، وإنما ذلك بإرادة قادر يخصصه بمكان دون مكان وفي زمان دون زمان ، فهي بينة لا يمكن للحامل أن يقول هذا أمر يكون كذلك وكان له أن يفرك في السفينة النجاة بها أمر يكون كذلك إلى أن يقال له فمن أين علم أنه يحتاج إليها ولو دام الماء حتى ينفذ زادم كيف كان يحصل لهم نجاة ولو سخط الله عليهم انزعج العاصفة كيف يكون أموره المم ؟

( المسألة الثالثة ) قال هناك للملائكة وقال هذا ( نقرم يعقلون ) قلنا لأن السفينة موجودة في جميع أقطار العالم فمد كل قوم مثال سفينة نوح يتذكرون بها حاله ، ولذا ركبها يعقلون من الله النجاة ولا يثق أحد بمجرد السفينة ، بل يكون دائماً مرتحف القلب متضرعاً إلى الله تعالى طلباً للنجاة ، وأما أثر الإهلاك في بلاد لوط فمن موضع مخصوص لا يطالع عليه إلا من يمر بها ويصل إليها ويكون له عقل يعلم أن ذلك من الله المراد ، بسبب اختصاصه بمكان ، دون مكان ووجوده في زمان بعد زمان .



وَأِلَى مَدِينٍ أَحَاطَهُمْ شُعْبًا فَقَالَ يَتَقَرَّمُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ  
وَلَا تَتَّخِذُوا فِي الْأَرْضِ مَقْسِدِينَ ﴿٢٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ  
جَاثِمِينَ ﴿٢٦﴾

ثم قال تعالى : ﴿ وإلى مدین أحاطهم شعباً فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا  
تتخاوا في الأرض فسدن ، فكذبوه فأخذتهم الرجعة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾  
لما أتم الحكيم الثانية على وجه الاختصار للعدة الاعتدال نرجع في الثالثة وقالة ( وإلى مدین  
أحاطهم ) واختلف المفسرون في مدین . فقال بعضهم إنه اسم رجل في الأصغر حصل له ذرية فاشتهر  
في الذرية كسليم وقيس وغيرهما . وقال بعضهم إنه نسب القوم إليه . واشتهر في القوم ،  
والأول أكثر أصح وذلك لأمر أنه أصناف للمدین إلى مدین حيث قال ( ولما ورداه مدین ) ولو كان  
احداً للمدین لكانت الإضافة غير صحيحة لم غير حقيقة الأصل في الإضافة ( إلا بر حقیقة ) . وقوله  
( أحاطهم ) قيل لأن شعباً كان منهم دساً . وفي الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال الله تعالى أن نوح ( ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ) فمر نوحاً في الذكر  
وعرف القوم بالإضافة إليه وكذلك في إبراهيم ولوط . وهذا ذكر القوم أولاً وأصناف إليهم  
أحاطهم شعباً . فقول الأصل في جميع المراتب أن يذكر القوم ثم يذكر رسولهم لأن المرسل  
لا يسترسولا إلى غير مدبر . وإنما يحصل قوله أو شخص يحتاجون إلى إياه من المرسل فيرسل  
إليهم من يختاره غير أن قوم نوح وإبراهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاص ولا نسبة مخصوصة  
يرمون بها . فمرجوا بالنبي قبيل قوم نوح وقوم لوط . وأما قوم شعيب وهو ذو صابغ فكان لهم  
نسب معلوم اشتهروا به عند الناس فخرى الكلام على أصله . وقال الله ( وإلى مدین أحاطهم شعباً )  
وقال ( وإلى مدین أحاطهم عوداً ) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ لم يذكر عن لوط أنه قومه بأبادة وانزوح . وذكر عن شعيب ذلك ؟  
هذا ذكرنا أن لوطاً كان له قوم وعمر كان من قوم إبراهيم في زمانه . وإبراهيم سلفه بذلك  
واختلج به حتى اشتهر الأمر بالبريد عند الخلق من إبراهيم فلم يذكره عن لوط وإنما ذكر منه  
ما انحصر به من المنع عن قدامته وغيره . وإن كان هو أيضاً يأمر بالزواج . إذ ما من رجل إلا  
ويكون أكثر كلامه في شوحيه . وأما شعيب فكان أحد الغرض من القوم فكانوا هم أهل أيضاً في  
الزواج . وقال ( اعبدوا الله ) .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ الإنسان لا يتم إلا بالزواج . والأمر بالبادة لا يفيد لأن من يستدق

ويبدو غير محتمل فكيف انقصر على قوله (اعبدوا الله) ؟ فنقول : هذا الأمر يفيد التوحيد ، وذلك لأن من يرى غيره يفتقد زيدا وعمرو هناك وهو أكبر أو هو سيد زيد ، فإذا قال له اخدم عمرا يفهم منه أنه يأمره بصرف الخدمة إليه . وكذا إذا كان لراحد دينار واحد ، وهو يريد أن يسلطه زيدا ، فإذا قل له أعطه عمرا يفهم منه لأنه يسلطه زيدا ، فنقول هم كانوا مشغولين بصدارة غير الله والله مالك ذلك الغير فقال لهم شعيب ( اعبدوا الله ) ففهموا منه ترك عبادة غيره أو قول لكل واحد نفس واحدة ورب واحد ومهما في عبادة غيراته فقال لهم شعيب منعهوا في موضعها وهو عبادة الله ففهم منه التوحيد ، ثم قال ( وارجعوا اليوم الآخر ) قال ابن خنضر منتهاه انظر اماما ترجموا عليه الثمانية إذ قد يقول القائل لغيره كن عافلا ، ويكون معناه الغفل فليس من يكون عافلا . وقوله ( وارجعوا اليوم الآخر ) فيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ هذا يدل على محبة منعبها ، فإن عندما من عبد الله طوى عمره بشيئ الله تفضيلا ولا يحب عليه ذلك لأن العبد قد وصل إليه من النعم ما لو زاد على ما أتى به لما خرج من عبدة الشكر ، ومن شكر النعم على نعم سبقت لا يلزم المنعم أن يزيده ، وإن زاده يكون إحسانا منه إليه وإعانة عليه ، فنقول قوله ( وارجعوا اليوم ) بعد قوله ( اعبدوا الله ) يدل على التفضل لا على الوجوب فإن الفضل يرجى والواجب من العادل يقطع به .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال ( وارجعوا اليوم الآخر ) ولم يقل وخافوه مع أن ذلك اليوم مخوف عند الكل وغير مرجو عند كثير من الناس ، لنفسه ولخود ومحبته الدنيا ولا يرجوه إلا قليل من عباده ، فنقول لما ذكر التوحيد بطريق الإثبات وقال ( اعبدوا ) ولم يذكره بطريق النفي وما قال ولا تصدوا غيره ذاك يفظ الزيادة لأن عبادة الله يرجى منها الخير في الدارين ، وجهه وجه آخر وهو أن الله حكى في حكاية إبراهيم أنه قال ( إنكم اتخذتم الآلات حوذا بينكم في الحياة الدنيا ، وأما في الآخرة فكفرون بها ، وقال ههنا لا تكونوا كآل من سبق ذكرهم لم يرجعوا اليوم الآخر ، فاقصروا على مودة الحياة الدنيا ، وارجعوا اليوم الآخر واسئلوا له ، ثم قال ( ولا تشعروا في الأرض مفسدين ) يمكن أن يقال نصب مفسدين على المصدر كما يقال ثم قاتلنا أي قاتلنا ، ويكون قوله ( ولا تشعروا في الأرض مفسدين ) كقول القائل إجلس فمردا لأن البيت والفساد بمعنى ، وجمع الأوامر والنواهي في قوله ( اعبدوا الله ) وقوله ( ولا تشعروا ) ثم إن قوله كذبوه بعد ما ينحى ربه ، حكى الله عنهم ذلك بقوله ( كذبوه فآخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثقين ) وفي الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ ما حكى عن شعيب أمره نهي الأمر لا بصديق ولا بكاذب ، فإن من قال انبره ثم لا يصح أن يقول له كذبت ، فنقول كان شعيب يقول الله واحد فاعبدوه ، والآخر كان فارجوه ، والفساد عزم فلا تخبروه ، وهذه الأشياء فيها إخبارات فكذبوه فيها أعظمهم به .

وَعَدَا وَنُودَا وَقَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ مِنْ مَعْنِيهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ  
فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُصْتَفِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ  
مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْكَبُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَمِيعِينَ ﴿٢٦﴾

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال هذا في الأعراف (فأخذهم الرجعة) قال في هذا (فأخذهم الصبيحة)  
والحكمة واحدة . فقول لا تدار من بينهم فإن الصبيحة كانت سببا للرجعة إما الرجعة الأرض إذا  
قبل إن جبريل صاح ما زالت الأرض من صبيحة . وإما الرجعة الآخرة فإن ظهورهم لوجهه منها .  
والإضافة إلى السبب لا تأتي إلا إضافة إلى سبب ثابت . إذ يصح أن يقال روى عن موسى . أن  
يقال شرب عن موسى في صورة واحدة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ حيث قال ( فأخذهم صبيحة ) قال في ديارهم ( حيث قال ) فأخذهم  
الرجعة ) قال في ديارهم ( فقول المراءى من الدار هو الديار . والإضافة إلى الجمع يجوز أن تكون  
لفظ الجمع . وأن تكون لفظ الواحد إذا أمكن الإتيان . وبما اختار اللفظ للجماعة . وهو أن  
الرجعة حادثة في نفسها بل ترجع إلى هوان . وأما الصبيحة فهي حادثة في نفسها لكن تلك الصبيحة  
بما كانت متعلقة حتى أسدلت اللزلة في الأرض وذكر الدار لفظا لجمع . حتى علم ههنا . والرجعة  
بمعنى اللزلة متعلقة بدار كل أحد بل ترجع إلى معظم لأمرها . فقبل أن الصبيحة كانت أعظم حدث  
حدثت الأرض والحجر . والزلازل لم تكن إلا في الأرض وذكر الدار هناك لغير أن هذا صيغ لأن  
الدار والدار موضع الخوم لا موضع الصبيحة والرجعة . بهم ما أضجروا حائنين إلا في ديارهم .  
قوله تعالى : ﴿ وعدا ونودا وقد بين لكم من عندكم ﴾ وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن  
السبيل وكانوا مستفِرِينَ . وقارون وفرعون وهامان وأند حادهم موسى فكيفيات وأندكرهوا في  
الأرض وما كانوا سامعين ﴿

ثم قال تعالى ( وعدا ونودا ) أي وأهلكنا عاداً ونوداً لأن قوله تعالى ( فأخذهم الرجعة )  
دل على الإهلاك ( وقد بين لكم من عندكم ) الأمر وما شئتم من ههنا . ثم بين ما جرى  
فيهم فقال ( وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ) فقوله ( وزين لهم الشيطان أعمالهم )  
يعني عيادتهم عن الله ( وصدهم عن السبيل ) يعني عبادته ( وكانوا مستفِرِينَ ) يعني مواسعة  
الرسول يعني فلم يكن لهم في ذلك عذر فإن الرسول لم يضر السبيل . ثم قال تعالى ( وقارون وفرعون  
وهامان ) عطفاً عليهم أي : وأهلكنا قارون وفرعون وهامان .

فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ . قَتَلْتُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ  
وَمِنْهُمْ مَنْ خَفَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَلَكِنْ  
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٥﴾

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَثَلِيَ الْعَذَابُ الْكَبِيرُ اتَّخَذَتْ يَتَا

ثم قال تعالى ( وقد جاءهم موسى بالبينات ) كما قال في غزوة ( وكانوا سيذنبين )  
أي بالرسل . ثم قال تعالى ( فسكبوا ) أي عن عبادة الله وقوله ( في الأرض ) إشارة إلى  
ما يوضحه قوله عظيم في استكبارهم . وذلك لأن من في الأرض أصناف أقسام المكلفين ، ومن في  
السماء أنوعهم ، ثم إن من في السماء لا يستكبر على الله وعن عبادته ، فكيف [ يستكبر ] من في  
الأرض . ثم قال تعالى ( وما كانوا سابقين ) أي ما كانوا يفترون الله لأننا بينا في قوله تعالى ( وما  
أنتم بتعجزون في الأرض ) أن المراد أن أقطار الأرض في قبضة قدرة الله .

ثم قال تعالى ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ مِنْ أَوْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَاسًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ  
مَنْ خَفَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .  
ذكر الله أربعة أشد العذاب بالخاص ، وقيل إنه كان بجوارحه محلة يقع على واحد منهم وينفذ  
من الجبابرة الآخر ، وفيه إشارة إلى النار والعذاب بالصيحة وهو هوال متوج ، فان الصوت قبل  
سيه توج الهواء ووصوله إلى الغشاء الذي على سقف الأذن وهو الصباح فترعه فيحس ، والعذاب  
بالخسف وهو القعر في التراب ، والعذاب بالإغراق وهو بالماء . فحصل العذاب بالناصر الأربعة  
والإنسان مركب منها وجميعها بقاؤه ودوامه ، فإذا أراد الله هلاك الإنسان جعل ماله  
وجوده سبباً لعدمه ، وما به بقاؤه سبباً لفناؤه . ثم قال تعالى ( وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا  
أنفسهم يظلمون ) يعني لم يظلمهم بالهلاك ، وإنما هم ظلموا أنفسهم بالإفراك وفيه وجه آخر ألفت  
وهو أن الله ما كان يظلمهم أي ما كان يضرهم في غير موضعهم فإن موضعهم الكرامة كما قال تعالى  
( وقد كرمتنا بني آدم ) لكنهم ظلموا أنفسهم حيث وضعوا مع ذرفهم في عبادة الوثن مع عبادة  
ثم قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَثَلِيَ الْعَذَابُ الْكَبِيرُ اتَّخَذَتْ يَتَا ﴾ .

لما بين الله تعالى أنه أهلك من أشرك عاجلاً وعذب من كذب آجلاً ، ولم ينفعه في الدارين  
معبوده ولم يدفع ذلك عنه زكركه ومجوده ، مثل اتخاذه ذلك معبوداً بآخاذ العنكبوت بيتاً لا يجير  
أولاً ولا يريح ثانياً ، وفي الآية طعنته تذكرها في مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ ما الحكمة في اختيار هذا الثن من بين سائر الأمثال لفعل فيه وجوه

(الأول) ان البيت ينبغي أن يكون له أمور : حائط حائل ، وسقف مائل ، وباب يفتح ، وأمر يستفتح بها ويرحى . وإن لم يكن كذلك فلا بد من أحد أمرين : إما حائط حائل يمنع من الرد وإما سقف مائل يدفع عنه الخرب . قال لم يحصل منه شيء ، هو كائيداد ليس بيت لكن بيت التكبوت لا يجها ولا يكها وكذلك العبود . ينبغي أن يكون منه الحائى والزق وحر المنافع وبه دفع المضار . فان لم تحصل هذه الأمور فلا أثر من دفع ضرر أو جر فزع . فان لم لا يكون كذلك فهو المضموم بالذبة إليه سواء . فأن كان لم يحصل للتكبريات باتخاذ ذلك البيت من معاني البيت شيء . كذلك التكلم لم يحصل له باتخاذ الأولياء من معاني الأولياء شيء . (الثاني) هو أن أقل درجات البيت أن يكون لفضل وإن البيت من المحرقة الاستغلال ويدفع أيتها الهواء والماء والحر والبراب . والبيت من المحسب بغية الاستغلال ويدفع الخرب والبرد ولا يدفع الحر والقوى ولا الماء ولا النار . وأخيراً الذى هو بيت من الضرر أو المصلحة التى هي من نوب أن كان لا يدفع شيئاً يظل ويدفع حر الشمس لكن بيت التكبريات لا يظل فان الشمس شمسها تنفذ فيه . فكذلك العبود أعلى درجاته أن يكون نافذ الأمر في أخير . فان لم يكن كذلك فيكون نافذ الأمر في العابد . فان لم يكن إلا أقل من أن لا يبعد أمر العابد به لكن مسودهم تحت تسخيرهم إن أرادوا أسلوهم وإن أجروا أثلوهم (الثالث) أدنى مراتب البيت أنه إن لم يكن سبب لثبات وأثره أن لا يصير سبب لثبات وأثره أن لا يصير سبب لثبات التكبريات يصير سبب انزعاج التكبريات . فان التكبريات لو دام في زاوية مدة لا يبعد ولا يخرج منها ، فإذا نزع على نفسه واتخذ بيتاً بيمينه صاحب الملك يضرب البيت منه والمسخ بالمسوح الخشعة المؤذنة لحسم التكبريات . فكذلك العابد بسبب العبادة ينبغي أن يستحق الثواب . فان لم يستحقه فلا أقل من أن لا يستحق بسببها العذاب . والكافر يستحق بسبب العبادة العذاب .

**المسألة الثانية** مثل الله اتخذهم الأولياء باتخاذ التكبريات نسجه بيتاً ولم يمتعه بنفسه وذلك ليرحمين (أحدهما) أن نسجه فيه فائدة له . لولا ما حصل وهو اصطفاؤها للذباب به من غير أن يفرته ما هو أعظم منه . واتخاذهم الأولياء وإن كان بغيرهم ما هو أقل من الذباب من مناع الله لها . لكن بغيرهم ما هو أعظم منها وهو النار الآخرة التى هي خير وأبقى فليس اتخذهم كسبح التكبريات (الوجه الثانى) هو أن نسجه به ذلك اتخذها ذلك بيتاً أمر ياتل فكذلك هم لو اتخذوا الأولياء لكان على وجود الله وصفات كماله وراحمين على نعوت أكرامه وأوصافه جلالة لكان حكمة . تكبريات اتخذوها أولياء . تكون التكبريات للنسج بيتاً وكلاهما باطل .

**المسألة الثالثة** كان هذا المسئل صحيح في الأول فهو صحيح في الآخر . فان بيت التكبريات إذا هت ربح لا يرى منه عين ولا أثر بل يصير حياء مشوراً . فكذلك أعمالهم فلا وإن كان تعالى . (وقدما إلى ما عملوا من عمل بخله هاء مشورا) .

**المسألة الرابعة** قال (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) ولم يقل آفة إشارة إلى إيصال الشرك الحق أيضاً . فان من عبد الله رياء لغيره فقد اتخذ ولياً غيره فله مثل التكبريات يتخذ نسجه بيتاً .

وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتُ لِبُتِّ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ  
مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتُ لِبُتِّ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .  
إشارة إلى ما بينا أن كل بيت قصب إما قائدا لا استقلال أو غير ذلك ، وبينه ينعصف من إغادة  
ذلك لأنه يجرب بأدنى شيء ولا يقوى منه عين ولا أثر ( فتكذلك عنهم لو كانوا يعلمون ) .  
ثم قال تعالى : ﴿ إِنْ أَنَّهُ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .  
قال الزمخشري : هذا زيادة توكيد على التثيل حيث إليهم لا يدعون من دونه من شيء ، بمعنى  
ما يدعون ليس بشيء ، وهو عزير حكيم . فكيف يجوز للعاقل أن يترك القادر الحكيم ويستغل  
بعبادة ما ليس بشيء ، أصلا ، وهذا يفهم منه أنه جعل مانعة ، وهو جميع ، والعلم يتعلق بالجنة كما  
يقول الفائز : إني أعلم أن الله واحد حق ، يعني أعلم هذه الجنة . وإن كنا نجعل ما خبرية فيكون  
معناه ما يدعون من شيء فأنه يعلمه وهو العزيز الحكيم قادر على إعدامه وإهلاكهم ، لكنه حكيم  
يهمهم ليكون الملاك من بينة والحياة عن بينة ، ومن هنا يكون الخطاب مع أمة محمد ﷺ وعلى  
هذا لو قال قائل ما روجه تعلق هذه الآية بالتثليل السابق ؟ فنقول لما قلنا إن منهم كمثل العنكبوت ،  
فكان للكافر أن يقول ما لا أعبد هذه الأوثان التي أعظمها وهي تحت تسخيرى ، وإنما هي عبادة  
كوكب أما تحت تسخيرى ومنه تخفى وضرى وتخيى وشرى ووجودى ودواى لله محمودى  
وإعطائى ، فقال الله تعالى الله يعلم أن كل ما يدعون من دونه الله هو مثل بيت العنكبوت لأن  
التركيب والملك وكل ما عسدا الله لا يرفع ولا ينصر إلا بإذن الله لعبادكم لعلنا نعبادكم كعبادكم  
الحاضر ولا معبود إلا الله ولا إله سواه .

ثم قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾ .  
قال الكافرون كيف يضرب مآلق الأرض والسموات الأمثال بالهوام والحشرات كالبعوض  
والذباب والعنكبوت ؟ فيقال الأمثال تضرب للناس إن لم تكونوا كالإفهام فيحصل لكم منه إدراك  
ما يوجب قهركم بما أنتم فيه وذلك لأن التشبيه يؤثر في النفس تأثيراً مثل تأثير الدليل ، فإذا قال  
الحكيم لمن يفتاب إنك بالفرية كأنك تأكل لحم بيت لانتك دقت في هذا الرجل وهو غائب  
لا يفهم ما نقول ولا يسمع حتى يجب كمن يضع في ميت يأكل منه وهو لا يعلم ما يفعله ولا يفهم  
هل دفعه إن كان بعله فينصر طبعه منه كما ينفر إذا قال له إنه يوجب الغياب ويورث الغياب .

وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالُونَ ﴿٦٦﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾

ثم قال تعالى : ﴿ وما يعقلها إلا العالون ﴾

بمعنى حقيقتها وأركان الأمر كذلك لا يعقله إلا من حصل له العلم بعلان ما سوى الله وفناء عباد ما عداه . وفيه معنى حكيم وهو أن العلم الحسنى بملكه الدافع والعلم القسري بالدين يعقله العالم . وذلك لأن المائل إذا عرّض عليه أمر ظاهر أدركه كما هو تكديه ليكون المدرك ظاهر أو كونه المدرك غائبا . ولا يحتاج إلى كونه علما بأشياء قبله . وأما الداعي فيحتاج إلى علم سابق فلا بد من عالم . ثم إن الله يكون دقة في غاية الدقة فيدركه ولا يدركه بتمامه ويعقله إذا كان علما . إذ اعلم هذا فقول ( وما يعقلها إلا العالون ) يعني هو ضرب فلان أمثالا وحقيقتها وما فيها من الله وانسابها فلا يدركها إلا العباد .

ثم إنه قال لما أمر الخلق بالإيمان وأمر الحق بالبرهان . ولم يأت الكفار بما أمرهم به ونص عليهم أمضا فيها عبر . وأخبرهم على كفرهم بإهلاك من غير . وبين ضعف دليلهم بالتخيل . ولم يهتدوا بذلك إلى سواه السبيل . وحصل بأس الناس عنهم على المؤمنين بقوله : ﴿ خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين ﴾ .

يعني إن لم يؤمنوا لا يورث كفرهم شكاً في صحة دينكم . ولا يؤثر شكهم في قوة بدينتكم . فان خلق الله السموات والأرض بالحق للمؤمنين وبين ظاهر . وبرهان باهر . وإن لم يؤمن به على وجه الأرض كافراً . وفي الآية مسألة يقين بها تفسير الآية . وهي أن الله تعالى كيف خص الآيات في خلق السموات والأرض بالمؤمنين مع أن في خلقها آية لكل عاقل كما قال الله تعالى ( وثمن سألهم من خلق السموات والأرض ثبوتهم الله ) وقال الله تعالى ( إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار إلى أن قال - آيات لهم يعقلون ) فقول حق السموات والأرض آية لكل عاقل وحقيقتها بالحق آية للمؤمنين لحسب . وبيان من حيث النقل والعقل . أما العقل فقوله تعالى ( ما خلقناهم إلا بالحق وإنك أنيت علم الكل بأنه خلقها حيث قال ( وثمن سألهم من خلق السموات والأرض ليعرف الله ) ) وأما العقل فهو أن الدافع أول ما ينظر إلى خلق السموات والأرض ويصلح أن لها خالقاً وهو الله ثم من يهديه الله لا يطلع النظر عنها عند مجرد ذلك . بل يقول إنه خلقها نفساً محكما وهو المراد بقوله بالحق . لأن ما لا يكون على وجه الإحكام يفسد ويطل فيكون طلاقاً . وإذا علم أنه خلقها حقاً يقول إنه قادر كامل حيث خلق وعالم عنه شامل حيث أختار

أَنْزَلَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَتَمَّ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ  
وَالْمُنْكَرِ

فيقول لا يدرى من علمه أجزاء الموصولات في الأرض ولا في السموات ولا يصعب عن بعضها كما سمع أجزاء الكائنات والمبدعات . ويحرم بحث من في القبور . يفتا الرسول . ويدل وحدانية الله لأنه لو كان أكثر من واحد لعدنا ولطنا . وما الحق . وجودان فيحصل له الإيمان بنهاه . ثم علل ما علله على أحسن نظامه . ثم إن الله تعالى لما سأل المؤمنين بهذه الآية على رسوله :  
بغيره تعالى ﴿ أنزل ما أوحى إليك من الكتاب وأتم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ .

يعنى إن كنت تأسف على كفرهم فانزل ما أوحى إليك انعلم أن حراماً ونهياً وغيرهما كانوا على ما أنت عليه بطرق الرسالة وإنشأوا في إقامة الدلالة ولم يتقوا قومهم من الضلالة والجهالة ولهذا قال ( أنزل ) وما قال عليهم . لأن التلاوة ما كانت بعد اليأس منهم إلا لفائدة قلب محمد عليه الصلاة والسلام وفي الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ أن الرسول إذا كان معه كتاب وقرأ كتابه مرة ولم يسمع لم يبق له فائدة في قرأته نفسه يقول الكتاب المنزل مع النبي المرسل ليس كذلك . فإن الكتاب المسيرة مع الرسل على قسمين قسم يكون فيه سلام وكلام . مع واحد يحصل بقرائه مرة تمام الحرام . وقسم يكون فيه قانون كل يحتاج إليه أربعة في جميع الاوقات كما إذا كتب الملك كتاباً فيه إنارضنا بحكم البعثة الغلانية وودعنا بيكم السنة الغلانية وبنا إليكم هذا الكتاب فيه جميع ذلك فليكن ذلك كقوال يفسح عليه وال بعد وال . فنزل هذا الكتاب لا يقرأ ويترك بل يعلق مر مكان عال . وكثيراً ما تكتب نسخته على لوح وبيت فوق الحاريب . ويكون نصب الإعين . فكذلك كتاب الله مع رسوله محمد قانون كل فيه شفاء للعالمين فوجب تلاوته مرة بعد مرة ليبلغ إلى حد الثروة ويبلغه قرن إلى قرن وبأخذه قوم من قوم وبشت في الصدور على مرور الدهور ( الوجه الثاني ) هو أن الكتب على ثلاثة أقسام كتاب لا تنكر قرأته إلا للغير كالقصص فإن من قرأ حكاية مرة لا يقرؤها مرة أخرى إلا لغيره . ثم إذا سمعه ذلك الغير لا يقرؤها إلا لآخر لم يسمعه ولو قرأه عليه لسموه . وكتاب لا يكرر عليه إلا لنفسه كالنمو والفقه وغيرهما وكتاب يقرأ مرة بعد مرة لنفسه وللغير كالوحيات الحسية فاتها تكرر للغير وكلما سمعها يزداد ويرى لها فيه ويستبدها وكلما تدخل السمع يخرج الهموساس مع الذمع وتكرر أيضاً لنفس المتكلم فإن كثيراً ما يزداد المتكلم بكلمة طيبة وكلما يسميها يكون أطيب وألا وأثبت في القلب وأغنى



حتى يكاد يبكي من رفته دماً ولم أؤثر له الكار على ، إذا علم هذا فافترق من التفسير انما أت مع أن فيه القصاص وانافقه وانجو فكان في الآية في كل زمان هادفة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ لم يصعب الأمر هذين الشئين تلاوة الكتاب وإقامة الصلاة ، يقولون ( أحدهما ) أن الله لما أراد تسمية قلب محمد عليه السلام قال له الرسول واسطع برزخين من الله إلى الحق ، فإذا لم يصل به طرفة الواحد ولم يقبلوه فأنفرت الآخر ، فمن أن الرسول إذا لم يقبل رسالته توجه نحو مرسله ، فاد ثلوث كتابك ولم يقبلوك فزعمه وبهك إلى وأقم الصلاة نوحى [ الوجه الثاني ] هو أن العادات المختصة بالبدن ثلاثة : وهي الاعتقاد الحقى وقسامة وهي الذكر الحسنى وعبدية خارجية وهي العمل الصالح ، لكن الاعتقاد لا يتكرر حتى من اعتقد شيئاً لا يمكنه أن يفتنه مرة أخرى من ذلك بدوم مستمراً والى عليه السلام كان ذلك حاصله له عن عيان أكل ما يحصل عن بيان ، فلم يؤثر به لعدم إمكان تكراره ، لكن الذكر يمكن التكرار ، والمادة البدنية كذلك ، فأمرهما فقال : اتل الكتاب وأقم الصلاة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ كيف تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر ؟ يقول قال بعض المفسرين المراد من الصلاة التوكل وهو ينهى أي به انتهى عينا وهو يدعى لأن زيادة التوكل من الصلاة في هذا الموضع الذي قال قبله ( اتل ما أوحى إليك ) بعيد من الهم ، وقال بعضهم أراد به نفس الصلاة وهي تنهى عبادا دام البدن في الصلاة . لأنه لا يمكنه الاشتغال بشئ منها ، يقول هذا كذلك لكن ليس المراد هذا وإنما لا يكون مدحاً كاملاً للصلاة . لأن تفرغاً من الاشتغال كثيراً ما يكون كذلك كالوم في وجهه وغيره ، يقول : المراد أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر مطلقاً وعلى هذا قال بعض المفسرين الصلاة هي التي تكون مع الحضور وهي تنهى . حتى غفل عنه صلى الله عليه وسلم من لم تنهى صلاته عن الخاص لم يزد بها إلا بدأ ، ونحن نقول الصلاة الصحيحة شرعا تنهى عن الأمور مطلقاً وهي التي أنى بها المكلف فله حتى لو قصد بها الراد لاتصع صلاته شرعا ويجب عليه الإعادة . وهذا ماظهر فإن من نوى برصوته الصلاة وأثره قيل لا يصح فكيف من نوى بصلاته الله وغيره إذا ثبت هذا فنقول الصلاة تنهى من وجوه ( الأول ) هو أن من كان يخدم ملكا عظيم الشأن كثير الإحسان ويكون عبده بمنزلة ، ويرى عبداً من عباده قد طرده مarda لا يتصور قبوله ، والله الخبير بحيث لا يرجى حصوله ، يسجل من ذلك المقرب عرفاً أن يترك خدمة الملك ويدخل في طاعة ذلك الطارده فكذلك العبد إذا صلى لله صار عبداً له ، وحصل له منزلة الأصل بنحى به ، فبدتجبل منه أن يترك عادة الله ويدخل تحت طاعة الله طعان المطرود . لكن من ترك الفحشاء والمنكر لمحمد طاعة الشيطان فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ( الثاني ) هو أن من يباشر الفاذورات كالزنا والشكاس يكون له إبليس خليف إذا لمعه لا يباشر معه الفاذورات وكلما كان نوعاً رفيع يكون له صاحبه وهو لا يباشره عن الفاذورات أكثر فاذل ليس واحد مهم نوب دباح

مذهب يستحيل منه مباشرة تلك الأشياء عرفاً . فكذلك المبدأ إذا صلى لبس لباس التقوى لأنه  
 ونف يدي الله وأضح عليه على شياؤه على هيئة من يقف برأى منك ذي هيئة . وللبس  
 التقوى غير لباس يكون قدس إلى قلب أعلى من سبب الدخول إلى الجسم ، بل لبس  
 هذا اللباس يستحيل منه مباشرة فانورات المعنوية والمسكر . ثم إن الصلوات متكررة واحدة  
 بعد واحدة فتدوم هذا اللبس فتدوم الامتناع ( الثالث ) من يكون أمير غصه يجلس حيث يريد  
 فإذا دخل في خدمة ملك وأعطاه منصباً له مقام خاص لا يجلس صاحب ذلك المنصب إلا في ذلك  
 الموضع ، ولو أراد أن يجلس في صف النعال لا يترك . فكذلك العبد إذا صلى دخل في طاعة الله  
 ولم يبق عنكم نفسه وصار له مقام معين ، إذ صار من أصحاب النبي . فلو أراد أن يقف في غير  
 موضعه وهو موقف أصحاب النعال لا يترك . كذلك مرتكب القتل والمسكر من أصحاب النعال  
 وهذا الموضع إشارة إلى عصمة الله يعني من صلى غصه الله عن القتل . والمسكر ( الرابع ) وهو  
 موافق لما وردت به الأخبار وهو أن من يكون عبداً عن الملك كالسرق والنادي والمانيش  
 لا يملك له فعل من الأعمال يأكل في دكان الخمر والرواس ويجلس مع أصحاب النعال ، فإذا  
 صارت له فرقة بصورة من الملك كما إذا صار واحداً من الخندارية والفراد والسوان عند الملك  
 لا تحببه تلك الفرقة من تبايع ما كان يقطعه ، فإذا رادت فرقة واحدة فتمت بذلك حتى صار أميراً  
 حينئذ تحببه هذه الفرقة عن الأكل في ذلك المكان والجفوس مع أولئك الخلال ، كذلك المبدأ إذا  
 صلى بعد صلاته فرقة ما يقول تعالى ( وأمر وأمر ) فإذا كان ذلك القدر من الفرقة يمنع من  
 القاصي والمبايع ، فيكرر الصلاة وسجود ثوبه مكانته ، حتى يرى على نفسه من آثار التكرامة  
 ما يستغفر منه من نفسه كصغار هلال عن الكبار ، وفي الآية ومع آخر مقول يؤكده لغيره  
 وهو أن المراد من قوله ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمسكر ) هو أنها تنهى عن التعطيل  
 والإشراك ، والتعطيل هو إنكار وجود الله . والإشراك إثبات ألوهية لغير الله . معقول الله تعالى  
 عقيدة الخشوع لأن العاجز هو القبيح الظاهر قبيح ، لكن وجود الله يظهر من الشمس وما من  
 شيء إلا وفيه آية على الله ، ظاهرة وإنكار الظاهر ظاهر الإنكار ، بالقول بأن لا إله سيج والإشراك  
 منكر ، وذلك لأن الله تعالى لما أطلق اسم المسكر على من نصب نفسه إلى غير الوانة مع حواش  
 أن يكون له ولد حيث قال ( إن أحبهم إلا اللائي ولدتهم ) وهم ليقولون مسكر أم القول (  
 فالمشرك الذي يقول لا إله إلا الله ) وينسب إلى من لم يلد ، ولا يهرز أن يكون له ولد . ولذا  
 كيف لا يكون قوله مسكراً ؟ فالعلة تنهى عن هذه القبيح ، وهذا المسكر وذلك لأن عند أول  
 ما يشرع في الصلاة يقول الله أكبر ، ويقول الله ينفي التعطيل ويقول الله أكبر ينفي التشريك لأن  
 الشريك لا يكون أكبر من الشريك الآخر هما فيه الإشراك ، فإذا قال بسم الله ينفي التعطيل ،  
 وإذا قال الرحمن الرحيم ينفي الإشراك ، لأن الرحمن من يعطي الوجود بالحق بالرحمة ، والرحمن من

## وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٥٥﴾

يعلم البقاء بالروح بالرحمة . فإذا قال الحمد لله رب العالمين . أشهد بقوله الحمد لله خلاف السطيل ويقول ( رب العالمين ) خلاف الإشراف . فإذا قال ( إياك نعبد ) نعوذ بك من أن نتطيل والإشراف وكذا بقوله ( وإياك نستعين ) فإذا قال ( أعوذ بك الصراط ) نفي التطويل لأن طالب الصراط له معصم والمطل لا مفسده . ويقول ( المستغفر ) نفي الإشراف لأن المستغفر هو الأقرب واشترك بعد الأصنام حتى بعد صورة صورها إليه العالمين . ويظنون أنهم يصنعون هم رعاية الله من غير واسطة أقرب . وعلى هذا إلى أسر الصلاه يقول بها أشهد أن لا إله إلا الله فبني الإشراف والتطويل . وهنا لطيفة وهي أن الصلاة أوها لفظه الله وأمرها لفظه الله في قوله ( أشهد أن لا إله إلا الله ) يعلم المصلي أنه من أول الصلاة إلى آخرها مع الله . فإن قال قائل فقد بني من الصلاة قوله ( أشهد أن محمداً رسول الله ) والصلاة على الرسول والتسليم . فنقول هذه الآية في آخرها دخلت لمخى خارج عن ذات الصلاة . وذلك لأن الصلاة ذكر الله لا غير . لكن العدد إذا وصل بالصلاة إلى الله وحصل مع الله لا يقع في غله أنه أسفل واشتد واستغنى عن الرسول . لكن تقرب من السلطان فينتو بذلك ولا يلتفت إلى الثواب والمحاب . فقال أنت في هذه الجزلة القريبة هداية محمد ﷺ وغير مستغنى عنه فضل مع ذكرى محمد رسول الله . ثم إذا علمت أن هذا كله يبركه هداية هاذ كراحيته بالصلاة عليه . ثم إذا رجعت من معراجك وانتهيت إلى إخوانك وسلم عليهم وبلغهم سلامي كما هو ترتيب المسافرين . وأعلم أن هيئة الصلاة هيئة فيها هيئة فإن أوطأ وقوف بين يدي الله كوقوف المملوك بين يدي السلطان . ثم إن آخرها جنو بين يدي الله كما يحنو بين يدي السلطان من أكرمه بالإجلال . كان العبد لها وقصداً على الله أكرمه الله وأحله جلتا . وفي هذا الجتر لطيفة وهي أن من جتا في الدنيا بين يدي ربه هذا الجتر لا يكون له شئ في الآخرة . ولا يكون من الذين قال الله في جهنم ( ولغو الظالمين بها جثيا ) .

ثم قال تعالى : • ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون •

لما ذكر أمرين وهما تلاوة الكتاب وإقامة الصلاة . وإنما ما يرجب أن يكون الإيمان بها على أبلغ وجوه التنظيم . فقال ( ولذكر الله أكبر ) وأشم إذا ذكرتم آياتكم بما فيها من الصفات الحسة نبدو لذلك وتذكروهم بل . أنو اعلم وقلوبكم . لكن ذكر الله أكبر . بمعنى أن يكون على أبلغ وسوء التنظيم . وأما الصلاة فكذلك لأن الله يعلم ما تصنعون . وهذا أحسن منكم فينبغي أن يكون على وجه التنظيم . وفي قوله ( ولذكر الله أكبر ) مع حذف بيان ما هو أكبر منه لطيفة وهي أن الله لم يقل أكبر من ذكر فلان لأن ما نسب إلى غيره الكثرة إلى نسبة . إذ لا يقال الجبل أكبر من خردلة . وإنما يقال هذا الجبل أكبر من ذلك الجبل فأسقط النسب كأنه قال ولذكر

وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالنِّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا  
ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ  
(١) وَكَذَلِكَ أُنزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ قَالِ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ  
وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٢)

الله له الكبر لا لغيره . وهذا كما يقال في الصلاة الله أكبر أى له الكبر لا لغيره .  
ثم قال تعالى : وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالنِّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا  
ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ، وكذلك أنزلنا إليك  
الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يمين به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون .  
ثم بين الله طريقة إرشاد المشركين ونفع من اتبعه وحصل اليأس من المستعربين طريقة إرشاد  
أهل الكتاب فقال ( وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالنِّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ ) قال بعض المفسرين المراد  
منه لا تجادلهم بالباطل ، وإن لم يؤمنوا إلا إذا ظلموا وجاروا ، أى إذا ظلموا ارتدأ على كفرهم ،  
وفيه معنى اللطف منه وهو أن المشرك يبا بالمشرك على ما يبداء فكان الاتفاق أن يجادل بالأحسن  
ويبالغ في نهج من مذهبه ونوع من شبهه ، ولهذا قال تعالى في حقهم ( هم بكم عدى ) وقال ( لم أعين  
لا يعصرون بها ولم آذان لا يسمعون بها ) إل غير ذلك . وأما أهل الكتاب فجاءوا بكل حجة  
إلا الاعتراف بالنبي عليه السلام فرحسوا وأسوأ يأنوا الكتاب ولرسائل الرسل والخبر ، فلهذا  
إحسانهم يجادلون أولاً بالأحسن ولا تستخف آراؤهم ولا يذهب إلى الضلال آباؤهم ، بخلاف  
المشرك ، ثم على هذا فقهه ( إلا الذين ظلموا ) تبين له حسن آخر ، وهو أن يكون المراد  
أشركوا منهم بإيات الله والقرآن بثالث ثلاثة . فاهم ضاموهم في القول المنكرهم الظالمون ،  
لأن الشرك ظلم عظيم ، فيجادلون بالأحسن من نهجهم مقابلهم وتبين جبايتهم ، ثم إنه تعالى بين  
ذلك الأحسن فقدم محاسنهم بقوله ( وقولوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ  
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ) فلو أن اتباع ما قاله لكنت بين رسالتى في كتبكم فهو دليل محض ، ثم بعد ذلك  
ذكر دليلاً قياسياً فقال ( وكذلك أنزلنا إليك الكتاب ) يعنى كما أنزلنا على من غطمك أنزلنا عليك  
ومذا قياس ، ثم قال ( فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ) ( توجد النص ومن هؤلاء ، كذلك ،  
واختلف المفسرون قال بعضهم : المراد بالذين آتيناهم الكتاب من آمن نبينا من أهل الكتاب  
كعبادته بن سلام وغيره وقوله ( ومن هؤلاء ) أى من أهل مكة وقال بعضهم : المراد بالذين

وَمَا كُنْتَ تَسْتَلُومُنَ قَبْلَهُ ، مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحُطُّ بِسَمِيكَ إِذْ لَا رَتَابَ الْمُطْلُونُ

بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يُجْعَدُ بِقَاتِنَا إِلَّا

الظَّالِمُونَ ﴿١٥﴾

أَيَّنَهُمُ الْكِتَابُ هُمُ الَّذِينَ سَفَرُوا عَمْدًا <sup>ط</sup> زَمَانًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ فِي زَمَانٍ  
مُحَدَّدٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَهَذَا أَقْرَبُ ، فَإِنْ قِيلَ ( هَؤُلَاءِ ) صَرَّحَ إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ أَوَّلًا ، لِأَنَّ  
الْكَلَامَ بِهِمْ وَلَا ذِكْرَ لِلشَّرْكِينَ هُنَا ، إِذْ كَانَ هَذَا الْكَلَامُ بَعْدَ الْقِرَاعِ مِنْ ذِكْرِهِمْ وَالْإِعْرَاضِ  
عَنْهُمْ لِإِعْرَاضِهِمْ عَلَى الشُّكْرِ ، وَهَذَا وَجْهٌ آخَرُ أَوَّلُ وَأَقْرَبُ إِلَى الْعَقْلِ وَالْفَلِ ، وَأَقْرَبُ إِلَى  
الْأَحْسَنِ مِنْ إِحْدَالِ الْمُرَادِ بِهِ ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ الْمُرَادُ بِالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ هُمُ الْإِنِّيَاءُ ، وَهُوَ  
( مِنْ هَؤُلَاءِ ) أَيْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَهُوَ أَقْرَبُ ، لِأَنَّ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ فِي الْحَقِيقَةِ هُمُ الْإِنِّيَاءُ ،  
وَمَا فَتَنَّا مَا آتَى الْكِتَابَ إِلَّا الْإِنِّيَاءَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ( أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ) وَقَالَ ( وَآتَيْنَا  
دَاوُدَ زَمْرًا ) ( وَآتَيْنَا الْكِتَابَ ) وَإِذَا هُنَا الْكَلَامُ عَلَى هَذَا لَا يَدْخُلُهُ التَّخْصِيسُ ، لِأَنَّ كُلَّ  
الْإِنِّيَاءِ آمَرٌ ، كَمَثَلِ الْإِنِّيَاءِ ، وَإِذَا قُلْنَا عَمَّا قَالُوا بِهِ يَكُونُ الْمُرَادُ مِنَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ عَبْدُ اللَّهِ  
أَبْنُ سَلَامٍ وَآخَرُونَ أَوْ ثَلَاثَةٌ مَعَهُ أَوْ عِدَّةٌ أَكْثَرُ ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِهُوَ ( مِنْ هَؤُلَاءِ ) غَيْرُ الْمَذْكُورِينَ ،  
وَعَلَى مَا ذَكَرْنَا يَكُونُ مَخْرَجُ الْكَلَامِ كَأَنَّهُ ضَمُّ الْقَوْمِ فَمِنْ أَسْمَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَتَكْمُلُ فِيهِمْ وَفَرَّغَ مِنْهُمْ  
وَشَأَى أَهْلَ الْكِتَابِ وَهُوَ يَدْفَعُ فِي بَيْنِ أَمْرِهِمْ ، وَالْوَقْتُ وَقْتُ جَرِّ بَيَانِ ذِكْرِهِمْ ، فَإِذَا قَالَ هَؤُلَاءِ  
يَحْتَكَوْنَ مَضْرُوعًا إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ هُمْ فِي وَصْفِهِمْ ، وَإِذَا قَالَ أُولَئِكَ يَكُونُ مَضْرُوعًا إِلَى  
الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ سَبَقَ ذِكْرُهُمْ وَتَحَقَّقَ أَمْرُهُمْ ، وَعَلَى هَذَا التَّعْصِيرِ يَصْكَوْنَ الْجِدَالُ عَلَى أَحْسَنِ  
الْوُجُوهِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْخِلَافَ فِي الْإِنِّيَاءِ وَالْآخَرِ قَرِيبٌ مِنَ الْخِلَافِ فِي فَضِيلَةِ الرُّؤْسَا ، وَالْمُتْرَكِ ،  
عَادَا الْخِلَافَ جَزَائِي فِي فَضِيلَةِ مُلْكِيَّةٍ أَوْ رَيْبِيَّةٍ ، وَأَدَّى الْإِخْتِلَافُ إِلَى الْإِفْتِقَالِ يَكُونُ أَقْرَبُ  
كَلَامٍ وَصْلَحَ بِهِمْ لِي قَالَ طَبْعُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مُتَوَافِقَانِ مُتَصَادِفَانِ ، فَلَا مَعْنَى لِمُزَاجَعَتِكُمْ فَكَذَلِكَ  
دَعَا قَالَهُ <sup>ط</sup> عَمَّا قَالُوا بِهِ أَمْرًا فِي فَلَا مَعْنَى لِمُتَصَبِّحِكُمْ وَكَذَلِكَ أَكْثَرُكُمْ وَعَلَاكُمْ  
أَمْرًا ، لَمْ يَلَمْ قَالَهُ تَعَالَى ( وَمَا يُجْعَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ) تَغْيِيرًا لَمْ يَحْمِلْ عَلَيْهِ ، يَمْنَى أَنْكُمْ أَشْتَمُ بَعْدَ  
مَنْ ، وَنَظَرْنَا عَنْ الْمُشْرِكِينَ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ ، إِلَّا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ الْوَاحِدَةَ ، وَإِنْكَارَهَا تُلْخِصُونَ بِهِمْ  
وَتَطْلُونَ مِنْهَا كَرَاهَةً ، فَإِنْ الْجَاهِدَ بَابُهُ يَكُونُ كَافِرًا .

قوله تعالى : وما كنت تنور من قبله من كتاب ولا تحطه بسبك إنما لا رتاب المطلون بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ﴿١٥﴾ .

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَئِنِّي أَنذَرْتُكُمْ

مُذِيبٌ

ثم قال تعالى ( وما كنت تنظر من قبله من كتاب ولا نغضة يمينك ) هذه درجة أخرى بعد ما تقدم على الترتيب ، وذلك لأن المجادل إذا ذكر مسألة محتضناً فيها كقول القائل : الزكاة تجب في مال الصنير ، فإذا قيل له لم ؟ فيقول كما تجب التنفقة في ماله ، ولا يذكر أولاً الجامع بينهما . فان وقع الطالب بمجرد التنبيه وأمدك من نفسه الجامع فذاك ، وإن لم يدرك أو لم يضع يده في الجامع ، فيقول كلاهما مال فضل عن الحاجة فيجب فكذلك هنا ذكر أولاً التمثيل بقوله ( وكذلك أنزلنا إليك ) ثم ذكر الجامع وهو المعجزة ، فقال ما علم كون تلك الكتب منزلة إلا بالمعجزة ، وهذا القرآن من لم يكتب ولم يقرأ عين المعجزة ، فيعرف كونه منزلاً ، وقوله تعالى ( إذن لا تهاب المبطون ) فيه معنى لطيف ، وهو أن النبي إذا كان قارئاً كتاباً ما كان يوجب كون هذا الكلام كلامه ، فان جميع كتبه الأرض وقرائنها لا يقدر أن عليه . انكر على ذلك التعظيم يكون للرجل وجه الارتباب ، وعلى ما هو عليه لا وجه لارتبابه فهو أدخل في الإبطال وهذا كقوله تعالى ( وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ) أي من مثل محمد عليه السلام وكقوله ( ألم تظن أنك تكتب لاريب فيه ) .

ثم قال تعالى ( بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ) قوله في صدور الذين أوتوا العلم إشارة إلى أنه ليس من مخترعات الآدميين ، لأن من يكون له كلام مخترع يقول هذا من ظني ومطاري ، وإذا حفظه من غيره يقول إنه في ظني وصدي ، فإذا قال ( في صدور الذين أوتوا العلم ) لا يكون من صدر أحد منهم ، والجاهل يستحيل منه ذلك فلا ظهور له من الصدور وبتحقيق عند هذه الأمة بالمشركون ، فظهوره من الله .

ثم قال تعالى ( وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ) قال هنا الظالمون ، ومن قبل قال الكافرون ، مع أن الكافر ظالم ولا تنافي بين الكافرين وفيه فائقة . وهي أنهم قبل بيان المعجزة قيل لهم إن لكم المراد بها بطلانها بانكروا بالكافرين ، فلفظ الكافر هناك كان طبعاً ينتمى من ذلك لاستكناهم عن التكفر ، ثم بعد بيان المعجزة قال لهم إن جحدتم هذه الآية لكم إنكار لإرسال الرسل فلتكفرون في أول الأمر بالمشركون حكماً ، وتكفرون عند هذه الآية بالمشركون حقيقة فتكفروا ظاهراً ، أي مشركين . كما بينا أن الشرك ظلم تطلم ، فهذا اللفظ هنا أبلغ وذلك اللفظ هناك أبلغ .

ثم قال تعالى : وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين ﴿

أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ قُلْ كُنْ مِنْ أُمَّةٍ يَدْعُونَ بِنَاءِ اللَّهِ وَيَتَّبِعُكَ شَيْدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٨٠﴾

لما فرغ من ذكر دليل من جانب النبي عليه السلام ذكر شبههم وهي بذكر الفرق بين الغيب عليه والغيب ، فقالوا إنك تقول إنه أنزل إليك كتاب كما أنزل إلى موسى وعيسى ، وليس كذلك لأن موسى أوفى نسخ آيات علم بها كرون الكتاب من عند الله وأنت ما أوفيت شيئا منها ، ثم إن الله تعالى أوشد نبيه إلى أحجية هذه الشبهة منها قوله ( إنا الآيات عند الله ) ووجهه أن النبي ﷺ ادعى الرسالة وليس من شرط الرسالة الآية المعجزة ، لأن الرسول رسل أولا ويدعو إلى الله ، ثم إن توهب الخلق في قوله أو طلبوا منه دليلا ، فانه إن رحمهم بين رساله وإن لم يرحمهم لا بين ، فقال أنا الساعة رسول وأما الآية فانه إن أراد ينزلها وإن لم يرد لا ينزلها . وهذا لأن ما هو من ضرورات النبي " إذا خلق الله الشيء لابد من أن يخلقها كالشئ من ضرورات الإنسان فلا يخلق الله إنسانا إلا ويكون قد خلق مكانا أو يخلق منه ، لكن الرسالة والمعجزة ليست كذلك فانه إذا خلق رسولا وجعله رسولا ليس من ضروراته أن تعلم له معجزة . ولهذا علم وجود رسل كمشيت وإدريس وشعيب ولم تعلم لهم معجزة فإن قبل علم رسالتهم ، تقول من ثبت رساله بلا معجزة فنبينا كذلك لا حاجة له إلى معجزة لأن رساله علمت بقول موسى وعيسى فنيين بطلان قولهم لم يزل عليه آية ؛ وهذا لا لهم طلبوا سبق الآية وليس شرطا حتى تسبقها ، بل إن كان لهم سؤال فطريقه أن يقولوا يا أيها المدعي عن لا تكذبك ولا تصدقك لكننا نريد أن يبين الله لنا آية تخلصنا من تعديك المنفي وتكذيب النبي . ونعم بها كونك نبيا وتؤمن بك . فبعد ذلك ما كان يريد من رحمة الله أن ينزل آية .

ثم قوله ( وإنما أنا مدبر بين ) معناه أن الآية عند الله ينزلها أو لا ينزلها لا تتعلق في ما أنا إلا خبر وليس لي عليه حكومتش . ثم إنه بعد بيان ساد شبهتهم من وجه بين سادها من وجه آخر . وقال سبحانه أن أنزل الآية شرط لكنه وجد وهو في نفس الكتاب .

قوله تعالى : ﴿ أولم يكفهم إنا أنزلنا عليك الكتاب ينلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لنعم يؤمنون . قل كنى بالله ينى ويتك شيدا يعلم ما فى السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ﴾

فقال تعالى ( ألم يكفهم إنا أنزلنا عليك الكتاب ينلى عليهم ) يعنى إن كان إرائ الآية شرطا

فلا يشترط إلا إزلال آية وقد أنزل وهو القرآن فإنه معجزة ظاهرة بآية وقوله ( أو لم يكفهم ) عبارة عن كونه القرآن آية فوق التكفاه ، وذلك لأن القائل إذا قال أما يحسن لي أن لا يصرب حتى يتوقع الإكرام بآية عن أن ترك الضرب في حقه كثير فكذلك قوله (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب ) وهذا لأن القرآن معجزة أهم من كل معجزة تقدمها لوجوده ( أحدها ) أن تلك المعجزات وجدت وما دامت فإن قلب المصائب وإيجاد الميت لم يبق لثامته أثر ، فلم يكن واحد يؤمن بكتب الله ويكذب بوجود هذه الأشياء لا يمكن إثباتها معه بدوفا الكتاب . وأما القرآن فهو باق لو أنكره واحد فنقول له مات آية من مثله (الثاني) هو أن قلب المصائب كان في مكان واحد ولم يره من لم يكن في ذلك المكان ، وأما القرآن فقد وصل إلى المشرق والغرب وصحبه كل أحد ، وهما لطيفة وهي أن آيات التي عليه السلام كانت أشياء لا تختص بمكان دون مكان لأن من جعلها انشقاق الثمر وهو يعم الأرض ، لأن الحسوف إذا رفع عم وذلك لأن نوبة كانت عامة لا تختص بقطر دون قطر وغاضت بحيرة ساوة في قطر وسقط أيوان كسرى في قطر وانهت الكنيسة بالروم في قطر آخر إعلاما بأنه يكون أمر عام ( الثالث ) هو أن غير هذه المعجزة الكافر المعاند يقول إنه حرم عمل بدوا . والقرآن لا يمكن هذا القول فيه .

ثم إنه تعالى قال ( إن في ذلك لرحمة ) إشارة إلى أننا جعلناه بمعجزة رحمة على المباد ليصلوا بها الصادق ، وهذا لأننا إذا أنزلنا المعجزة على يد الصادق رحمة من الله ، وكان له أن لا يظهر فيخلق في رحمة تكذيب الصادق أو تصديق الكاذب ، لأن النبي لا يميز عن النبي لولا المعجزة ، لكن الله له ذلك يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقوله ( وذكري ) إشارة إلى أنه معجزة بآية يتذكر بها كل من يكون ما بين الزمان .

ثم قال تعالى ( لئلم يؤمنن ) يعني هذه الرحمة مختصة بالمؤمنين لأن المعجزة كانت نخصاً على الكافرين لأنها خلعت أقدارهم وعطلت إنكارهم .

ثم قال تعالى ( قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً ) لما ظهرت رسالته وجرى دلاله ولم يؤمن به الملائكون من أهل الكتاب قال كما يقول الصادق إذا كذب وآتى كل ما يدل على صدقه ولم يصدق الله بعلم صدق وشكذبيك أيها المعاند وهو على ما أقول شهيد بيني وبينكم ، كل ذلك إظهار وتهديد بغيره تخريراً وتأكيداً ، ثم بين كونه كافياً بكونه علماً بجميع الأشياء . فقال ( يعلم ما في السموات والأرض ) وهما مسألة : وهي أن الله تعالى قال في آخر الرعد ( ويخول الذين كفروا الستم مرسلان قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ) فأمر شهادة أهل الكتاب ، وفي هذه السورة نفسها حيث قال ( فالذين آتيناكم الكتاب يؤمنون به ) ومن هؤلاء من يؤمن به أي من أهل الكتاب فنقول الكلام هناك مع المتشركين ، فاستدل عليهم بزيادة خبرهم ثم



إِنَّ شَهَادَةَ اللَّهِ أَقْوَى فِي أَلْسِنِهِمْ مِنْ شَهَادَةِ غَيْرِنَا . وَهَذَا الْكَلَامُ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ . وَشَهَادَةُ الْمَرْءِ عَلَى نَفْسِهِ هُوَ أَقْرَبُ وَهُوَ أَقْوَى الْحَاجِجِ عَلَيْهِ فَضْلُهُ مِنْ أَمْرِ أَرْبَعٍ عَلَيْهِمُ .

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى أَمَّا بَيْنَ الظَّالِمِينَ فِي إِثْرِ شَأْنِ الْفَرِيقَيْنِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الشُّكُوكِ عَنِ الْإِلَهِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، الْأَنْبِيَاءُ نَدَامَ فَقَالَ تَعَالَى (وَأَنْصِرْ أَمِيرًا لِلْإِسْلَامِ وَكَفَرُوا بِإِلَهِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) أَيْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مَا سِوَى اللَّهِ لَأَنَّ مَسْئُونَ اللَّهِ بِإِسْلَامِهِ لَكُمْ هَذَاكَ قَوْلُهُ (كُلُّ شَيْءٍ حَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) وَكُلُّ مَا هُوَ قَدْرُ بَاطِلٍ وَكُلُّ هَذَاكَ سَطْلٌ وَكَلِيمَا وَى اللَّهِ بَاطِلٌ فَمَنْ آسَى تَعَالَى اللَّهُ فَقَدْ آمَنَ بِالْبَاطِلِ . وَفِيهِمَا أَنْ :  
 ١- الْأَوَّلَى بِقَوْلِهِ (أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) يَخْصِي الْمَعْنَى أَيْ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِالْإِيمَانِ بِالْبَاطِلِ وَالْكَفَرُ بِإِلَهِهِ هُوَ حَاسِرٌ فَمَنْ يَأْتِ أَحَدُهُمَا دُونَ الْآخَرِ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَكُونَ حَاسِرًا مَعْنَى يَسْتَحِلُّ أَنْ يَكُونَ الْآخَرُ بِأَحَدِهِمَا لَا يَكُونَ آتِيًا بِالْآخَرِ . أَمَّا الْآخَرُ بِالْإِيمَانِ بِمَا سِوَى اللَّهِ فَلَا يَشْرِكُ اللَّهُ فِيهِ غَيْرَ اللَّهِ مِثْلَ غَيْرِهِ وَكَانَ يَحْسِبُهُ حَاسِرًا جَاهِلًا يَكُنْ بَاطِلٌ فَيَكُونُ اللَّهُ كَذَلِكَ فَيَكُونُ إِشْرَاقًا لِلَّهِ وَكَفَرًا بِهِ . وَأَمَّا مَنْ كَفَرَهُ وَأَشْرَكَهُ فَيَكُونُ قَائِلًا أَنَّ إِلَهًا سِوَى اللَّهِ إِلَهُ مَوْجِدٌ فَزُجِرَ تِلْكَ مِنْ عِندِهِ . فَيَكُونُ قَائِلًا بِأَنَّهُ لَعَلَّاهُ وَاجِبٌ وَالْوَاجِبُ إِلَهُ . فَيَكُونُ قَائِلًا بِأَنْ غَيْرَهُ إِلَهُ فَيَكُونُ إِنْشَاءً لِكُفْرِهِ اللَّهُ وَاجِبًا بِهِ .

❖ **المسألة الثانية** ❖ إِذَا كَانَ الْإِيمَانُ بِمَا سِوَى اللَّهِ كُفْرًا بِهِ . فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ آمَنَ بِالْبَاطِلِ قَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ . فَمِلْ هَذِهِ الصُّفَّةُ فَاتَّخِذْ غَيْرَ الدَّاعِيَةِ هُوَ فِي قَوْلِ "الْقَاتِلِ قَوْلًا لَا تَقْدَرُ وَفِيهِ وَفِي وَلَا تَجِدُ" قَوْلًا نَحْمُ فِيهِ فَاتَّخِذْ عِبْرَتَهَا . وَهُوَ أَلَمْ يَذْكُرِ الْإِيمَانَ بِإِلَهِ الْكُفَرِ الْقَاتِلِ يَقُولُ بِالْبَاطِلِ وَتَتَوَكَّلُ الْحَقُّ لِيَبَانَ أَنَّ قَوْلَ بَاطِلٍ فَسِيحٌ .

❖ **المسألة الثالثة** ❖ هَلْ يَثْبُورُ هَذَا أَهْلُ الْكِتَابِ أَيْ هَلْ هُمْ آتُونَ بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ ؟ يَقُولُ نَعَمْ . لِأَنَّهُمْ لَمْ يَصِحَّ عَنْهُمْ أَنْ يَمُوتُوا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَفَطَعُوا بِمَا وَاعَدُوا وَقَالُوا إِنَّمَا هُمْ عَنْدَ غَيْرِ اللَّهِ . يَكُونُ كَمَنْ رَأَى شَخْصًا بِرُءُوسِ حِجَابَةٍ ، هَذَا إِنْ رَأَى الْحِجَابَةَ لَمْ يَضَعُ بِأَنَّهُ قَاتِلٌ بِأَنَّ هَذَا الْفَخْصَ رَأَى حَقِّي لَوْ سَلَّ عَنْ عَيْنِ ذَلِكَ الشَّخْصِ وَفِيهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ يَقُولُ رَيْدٌ . وَكَذَلِكَ هُمُ لَمْ يَطْعُوا بِأَنَّ مَظْهَرَ الْمَجْرَةِ هُوَ اللَّهُ وَقَالُوا بِأَنَّ مُحَمَّدًا مَظْهَرُ هَذَا يُلْزِمُهُمْ أَنْ يَقُولُوا : عَمْدُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى فَيَكُونُ إِيْمَانًا بِالْبَاطِلِ . وَإِنَّمَا قَالُوا بِأَنَّ مِنْ أَخْصَرِ الْمَجْرَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَنَّهُمْ يَطْعُمُونَ مَظْهَرَ مَظْهَرِ الْمَجْرَةِ . يَكُونُونَ قَائِلِينَ بِأَنَّ ذَلِكَ مَخْصُوصٌ الَّذِي هُوَ اللَّهُ لَيْسَ بِاللَّهِ فَيَكُونُ كُفْرًا بِهِ . وَهَذَا لَا يَرِدُ عَلَيْنَا مِمَّنْ يَقُولُ : قَطْلُ اللَّهِ عَطْلُ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ عَطْلُ الْمَدِّ . فَاتَّخِذْ أَوْتًا بِسَبِّ قَوْلِ اللَّهِ إِلَى الْغَيْرِ . كَمَا أَنَّ الْمَجْرَةَ قَطْلُ اللَّهِ وَهُوَ : يَجْرُهَا إِلَى غَيْرِهِ لِأَنَّ هَذَا الْقَاتِلَ حَقْلِي الْفَاسِدُ . كَمَنْ رَأَى حِمَارَةً رَمِيَتْ وَلَمْ يَرِ عَيْنَ رَامِيهَا ، يَقُولُ أَنَّهُ رَامِيهَا رَيْدٌ فَيَقُولُ زَيْدٌ هُوَ رَامِي هَذِهِ الْحِمَارَةِ . ثُمَّ إِذَا رَأَى رَامِيهَا بَعَثَ وَبُكَوْنُ غَيْرِ زَيْدٍ لَا يَطْعُمُ وَأَنْ يَقُولَ هُوَ رَيْدٌ . وَأَمَّا إِذَا رَأَى عَيْنَهُ وَرَمِيَهُ لِلْحِمَارَةِ وَقَالَ رَامِي الْحِمَارَةِ زَيْدٌ ، يَضَعُ بِأَنَّهُ يَقُولُ هَذَا الرَّجُلُ زَيْدٌ مَظْهَرُ الْعَيْنِ مِنْ

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّخَسَاءُ لَهُمُ الْعَذَابُ وَلِيُنذِرْهُمْ يَوْمَ الْبَقْعَةِ  
وَهُمْ لَا يُبْشِرُونَ ﴿٥٧﴾

حيث (هم كانوا عاقلين بأن الله مظهر تلك المحزنة ، ويقولون بأنها من عند غير الله .  
ثم قوله (هم المستعجلون ) كذلك بأنهم وجوه الخسران ، وهذا الآن من خسر رأس المال ولا  
تركه ديون يطالب بها ديون من خسر رأس المال وتركه تلك الديون . فهم لما عبدوا غير الله  
أفرو الخسر ولم يحصل لهم في مقابلة شيء ما أصلا من المنافع ، واجتمع عليهم ديون ترك الواجبات  
يقالون بها حيث لا حاجة هم بها .

ثم قال تعالى : ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب ولما ينهم بفتنة وهم  
لا يبشرون ﴿٥٧﴾ .

لما أنذروهم الله بالخسران وهو أنهم وجوه الإضرار لأن من خسر لا يحصل له في مقابلة نصر  
الخسران شيء من المنافع وإلا لكان الخسران ذلك القدر بل دونه . مثله إذا خسر واحد من  
العشرة درهما لا يبقى أن يكون حصصه في مقابلة الدائم ما يساوى نصف درهم ، وإلا لا يكون  
الخسران درهما بل نصف درهم ، فذلك هم لما خسروا أموالهم لا يحصل لهم مقبلة تخفيف عذاب  
وإلا لا يكون ذلك القدر من المصلحة مقبلة فيكون للخسران عذاب أكبر ، فهو (ولو أنكم هم الخاسرون)  
تهيب عظيم فقالوا إننا كنا ضحايا عذاب لأننا به ، إظهاراً لقطعهم بديم العذاب . ثم إنه أجاب بأن  
العذاب لا يأتيكم بدون ذلك ولا يصبر باستعجالكم ، لأنه أجل الله لحكمة ورمة فلكونه حكما  
لا يكون متغيراً مثلاً ، ولكونه راجعاً لا يكون غرضاً منزهة ، ولولا ذلك الأجل المسمى الذي  
أفصت حكمته وأولضت دمه ما كان له راحة حكمته . فيكون نظراً متقبلاً فيأثر استعجالكم ويعبر  
من مؤانستكم فيجعل وليس كذلك فلا يأتيكم بالعذاب وأنتم تسألونه ولا يدفع عنكم العذاب حين  
تستبدون به منه . كما قال تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) .

ثم قال تعالى (ولما ينهم بفتنة) الخلف المفسرون فيه ، فقال بعضهم لما ينهم بالعذاب بفتنة لأن  
العذاب أقرب الله كورين ، ولأن يستعجلونهم كان العذاب ، فقال إنه لما ينهم ، وقال بعضهم لما ينهم  
بفتنة أي الأجل ، لأن الأجل بفتنة هو الأجل وإنما العذاب بعد الأجل يكون مائة ، وقد ذكرنا  
أن في كون العذاب أو الأجل آتياً بفتنة حكمه ، وهو أنه لو كان وقت معلوماً ، لكان كل أحد ينكل  
على يده وعنه بوقت فيفسد وضجر مستعداً على التوبة قبل الموت .

وقوله تعالى (وهم لا يبشرون) يعني وجهين (أحدهم) : تأكيد معنى قوله بفتنة كما يقول  
القائل أنه على غفلة منه بحيث لا يدركه معنى القلة (والثاني) هو كلام

يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَفْتَنُهمُ  
الْعَذَابُ مِنْ قُرُونِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٢﴾

بعد قاعدة مستقلة ، وهي أن العذاب بأليم ذنوبهم ولا يشعرون هذا الأمر ، ويظنون أن العذاب لا يأتيهم أصلاً .

ثم قال تعالى : ﴿ ويستعجلونك العذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ ذكر هذا للتنبيه . وهذا لأن من توعد بأمر به ضرر كبير كالموت أو الكفة فيرى من نفسه الجلاء ويقول باسم الله مات ، وأما من توعد بإحراق أو إخراج ويقطع بأن الذوق عذابي لا يختلف ، فيستعجل العاقب أن يقول له مات ما توعدني به ، فقال هذا ( يستعجلونك بالعذاب ) والعذاب ينزل جهنم المحيطة بهم ، هؤلاء ( ويستعجلونك ) أولاً إخراج عنهم ، وثانياً تعذيبهم ، ثم ذكر كيفية إعاقته جهنم ، فقال تعالى :

﴿ يوم يفتنهم العذاب من قرونهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾  
ومع أسنان :

( الأولى ) لم يخص المحابين بالذكر ولم يذكر الكافرين والتجاهل وخلفه وقدام ؟ فنقول لأن المقصود ذكر ما يتميز به نار جهنم عن نار الدنيا ونار الدنيا تحيط بالجوانب الأربع ، فإن من دخلها تكون الشبهة خلفه وقدامه وبينه ويساره وأمامه الخ من فوق فلا تنزل وإنما تصعد من أسفل في المادة العاجلة ونحت الإقدام لا تبقى الشبهة التي تحت القدم ، ونار جهنم تنزل من فوق ولا تنطلق باليد من موضع القدم .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال ( من قرونهم ومن تحت أرجلهم ) ولم يقل من فوق رؤوسهم ، ولا قال من قرونهم ومن تحتهم . بل ذكر العذاب إليه عدد ذكر نحت ولم يذكره عند ذكر فوق ، فنقول لأن نزول النار من فوق سواء كان من تحت الأرض وسواء كان من موضع آخر عجيب ، فلهذا لم يخصه بالأرض ، وإنما قال النار نحت . فهدم حسب عجيب ، وإلا فمن جوارب القدم في الدنيا يكون شغل ومن نحت عدد كره لعجيب وهو مات تحت الأرض حيث لم ينطق بالمحوس وما فرق على الإطلاق .

ثم قال تعالى ( ويقول ذوقوا ما كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ) فأي عذاب أجسامهم بين عذاب أرواحهم وهو أن يقال لهم على جميل التشكيل والإعانة ذوقوا عذاب ما كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ، وجعل ذلك بين ما كانوا يعملون للمبالغة بطريق إطلاق اسم المسبب على السبب ، فإن عملهم كان سبباً لجعل الله إياه صيباً لعذابهم ، وهذا كثير الظاهر في الاستعمال .

## يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعِبِدُونِ ﴿٥٥﴾

ثم قال تعالى : ﴿ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فأبدي فاعبدون ﴾ .

وجه التعلق هو أن الله تعالى لما ذكر حال المشركين على حدة وسأل أهل الكتاب على حدة وجميعهم في الإنذار وجعلهما من أهل النار اشتد عذابهم وزاد فسادهم وسعوا في إيذاء المؤمنين ومنعهم من العبادة فقال عاجلاً للمؤمنين ( يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فاعبدون ) إن تقدرت العبادة عليكم في بعض أحوالكم فلا تتركوا عبادتي بذلك ، وبهذا علم أن الجحش في دار الحرب حرام والخروج منها واجب ، حتى لو حلف بالطلاق أنه لا يخرج لزمه الخروج ، وإدراج حق يقع المطلاق ثم في الآية مسائل :

( إحداهما ) ( يا عبادي ) لم يرد إلا المخاطبة مع المؤمنين مع أن الكافر داخل في قوله ( يا عبادي ) قول ليس داخل في قوله ( يا عبادي ) نقول ليس داخل فيه لوجوه : ( أحدها ) أن من قال في حقه ( عبادي ) ليس للشيطان عليهم سلطان بدليل قوله تعالى ( إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ) والكافر تحت سلطة الشيطان فلا يكون داخل في قوله ( يا عبادي ) ( الثاني ) هو أن مخاطبة عبادي أشرف منازل المكلف ، وذلك لأن الله تعالى لما خلق آدم أسماً عظيماً وهو اسم الخلافة كما قال تعالى ( إن جعل في الأرض خليفة ) والخليفة أعظم الناس مقدراً وأهم ذوى تأثير اقتداراً ثم إن إبليس لم يرب من هذا الاسم ولم ينهزم ، بل أقدم عليه بسببه وعاداه وغبه كما قال تعالى ( فأزلهما الشيطان ) ثم إن من أولاده الصالحين من سمى بعبادي فأنس عنهم الشيطان وتضاد ، كما قال تعالى ( إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ) وقال هو بلسانه ( لأعويهم أجمعين إلا عبادك ) فلم أن المكلف إذا كان عبداً لله يكون أعلى درجة منا إذا كان خليفة لوجه الأرض ولعل آدم كعاد الذي قال الله تعالى في حقه ( إنا جعلناك خليفة في الأرض ) لم يتخلص من يد الشيطان إلا وقت ما قال الله تعالى في حقه عبدي وعندما ناداه بقوله ( ربنا خلقتنا نحن ) واجتباء بهذا النداء ، كما قال حق داود ( ولذكر عبداً داود ذا الأيد ) إذا علم هذا فالكافر لا يصلح للخلافة فكيف يصلح لما هو أعظم من الخلافة ؟ فلا يدخل في قوله ( يا عبادي ) إلا المؤمن ( الثالث ) هو أن هذا مخاطبة حصل للمؤمن بسببه بتوفيق الله ، وذلك لأن الله تعالى ( قال ادعوني أستجب لكم ) فالمؤمن دعا ربه بقوله ( ربنا إنا سمعنا منك يا ربنا أن آمنوا بربك فآتانا ) فاجاب الله تعالى بقوله ( يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطروا من رحمة الله ) فالإسراف بين الله وبين العبد بقول العبد إلهي وقول الله عبدي ، فكذلك بدعاء العبد ، لكن الكافر لم يدع فلم يجب ، فلا يتناول يا عبادي غير المؤمنين .

﴿ المسألة الثانية ﴾ إذا كان عبادي لا يتناول إلا المؤمنين فما القائمة في قوله ( الذين آمنوا )

## كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾

مع أن الوصف إنما يذكر تمييزاً لوصف ، كما يقال يا أيها المكلفون المؤمنون ، يا أيها الرجال المغفلون ، تمييزاً عن الكافرين والجاهل . فتقول الوصف يذكر لا تمييز بل مجرد بيان أن فيه الوصف كما يقال الأبيد المكرمون والملائكة المطهرون ، مع أن كل شيء مكرم وكل ملك مطهر ، وإنما يقال ليان أن مهم الإكرام والطهارة ، ومثل هذا قوله أنه العظيم وزيد الضويل ، فهذا ذكر ليان أهم مؤمنون .

المسألة الثالثة (إذ قال (باعتدادي) فهم يكونون عابدين فما القادة في الأمر بالمعادة بقوله فاعبدون ؟ فتقول فيه قائدتان (إحداهما) المدارعة أي يامن عبادتوني في الماضي اعبدوني في المستقبل (الثانية) الإخلاص أي يامن تعبدني أخلص العمل لي ولا تسد غيري .

المسألة الرابعة (في الفاء) قوله (فإياي) يدل على أنه جوب لشرط فاذلك فيقول قوله (إياي) وادعى (إشارة إلى عدم المنافع من عبادته فكأنه قال إذا كان لا مانع من عبادتي فاعبدوني ، وأما الفاء في قوله تعالى (فإياي فاعبدون) فهو ترتيب المنعنى على المنعنى كما يقال هذا عالم فأكرمه فكذلك ما لم أعلم نفسه بقوله (فإياي) وهو نفسه يستحق العبادة قال فاعبدون . المسألة الخامسة (في قال العبد مثل هذا في قوله (إياك تعبد) وقال غيره (وإياك تستعين) والله تعالى والله في قوله (فإياي فاعبدون) ولم يذكر الإغاة بقول بل هي مذكورة في قوله (باعتدادي) لأن المذكور مبادئ لما كان الشيطان مسدود السبل عليه مسدود السبل عنه كونه في غاية الإغاة .

المسألة السادسة (في قدم أنه الإغاة وأمر العبد الاستعانة) فلما لأن العبد فعله لغرض وكل فعل لغرض ، فإن الغرض سابق على الفعل في الإدراك ، وذلك لأن من بني شيئاً تمكني يدخل في ذهنه أولاً فائدة السكنى يجعله على البناء ، لكن الغرض في الوجود لا يكون إلا بعد فعل الوسطة ، فتقول الاستعانة من العبد لغرض العبادة فهي سابقة في إدراكه ، وأما أنه تعالى فليس فله لغرض فرائي ترتيب الوجود ، فإن الإغاة قبل العبادة .

ثم قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ .

لما أمر الله تعالى المؤمنين بالمجاهدة سبب عليهم ترك الأوطان ومفارقة الإخوان ، فقال لهم إذ ما تكرر من لابد من وقوعه (فإن كل نفس ذائقة الموت) والموت مفروق لأجواب فالأولى أن يكون ذلك في سبيل الله فيجوز لكم عليه ، فإن إلى الله مرجعكم ، وفيه وجه أرق وأدنى ، وهو أن الله تعالى قال كل نفس إذا كانت غير متعلقة بغيرها فهي للموت ، ثم إلى الله ترجع فلا تموت كما قال تعالى (لا يضرعون بها الموت) إذا لم يت هذا فمن يريد ألا ينفق الموت لا يبق مع نفسه فإن

وَأَسْأَلُوا عَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لِنُبَيِّنَهُمْ مِنْ أَحْسَنِ غُرَفٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا أَعْمَلْتُمْ

العس ذاتقة بن يتعلق بغيره وذلك الغير إن كان غير الله فهو ذاتق الموت ومورد الهلاك بقوله  
(كل نفس ذائقة الموت ، وكل شيء هالك إلا وجهه) فإذا التعلق بالله برجع من الموت فقال تعالى  
(يا أيها المدبرون) أي تطفأوا في ، ولا تنبجوا النفس فإنها ذائقة الموت (ثم أينا ترجعون) أي  
إذا تطفأ في الموت رجوع إلى وليس بموت كما قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله  
أمرأاً بل أحياء) وقال عليه السلام : المؤمنون لا يموتون بل ينتقلون من دار إلى دار ، فعلى هذا  
الوجه أيضاً يبين وجه التعلق .

وقال تعالى : **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** لنبيوتهم من الجنة غرفة تجري من تحتها الأنهار  
خالدين فيها نعم أجر العاملين .

بين ما يكون للمؤمنين وقت الرجوع إليه كما بين من قبل ما يكون للكافرين بقوله (وإن  
جهنم خبيطة للكافرين) بين أن المؤمنين الجنان في مقابلة ما أن الكافرين البرهان ، وبين  
أن فيها غرفة تجري من تحتها الأنهار في مقابلة ما بين أن تحت الكافرين أنهار ، وبين أن ذلك  
أجر عملهم بقوله تعالى (نعم أجر العاملين) في مقابلة ما بين أن ما تقدم جزاء عمل الكفار بقوله  
(ذوقوا ما كنتم تعملون) ثم في الآيتين اختلافات فيها لطائف منها أنه تعالى ذكر في العذاب  
أن فوقهم عذاباً أي ناراً ، ولم يذكر هنا فوقهم شيئاً ، وإنما ذكر ما فوق من غير إضافة وهو  
العرف ، وذلك لأن المذكور في الموضعين العقاب والشراب الجسديان ، لكن الكفر في البرزخ  
الأسفل من النار ، فيكون فوقه طبقات من النار ، فأما المؤمنون فيكونون في أعلى عليين ، فلم يذكر  
فوقهم شيئاً إشارة إلى علو مرتبتهم وارتفاع منزلتهم .

وأما قوله تعالى (فهم غرف من فوقها غرف) لا ينافي لأن الغرف فوق الغرف لا فوقهم  
والنار فوق النار وهي فوقهم . ومنها أن هناك ذكر من تحت أرجلهم النار ، وهما ذكر من تحت  
غرفهم النار ، وذلك لأن النار لا تزل إذا كانت تحت مطلقاً ما لم تكن في مسامحة الأقدام ومنصة  
بها . أما إذا كان السطح مائله عن سمت القدم وإن كانت تحتها ، أو تكون مسامحة ولكن تكون غير  
ملاصقة بل تكون أسفل في هذه لا تزل . وأما النار إذا كان تحت النقرة في أي وجه كان وعلى  
أي بعد كان يكون مشدأ به ، فقال في النار من تحت أرجلهم ليحصل الألم بها ، وقال ههنا من تحت  
الغرف لحصول القدة به كيف كان ، ومنها أن هناك قال ذوقوا لإيلاهم فلوهم بلفظ الأمر وقال ههنا  
(فهم أجر العاملين) ليعرج فوقهم لا بصيغة الأمر وذلك لأن لفظ الأمر يدل على الخطأ اتعق

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَكَانَ مِن دُونِهِ لَا تُعْجِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا  
وَيَاكُمُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٨﴾

بعد ، فان من قال لا يجيره عند امرتك بفهم منه أن يذوق ينقطع لملاقه عنه ، وأما إذا قال ما أتم  
أمرتك عندى أو نعم مالك من الأمر بفهم منه أن ذلك عنده ولم يقل هنا غفروا أمرتكم أيها  
العاملون وقال هناك ( ذوقوا ما كنتم تعملون ) فان قال قائل ذوقوا إذا كان بفهم منه الانقطاع  
فغضب الكافر ينقطع ، قلنا ليس كذلك لأن الله إذا قال ذوقوا دل على أنه أعظم بهائم وانقطع  
ما بينه وبينهم لكن معنى عليهم ذلك دائماً ولا ينقص ولا يزداد ، وأما المؤمن إذا أعطاه شيئاً فلا  
يتزك مع ما أعطاه بل يزيد له كل يوم في النعم وإليه الاخلاد بقوله ( الذين أحسنوا الحسن  
وربنا ) أي الذى يعمل إلى الكافر بدوم من غير زيادة والنبي يصل إلى المؤمن يزداد على الندوام ،  
وأما الخلود وإن لم يذكره في حق الكافر لكن ذلك معلوم عنهم منصوص .

ثم قال تعالى ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

ذكر أمرين الصبر والتوكل لأن الزمان ماض وحاضر ومستقبل لكن الماضي لا تدارك  
له ولا يؤمر البديهي بتي ، أي الحاضر واللاق به الصبر والمستقبل واللاق به التوكل . فيصبر  
على ما يصيبه من الأدنى في الحال ، ويتوكل فيما يحتاج إليه في الاستقبال .

واعلم أن الصبر والتوكل صفتان لا يحصلان إلا مع العلم بالله ، والعلم بما سوى الله ، فمن علم  
ما سواه علم أنه راض فهو راض عليه تصبر إذا الصبر على الزمان حين ، وإذا علم الله علم أنه ياتى بأنيه  
بأرزاقه فان فاته شيء فانه يتوكل على سى ياتى ، وذكر الصبر والتوكل هنا مناسب ، فان قوله  
( يا عبادى ) كان ليبيان أنه لا مانع من العباداة ، ومن يؤذى في بقعة فليخرج منها ، ففصل الناس على  
فسيح قادر على المرح وهو متوكل على ربه ، يتوكل الأوصاف ويفارق الإخوان ، وما جاز وهو  
صابر على تحمل الأدنى وهو طالب على عبادة الله تعالى .

ثم قال تعالى ﴿ وَكَانَ مِن دُونِهِ لَا تُعْجِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾  
لما ذكر الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ذكر ما يصيب على التوكل وهو بيان حال أنوار  
التي لا تدخر شيئاً عند ربها كلها كل يوم يرزق دغد . وفي الآية مسائل .

﴿ المسألة الأولى ﴾ في كآين لغات أربع ( إلا ) غير هذه ( أو ) كآين على وزن راع وكآين على  
وزن ربيع وكى على دغ ولم يقرأ إلا كآين وكان قراءة ابن كثير .

﴿ المسألة الثانية ﴾ كآين كلمة مركبة من كاف انشبه وأى التي تستعمل امتثالاً من وصار كآين  
وجعل المركب بمعنى كرم ، ولم تكتب إلا بالنون ليفصل بين المركب وغير المركب ، لأن كآى

يستعمل غير مركبه كما يقول لقائل رأيت رجلاً لا كأى رجل يكون . فقد حذف المضاف إليه وبقي رأيت رجلاً لا كأى رجل . وحيث لا يكون كأى مركباً . فإذا كان كأى هنا مركباً كانت بالتون تمييز كما تكتب مود يكرت وبذلك موصولاً للفرق . وكما تكتب ثمة بالهاء تمييزاً بين ثمت .

**المسألة الثالثة** : كآى بمعنى كم لم تستعمل مع من إلا نادراً وكم يستعمل كثيراً من غير من . يقال كم رجلاً وكم من رجل . وذلك لما يتنا من الفرق بين كآى بمعنى كم وكأى انتهى ليست مركبة . وذلك لأن كآى إذا لم تكن مركبة لا يجوز إدخال من بعدها إذ لا يقال رأيت رجلاً لا كأى من رجل . والمركبة بمعنى كم يجوز ذلك فيها فالزم للفرق . قوله تعالى (لا تحمل رزقها) قيل لا تحمل لضعفها وقيل هي كالفضل والبرقوت والدود وغيرها وقيل لا تدخر (الله يرزقها وإياكم) بطريق التقياس أى لا شك فى أن رزقها ليس إلا بالله فكذلك رزقكم خلوكم . فان قال قائل من قال بأن الله يرزق النواحي بل النبات في تصوره . مسجود الحيوان يسمى إليه ويرعى . فنقول الدليل عليه من ثلاثة أوجه نظراً إلى الرزق وإلى المرزوق وإلى مجموع الرزق والمرزوق . أما بالنظر إلى المرزوق فلا ينافيه تعالى لو لم يحلق النبات بكر للحيوان رزق . وأما بالنظر إلى المرزوق فلا ينافيه الاعتناء ليس بمجرد الابتلاع بل لابد من تشبه بالأعضاء حتى يصير المشبه معشراً وطناً ونحماً . وما ذلك إلا بحكمة الله تعالى حيث خلق به يخالطه وحاسكه وحاسية ودافعة وغيرها من القوى وبعض قدرة الله ورأفته فهو الذى يرزقها . وأما بالنظر إلى المرزوق والرزق . فلا ينافيه لو لم يمد الحيوان إلى الغذاء يفرغه من أشم ما كان يحصل له اعتناء . ألا ترى أن من الحيوان ما لا يعرف نوعاً من أنواع الغذاء حتى يروجع فيه بالثقة ليندق فبأكله بعد ذلك . فان كثيراً ما يكون الجبر لا يعرف الخير ولا الشبه حتى يلغم مرتين أو ثلاثة فيمرغه فبأكله بعد ذلك . فان قال قائل كيف يصح قياس الانسان على الحيوان فيما يوجب التوكل والحيوان رزقه لا يتعسر إليه إذا أكل منه اليوم شيئاً وترك بقية يبتاعها غداً . فليد أنه أحد يدأ . والانسان إن لم يأخذ اليوم لا يبقى له غداً شيئاً . وأيضاً حاجات الانسان كثيرة فانه يحتاج إلى أجناس اللباس وأنواع الأطعمة ولا كذلك للحيوان وأيضاً قوت الحيوان مهياً وقوت الانسان يحتاج إلى كلفة كالزرع والحصاد والتمشيد والخير فلو لم يجمعه قبل الحاجة ما كان يجد وقت الحاجة . فنقول نحن لا نقول بأن الجمع يمدح فى التوكل . بل قد يكون الزرع الحاصد متوكلاً والراعى الساجد غير متوكل . لأن من يزرع يكون اعتماده على الله واعتقاده فى الله أنه إن كان يريد يزرع من غير زرع . وإن كان يريد لا يزرع من ذلك الزرع فيعمل وقته مع الله هو متوكل حتى التوكل . ومن يسلط عليه مع ما قد يريد وعمره هو غير متوكل . وأما قوله حاجات الانسان كثيرة . فنقول مكاسبه كثيرة أيضاً . فانه يكتب يديه كالحيات والنساج . ويرجل كالساعى وغيره . وبيته كان طويلاً . ولسانه كالخادى والمنادى . وفهمه كالهندس والناظر .



لَهُنَّ سَالْتَهُمْ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْقَمَرِ لِيُقَرَّرْنَ اللَّهُ

فَأَيُّ يُؤْفَكُونَ ﴿٩٠﴾

وبطله كالطبيب والفقيه ، وبقرة جسمه كالذئب والحال ، والحيوان لا مكاسب له ، فالزحف الذي يحتاج إليه الإنسان غداً أو بعد غد ، بعيد أن لا يرزقه الله مع هذه المكاسب ، فهو أولى بالكوكل ، وأيضاً الله تعالى خلق الإنسان بحيث يأتيه الرزق وأجابه ، فان الله ملك الإنسان عمار الدنيا وجعلها بيت تدخل في ملكه شاء أم أبى ، حتى أن نتاج الإتمام ونثار الأشجار تدخل في الملك وإن لم يرده مالكه سم والضر ، وإذا مات قرن ينتقل ذلك إلى قرن آخر تهرأ شاكراً أم أبوا ، وليس كذلك حاله الحيوان أصلاً ، فان الحيوان إن لم يأتي الرزق لا يأتيه رزقه ، فاذن الإنسان لو توكل كان أقرب إلى العقل من توكل الحيوان ، ثم قال ( وهو المسيح انعام ) مبيع إذا علمتم الرزق ، يسمع ويحجب ، علم إن سكتكم ، لا تخفى عليه حاجتكم ومقدار حاجتكم .

ثم قال تعالى : ﴿ **وَاتَيْنَ سَالْتَهُمْ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْقَمَرِ لِيُقَرَّرْنَ** ٩٠ فَأَيُّ يُؤْفَكُونَ ﴿٩١﴾ .

تقول لما بين الله الأمر للشرك عاطفاً معه ولم يتفجع به وأعرض عنه وعاطب المؤمن بقوله ( يا عبادي الذين آمنوا ) وأتم الكلام معه ذكر معه ما يكون إرشاداً للشرك بحيث يسمعه وهذا طريق في غاية الحسن ، فان السبب إذا كان له عبادة ، أو الزوال إذا كان له واحد واحد وشيد والآخر مفيد ، يصبح أولاً المقصد ، فان لم يسمع يقول مرصفاً عنه ، ملتفتاً إلى الرشيد ، إن هذا لا يستحق الخطاب فاصبر أنت ولا تكن مثل هذا المقصد ، فيتضمن هذا الكلام نصيحة المصلح وروح المقصد ، فان قوله هذا لا يستحق الخطاب بوجوب نكايه في قلبه ، ثم إذا ذكر مع المصلح في أثناء الكلام والمقصد يسمعه ، إن هذا أخاك العجب منه أنه يعلم قبح فعله ويعرف الفساد من الصلاح وسبيل الرشاد والصلاح ويشغل بغيره ، يكون هذا الكلام أيضاً داعياً له إلى سبيل الرشاد مانعاً له من ذلك الفساد ، وهكذا الله تعالى قال مع المؤمن العجب منهم أنهم إن سألهم من خلق السموات والأرض ليقول الله ثم لا يؤمنون ، وفي الآية لطائف ( إحداهما ) ذكر في السموات والأرض الخلق وفي الشمس والقمر التسخير ، وذلك لأن بحر خلق الشمس والقمر ليس حكمة ، فان الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تكون في موضع واحد لا تتحرك ما حصل الليل والنهار ولا الصيف والشتاء ، فإنا الحكمة في تحريكها وتسخيرها ( الثانية ) في لفظ التسخير ، وذلك لأن التحريك يدل على مجرد الحركة وليس مجرد الحركة كافياً ، لأن لو كانت تتحرك مثل حركتنا لما كانت تقطع الفلك بألف من السنين ، فالحكمة في تسخيرها غير كرمها في قدر ما يتنفس الإنسان

اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾

الآفة من الفراسخ ، ثم لم يحمل لها حركة واحدة بل حركات ، هذا ما حركتها من المشرق إلى المغرب في كل يوم و ليلة مرة ، والآخرى حركتها من المغرب إلى المشرق ، والدليل عليها أن الهلال يرى في جانب اقرب على بعد مخصوص من الشمس ، ثم يبعد عنه إلى جانب المشرق حتى يرى القمر نصف الشهر في مقابلة الشمس ، والشمس على أفق المغرب ، والقمر على أفق المشرق ، وحركة أخرى حركة الأرواح وحركة انثال والتعوير في القمر ، ولولا الحركة التي من المغرب إلى المشرق لما حصلت الفصول ، ثم اعلم أن اصحاب الحق قالوا للشمس في الفلك مركزية والفلك يدورها بدورانه وأنكره الفسوف الظاهريون ، ونحن نقول لا بعد في ذلك إن تم قولوا بالطبيعة . فإن الله تعالى فاعل مختار إن أراد أن يحركها في الفلك والفلك ساكن يجوز ، وإن أراد أن يحركها في حركة الفلك وما ساكنها يجوز ولم يرد فيه نص قاطع أو ظاهر ، وسنذكر تمام البحث في قوله تعالى ( وكل في فلك يسبحون ) ( الثالثة ) ذكر أمر من أحدهما خلق السموات والأرض والآخر تسخير الشمس والقمر ، لأن الإيجاد قد يكون للذوات وقد يكون للصفات ، فخلق السموات والأرض إشارة إلى إيجاد الذوات ، وتسخير الشمس والقمر إشارة إلى إيجاد الصفات وهي الحركة وغيرها ، فكان ذكر من القبلين مثالين ، ثم قال تعالى ( فأي يؤفكون ) يعني هم يعتقدون هذا فكيف يصرفون من عبادة الله ، مع أن من علت عظمته وجبت خدمته ، ولا عظمة فوق عظمة خالق السموات والأرض ، ولا حجارة فوق حجارة الخلق ، لأن الخلق دون الحيوان ، والحيوان دون الإنسان ، والإنسان دون سكان السموات فكيف يتركون عبادة أعظم الموجودات ويشغلون بعبادات أخس الموجودات .

ثم قال تعالى : ﴿ الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر له ﴾ إن الله بكل شيء عليم ﴿ قوله تعالى ( الله يسط الرزق لمن يشاء من عباده ) لما بين الخلق ذكر الرزق لأن كمال الخلق ببقائه وقاد الإنسان بالرزق ، فقال المفسرون إما أن يعبد لاستحقاقه العبادة ، وهذه الأصنام ليست كذلك والله مستغنى ، وإما لكونه على الشأن والله هو خلق السموات على الشأن جل البرهان لله العبادة . وإما لكونه من الاحسان والله يوزق الخلق على الطول والاحسان والفضل والامتثال على العبادة من هذا الوجه أيضاً وقوله ( لمن يشاء ) إشارة إلى كمال الاحسان ، وذلك لأن الملك إذا أمر الخلق بأعطائه شخص شيئاً ، فإذا أعطاه يكون له منه ما يسيرة حقيرة ، لأن الأخذ يقول هذا ليس بإرادته وإنما هو بأمر الملك ، وأما إن كان مختاراً بأن قال له الملك إن شئت فأعطه وإن شئت فلا تعطه ، فإن أعطاه يكون له منه جليلة لا قليلة ، فقال الله تعالى الرزق منه وبمشيئته فهو إحسان تام يستوجب شكراً تاماً وقوله تعالى ( ويقدر له ) أي يضييق له إن أراد ، ثم قال تعالى

وَلَيْسَ مَا لَهُمْ مِنْ نَفْسٍ مِنَ السَّمَاءِ مَا فَلَاحِبُ بِهِ الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ يَقُولُ

لَهُ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۚ

وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا

(إن الله بكل شيء عليم) أي يعلم مقادير الخبايا ومقادير الأرزاق وفي إثبات العلم بهذا يختلف (أحداها) أن الأرزاق الذي هو كل من الشئ إذا رأى عبده محتاجاً وعلم جوعه لا يؤخر عنه الرزق، ولا يؤخر الأرزاق الرزقي إلا التقصان في سره مشيت كاشفك إذا أراد الإطعام والطعام لا يكون بعد هذا السوى، أو نعم عليه جموع العبيد (الثانية) وهي أن الله بذات العلم استوعب ذكر الصفات التي هي صفات الآله ومن أسكرها كفر وهي أربعة الحياة والقدرة والإرادة والعلم وأما السمع والبصر والكلام فتأخر به من يسكرها يكون مبتدعاً لا كافراً، وقد استوفى الأربع. لأن قوله (خلق السموات والأرض) إشارة إلى كمال القدرة، وقوله (يسطر الرزق لمن يشاء) إشارة إلى تعود مشيت وإرادته، وقوله (إن الله بكل شيء عليم) إشارة إلى شمول علمه، والقادر الوحيد العالم لا يتصور إلا حياً، ثم إنه تعالى لما قال (الله يسطر الرزق) ذكر اغترابهم بذلك. فقال:

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ زَلَّ مِنَ الْبُيُوتِ قَالُوا فَأُتِيَ بِهِمْ أُلْحُفُ الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ مَوَاتِهَا لِيَقُولُوا اللَّهُ ، قُلِ اخذ الله منكم ذمهم فلا يقضون ﴾

يعنى هذا سبب الرزق وموجد السبب موجد السبب، فالرزق من الله، ثم قال تعالى (وقل الحمد لله) وهو بمنزلة وجوهاً (أحدها) أن يكون كلاماً مختصاً بـ الحمد لكلامه كأنه قال: فأشياء به الأخرى من بعد موتها (بل أكثرهم لا يعقلون) فذكر في أثناء هذا الكلام (الحمد) لذكر العظمة. كما قال تعالى:

إِنَّ أَتَيْنِ وَبَلَّغْنَا قَدْ أَهْرَجَتْ سَمْعِي إِلَى نَزْوَانِ

(الثاني) أن يكون المراد منه كلاماً متصلاً وهو أنهم يعرفون بأن ذلك من الله ويعترفون ولا يعملون بما يمتنع. وأنت تعلم وتعلم فكذلك المؤمنون بك فعل الجدية وأكثرهم لا يقولون إلا ما قاله الله فيحذرون غير الله على نعمة هي من الله (الثالث) أن يكون المراد أنهم يقولون إنه من الله ويقولون بالحياة غير الله فظهر تناقض كلامهم وتهاوت مدعيتهم (رابع) على ظهور تناقضهم (وأكثرهم لا يقولون) هذا التناقض أو فساد هذا التناقض.

تترفع على : وعا هذه الحياه الدنيا إلا طر ولعب وإن الدار الآخرة طي الحيوان

## يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

لو كانوا يعلمون ﴿١٦﴾ .

لما بين أنهم يهتفرون بكون الله هو الخالق وكونه هو الرزاق وهم يتركون جادته ولا يتركونها إلا لزينة الحياة الدنيا بين أن ما يعملون إليه ليس بشيء بقوله ( وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ) وفي الآية مسائل :

( الأولى ) ما الفرق بين الهو واللعب والعب ، حتى يصح عطف أحدهما على الآخر ؟ فنقول للفرق من وجهين ( أحدهما ) أن كل شغل بمرض ، فإن المكلف إذا أقبل عليه لزمه الإعراض عن غيره ومن لا يلبثه شأن عن شأن هو الله تعالى ، فالذي يقبل على الباطل للذة يسيرة وائلة فيه يلزمه الإعراض عن الحق فلا جناح على الباطل لعب والإعراض عن الحق هو ، فالله لعب أي إقبال على الباطل ، وهو أي إعراض عن الحق ( الثاني ) هو أن المشتغل بشيء يرجع ذلك الشيء على غيره لأمانة حتى يشتغل به ، فيما أن يكون ذلك الرجوع على وجه التقديم بأن يقول أنهم هذا وذلك الآخر أي به بعده ، أو يكون على وجه الاستغراق فيه والإعراض عن غيره بالكلفة فالاول لعب والثاني هو ، والدليل عليه هو أن الشطرنج وأخام وغيرهما مما يقرب منها لأنسى آلات الملاهي في العرف ، والمواد وغيره من الأدوات نسي آلات الملاهي لأنها تلهي الإنسان عن غيرها لما فيها من اللذة الحانية ، فالله لعب يعني يشتغل به ويقول بيد هذا المشتغل اشتغل بالعبادة والآخره ، وتبعض هو يشتغل به وينسى الآخره بالكلفة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال الله تعالى في سورة الأنعام ( وما الحياة الدنيا ) ولم يقل وما هذه الحياة وقال عنها ( وما هذه ) فنقول لأن المذكور من قبل عنها أمر الدنيا ، حيث قال تعالى ( فأحيا به الأرض من بعد موتها ) فقال هذه والمذكور قبلها هناك الآخره حيث قال ( يا حسرتنا على ما فرغنا فيها وهم يعملون أذولهم على ظهورهم ) فلم تكن الدنيا في ذلك الوقت في خاطرهم فقال ( وما الحياة الدنيا ) .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال هناك ( إلا لعب ولهو ) وقال عنها ( إلا هو ولعب ) فنقول لما كان المذكور هناك من قبل الآخره وإظهارهم للحسرة ، ففي ذلك الوقت يعد الاستغراق في الدنيا بل نفس الاستغراق بها فآخر الأبعد ، وأما هنا لما كان المذكور من قبل الدنيا وهي خداعة تدعو النفوس إلى الإقبال عليها والاستغراق فيها ، اللهم إلا لما منع بتمت من الاستغراق فبشغل بها من غير استغراق فيها ، ولما لم يعصمه فلا يشتغل بها أصلا ، فكان هنا الاستغراق أقرب من جملة تقدم الله .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قال هناك ( والدار الآخره خير ) وقاله هنا ( وإن الدار الآخره

فَاذْكُرُوا فِي الْفَلَكَ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَحْنُحْمُمْ إِلَى آخِرِهِ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿١٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتُشْكِرُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

لم الحيوان ( فنقول لما كان الحال هناك حال إظهار الحسرة ما كان المكلف يحتاج إلى رادع قوي قال الآخرة خير . ولما كان هذا الحال حال الاستغفار بالدنيا احتاج إلى رادع قوي قال لا حياة إلا حياة الآخرة . وهذا كما أن العاقل إذا عرض عليه شيان فضل في أحدهما هذا خير من ذلك يكون هذا ترجيحاً لمحب . ولو قل هذا جيد وهذا الآخر ليس بشئ . يكون ترجيحاً مع المبالغة فكذلك هنا بالغ لتكون المكلف مترغلاً فيها .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قال هناك ( خير للدين بشقون ) ولم يقل هنا إلا لحي الميون . لأن الآخرة خير للشيء حسب أي المتي عن الشرك . وأما الكافر فالدنيا جنة فهو خير له من الآخرة . وأما كون الآخرة باقية فيها الحياة الدائمة فلا يختص بقوم دون قوم .

﴿ المسألة السادسة ﴾ كيف أطلق الحيوان على الدار الآخرة مع أن الحيوان نام مدرك ؟ فنقول الحيوان مصدر حي كالحياة لكن فيها مبالغة ليست في الحياة والمراد بالدار الآخرة هي الحياة الثانية . فكأنه قال الحياة الثانية هي الحياة المنيرة أو نقول لما كانت الآخرة فيها الزيادة والنمو كما قال تعالى ( الذين أحسنوا الحسنات وزيادة ) وكانت هي محل الإدراك التام الحق كما قال تعالى ( يوم تبنى السموات ) أطلق عليها الاسم المستعمل في النام المدرك .

﴿ المسألة السابعة ﴾ قال في سورة الأنعام ( أفلا تعقلون ) وقال هنا ( لو كانوا يعقلون ) وذلك لأن المذنب هناك كون الآخرة غيراً وأنه ظاهر لا يشترط إلا على العقل والثبت هنا أن لا حياة إلا حياة الآخرة . وهذا دقيق لا يعرف إلا بعلم نافع .

ثم قال تعالى ﴿ فَاذْكُرُوا فِي الْفَلَكَ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴿

إشارة إلى أن المنافع من التوحيد هو الحياة الدنيا . وبيان ذلك هو أنهم إذا انقطع رجائهم عن الدار الآخرة رجعوا إلى القطرة الشاهقة بالتوحيد ووجدوا وأخلصوا . فإذا انجأهم وأرجأهم عادوا إلى ما كانوا عليه من حب الدنيا وأشركارها .

ثم قال تعالى ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتُشْكِرُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وفي وجهان : ( أحدهما ) أن اللام لام كي . أي يشركون ليكون إشراكهم كفراً بنعمة الإنقاذ . وليتشكروا بسبب فطرته فسوف يعلمون بوبال علمهم حين ذوال أسلهم ( والثاني ) أن تكون اللام لام الأمر ويكون المعنى ليكفروا على التوبيخ ﴿ كما قال تعالى ( اعلموا ما شئتم ) وكما قال ( اعلموا على ما تكلم ) إلى عامل

أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّا أُمِرَ وَيَخْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَنَّهُ لِبَطْلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ  
 اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ  
 أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾

لشرف ثقلون ( حصاد ما فعلون .

ثم قال تعالى : ﴿٧٥﴾ أو لم يروا أنَّا جعلنا حرمًا أمنا ويختطف الناس من حولهم أنَّا لبطل يؤمنون  
 وبنيمة الله يكفرون ﴿٧٦﴾ .

التفسير طاهر . وإنما الدقيق وجه تعلق الآية بما قبلها ، فنقول الاسان في البحر يكون على  
 أخفاف ما يكون وفي يته يكون على آمن ما يكون لاسيا إذا كان بينه في بلد حصين فلهذا ذكر الله  
 المشركين حاتم عند أخفاف الشديد ورأوا أنفسهم في تلك الحالة راجعة الى الله تعالى ذكرهم حاتم  
 عند الأمن العظيم وهي كونهم في مكة فإنها مدينةهم وبلدهم وفيها سكانهم ومولدهم ، وهي حصين  
 بحصن الله حيث كل من حوفا ينتفع من قتال من حصل فيها ، والحصول فيها بدفع الشرور عن  
 الغوس وبكفها يعني أذكى في أخوف ما كنتم تدعونهما الله وفي آمن ما حصلتم عليه كفرتم بالله ، وهذا  
 متناقض لأن دعاءكم في تلك الوقت على سبيل الإخلاص ما كان إلا لقطعكم بأن النعمة من الله  
 لا غير هذه النعمة الطبيعية التي حصلت وقد كفرتم بأنها لا تكون إلا من الله كيف تكفرون بها ؟  
 والأصنام التي تطلعون في حال الخوف أن لا آمن بها كيف آمنتم بها في حال الأمن ؟ .

ثم قال تعالى : ﴿٧٦﴾ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم  
 مثوى للكافرين ﴿٧٧﴾ .

لما بين الله الأمور على الوجه المذكور ولم يؤمن به أحد من أنهم أظلم من يكون ، لأن الظلم  
 على ما بين وضع الشيء في غير موضعه ، وهذا وضع واحد شيئا في موضع ليس هو موضعه يكون  
 ظالما فإذا وضعه في موضع لا يمكن أن يكون ذلك موضعه يكون أظلم لأن عدم الامكان أقوى  
 من عدم الحصول . لأن كل ما لا يمكن لا يحصل وليس كل ما لا يحصل لا يمكن ، فالحق تعالى لا يمكن  
 أن يكون له شريك وجعلوا له شريكا فلما كان ذلك في حق ملك مستقل في الملك لكان ظلما  
 يستحق من الملك العقاب الأليم فكيف إذا جعل الشريك لمن لا يمكن أن يكون له شريك ، وأيضاً  
 من كذب صادقاً يجوز عليه الكذب يكون ظلماً فمن يكذب صادقاً لا يجوز عليه الكذب كيف  
 يكون حاله ؟ فإذا ليس أظلم ممن يكذب على الله بالشرك ويكذب الله في تصديقي بيه والتي في رسالة  
 ربه والقرآن المنزل من الله إلى الرسول ، والصعب من المشركين أنهم قبلوا المنطق من خشب منحوت

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٦﴾

بالإلهية ، ولم يقبلوا إذا حسب الموت بالرسالة ، والآية تحمل وجهاً آخر وهو أن الله تعالى لما بين التوحيد والرسالة والخير وقرره وودعه وجزر قال النبي يقول الناس ( ومن أظلم من الذي على الله كذباً ) بأي إني حيث بالرسالة وقلت إنها من الله وهذا الكلام الله ، وأنت كذبتموني فالحال دأب بين أمرين ، أما أنا فمتر متني ، إن كان هذا من عند غير الله أو أنتم مكذبون بالحق إن كان من عنده لكني معترف بالذات الدائم عارف به فلا أقدم على الإنكار ، لأن ( جهنم مئوي للكافرين ) والمثنوي ، كافر ، وأنتم كذبتموني فجهنم مئويكم إذ هي مئوي الكافرين ، وهذا حينئذ يكون كقول الله تعالى ( وإن لم يؤاكم لمل هدى أو في ضلال مبين ) .

ثم قال تعالى : والذين جاءوا فنيا لنهديم سبلنا وإن الله لمع المحسنين .

لما فرغ من التفرير والتفريع ولم يؤمن الكفار على قلوب المؤمنين بقوله ( والذين جاءوا فنيا لنهديم سبلنا ) أي من جاهد بالطاعة هداه سبل الجنة ( وإن الله لمع المحسنين ) إشارة إلى ما قال ( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) قوله ( لنهديم سبلنا ) إشارة إلى الحسنى وقوله ( وإن الله لمع المحسنين ) إشارة إلى المعية والقرينة التي تكون للحسن زيادة على حسناته ، وفي وجه آخر حكى وهو أن يكون المعنى ( والذين جاءوا فنيا ) أي الذين ظفروا في دلالتنا ( لنهديم سبلنا ) أي نحصل فيهم العلم بنا . ولين هذا صلي بيان ، فنقول أصحابنا المشككون قالوا إن الشر كالشرط قلتم الاستدلال والله يخلق في الآخر علماً يحجب نظره وواهمم الفلاسفة على ذلك في الضيق وقالوا انظر عند النفس لقبول الصورة المقولة . وإذا استمدت النفس حصل لها العلم من بعض وأذهب الصور الجسدية والمغلبة ، وعلى هذا يكون الترتيب حسناً . وذلك لأن الله تعالى لما ذكر الدلائل ولم تقدم العلم بالإيمان قال ( إنهم لم يظفروا ولم يظفروا وإنما هو هدى للمؤمنين ) الذين يتقون التمسك واتحاد فيظفرون فبهديهم وقوله ( وإن الله لمع المحسنين ) إشارة إلى درجة أعلى من الاستدلال كأنه تعالى قال من الناس من يكون بعيداً لا يتقرب وهم الكفار ، ومنهم من يتقرب بالنظر والسيرك فبهديهم وبجرهم ومنهم من يكون الله معه ويكون قريباً منه يعلم الأشياء منه ولا يعلم من الأشياء ، ومن يكون مع الشيء كيف يحاط به قوله ( ومن أظلم ) إشارة إلى الآول وقوله ( والذين جاءوا فنيا ) إشارة إلى الثاني وقوله ( وإن الله لمع المحسنين ) إشارة إلى الثالث . والله أعلم بأسرار كتابه ، والحمد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه أجمعين

(٣٠) سُورَةُ الرَّؤْمِ تَكْوِيْنُ  
وَأَسْمَانَهَا يَنْشَرُونَ

سُورَةُ آيَةُ مَكِّيَّةٌ ١٧ آيَةً قَدْ بَدَأَ الْاِسْتِغْنَاءَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ① غَلَبَتِ الرُّؤْمُ ② فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَبْعُونَ ③

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَمْ غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَبْعُونَ ﴾ في سبع سنين ﴿  
وجه تعني أول هذه السورة بما قبلها يتبين منه سبب النزول ، فنقول لما قال الله تعالى في  
السورة المتقدمة ﴿ وَلَا تَحْزَنْ لِمَا أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا بَالِيهِمْ ﴾ وكان محاذل المشركين ينسبهم  
إلى عدم العقول كما في قوله (صم بكم عن فهم لا يعقلون) وكان أهل الكتاب يوافقون النبي في  
الإله كما قال (والهنا وإلهكم واحد) وكانوا يؤمنون بكثير مما يقوله بل كثير منهم كانوا مؤمنين به  
كما قال (والذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) أي البعض للمشركون أهل الكتاب وتمر كرا مراجعتهم  
وكانوا من قبل راجعونهم في الأمور ، فلما وقعت شكرك عليهم حين قاتلهم الفرس المجوس فوج  
المشركون بذلك ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات ليبين أن العقبة لا تنال على الخلق ، بل الله تعالى قد  
يريد مزيد ثواب في الحب فينتبه ويسلط عليه الأعداء ، وقد يجتاز تعجيل العذاب لأدنى دون  
العذاب الأكبر قبل يوم الميعاد للعبادي ، وفي الآية مسائل :

﴿الاولى﴾ ما الحكمة في اقتتاح هذه السورة بحروف التهجى ؟ فنقول قد سبق منا أن كل سورة  
انصحت بحروف التهجى فإن في أوائلها ذكر الكتاب أو التزويل أو القرآن كما في قوله تعالى (الفرقان)  
ذلك الكتاب ، (المصر كتاب) ، (هذه آياتنا عليك الفرات) ، (الم تزيير الكتاب) ، (صم)  
تزييل من الرحمن الرحيم ، (يس والقرآن) ، (مر والقرآن) ، (مر والقرآن) ، (مر والقرآن) ، (مر والقرآن)  
ذكرناها في المنكوت وقد ذكرنا ما الحكمة فيها في موضعها فنقول ما يتعلق بهذه السورة  
وهو أن سورة التي في أوائلها التزويل والكتاب والقرآن في أوائلها ذكر ما هو معجزة قدمت  
عليها الحروف على ما تقدم بيانه في المنكوت وهذه ذكر في أوائلها ما هو معجزة وهو الإخبار عن  
الغيب ، قدمت الحروف التي لا يعلم معناها لئلا يفتنه السامع فيقبل بفتنه على الاستماع ، ثم ترد عليه  
المعجزة وتقرع الأسماع .

﴿المسألة الثانية﴾ قوله تعالى (في أدنى الأرض) أي أرض العرب ، لأن الألف واللام



فِي بَضْعِ سِنِينَ ۖ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

التعريف والعهود عندهم أرضهم وقوله تعالى (وَمِنْ بَعْدُ غَلِيمٌ) أية فائدة في ذكره مع أن قوله (سَيَلْبُونَ) بعد قوله (غَلِبَ الرُّومُ) لا يكون إلا من بعد الغلبة؟ فتقول الفائدة فيه إظهار القدرة ويأتي أن ذلك بأمر الله لأن من غلب بعد غلبه لا يكون إلا ضعيفاً ، ولو كان غلبتهم لشوكتهم لكان الواجب أن يظفروا قبل غلبهم فإذا غلبوا بعد ما غلبوا ، دل على أن ذلك بأمر الله ، قد ذكر من بعد غلبهم لينفكروا في ضعفهم وينذكروا أنه ليس بضعفهم ، وإنما ذلك بأمر الله تعالى وقوله (فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) لبيان شدة ضعفهم ، أي انتهى ضعفهم إلى أن وصل عدوهم إلى طريق الجحاز وكسروهم وم ن بلادهم ثم غلبوا حتى وصلوا إلى المدائن وبنا هناك الرومية لبيان أن هذه الغلبة المطلوبة بعد ذلك النصف العظيم بإذن الله .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال تعالى ( في بضع سنين ) قبل هي ما بين الثلاثة والعشرة ، أجهم الوقت الوقت مع أن المسحرة في تعيين الوقت أنهم يقولون السنة والسنين واليوم وتساعة كلها معلومة عند الله تعالى وبينها ليه وما أدنى له في إظهارها لأن انكفلا كانوا مسافرين والأمور التي تقع في البلاد الثانية تكون معلومة الوقوع بحيث لا يمكن إنكارها لكن ربما يمكن الاختلاف فيه فالمعاند كان يتمكن من أن يرفض وقوع الواقعة قبل الوقوع ليحصل الخلف في كلامه ولما وردت الآية ذكر أبو بكر رضي الله عنه أن الروم سئلب وأنكره أبو بن خلف وغيره ، وناسبوا أبا بكر أي خاطروه على عشرة فلتأصل إلى ثلاث سنين فقال عليه السلام لا ينبغي بغير قبض ما بين الثلاثة والعشرة فزاده في الإيصال ، وفي الأجل لجمع الفلتا تأصل مائة والأجل سبباً ، وهذا يدل على علم النبي عليه السلام بوقت الغلبة .

قوله تعالى : ﴿ فِي بَضْعِ الْأَمْرِ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

ثم قال تعالى ( في بضع سنين ) أي من قبل الغلبة ومن بعدها أو من قبل هذه المدة ومن بعدها ، يعني إن أراد غلبهم غلبهم قبل بضع سنين وإن أراد غلبهم غلبهم بعدها ، وما قدر هذه المدة ليعبر وإنما هي إرادة نافذة ، وينبأ على الضم لما قطعاً عن الإحاطة لأن غير النسبة من الفتحة والسكره يشبه بما يدخل عليهما وهو الضم والجر ، أما الضم ففي قولك يبيت قبله أو بعده ، وأما الجر ففي قولك من قبله ومن بعده فنبأ على الضم لعدم دخول مثلهما عليه في الإعراب وهو الرفع (ويومئذ يفرح المؤمنون) قيل يفرحون بظلة الروم على الفرس كما فرح المشركون بظلة الفرس على الروم ، والأصح أنهم يفرحون بظلمتهم المشركين وذلك لأن غلبة الروم كانت يوم غلبة المسلمين المشركين يبدون ، ولو كان المراد ما ذكرناه لما صح لأن في ذلك اليوم بعيت لم يصل إليهم خبر السكر فلا يكون فرحهم يومئذ بل الفرح يحصل بعده .

يَتَصَوَّرُ اللَّهُ يَتَصَوَّرُ مِنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ⑤ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ  
وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ⑥ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ  
الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ⑦ أُولَئِكَ يَتَخَفَتُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّشْيٍ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِإِلْقَائِ رَبِّهِمْ

ثم قال تعالى ﴿ يتصور الله يتصور من يشاء ﴾ وهو العزيز الرحيم ، وعد الله لا يخلف الله وعده  
ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴿  
قوله ﴿ تعالى ﴾ ( يتصور الله يتصور من يشاء ) قدم المقصود على الفاعل حيث قال ( يتصور الله يتصور )  
وقدم الفعل على المصدر في قوله ( وأبدك نصرة ) وذلك لأن المقصود منها بيان أن النصرة بيد  
الله إن أراد نصر وإن لم يرد لا ينصر ، وليس المقصود نصرة ووقعها والمقصود هناك إظهار  
الحنانة عليه بأنه نصرة ، فالمقصود هناك الفعل ووقعه فقدم مآك العمل ، ثم بين أن ذلك فعل  
مصدره عند الله ، والمقصود منها كون المصدر عند الله إن أراد فعل فقدم المصدر .

ثم قال تعالى ( وهو العزيز الرحيم ) ذكر من أسمائه عظيم الأسمين لأنه إن لم يتصور نجب بل  
سلط الصبوح عليه فذلك لعزته وعدم انتقاره ، وإن نصر المحب فذلك لرحمته عليه ، أو قول إن نصر الله  
المحب فنصرته واستغاثته عن العدو ورحمته على المحب ، وإن لم يتصور المحب فلعرته واستغاثته عن  
المحب ورحمته في الآخرة وأصله إليه .

ثم قال تعالى ( وعد الله لا يخلف الله وعده ) يعني سيطون وعدم الله وعداً وعد الله لا  
خلف فيه . قوله تعالى ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) أي لا يعلمون وعده وأنه لا  
خلف في وعده .

ثم قال تعالى ( يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ) يعني عليهم منحصر في الدنيا وأيضاً  
لا يعلمون الدنيا كما هي وإنما يعلمون ظاهرها وهي ملاذها وملاذها ، ولا يعلمون باطنها وهي  
مخارمها ومفاسدها ويعلمون وجودها الظاهر ، ولا يعلمون نتائجها ( وهم عن الآخرة هم غافلون )  
والغنى هم عن الآخرة غافلون ، وذكر كثرة التثنية لتفيد أن الغفلة منهم وزلا فأسباب التذكر حاصله  
وهذا كما يقول تعالى لنبيه غففت عن أمري ، فإذا قال هو شغل فلان فيقول ، ما شغلك وسكر  
نبت اشتغلت .

ثم قال تعالى : ﴿ لم يتصوروا في أنفسهم ﴾ ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق

## لَكَافِرُونَ ﴿٣١﴾

وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون ﴿٣١﴾ .  
 قوله تعالى ( أولم يتفكروا في أنفسهم ) لما صدر من الكفار الإنكار بالله عند إنكار  
 وجه الله وعدم الخلق فيه كما قال تعالى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) والإنكار بالحشر كما قال  
 تعالى ( وهم عن الآخرة هم غافلون ) بين أن الغفلة وعدم العلم منهم بتقدير الله وإلا فأسباب التذكر  
 حاصلة وهو أن أنفسهم لم تفكروا فيها لعلوا وجدانية الله وحدفوا بالحشر ، أما الوجدانية فلا أن  
 الله خفيهم على أحسن تقويم ، ولقد ذكر من حسن خفيهم جزأ من ألف ألف جزء ، وهو أن  
 الله تعالى خلق للإنسان مدة فيها ينضج غذاؤه لتغوى به أعضاؤه ولما منعذنا أحدهما له عول  
 الطعام فيه ، والآخر لخروج الطعام منه ، فإذا دخل الطعام فيها انطلق المنفذ الآخر بهضمه على بعض  
 بحيث لا يخرج منه ذرة ولا ترشح ، وتحسك المناسكة إلى أن ينضج بعضاً صالحاً ، ثم يخرج من المنفذ  
 الآخر ، وحلق تحت المعدة عروفاً دقيقاً صلاباً كالاصفاة التي يصني بها النبي ، فيزل منها الصافي إلى  
 الكبد وينصب الفضل إلى موى عنق تحت المعدة مستقيم متوجهاً إلى الخرج ، وما يدخل في  
 الكبد من البرون المذكرة يسمى الماساريقا بالمعربة ، واسم المعربة خزينة مفسودة في الأكثر ، يقال  
 لموسى ميتاً وللالة إيل إلى غير ذلك ، فالماساريقا معناها ماساريق الشمل عليه الكبد وأنضجه  
 نضجاً آخر ، ويكون مع الغذاء المتوجه من المعدة إلى الكبد مثل ماء مشروب ليرقق وينفد في  
 البرون الدقاق المذكورة ، وفي الكبد يستخرج من ذلك الماء فتتبع عنه ذلك الماء وينصب من جانب  
 حدة الكبد إلى الكلية ومعه دم يغير قندي به الكلية وغيرها ، ويخرج الدم الخالص من الكبد  
 في عرق كبير ، ثم ينضمب ذلك الدم إلى جداول ، والجداول إلى سواق ، والسواق إلى روافع  
 ويصل فيها إلى جميع البدن ، فتهذه حكمة واحدة في خلق الإنسان ، وهذه كفاية في معرفة كون الله  
 فاعلاً مختاراً قادراً كاملاً عالماً شاملاً عله ، ومن يكون كذلك يكون واحداً وإلا لكان عاجزاً  
 عند إرادة شريكه ضد ما أراد . وأما دلالة الإنسان على الحشر فذلك لأنه إذا تفكر في نفسه  
 يرى قواه صائرة إلى الزوال ، وأجزاء مائه إلى الانحلال فله فناء ضروري ، فلم يكن له حياة  
 أخرى لكان خلقه على هذا الوجه للفناء عتاً ، وإليه أشار بقوله ( ألحستم أمنا خلقناكم عتاً )  
 وهذا ظاهر ، لأن من بقول شيئاً لميت فلو بالغ في إحكامه وإفاته بضربه منه ، فإذا خلقه للقاء  
 ولا لقاء دون الفناء ، والآخرة لا دنها ، إنما له تعالى ذكر بعد دليل الآفئ دليل الأفاق فقال ( ما خلق  
 الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ) فقله ( إلا بالحق ) إشارة إلى وجه دلالاتها على  
 الوجدانية ، وقد بينا ذلك في قوله ( خلق الله السموات والأرض بالحق ) إن في ذلك لآية للذين  
 وعبدوه فإن التكبر في الله ينفي التفرير لدى الذهن ، فنقول إذا كان بالحق لا يكون فيها بطلان

فلا يكون فيها فساد . لأن كل فاسد باطل وإذا لم يكن فيها فساد لا تكون آفة ولا تكون فيها فساد . كما قال تعالى ( لو كان فيها آفة إلا آفة تصدنا ) وقوله ( وأجل مسمى ) يذكر بالاحول الآخر الذي أنكره ثم قال تعالى ( وإن كثيرا من الناس يلقوا وهم لكافرون ) يعني لا يعلمون أنه لابد بعد هذه الحياة من لقاء ربهم إما في إسماع أو شقاء . وفي الآية مسائل :

❖ المسألة الأولى : قدم فيها دلائل الإنس على دلائل الإفاق ، وفي قوله تعالى ( سترهم ) آياتنا في الإفاق وفي أنفسهم قدم دلائل الإفاق . وذلك لأن المفيد إذا أعاد فائدة يذكرها على وجه جيد يحتملها فإن فهمه السامع اقتضد ذلك وإذا يذكرها على وجه آيين منه وينزل درجة فخره . وأما المستفيد فإنه يفهم أولا الآيين ، ثم يرتقى إلى فهم تلك الآخر الذي لم يكن ضمه فيفهمه بعد فهم الآيين المذكور آخر ، فالتذكور من المفيد آخر مفهوم عند السامع أولا . إذا علم هذا فنقول هنا المثل كان منصوبا إلى السامع حيث قال ( أولم يفكروا في أنفسهم ) يعني فيها فهمه أولا ولم يرتقوا إلى ما فهموه ثانياً ، وأما في قوله ( سترهم ) الأمر مسرّب إلى المفيد المسمع فذكر (أولاً) الإفاق فإن لم يفهموه فالإنس لأن دلائل الإنس لا تقول للإنسان عنها ، وهذا الترتيب مراعى في قوله تعالى ( الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ) أي يعلمون الله بدلائل الأنس في سائر الأحوال ( ويفكرون في خلق السموات والأرض ) بدلائل الإفاق .

❖ المسألة الثانية : وجه دلالة الخلق بالخلق على الوحدة ظاهرة ، وأما وجه دلالة على الخسر فكيف عرفنا فنقول ونوع تفريب السموات وعدها لا يعلم بالمقتل بالإمكان ، وأما قومه فلا يعلم إلا بالسمع ، لأن الله قادر على إيجاد المادّة أبداً كما أنه يبق الجنة والنار بعد إحداهما أبداً ، والخلق دليل إمكان عدمه ، لأن المخلوق لم يجب له التقدم فجاز عليه عدمه ، فإذا أخبر الصادق عن أمره إمكان وجب على المائل المتعديق والإذعان ، ولأن العالم لما كان خلقه بالخلق فيبقى أن يكون بعد هذه الحياة حياة أخرى باقية لأن هذه الحياة ليست إلا لباً وهوأ كما بين بقوله تعالى ( وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ) وخلق السموات والأرض للهو واللعب عبث ، والعبث ليس بخلق وخلق السموات والأرض بالخلق فلا بد من حياة بعد هذه .

❖ المسألة الثالثة : قال فيها ( كثيرا من الناس ) وقال من قبل ( ولكن أكثر الناس ) وذلك لأنه من قبل لم يذكر دليلاً على الأهلين . وهنا قد ذكر الدلائل الواضحة والبراهين اللامعة ولاشك في أن الإيمان بعد الدليل أكثر من الإيمان قبل الدليل . فبعد الدلائل لابد من أن يؤمن من ذلك الأكثر جمع فلا يبقى إلا أكثر كما مر ، فقال بعد إقامة الدليل ( وإن كثيراً ) وقوله ( ولكن أكثرهم ) ثم بعد الدليل الذي لا يمكن الدهور عنه . والدليل الذي لا يقع الدهول عنه وإن أمكن هو السموات والأرض لأن من البعيد أن يدخل الإنسان عن السماء التي فوقه والأرض التي تحته ، ذكر ما يقع الدهول عنه وهو أمر أمثلهم وحكاية أشغالهم .

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أُشْكُرُوا أَنْسَاءُ إِنَّ كَذِبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١١٠﴾

فقال تعالى ﴿ أولم يسروا في الأرض فيظنوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ .

وقال في الدليلين المتقدمين ( أولم يسروا ) ولم يقل ( أولم يسروا ) إذ لا حاجة هناك إلى السير بحضور نفس والسبب والأرض وقال بها ( أولم يسروا فيظنوا ) ذكرهم بحال أمثالهم ووبال أشكلهم ، ثم ذكر أنهم أولى بالهلاك لأن من تقدم من عاد ونود كانوا أشد منهم قوة ولم نفعهم قواهم وكانوا أكثر مثلاً وعمارة ، ولم ينفع عجم افلاك أرواحهم وحصونهم ، واعلم أن اعتقاد الإنسان على ثلاثة أشياء قوة جسمه ، بهو في أعوانه إذ بها المباشرة وقوة مالية إذا بها التأهب للمباشرة ، وقوة طهرية يستند إليها عند القضاء والقصور وهي الحصون والباطن ، فقال تعالى : كانوا أشد منهم قوة في الجسم وأكثر منهم مالا لأنهم أثاروا الأرض أي عمروها ، وبه بركة تميز الأرض ، وقيل منه معنى ثوراً ، وأنتم لا حرثت لكم فأرواحهم كانت أكثر ، وعمارتهم كانت أكثر لأن أبنيتهم كانت رفعة وحصونهم متينة ، وعمارتهم أهل مكة كانت بيرة ثم هؤلاء ، جانتهم رسلهم بالبينات وأمرهم ونهيم ، فما كذبوا أهلكوا عكيف أنتم ، وقوله ( فما كان الله ليظلمهم ) يعني لم يظلمهم بالتكليف ، فإن التكليف شريف لا يثرونه إلا على شريف ولو كرم طلبوا أنفسهم بوعدها في موعدها حبيب ، وهو عبادة الأصنام واتباع رئيس ، فكان الله بالتكليف وضعتهم فيها خلقوا له وهو الربيع ، لأنه تعالى قال خلقتكم لترضوا عني لا لأرعب عليكم ، والوضع في أي موضع كان الخلق للعالم بطل ، ولما لم يوصوا أنفسهم في مواضع الجحيم ، ولم يكونوا خلقوا إلا للربح فهم كانوا ظالمين ، وهذا الكلام من آيات كان في الظاهر يشبه كلام المعتزلة لكن المعامل يعلم كيف يقول أهل السنة ، وهو أن هذا الموضع كان بمقدرة الله وإرادته ، لكنه كان منهم وعضواً إليهم .

ثم قال تعالى ﴿ ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء أي أن كذبوا بآيات الله وكانوا يهاينونون ﴾

اللَّهُ يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٠١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاتٌ وَأَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَاذِبِينَ

كما قال (الذين أحسنوا الحسنى) وقوله تعالى (إن كذبوا) قيل معناه بأن كذبوا أى كان عاقبتهم ذلك بسبب أنهم كذبوا . وقيل معناه أساءوا وكذبوا فكذبوا يكون تفسيراً لاسأؤا . وفي هذه الآية لطائف (إحداهما) قال في حق الذين أحسنوا (الذين أحسنوا الحسنى) وقال في حق من أساء (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى) إشارة إلى أن الجنة لهم من ابتداء الأمر فإن الحسنى اسم الجنة والسوءى اسم النار ، فإذا كانت الجنة لهم ومن الإبتداء ، ومن له نعيم كلما يزداد وينمو فيه فهو له ، لأن ملك الأهل يوجب ملك الشجرة ، فالجنة من حيث خلقت ثريو ونمو للمحسنيين . وأما الذين أساءوا ، فالسوءى وهي جهنم فإعاقبة مصيرهم إنها (الثانية) ذكر الزيادة في حق المحسن ولم يذكر الزيادة في حق المسي . لأن جزاء سيئة سيئة مثله (الثالثة) لم يذكر في الحسن أن له الحسنى بأنه صنف ، وذكر في السيئة أن له السوءى بأنه كذب ، لأن الحسنى المحسنين فضل والمفضل لو لم يكن تفضله لسبب يكون أبلغ . وأما السوءى للمسي عدل والعادل إذا لم يكن تفضله لسبب لا يكون عدلا فذكر السبب في التفضيل وهو الإصرار على التكذيب ، ولم يذكر السبب في التواب .

ثم قال تعالى : ﴿الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون﴾ .

لما ذكر أن عاقبتهم إلى الجحيم وكان في ذلك إشارة إلى الإعادة والمختر لم يتركه دعوى لا بينة فقال يبدأ الخلق ، يعنى من خلق بالقدر والارادة لا يهجر عن الرجعة والإعادة فإنه يرجعون ، ثم بين ما يكون ولدت الرجوع إليه فقال :

﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين﴾ .

في ذلك اليوم ينفين إبلاسيم وينعحق إبلاسيم . والإبلاس بأس مع حيرة ، يعنى يوم تقوم الساعة يكون للمجرم بأس غير لأبأس هو إحدى الراحين ، وهذا لأن الطمع إذا انقطع بالبأس فإذا كان المارجو أمر غير ضرورى يتخرج الطامع من الانتظار وإن كان ضرورياً بالإبقاء له يومه يتغير حذاه أشد انقطاع . ومثل هذا البأس هو الإبلاس ولتبس حال المجرم وإبلاسه بمثل ، وهو أن يقول مثله مثل من يكون في بستان وحوائبه الملاعب والملاهى ، ولديه ما يتخربه ويأبى ، فيجبره صادق مجبى ، عنو لا يرد راد ، ولا يصد صد ، إذا جهده لا يلبه ريقاً ، ولا يترك له إلى الخلاص طريقاً ، فينجم عنه الاشتغال بسلوك طريق الخلاص فيقول له طفل أو

وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُؤْمِسُ بَنَفَرُونَ ﴿١٠٣﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٠٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ  
الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٠٥﴾

يجوز إن هذه الشجرة التي أتت تحتها من الخواص دفع الأعداء عن يكون نعمتها ، فيقبل ذلك  
الغافل عن استيفاء ملاحه متناً على الشجرة بقول ذلك الصبي بحيث التدرج ويحيط به ، فأول  
منازله من الأموال طلع تلك الشجرة فهي متحيرة ألبس ، معترفاً ، حيكلك المحرم في دار الدنيا  
أقبل على استيفاء الذات وأخير ، حتى تضاعف بأن الله يحربه ، وبأنه عذاب يحربه ، فقال له  
الشیطان والنفس الأماره بشو ، بأن هذه الأحشاش التي هي الأرواح دافعة عنك كل باس ،  
وشامة بك عند حدود الخواص ، فاستغل بها هو فيه واستمر على غيه حتى إذا جاءت العقوبة  
المكبري فأول ما أرتبه إلقاء الأعداء في النار فلا يجد إلى الخلاص من طريق ، ويحق عليه عذاب  
المخزي ، فبأس حينئذ أي إبليس ويلس أنه إبليس ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ( ولم يكن لهم  
من شركائهم شعواء وكانوا بشركائهم كافرين ) يعني يكفرون بهم ذلك اليوم .

ثم قال تعالى : وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ ، ومنه يتفرقون ﴿١٠٦﴾

ثم بين أمر آخر يكرر في ذلك اليوم وهو الافتراق كما قال تعالى في آية أخرى ( وانفادوا  
اليوم أيها المجرمون ) فكان هذه الحالة عذبة على الإبليس ، وكأنه أولاً ييسر ثم يبر ويحعل فريق  
في الجنة وفريق في السعير ، وأما قوله ( ويوم نقوم الساعة ) لأن قيام الساعة أمر هائل فذكره  
تأكيداً لمحرر ، ومنه احتداد أخطاء تكرير يوم القيامة في الحطب لتذكير أهواله .  
ثم بين كيفية التفرق فقال تعالى :

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ أي في جنات يسرون بكل  
مادة ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالْفَالِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾  
يعني لا عجة لهم عه ولا دور نه عنهم كما قال تعالى ( كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم  
أعتدوا فيها ) وقال ( لا يفزع عنهم العذاب ) وفي الآيتين مسائل فيها لطائف :

﴿ المسألة الأولى ﴾ بدأ بذكر حال الذين آمنوا مع أن الموضع موضع ذكر المجرمين ، وذلك  
لأن المؤمنين يرسل إلى الثواب قبل أن يرسل إلى الكافر العذاب حتى يرى ويتحقق أن المؤمنين  
ورسل إلى الثواب فيكون أكن ، وثو أذن الكافر النار أولاً فكان يعني أن الكل في العذاب  
مشتركون ، فقدم ذلك زيادة في إيلامهم .

فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٠﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١١﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ  
الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٢﴾

في المسألة الثانية في ذكر في المؤمن العمل الصالح ولم يذكر في الكافر العمل السيئ ، لأن  
العمل الصالح متبرع الإيمان ، فإن الإنسان المرد مفيد النجاة دون رفع الدرجات ولا يبلغ  
المؤمن الدرجة العالية إلا بالإيمان وعمله الصالح ، وأما تكافؤهم في الدرجات بمجرد كفره  
عليه قال : والذين حكموا أعمالوا السيئات في العذاب محضرون ، لسكان العذاب لمن يعدو  
من المجموع ، فإن قيل في يؤمن ويعمل السيئات غير مذکور في القسمين ، فنقول له منزلة  
بين المفلتين لا على ما بقوله المعتزلة ، بل هو في الأول في العذاب ولكن ليس من المحضرين دوام  
المحضور ، وفي الآخرة هو في الرضا ولكنه ليس من المحبوسين غاية الجور كل ذلك بمحكم الوعد .  
في المسألة الثالثة في قال في الأول ( في دوحة ) عن التكبير ، وقال في الآخرة في العذاب على  
التعريف ، لتعظيم الروحة بالتكبير ، كما يقال لفلان مال وجاه ، أي كثير وعظيم .

في المسألة الرابعة في قال في الأول ( محبرون ) بصيغة الفعل ولم يقل محبرون ، وقال في الآخرة  
( محضرون ) بصيغة الاسم ولم يقل محضرون : لأن الفعل يفي عن التجدد والاسم لا يدل عليه  
قوله ( محبرون ) يعني بأنهم كل ساعة أمر يسرون به ، وأما التكفير فهم إذا دخلوا العذاب يبقون  
فيه محضرين .

ثم قال تعالى : فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض  
وعشياً وحين تظهرون ، يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها  
وكذلك تخرجون ﴿

ثم بين الله تعالى عظمته في الابتداء بقوله ( ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا  
بالحي ) وعظمت في الانتهاء ، وهو حين تقوم الساعة ويقتل الناس فريقين ، ويحكم على البعض بأن  
هو لا نجاة ولا أبال ، وهؤلاء إلى النار ولا أبال ، أمر ينتزعه عن كل سوء ، ويحمده على كل حال  
فقال ( سبحان الله ) أي سبحوا الله تسبيحاً ، وفي الآية مسائل :

في المسألة الأولى في في معنى سبحان الله ونقطة ، أما لفظة فعلان اسم المصدر الذي هو  
التسبيح ، أي التسبيح سبحان وجعل علماً له . وأما فعلان فقال بعض المفسرين : المراد منه الصلاة ،  
أي صفوا ، وذكروا أنه أشار إلى الصفات الحسن ، وقال بعضهم أراد به التزكية ، أي زهوه عن



صمات الغصن . ومعه صفات الكمال . وهذا أغرى والمعير إليه أولى : لأنه يتضمن الأول .  
وذلك لأن العرب المأثور به يقولون التزبه بالغصن . وهو الاعتقاد الجازم . وباللسان مع ذلك . وهو  
الذكر الخس . والأركان مما مبرها . وهو العمل الصالح . والأول هو الأصل . والثاني ثمرة  
الأول . والثالث ثمرة الثاني . وذلك لأن الإنسان إذا اعتقد شيئاً ظهر من قلبه على لسانه . وإذا  
قال صبر صدقه في مقاله من أحواله وأعماله . والغصن ثمرة حان الطمان والأركان . غصن اللسان . لكن  
الصلاة أصل أعمال الأركان . وهي مشتقة على الذكر باللسان . والغصن باحسان . وهو تزبه في  
التحقيق . فإذا قلنا فهو . وهذا صريح من ثواب الشريعة . والأمر لخلق لا يخص بزوج دون زوج  
فيجب عليه على كل ما هو عليه فيكون أيضاً أمراً بالصلاة . ثم إن قولنا ينسب ما تقدم . وذلك  
لأن الله تعالى لما بين أن المقام الأعلى . والجزء الأدنى من آمن وعمل الصالحات حيث قال ( وأما  
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في راحة يحسرون ) قال إذا علمت أن ذلك المقام لمن آمن وعمل  
الصالحات الإنسان تزبه بالظن . وتوحيد الصالحات . الصالح استعمال الأركان . والكل درجات  
معبوداته . وسبحان الله أي قلنا ما نزلت الذي هو الموصول إلى العنود في الرياض . والغصن  
في الأصل

❖ **المسألة الثانية** ❖ غرض بعض الأوقات بالأمر بالسبح وذلك لأن أصل الأعمال أدومها، لكن أصل الملائكة الملائكة على المراء كما قال تعالى (يسبحون الليل والنهار لا تفرغوا) والإنسان عاوان في الدنيا لا يمكنه أن يعرف جميع أوقاته إلى السبح، لكنه محتاجاً إلى أكل وشرب وتخصيص ما كوله وضروب ومعيوس ومركوب فأشار الله تعالى إلى أوقات إذا أتى فيها يسبح لله بها يكون كأنه لم يفرغ وهي الأول والآخرة والوسط وأول النهار وآخره ووسطه فأمر بالسبح في أول الليل ووسطه ولم يأمر بالسبح في آخر الليل لأن اليوم فيه غالب والله من على عباده أن لا يفرغوا من السبح، كما قال (من أتاه منكم بالليل وهذا صلى في أول نهار ليسبحين) هذا كذا أن حسب به صرف ساعتين إلى التسبح، ثم إذا صلى أربع ركعات وقت الظهر حسب أنه صرف أربع ساعات أخر صلاته ست ساعات، وإذا صلى أربعاً أو آخر نهار وهو العصر حسب أنه أربع أخرى صلاته عشر ساعات وهذا صلى المغرب وانشاء سبع ركعات أخر صلى له صرف سبع عشرة ساعة إلى التسبح وفي من الليل ونهار سبع ساعات وهي ما بين نصف الليل ونصفه لأن ثلثه ثمان ساعات وأربعة ست ساعات وما بينهما السبع، وهذا التقدير لو نام الإنسان في مكان كثير أو إليه أشار تعالى بقوله (قم الليل إلا قليلاً بضعه أو انقصر منه قليلاً أو زد عليه) وإذا القليل على النصف هي ساعة ونصف سبع ساعات مصروفة في اليوم والثامن مرفوع عنه فلم، فيقول الله تعالى صرف جميع أوقات مكاتبه في تسبيح طر يسبح لكم أيها الملائكة عليهم المارية التي ادعيتهم معكم (من أصبح بحمدك ونفسك لست) على سبيل الانحصار بل هي ثم تلكم

فناسم مثل مقامكم في أعلى عطين ، وانظروا أن في وضع الصلاة في أوقاتها وعدد ركعاتها واختلاف هيئاتها حكمة بالغة ، أما في عدد الركعات فما تقدم من كون الإنسان يقضيان في سبع عشرة ساعة فمرس عليه سبع عشرة ركعة ، وأما على مذبح أو حنيفة حيث قال مرحوب الوتر ثلاث ركعات وهو أقرب للتفوي ، فقوله هو مأخوذ من أن الإنسان ينبغي أن يقبل يومه فلا ينام إلا لثلاث الليل مأخوفاً من قوله تعالى ( إن ذلك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلاثة ) وبهم من هذا أن ينام ثلثي الليل مستحب مستحب مذكور باستجاب ولهذا قال عليه ( علم أن لن تحسوه ثواب طيعكم ) ذكر بلفظ التوبة ، وإذا كان كذلك يكون الإنسان يقضيان في عشرين ساعة فأمر بعشرين ركعة ، وأما التي عليه السلام فما كان من شأنه أن لا ينام أصلاً كما قال وقام هيناً ولا ينام قطره جعل له كل الليل كليلاً فزيد له التمسح فأمر به ، وإلى هذا أشار تعالى في قوله ( ومن الليل فاسجد له وسبحه بلا طويلاً ) أي كل الليل لك تسبيح فصار هو في أربع وعشرين ساعة سجداً ، فصار من الذين لا يضربون طرفة عين ، وأما في أوقاته فما تقدم أيضاً أن الأول والآخر والوسط هو لغتير فشرح التمسح في أوله النهار وآخره ، وأما الخيس فاعتبر أوله ووسطه كما عبر أول النهار ووسطه ، وذلك لأن الغيرة وقت نصف النهار والفضل وقت نصف الليل لأننا بينا في الليل الغتير هو التقدير الذي يكون الإنسان فيه يقضيان وهو مقدار خمس ساعات لجمال وقته في نصف هذا التقدير وهو الثلاثة من الليل ، وأما أبو حنيفة لما رأى وجوب الوتر كان زمان اليوم عنده أربع ساعات وثمانية البقرة بالليل ثمان ساعات وأخروقت العشاء الأخيرة إلى الزاوية والحائسة ، ليكون في وسط الليل المعتد ، كما أن الظهر في وسط النهار ، وأما الذي صلى لما كان له حاراً وتومه انشاعاً قال ولولا أن أشتق عني لأمريهم بالسواك وتأخير العشاء إلى نصف الليل ، يكون الأربع في نصف الليل كما أن الأربع في نصف النهار ، وأما التخصيص فالحديث ينبغي أن النهار اثنا عشر ساعة زمانية والصلاة المزدوجة فيها عشر ركعات حتى على المكثف ركعتان يؤديه في أول الليل ويؤدي ركعة من صلاة الليل ليكون ابتداء الليل بالتسبيح كما كان ابتداء النهار بالتسبيح ، وما كان المؤدى من تسبيح النهار في أوله ركعتين كان المؤدى من تسبيح الليل في أوله ركعة لأن سبع نهار طويل مثل ضعف سبع الليل ، لأن المؤدى في النهار عشرة والمؤدى في الليل من تسبيح الليل خمس .

في المسألة الثالثة في صلاة الصبح والحدثة في المساء والصبح ، ولذا كرها من حيث النقل والعقل ، أما النقل فأخبر في الصحيح لورع الحافظ الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمار عن علي بن مسند عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لبعض أصحابه : أتخرج عن أن تأتي وقت اليوم تأتف حسنة لا تقصص فقال النبي عليه السلام قل سبحان الله والحمد لله والله أكبر مائة مرة يكتب لك بها ألف حسنة وعصمت يقول رحمه الله مسنداً من قال طلع كل صلاة مكتوبة عشر مرات سبحان الله وعظم

مرات الله أكبر أدخل الجنة ، وأما الفعل فهو أن الله تعالى له صفات لازمة لا من فقهه وصفات ثابتة له من فعله ، أما الأولى فهي صفات كمال وجلال خلافاً نقص ، فإذا أدرك المكلف الله بأنه لا يجوز أن يخلق عليه شيء لكونه عالماً بكل شيء فقد نزهه عن الجهل وهو صفته مضد ، وإذا عرفه بأنه لا يمتنع عن شيء لكونه قادراً على كل شيء فقد نزهه عن الشجر ، وإذا علم أنه لا يجرى في ملكه إلا ما يشاء لكونه مبدئاً لكل كان فقد وصفه ونزهه ، وإذا ظهر أنه لا يجوز عليه الغناء لكونه واجباً بقاء فقد نزهه ، وإذا بان له أنه لا يسهيه لعدم لامدائه بالقدم فقد نزهه ، وإذا لاح له أنه لا يجوز أن يكون عرضاً أو جسمياً أو في مكان لكونه واحداً ربياً عن جهات الإمكان فقد نزهه ، لكن صفاته السلبية والإضافية لا يستعاض عنها ولو اشتغل بها واحد لأغنى جميعاً ، ولا يدرك كلها ، فإذا قاتل مستحضراً بقوله سبحانه الله متشأماً لما يقوله من كونه منهزماً له عن كل نقص فإتيانه بالتسبيح على هذا الوجه من الإجمال يقوم ، فإما إتيانه به على سبيل التفصيل ، ولكن لا يوجب في أن من أتى بالتسبيح عن كل واحد على حدة عما لا يجوز على الله بكونه قد أتى بما لا يفي به الإجمال ، فيقول هذا الله أتى بتسبيح طويل عمره مدة فقامه فأحازبه أن أظهره عن كل دنف وأزبه بجمع البركات وأزله بذكر الإقامة مدة لا انتهاء لها ، وبما أن العدد ينزه الله في أول النهار وآخره ووسطه ، فإن الله تعالى يظهره في أوله وهو دنياه وفي آخره وهو عقابه ، وفي وسطه وهو حاله كونه في قبه الذي يحويه إلى أومست حشره وهو مقامه . وأما الثانية وهو صفات الفعل فإتيانها إذا نظر إلى خلق الله السموات بسماها أدمعة وكرامة فيقول الحمد لله ، فإذا رأى الشمس فيها بازغة فيعلم أنها ضمة وكرامة فيقول الحمد لله ، وكذلك القمر وكل كوكب والأرض وكل نبات وكل حيوان يقول الحمد لله ، لكن الإنسان لو حمد الله على كل شيء على حدة لا يفي عمره به ، فإذا استحضر في ذهنه التعم التي لا تعد كما قال تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ويقول الحمد لله على ذلك فهذا الحمد على وجه الإجمال يقوم منه مقام الحمد على سبيل التفصيل ، ويجوز إحدى استغرق عمره في حمدي وأنا وعدت الله بالزيادة فله على حسنة التسبيح الحسنى وله على هذه الزيادة ثم إن الإنسان إذا استغرق في صفات الله قد بدعوه عقده إلى التفكير في الله تعالى بعد التفكير في آلا الله ، فكل ما يقع في محله من حقيقته فيدعى أن يقول الله أكبر ، ما أدركه ، لأن المدركات وجهات الإدراكات لا نهاية لها ، فإن أراد أن يقول على سبيل التفصيل الله أكبر من هذا الذي أدركه من هذا الوجه وأكبر مما أدركه من ذلك الوجه وأكبر مما أدركه من وجه آخر يعني عمره ولا يفي بأدراك حريم أو جوه التي يفيض الطمان أنه مدرك لله بذلك الوجه ، فإذا قال مع نفسه الله أكبر أي من كل ما أنصروه بكرة غفل وطاعة إدراكى يكون من غلغلة العرفان وإليه الإشارة بقوله :

المعجز عن درك الإدراك إدراك

فقول القائل المستفيض : سبحان الله وإحدى الله والله أكبر ، مفيد لهذه الأقوال ، لكن نمرطه

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾

أن يكون كلاماً معتبراً وهو الذي يكون من ميم آقاب لا الذي يكون من طرف اللسان :

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قوله (وعشاً) عطف على (حين) أى سبعة وعين مائة وحين نصبحون وعشاً . وقوله (وله الخد في السموات والأرض) كلام مغرر من قبله طوف والمعروف عليه ربه طيعه وهو أن الله تعالى لما أمر العباد بالتدريج كآله من ثم أنه سبحانه الله الخلق لا ينفك يوم على الله عليهم أن يحمدا الله إذا سجدوا وهذا كما في قوله تعالى (يؤمنون بآياتك أن أنزلنا قرآناً لا تعلمون على إلهكم بل الله يعلم أن هذا كمال الإيمان) .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قدم الإساءة على الإصباح بها والخرق في قوله (سجدوا بكرة وأصيلاً) وذلك لأن منها أول نظام ذكر الحشر والإعادة من قوله (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) إلى قوله (وأولئك في العذاب محضرون) وآخر هذه الآية أيضاً ذكر الحشر والإعادة بقوله (وكذلك تخرجون) والإساءة آخر ذكر الآخر لذكر الآخرة .

﴿ المسألة السادسة ﴾ في تعلق بخرج الحى من الميت والميت من الحى يسأ تقدم عليه هو أن عند الإصباح يخرج الإنسان من شبه الموت وهو النوم إلى شبه الوجود وهو البقعة . وعند المشاء يخرج الإنسان من البقعة إلى النوم . واختلف المفسرون في قوله (يخرج الحى من الميت) فقال أكثرهم يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة . وكذلك الحيوان من البقعة والنقطة من الحيوان . وقال بعضهم المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن . ويمكن أن يقال المراد (يخرج الحى من الميت) أى البقطان من النائم والناائم من البقطان . وهذا يكون قد ذكره للتبيل أى إحياء الميت عنده وإماتة الحى كقوله النائم وتوهم الميت .

ثم قال تعالى (ويحيى الأرض بدمائها) وكذلك تخرجون (وى هذا معنى لطيف وهو أن الإنسان بالموت تطفئ حيوانته وأما نفسه الناطقة فطالعه ونفث بعده كما قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) لكن الحيوان لم يتحرك حساس لكن النائم لا يتحرك ولا يحس والأرض الميتة لا يكون فيها ماء . ثم إن النائم بالانتقاء يتحرك ويحس والأرض الميتة بدمائها تنمو نباتها فكان أن تحريك ذلك الساكن وإنشاء هذا الواقع سهل على الله تعالى كذلك إحياء الميت سهل عليه وإلى هذا أشار بقوله (وكذلك تخرجون) .

ثم قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلقكم من ترابٍ ثم إذا أنتم بشراً تنتشرون ﴾ لما أمر الله تعالى بالتدريج عن الأسراء وذكر أن الحدلة على خلق جميع الأشياء . وبين قدرته على الامانة والاحياء بقوله (فيحيى الله) إلى قوله (وكذلك تخرجون) ذكر ما هو حجة ظاهرة وآية

باهرة على ذلك ومن جعلها خلق الإنسان من تراب وتفرده هو أن تتراب أبعد الأشياء عن درجة الأحياء ، وذلك من حيث كيفية فاه مرد يابس والحياء بالحرارة والبرودة ، ومن حيث لونه فاه كدر والروح نير ، ومن حيث منه فاه تعبد والأرواح التي بها الحياة خفيفة ، ومن حيث تكون منه بعيد عن الحركة ، وغير من يتحرك بنة وبسرعة وفي خف وبلى قدام وبلى فوق وبلى أسفل ، وفي الخلقة فالتراب أبعد من قول الحياة عن سائر الأجسام لأن الصاهر أبعد من المركبات لأن المركب يتوكلب أقرب درجة من الحيوان والصاهر أبعد انقرب لأن المسافة نصفه والبرودة وأخرها وكلها على طبع الأرواح والنار أقرب لأنها كالغزيرة الغريزية منضجة جامعة مفرقة ثم المركبات وأول مراتبها القدم فاه تخرج ، وله مراتب أعلاها الذهب وهو قريب من أدنى مراتب النبات وهي مرتبة النباتات أي بدت في الأرض ولا يبرز ولا يرتفع ، ثم السنان وأعلى مراتبها وهي مرتبة الأشجار التي تعبد التعميم ، ويكون غرضها حب يؤخذ منه مثل تلك الشجرة كالبيض من الحاجة والنداجة من البيضاء قريبة من أدنى مراتب الحيوانات وهي مرتبة الخشرات التي ليس لها دم سائل ولا هي إلى المنافع الجليلة وسائر كالبانبات ، ثم الحيوان وأعلى مراتبها قريبة من مرتبة الإنسان في الأنعام ولا سبها العرس شبه النمل والخلد والبعاع ، ثم الإنسان ، وأعلى مراتب الإنسان قريبة من مرتبة الملائكة المسبحين لله المخلصين له فاه الذي خلق من أبعد الأشياء عن مرتبة الأحياء ، حياً هو في أعلى المراتب لا يكون إلا مزهاً عن العجز والجهل ، ويكون له الحمد على إتمام الخلق ، ويكون له كمال القدرة ونعود الإرادة ويجوز عنه الابتداء والاعادة ، وفي الآية تحفيان : ( إحداهما ) قوله ( إذا ) وهي لمصاحفة يقال خرجت فإذا أحد ما ثاب وهو إشارة إلى أن الله تعالى خلق من تراب لكن فكان لا أنه صار مدماً ثم نباتاً ثم حيواناً ثم إنساناً وهذا إشارة إلى مدله حكيمة ، وهي أن الله تعالى خلق أول إنساناً فبينه أنه يعي حيواناً ونباتاً وغير ذلك لأنه خلق أول حيواناً ، ثم يجعله إنساناً خلق الأنواع هو المراد الأول ، ثم تكون الأنواع بها الأجسام تلك الإرادة الأولى ، فاه تعالى جعل المنة الأخيرة في الشيء البعيد عنها غاية من غير انفعال من مرتبة إلى مرتبة من المراتب التي ذكرناها ( النطفة الثانية ) قوله ( بشر ) إشارة إلى القوة المذكورة لأن البشر بشر لا بحر كنه ، فإن غيره من الحيوانات أيضاً كذلك وقوله ( تنشرون ) إلى القوة المحركة وكلاهما من التراب عجب ، إما الإدراك فلكذلك وجوده ، وأما الحركة فلهذه وجوده وقوله ( تنشرون ) إشارة إلى أن المعجبة غير محض خلق الإنسان من التراب بل خلق الحيوان المحض من التراب الساكن عجب فضلاً عن خلق البشر ، وفي الآية مدائن :

● المسألة الأولى : وهي أن الله خلق آدم من تراب وحفنا منه مكسب قال ( خلقكم من تراب ) قول الجواب عنه من وجهين : ( أحدهما ) ما قبل إن المراد من قوله ( خلقكم ) أنه خلق أصلكم ( والثاني ) أن تقول : إن كل بشر مخلوق من التراب ، أما آدم فظاهر ، وأما نحن فلأما خلقنا من

نطفة والنطفة من صالح الغذاء الذي هو بالقوة بعض من الأعضاء . والغذاء إما من لحوم الطيور أو من البهائم . وإما من النبات والحيوان أيضاً له غذاء هو البتة لكن النبات من التراب . فإن الحبة من الحنطة والنواة من الثمرة لا تصير ثمرة إلا بالتراب . ونعم البها أجزاء مائة لتعبر ذلك النبات بحيث ينمو .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال تعالى في موضع آخر ( وخلق من الماء بشراً ) وقال ( من ماء مهين ) وهنا قال من ( تراب ) فكيف الجمع ؟ قلنا أما على ( الجواب الأول ) فالسؤال زائل . فإن المواد منه آدم . وأما على ( الثاني ) فنقول هنا قال مأهول أصل أول . وفي ذلك الموضع قال مأهول أصل ثان لأن ذلك التراب الذي صار غذاء يصير مأهولاً وهو المني . ثم يتعقد ويتكون بخلاف الله منه إنسان أو يقول الإنسان له أصلان ظاهران الماء والتراب فإن التراب لا يثبت إلا بالماء في النبات الذي هو أصل غذاء الإنسان تراب وماء فإن جعل التراب أصلاً والماء لجمع أجزائه المتفردة فالأمر كذلك وإن جعل الأصل هو الماء والتراب لتثبته أجزائه الرطبة من السبلان فالأمر كذلك . فإن قال قائل الله تعالى يعلم كل شيء فهو يعلم أن الأصل ماذا هو منها . وإنما الأمر عندما يشبه يجوز هذا وذلك . فإن كان الأصل هو التراب فكيف قال ( من الماء بشراً ) وإن كان الماء فكيف قال ( خلقكم من تراب ) وإن كانا أصليين فلم لم يقل خلقكم منهما فنقول فيه لطيفة . وهي أن كون التراب أصلاً والماء أصلاً والماء ليس لذاتهما . وإنما هو يجعل الله تعالى فإن الله نقرأ إن قدرته كان له أن يخلق أول ما يخلق الإنسان ثم يفتي ويحصل منه التراب ثم يذوبه ويحصل منه الماء . لكن الحكمة اقتضت أن يكون الناقص وسيلة إلى الكامل لا الكامل يكون وسيلة إلى الناقص لخلق التراب والماء أولاً . وجعلهما أصليين لمن هو أكمل منهما بل للذي هو أكمل من كل كائن وهو الإنسان . فإن كان كونهما أصليين ليس أمراً ذاتياً لما بل يحصل بجعل فتارة جعل الأصل التراب وتارة الماء ليعلم أنه إرادته واختياره . فإن شاء جعل هذا أصلاً وإن شاء جعل ذلك أصلاً . وإن شاء جعلهما أصليين .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال الحكيم إن الإنسان مركب من العناصر الأربعة وهي التراب والماء والهواء والنار . وقالوا التراب فيه إلهائه . والماء لا تشبأه . فإن التراب يفتت جبرعة . والهواء لا يستقله كالزئبق المتفوخ يقوم بالهواء ولو لاه لمسا كان فيه استقلال ولا انصاف . والنار فتعج والانتام بين هذه الأشياء . فهل هذا صحيح أم لا ؟ فإن كان صحيحاً فكيف اعتبر الأمرين لحسب ولم يقل في موضع آخر إنه خلقكم من نار ولا من دمج ؟ نقول أما قولهم فلا فائدة فيه من حيث التخرج فلا تخرجهم فيه إلا إذا قالوا بأنه بالطبيعة كذلك . وأما إن قالوا بأن الله يحكم خلق الإنسان من هذه الأشياء فلا تخرجهم فيه . وأما الإثبات فنقول ماذا كرم لا يخالف هذا لأن الهواء جواهره الاستقلال واشتراكه معهما يكونان بعد امتزاج الماء بالتراب . فالأصل الموجود أولاً لا غير

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَيَجْعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكِرُونَ ﴿١٠﴾

فذلك خصهما ولأن المحسوس من العناصر في الثياب هو الثراب والماء ولا سيما كوجهها في الإنسان ظاهر لكل أحد فخص الظاهر المحسوس بالذكر .

ثم قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يعترفون ﴾ .

لما بين الله خلق الإنسان بين أنه لما خلق الإنسان ولم يكن من الأشياء التي تبقى ودوم سجين متعالة أتق نوعه بالأشخاص وجمعه بحيث يتوالد ، فإذا مات الأب يقوم الابن مقامه لئلا يوجب عند الواحد ثمة في المادة لا تفسد ، وفي الآية سائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قوله ( خلق لكم ) دليل على أن الفساد خلق خلق النواصب والنبات وغير ذلك من المنافع ، كما قال تعالى ( خلق لكم ما في الأرض ) وهذا يقتضي أن لا تكون مخلوقة للعبادة والتكليف فنقول خلق الفساد من النعم علينا وخلفين لنا وتكليفين لإسقام انعمة علينا لا لوجبه التكليف نحو من مثل توحيه إلينا وذلك من حيث النفس والحكماء المعنى ، أما النقل فهذا وغیره ، وأما الحكم فلأن المرأة لم تكلف بتكاليف كثيرة كما كلف الرجل بها ، وأما المعنى فلأن المرأة ضعيفة الخلق حبيبة تشابه انصي لكن العسر ، لم يكلف فكان يناسب أن لا ترحل المرأة بتكاليف ، لكن النعمة علينا ما كانت تتم إلا بتكليفين لتخاف كل واحدة منهن الشفاد فتضاد للزوج وتمنع عن المحرم ، ولولا ذلك لظهر الفساد .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله ( من أنفسكم ) بعضهم قال : المراد منه أن حواء خلفت من جسم آدم والصحيح أن المراد منه من جنسكم كما قال تعالى ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم ) وبديل عليه قوله ( لتسكنوا إليها ) يعني أن المحسوسين الذين المختلطين لا يمكن أحدهما إلى الآخر أي لا تثبت نفسه معه ولا يبدل قلبه إليه .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ يتم قال سكن إليه فسكون القلب ويقال سكن عنده للسكون الجسدي ، لأن كلمة عند جاءت نظير المكان وذلك للأجسام وإلى النهاية ومن القرب .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قوله ( وجعل بينكم مودة ورحمة ) فيه أقوال قال بعضهم مودة بالجماعة ورحمة بآلوه تسكنا بقوله تعالى ( ذكر رحمة ربك عبده زكريا ) وقال بعضهم محبة حالة حاجة نفسه ، ورحمة عالة حاجة صاحبه إليه ، وهذا لأن الإنسان يحب مثله له ، فإذا رأى عدوه في شدة من جوع ولم قد يأخذ من ولده ويصلح به حاله ذلك ، وما ذلك لسبب المحبة وإنما هو لسبب

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَكِينَ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ ثِيَابَكُمْ وَأَنْتُمْ فِيهَا

فِي ذَلِكَ لَا كَيْفَ لِلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾

الرحمة ويذكر أن يقال ذكر من قبل أمرين (أحدهما) كون الروح من جنسه (والثاني) ما تنصص إليه الخسنة وهو السكون إليه ما خسنة نوح السكون وذكرهما الأمرين (أحدهما) بغض إلى الآخر ما فودة تكون أو لا تم (بها تنصص إلى الرحمة ، وهذا جان الروح قد تخرج عن محل الشهوة بكبر أو مرض ويقيم الروح بها وبالعكس وغيره (إذ في ذلك) يحتمل أن يقال المراد إن في خلق الأرض آيات . ويحتمل أن يقال في جعل الفودة بينهم آيات (أما الأول) فلا بد له من فكر لأن خلق الإنسان من الترابين يدل على كمال القدرة ونفوذ الإرادة ونحوه العلم لم يتفكر ولو في خروج الولد من بطن الأم ، فإن دون ذلك لو كان من غير الله لا تنصص إلى هلاك الأم وهلاك الولد أيضاً لأن الولد لو لم ينشأ من موضع جنين بغير إرادة الله شئت (وأما الثاني) فكذلك لأن الإنسان يجد بين الأمرين من التراجع ما لا يحده بين دوى الأرض وليس ذلك بمجرد الشهوة فإنها قد تنق وتنت الرحمة فهو من الله ولو كان بينهما مجرد الشهوة والغضب كثير التفرع وهو مطلق الشهوة والشهوة غير دائمة في نفسها لكان كل ساعة بينهما راق وطلاق فارحة التي بها يدفع الإنسان المنكارة عن حرم حرمه هي من عند الله ولا يعلم ذلك إلا بفكر .

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ ثِيَابَكُمْ وَأَنْتُمْ فِي ذَلِكَ لَا كَيْفَ لِلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾

لما بين دلائل الإله في ذكر دلائل الآفاق وأظهرها خلق السموات والأرض ، فإن بعض التكفار يقول في خلق البشر وغيره من المركبات فإنه بسبب ما في العناصر من الكيفيات وما في السموات من الحركات وما بها من الاتصالات فإذا قيل له فالسماوات والأرض لم تكن لامتزاج العناصر واتصالات الكواكب فلا يجدوا من أن يقول ذلك بقدرته الله وإرادته ثم لما أشار إلى دلائل الانفس والآفاق ذكر ما هو من صفات الانفس بالاختلاف الذي بين الرائد الانساني فإن واحداً منهم مع كثرة عدمه وصغر حجم وجودهم وقعودهم لا يشبهه غيره والسموات مع كبرها وقلة عددها مشبهات في الصورة (والثاني) اختلاف كلامهم فإن عربين هما أشوان إذا تكلموا بلسنة واحدة يعرف أحدهما من الآخر حتى أن من يكون محبوباً عنهما لا يعرفهما يقول هذا صوت فلان وهذا صوت فلان الآخر وفي حكمه بالغة وذلك لأن الإنسان يحتاج إلى التمييز بين الأشخاص ليعرف صاحب الحق من غيره والمعدو من الصديق ليعرف قبل وصول العدو إليه ، وليقبل على الصديق فيز أن يعود الإنزال عليه ، وذلك قد يكون بالبعد عن



وَمِنْ آيَاتِهِ، مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾

اختلاف الصور وقد يكون بالسمع خلق اختلاف الأصوات . وأما السمع والنوم والقدوم فلا يفيد طلبة في سرقة العدو والتدبير فلا يقع بها التمييز . ومن الناس من قال المراد اختلاف اللغة كالتربية والعلمية والروحية وغيرها والأول أصح . ثم قال تعالى ( آيات للناس ) فما كان خلق السموات والأرض ( بحسب الاختلافات البعيدة التي يفوقها فهمنا الطباع واختلاف الألوان كذلك واختلاف الأصوات كذلك قال ( العالمين ) لمعوم العلم بذلك .

ثم قال تعالى : ﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله ﴾ إن في ذلك آيات لقوم يسمعون ﴿ ٢٠ ﴾ .

لما ذكر بعض العرضيات اللازمة وهو الاختلاف ذكر الأعراض المفارقة ومن جعلها النوم بالليل والحركة طلباً للرزق بالنهار ، فقد ذكر من القوازم أمرين . ومن المفارقة أمرين . وفي الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قوله ( منامكم بالليل والنهار ) قيل أراد به النوم بالليل والنوم بالنهار وهي القنولة : ثم قال ( وابتغائكم ) أي جهادكم كثيراً ما يكتب الإنسان بالليل . وقيل أراد منامكم بالليل وابتغائكم بالنهار طلب البعض ببعض . ويدل عليه آيات أخر . منها قوله تعالى ( وجعلنا آية النهار مبصرةً لتبتغوا فضلاً ) وغوله ( وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً ) ويكون التدبير هكذا : ومن آياته منامكم وابتغائكم بالليل والنهار من فضله ، فأخر الابتغاء وقرنه في اللفظ بالفضل إشارة إلى أن العبد ينبغي أن لا يرى طريق من كسبه وبخذه . بل يرى كل ذلك من فضل ربه ، ولهذا قرن الابتغاء بالفضل في كثير من المواضع . منها قوله تعالى ( فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ) وغوله ( ولتبتغوا من فضله ) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قدم مقام بالليل على الابتغاء بالنهار في الذكر . لأن الاستراحة مطلوبة لذاتها والطلب لا يكون إلا للحاجة . فلا يجب إلا محتاج في أحوال أو غائب عن غائب من المشاغل .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال ( آيات لقوم يسمعون ) وقال من قبل ( لقوم يتفكرون ) وقال ( نعمانين ) فنقول المقام بالليل والابتغاء من فضله طلب الحامل أو الغافل . أيهما ربما يقتضيه طبع الحيوان فلا يظهر لكل أحد كونهما . من ثم الله ظر جعل آيات نعمانين ولأن الأمرين الأولين وهو اختلاف الألسنة والألوان من القوازم وأقدام والابتغاء من الأمور المفارقة فالتفكير إليها لا يندوم لزوالها في بعض الأوقات ولا كذلك اختلاف الألسنة والألوان . فالتفكير يدوم وبداوم الإنسان

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرْسِلُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ  
الْأَرْضَ بَقْعًا مَرْمَاتًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

لجلهما آيات عامة ، وأما قوله ( لنوله بتفكرون ) فاعلم أن من الأشياء ما يعلم من غير تفكر ، ومنها ما يمكن فيه مجرد التفكير ، ومنها ما لا يخرج بالتفكر من يحتاج إلى موجب يوقض عليه ومرشد يرشد إليه ، ففهمه إذا سمعه من ذلك المرشد ، ومنها ما يحتاج إلى بعض الناس في فهمه (لأنه حكمة كالاكتشاف المنطوق لكن خلق الآيات لا يشع لأحد أن يطبع إلا إذا كان جامداً للتفكير عادم الذكر ، فإذا تفكر علم كونه ذلك الخلق آية ، وأما المنام والانتباه فقد يقع لكثير أتم ما من أعمال العباد ، وقد يحتاج إلى مرشد بغير تفكير ، فقال (لهم يسمعون) ويعملون بالعلم إلى الكلام المرشد . قال تعالى : ومن آياته يرسل البرق خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَقْعًا مَرْمَاتًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ .

لما ذكر العرضيات التي للأفئدة اللازمة والمنقاربة ذكر العرضيات التي للأفئدة : وقال ( يرسل البرق خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ) وفي الآية مسائل :  
( إحداهما ) لما قدم دلائل النفس منها قدم العرضيات التي للأفئدة وأخر العرضيات التي للأفئدة كما أمر دلائل الآفاق ، قوله ( ومن آياته خلق السموات والأرض ) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قدم لوازم النفس على العوارض المتعارفة حيث ذكر أولاً اختلاف الألسنة والأقوال ثم المنام والانتباه ، وقدم في الآفاق العوارض المتعارفة على الوازم حيث قال ( يرسل البرق خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ ) وذلك لأن الإنسان متغير الحال والعوارض له غير بعيدة ، وأما الوازم فيه متغيرة ، وأما السموات والأرض فثابتة التغير فالعوارض فيها أغرب من الوازم ، فقدم ما هو أغرب لكونه أدخل في كونه آية وزيده بياناً فنقول : الإنسان يتغير حاله بالتفكير والنوم والصحة والسقم وله صوت يعرف به لا يتغير وله لون يتغير عن غيره : وهو يتغير في الأحوال وذلك لا يتغير وهو آية غيبية ، والسموات والأرض ثابتان لا يتغيران ، ثم يرى في بعض الأحوال أمطار عاصلة وبروق عاصلة ، وأسماها كما كانت والأرض كذلك ، فهو آية دالة على فاعل مختار يديم أمراً مع تغيير المحل ويزين أمره مع ثبات الفاعل .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ كما قدم السماء على الأرض قدم ما هو من السماء وهو البرق والمطر على ما هو من الأرض وهو الإنبات والاحياء .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ كما أن في إزال المطر وإنبات الشجر منافع ، كذلك في تقدم البرق والبرق على المطر منفعة ، وذلك لأن البرق إذا لامع ، فأنشأ لا يكون تحت كنى بخلاف الانزال

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَكَّاهُ دَكَّاءً مِّنَ الْأَرْضِ

إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿١٥﴾

فيستبدله ، والذي له مخرج أو صانع يحتاج إلى الماء أو زرع يسوى بخلاف الماء ، وأيضاً العرب من أهل البوادي فلا يعمون البلاد الغشبية إن لم يكونوا قد رأوا البروق للأنحة من جانب دون جانب ، واعلم أن نوءاً برق وإن لم تظهر للعيب من البلاد فهي ظاهرة تباين ولها جعل تخديم البرق على نهر من الماء من السبل نعمة ، وآية ، وأما كونه آية ظاهرة فإن في السحاب ليس إلا ماء ، وهو ، وغروب النار منها يحدث تحرق الجبال في غاية البعد فلا بد له من خالق هو الله ، قالت الفلاسفة السحاب فيه كثافة وإضافة باليد إلى الهواء والماء ، فلهوا العطف منه والماء أكثف فإذا جت ريح قوية تحرق السحاب بمنف فيحدث صوت الرعد ويخرج منه الدار كسكس جسم جسيماً بمنف ، وهذا كما أن النار تخرج من وفوق الحجر على الحديد ، فإن قال قائل الحجر والحديد جسيماً صلبان والسحاب والرياح جسيماً رطبان ، فيقولون لكن حركة يد الإنسان ضعيفة وحركة الريح قوية فتقع الأشجار ، فنقول هم البرق والرعد أمران حادثان لا بد لهما من سبب ، وقد علم بالبرهان كون كل حادث من الله فهما من الله ، ثم إذا نقول هب أن الأمر كما تقولون فهو برب تلك الريح ، فتوبة من الأمور الحادثة تعجبية لا بد له من سبب وعقل إلى واجب الوجود ، فهو آية لتعاضل على قدرة الله كيماء عرضتم ذلك .

﴿ مسألة الخامسة ﴾ قال هبنا ( لقوم يقولون ) لما كان حدوث الولد من الوالد أمراً عادياً مطرداً قليل الاختلاف كان ينطوق إلى الأوهام العامة أن ذلك بالطبيعة ، لأن المطرد أقرب إلى الطبيعة من المختلف ، لكن البرق والمطر ليس أمراً مطرداً غير متخلف إذ يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت وتارة تكون قوية وتارة تكون ضعيفة فهو أظهر في العقل دلالة على القاعل المختار ، فقال هو آية لمن له عقل إن لم يتفكر تفكراً تاماً .

ثم قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دكاهم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ .

لما ذكر من العوارض التي للسماء والأرض بعضها ، ذكر من لوازمها البعض وهي قيامها ، فإن الأرض ثقلاً يجيب الإنسان من فوقها وعدم نزولها وكون السماء يتعجب من علوها وبنائها من غير عمد ، وهذا من التوازم ، فإن الأرض لا تخرج عن مكانها الذي هي فيه والسماء كذلك لا تخرج عن مكانها الذي هي فيه فإن قيل إنها تتحرك في مكانها كالرحى ولكن اتفق الفلاسفة على أنها في مكانها لا تخرج عنه ، وهذه آية ظاهرة لأن كونهما في الموضع الذي هما فيه وعلى الموضع

الذي مما عليه من الأمور الممكنة ، وكونهما في غير ذلك الموضع جائز ، فكان يمكن أن يخرجها عنه فلما لم يخرجها كان ذلك ترجيحاً للجائز على غيره ، وذلك لا يكون إلا ما عجل عتار ، والخلاصة قالوا كون الأرض في المكان الذي هو به طبيعي ، وهو العمل ، لا نشاء ، والتفصيل يطلب المركز والخفيف يطلب المحيط ، والشاء كونها في مكانها إن كانت ذات مكان عاداتها بغيرها ، فطلب المحيط ، فقول قد تقدم مراراً أن القول بالطبيعة باطل ، والذي يريد ههنا أنهم وافقوا ، بأن ما جاز على أحد المثلين جاز على المثل الآخر ، لكن مضع الضلك لا يخالف عده في الضبع فيجوز حصول مفعله في موضع عده ، وذلك بالخروج والروايات فاذن الروايات غير المكان يمكن لاشياء على السماء الدنيا بأنها معدة الصمات على مدحهم أيضاً والأرض كانت تحوز عليها الحركة الدورية ، كما تقولون على السماء فعدتها وسكنوها ليس إلا بقاع عتار وفي الآية مسائل :

المسألة الأولى : ذكر الله من كل باب أمرين ، أما من الأنفس فتقوله ( خلق لكم ) استبدل بحال الزوجين ومن الأفاق السماء والأرض في قوله ( خلق السموات والأرض ) ومن نوازم الإنسان اختلاف اللسان واختلاف الألوان ومن عوارضه الماء والابتغا ، ومن عوارض الأفاق البروق والأمطار ومن لوازمها قيام السماء وهيام الأرض ، لأن الواحد يكفي للاقرار بالخلق ، ( وثاني ) بغير الاستقرار بالخلق ، ومن هذا اعتبر شهادة شاهدين فإن قول أحدهما بغير الخلق وقول الآخر بغيره تأكيداً ، ولهذا قال إمامهم عليه السلام ( بلى وسكن ليطعن علي ) .

المسألة الثانية : قوله ( أمره ) أي بقوله ( قوما ) أو بإرادته جامعها ، وذلك لأن الأمر عند المتعذر موافق للإرادة ، وعندنا ليس كذلك ، ولكن النزاع في الأمر الذي يقتضيه لال الأمر الذي للتكوين ، فاما لا يتزعمهم أن قوله ( كن ) وكونوا ( وبأنه كن ) موافق للإرادة .

المسألة الثالثة : قال فيها ( ومن آياته أن تقوم ) وقال قبله ( ومن آياته يريكم ) ولم يقل أن يريكم ، وإشغال به من المصيرين إن أن مصيره هناك معناه من آياته ( أن يريكم ) بصير كما يصير بأن ، وذلك لأن القيام لم كان غير منه بر أخرج الفعل بل عن الفعل المستقبل وحسنه مصدراً ، لأن المستقبل ينفي عن التحدد ، وفي البرق لما كان ذلك من الأمور التي تتجدد في زمان دون زمان ذكره بلفظ المستقبل ولم يذكر منه شيئاً من الحروف المتصورة .

المسألة الرابعة : ذكر ستة دلائل ، وذكر في أربعة منها إن في ذلك لآيات ، ولم يذكر في الأول وهو قوله ( ومن آياته أن خلقكم من تراب ) ولا في الآخر وهو قوله ( ومن آياته أن تقوم السماء والأرض ) أما في الأول فلأن قوله بعده ( ومن آياته أن خلقكم ) أيضاً دليل الأنفس ، فخلق الأنفس وخلق الأزواج من باب واحد ، على ما بينا ، غير أنه تعالى ذكر من كل باب أمرين للتقرير بالتشكيك ، فإذا قال ( إن في ذلك لآيات ) كان عائداً إليهما ، ولما في قيام السماء والأرض فتقول في الآيات السماوية ذكر أنها آيات للعالمين ولقوم يفتنون لظهورها

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمْ قَسِيتُونَ ﴿٦٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ أَتَعَزُّزُ أَتَّكِيمُ ﴿٦٧﴾

فلسا كان في أول الامر ظاهر أني آخر الامر بعد سره الدلائل يكون أظهر . ثم بين أحد آخر أحد في ذلك . وذكر ما هو مدلوله وهو قدرته على الاعادة ، وقال ( ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم بخرجون ) وبها مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ ما وجه النصف يتم . ويتم تعالى ثم لا نقول معناه والله أعلم إله تعالى إذا بين لكم كمال قدرته بهذه الآيات بعد ذلك بخبركم ويعلمكم أنه إذا قال للظلمة الرميثة احرسوا من الأجداث بخرجون أحياء .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله تعالى دعا فلان فلانا من الجبل . يحمل أن يكون الدعاء من الجبل كما يقول القائل يا فلان اصعد إلى الجبل . فيقول دعاه من الجبل . ويحمل أن يكون المدعو يدعى من الجبل كما يقول القائل يا فلان ازل من الجبل . فيقال دعاه من الجبل . ولا يخفى على العقول أن الدعاء لا يكون من الأرض إذا كان الداعي هو الله ، فالمدعو يدعى من الأرض يعني أنتم فكونون في الأرض فيدعوكم منها بخرجون .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله تعالى ( إذا أنتم ) قد بينا أنه المتعجب منه يعني يكون ذلك بكن فيكون . ﴿ المسألة الرابعة ﴾ قال هنا إذا أنتم بخرجون . وغال في خلق الانسان أولا ( ثم إذا أنتم بخر تفتشرون ) فقول هناك يكون خلق وتقدير وتدرج وتراخ حتى يصير التراب قابلا للحياة فيأتي فيه روحه ، فإذا هو بشر . وأما في الاعادة لا يكون تدريج وتراخ من يكون نداء وعروج . ثم يقال مهنا ثم .

ثم قال تعالى ﴿ وله من في السموات والأرض كل له قانتون ، وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه . وله فضل الاعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ .

لما ذكر الآيات وكان مدلولها قدرته على الخسر التي هي الأصل الآخر ، وتوحيده التي هي الأصل الأول . أشار إليها بقوله ( وله من في السموات والأرض ) يسي لا شريك له أصلا لأن كل من في السموات وكل من في الأرض ، ونفس السموات والأرض له وملكه ، فكل له متقادون قانتون . والشريك يكون متازعا مائلا . فلا شريك له أصلا ثم ذكر الدلائل الآخر . فقال تعالى ( وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ) أي في خلقكم الاعادة أهون من الإبداء

لأن من يفعل فعلاً أولاً يصيب عيب . ثم إذا فعل بعد ذلك مثله يكون أهون . وقيل المراد هو عين عليه كما قيل في قول القائل إنه أكبر أن كبير . وقيل المراد هو أهون عليه أي الاعادة أهون على الخالق من الابدال لأن في الابدال يكون عتقة ثم مضقة ثم خاتم عظماء ثم يخلق بشرًا ثم يفرج طفلاً يفرج إلى غير ذلك فيصعب عليه ذلك كله . وأما في الاعادة فيخرج بشرًا سواءً يكن فيكون أهون عليه . والوجه الأول أصح وعليه نتكلم فقول هو أهون بحسب أن يكون ذلك لأن في البدء خلق الأجزاء وتأليفها والاعادة تأليف ولا شك أن الأمر الواحد أهون من أمرين ولا يرم من هذا أن يكون غيره فيه صعوبة . ولين هذا فنقول المئين هو مالا يتعب فيه الفاعل . والأهون ما لا يتعب فيه المفعول بالطريق الأول ، فإذا قال خالق إن الرجل القوي لا يتعب من ثقل شعبة من موضع إلى موضع وسلم السامع له ذلك ، فإذا قال لنكونه لا يتعب من ثقل خردة يكون ذلك كلاماً معقولاً متيق على حقيقته .

ثم قال تعالى : وله مثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم أي قولنا هو أهون سبه بفهمه أمران (أشدهما) هو ما يكون في الآخر تعب كما يقال إن ثقل الخفيف أهون من ثقل الثقل (والآخر) هو ما ذكرنا من الأولوية من غير لزوم تعب في الآخر فنقوله (وله مثل الأعلى) إشارة إلى أن كونه أهون بالمعنى الثاني لا يفهم منه الأول وهما فائدة ذكرها صاحب الكشاف وهي أن الله تعالى قال في موضع آخر (هو على عين) وقال مهنا وهو أهون عليه فقدم هناك كلمة على وأخرها هنا ، وذلك لأن المعنى الذي قال هناك إنه عين هو خلق المولد من العجوز وأنه صعب على غيره وليس بين الإعلية هناك (هو على عين) بمعنى لا على غيره . وأما مهنا المعنى الذي ذكر أنه أهون هو الاعادة والاعادة على كل مدى أهون فقال وهو أهون عليه لا على سبيل المقصر . فالتقديم هناك كان للمقصر ، وقوله تعالى (وله مثل الأعلى في السموات والأرض) على الوجه الأول وهو قولنا أهون عليه بالنسبة إليكم له معنى وعلى الوجه الذي ذكرناه له معنى أما على الوجه الأول فلما قال (وله مثل الأعلى) وكان ذلك مثلاً مضروباً لمن في الأرض من الناس فيفيد ذلك أن له مثل الأعلى من أمته الناس وهم أهل الأرض ولا يفيد أن له مثل الأعلى من أمة الملائكة فقال (وله مثل الأعلى في السموات والأرض) يعني هذا مثل مضروب لكم (وله مثل الأعلى) من هذا المثل ومن كل مثل يضرب في السموات ، وأما على الوجه الثاني فتناه أن له مثل الأعلى أي فنه وإن شبهه بضعكم ومثله به . لكن ذاته ليس كمثلته ثم فله مثل الأعلى وهو منقول عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما . وقيل المثل الأعلى أي الصفة العليا وهي لا إله إلا الله ، وقوله تعالى (وهو العزيز الحكيم) أي كامل القدرة على المستحبات ، شامل العلم بجميع الموجودات ، فبهم الأجزاء في الاتمكة ويقدر على جميعها وتأليفها .

حَرْبَ لَكُمْ مِثْلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ  
فِي مَادَرَاتِكُمْ فُتَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَحْفَظُوهُمْ يُفْنِكُكُمْ أَنْفُسُكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ  
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١٩﴾

ثم قال تعالى : وَ حَرْبَ لَكُمْ مِثْلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيهَا  
دَرْفَاتِكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَحْفَظُوهُمْ يُفْنِكُكُمْ أَنْفُسُكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١٩﴾  
لما بين الإعادة والقدرة عليها بالمثل بعد الدليلين بين الواحدية أيضاً بالمثل بعد الدليل، ومعناه  
أن يكون له ثلوك لا يكون شريكاً له في ماله ولا يكون له حرمة مثل حرمة سيده فكيف يجوز  
أن يكون عباده شركاء له وكيف يجوز أن يكون لهم عظمة مثل عظمة الله تعالى حتى يعبدوا ،  
وفي الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ يعني أن يكون بين المثل والمثل به مشابهة ما، ثم إن كان بينهما مخالفة  
فقد يكون مؤكداً للمثل وقد يحسكون موافقا له ومنها وجه الحاجة معلوم ، وأما المخالفة  
فموجودة أيضاً وهي مؤكدة وذلك من وجوه ( أحدها ) قوله ( من أنفسكم ) يعني ضرب لكم  
مثلاً من أنفسكم مع صفاتها ونقصاتها وبجزءها ، والآخر أنه عليكم مع عظمتها وكاملها وقدرتها ( وثانيها )  
قوله ( مما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) يعني عبدكم لكم عليهم ملك الله وهو طاهر ( أي ) قابل للثقل والزوال ، أما  
الثقل بالبيع وغيره والزوال بالمضي وثلوث الله لا خروج له من ملك الله بوجه من الوجوه ، فإذا  
لم يجوز أن يكون ثلوك شريكاً لكم مع أن يجوز أن يصير مثلكم من جميع الوجوه ، بل هو  
في اغفال مثلكم في الإدمية حتى أنكم ليس لكم تصرف في روحه وأدميته بقتل وضع وإيس لكم  
منهم من السادة وأقارب الحاجة ، فكيف يجوز أن يكون ثلوك الله الذي هو بملكه من جميع  
الوجوه شريكاً له ( وثالثها ) قوله ( من شركاء فيها دَرْفَاتِكُمْ ) يعني الذي لكم هو في الحقيقة ليس  
لكم بل هو من الله ومن رزقه والذي من الله فهو في الحقيقة له فإذا لم يجوز أن يكون لكم شريك  
في مالكم من حيث الاسم ، فكيف يجوز أن يكون له شريك فيها له من حيث الحقيقة وقوله ( فأنتم  
فيه سواء ) أي هل أنتم ومما يليكم في شيء مما تملكون سواء ليس كذلك فلا يكون لله شريك  
في شيء مما يملكه ، لكن كل شيء هو لله فما تدعون إلهيته لا يملك شيئاً أصلاً ولا متقال ذرة من  
خرد فلا يبعد لعظمته ولا لانتعته نقص إليكم منه ، وأما قولكم هؤلاء شفعاؤنا عليكم كذلك ، لأن  
المملوك هل له عندكم حرمة تكراه الأحرار وإذا لم يكن للثلوك مع مساواته إياكم في الحقيقة  
والصفة عندكم حرمة ، فكيف يكون حال المالك الذين لا مساواة بينهم وبين المالك بوجه من

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ  
 مُنْصِرِينَ ﴿١٥﴾ فَأَتِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا  
 تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَرِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

المرجوه وإن عشنا أشار بقوله ( تخافوهم كيفنكم أنفسكم ) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ : هذا نفي جميع وجوه حسن العادة عن الغير لأن الأعيان إذا لم يصلحوا  
 للشركة فليس لهم ملك ولا ملك ، فلا عظمة لهم حتى يمدوا أنفسهم ولا يرغى منهم منفعة لعدم  
 ملكهم حتى يمدوا نفع وليس لهم قوة وقدرة لأنهم عبيد والعبد المملوك لا يقدر على شيء فلا  
 تخافوهم كما تخافون أنفسكم ، فكيف تخافوهم خوفاً أكثر من خوفاكم بعضاً من بعض حتى  
 تعبدوهم للخوف .

ثم قال تعالى : ( كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ) أي نبينا بالبراهين والبراهين انطعية  
 والآيات والنماذج الانشائية لقوم يعقلون ، بنى لا ينشئ الأمر بعد ذلك إلا على من لا يكون  
 له عقل .

ثم قال تعالى : ﴿ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغیر علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين ﴾  
 أي لا يجوز أن يشرك بالملك ملوكه ونسك الذين أشركوا اتبعوا أهواءهم من غير علم وأنشأوا  
 شركه من غير دليل . ثم بين أن ذلك بإرادة الله بقوله ( فمن يهدى من أضل الله ) أي هؤلاء  
 أضلهم الله فلا هادي لهم ، فبين أن لا يجوز لك قولهم ، وهذا لطيفة وهي أن قوله ( فمن يهدى من  
 أضل الله ) مقولها تقدم وذلك لأنه لما قال لأن الله لا يشريك له برجه ما ثم قال فقال بل  
 المشركون يشركون من غير علم ، يقال فيه أنت أنبت لهم فصراً على خلاف رضاء والسيد العزيز  
 هو الذي لا يقدر عبده على تصرف بخلاف رضاء ، فقال إن ذلك ليس باستقلال بل بإرادة الله وما  
 لهم من ناصرين ، لما زكوا الله تركهم الله ومن أعذوه لا يفتن عنهم شيئاً فلا ناصر لهم .

ثم قال تعالى : ﴿ فأتم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق  
 الله ﴾ أي إذا بين الأمر وظهور الوحانية ولم يبدد المشرك فلا تشكك أنت إليهم وأتم وجهك  
 للدين ، ونحوه ( فأتم وجهك للدين ) أي أقبل بكتلك على الدين هجر عن الذات بالوجه كما قال تعالى  
 ( كل شيء هالك إلا ووجهه ) أي ذاته بصفاته ، وقوله ( حنيفاً ) أي مانحاً عن كل ما عداه أي أقبل  
 على الدين ومن كل شيء ، أي لا يكون في قلبك شيء آخر خدمود إليه ، وهذا قريب من معنى قوله  
 ( ولا تكونوا من المشركين ) ثم قال الله تعالى ( فطرت الله ) أي الزم صطرة الله وهي التوحيد



مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٦٢﴾

فإن الله خلق الناس عنه حيث أخذهم من ظهر آدم وسألهم (أأنت ربكم)؟ فقالوا بلى، وقوله تعالى (لا تبديل لخلق الله) فيه وجوه. قال بعض المفسرين هذه نسبية لقبي صلى الله عليه وسلم عن الحزن حيث لم يؤمن قومه فقال هم خلقوا بشقاقه ومن كتب شقياً لا يستد، وقيل (لا تبديل لخلق الله) أي التوحيدة مفرصة مهم لا تغبر لما حتى إن سألتهم من خلق السموات والأرض يقولون الله، لكن الإيمان يعطى غير كاف، ويحتمل أن يقال خلق الله الخلق لعبادته وهم كلهم عبيد، لا تبديل لخلق الله أي ليس كونهم عبيداً مثل كون الملوك عبيداً لإنسان فإنه ينتقل عنه إلى غيره ويخرج عن ملكه بالمتق بن الإخراج لخلق عن العبادات والبيوتية، وهذا بيان غصاء قول من يقول العبادات لتجصيل الكمال، العبد يتكفل بالعبادة فلا يبقى عليه تكليف، وتكون المشركين إن الناقص لا يصاحب لعبادة الله، وإنما الإنسان عند الكواكب والكواكب عبيد الله، وقول التصاري إن عيسى كان يحمل الله فيه وصار إليه فقال (لا تبديل لخلق الله) بل كلهم عبيد لا يخرج لهم عن ذلك.

ثم قال تعالى (ذلك الدين القيم) الذي لا عوج فيه (ونكن أكثر الناس لا يعلمون) أن ذلك هو الدين المستقيم.

ثم قال تعالى: متبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

ثم قال حنبلاً أي ما تلا عن غيره قال (متبين إليه) أي مقبلين عليه، والمخاطب في قوله (أأنت ربكم) مع النبي والمراد جميع المؤمنين، وقوله (واتقوه) يعني إذا أقبلتم عليه وتركتم الدنيا فلا تأمنوا فتتركوا عبادته بل شافوه ودأبوا على العبادة وأقيموا الصلاة، أي كوبرا جابدين عند حصول التوبة كما فهم قيل ذلك، ثم إنه تعالى قال (ولا تكونوا من المشركين) قال المفسرون يعني ولا تتركوا بعد الإيمان أي ولا تقصدوا بذلك غير الله، وهما وجه آخر وهو أن الله بقوله (متبين) أثبت التوحيد الذي هو يخرج عن الإلحاد الظاهر وبقوله (ولا تكونوا من المشركين) أراد إخراج العبد عن الشرك الحق أي لا تقصدوا بسلامكم إلا وجه الله ولا تطلبوا به إلا رضاه الله فإن الدنيا والآخرة تصحيل وإن لم تطلوها إذا حصل رضا الله وعلى هذا قوله (من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) يعني لم يجمعوا على الإسلام، ونذهب كل أحد إلى مذهبه، ويحتمل أن يقال وكانوا شيعاً يعني بعضهم عبد الله للدنيا وبعضهم الجنة وبعضهم

فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٦﴾

للتخلص من النار ، وكل واحد بما في نظره فرج ، وأما انخلص فلا يفرح بما يكون لديه ، وإنما يكون فرحه بأن يحصل عند الله رفيع بين يديه وذلك لأن كل ما لدينا نفعه أقوله تعالى (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) فلا مطلوب لكم فيها لديكم حتى تفرحوا به وإنما المطلوب ما لدى الله وبه الفرح لما قال تعالى (بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله) - عليهم فرحين يكونهم عند ربهم ما يكون ما أوتوا من فضله الذي لا يفادنه ، ولذلك قال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) لا بما عندهم فإن كل ما عند اليد هو نفعه ، أما في الدنيا فظاهر ، وأما في الآخرة فلا من موصول إلى العبد من الإلتذاذ بالأكول والمشروب فهو يروى ، ولكن الله يمد له مثله إلى الأبد من فضله الذي لا تضله فالتدلى لا تضله هو فضله .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقْنَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ .

لما بين التوحيد بالله بل وبالمثل ، بين أن هم حالة بد فون به - ، وإن كانوا يشكرونها في وقت وهي حالة الشدة ، فإن عند اضطلاع رجائه عن الكل يرجع إلى الله ، ويجد نفسه بحاجة إلى شيء ليس كبقية الأشياء ، طالبة به النجاة (ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم برّبهم يشركون) يعني إذا خلصناه بشرك برّه ويقول تخلّصت بسبب اتصال الكوكب الفلاني فلان ، وبسبب الصنم الفلاني ، لا ، بل ينبغي أن لا يعتقد أنه تخلّص بسبب فلان إذا كان طاهر أياه شركه غنى ، مثله رجل في بحر أدركه الفرق فهي - الله له لو حاسبه إليه ربح فيتمتق به وينجو ، يقول تخلّصت بلوح ، أر رجل أقل عليه سبع فيرسل الله إليه رجلاً فيمنه يقول خلّصني زيد ، فهذا إذا كان عن اعتقاد فهو شركه غنى ، وإن كان بمعنى أن الله خلّصني على يد زيد فهو أحنى ، وفيه مسائل :

(الاول) قوله تعالى (أذاقهم) فيه لطيفة وذلك لأن الدوق يقال في القليل من العرف (أن) من أكل ما كولا كثيراً لا يقول ذقت ، ويقال في الذي ما ذقت في بينه طاماً غياً للقليل يلزم من الكثير بالأولى ، ثم إن تلك الرحمة لما كانت غالبة متقطعة ولم تكن مستمرة في الآخرة (أذقم) في الآخرة عذاب قال أذاقهم ولها قال في العذاب (ذوقوا مس سقر ، ذوقوا ما كنتم تعملون ، ذوقوا أنات العذاب العكس) لأن عذاب الله الواصل إلى العبد بالنسبة إلى الرحمة الواصلة إلى عبيد آخرين في غاية القلة ﴿ فَنَسَأَلُكَ الْآخِرَةَ ﴾ قوله تعالى (منه) أي من الغنى في هذا التخصيص ما ذكرناه من الفائدة وهي أن الرحمة غير مطلقة ثم إما هي عن ذلك العسر وحده ، وأما العسر المؤخر فلا يقعون منه رحمة

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَعْمُرُوا بَنِيكُمْ فَوْقَ قَدْحِهِمْ ۖ أَمْ أَنتُمْ لَمَنِسِينَ ﴿١٢٣﴾  
فَهُمْ يَشْكُرُكُمْ بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال هبنا (إذا قرئ قسم) قال في العنكبوت (لما نخدم إلى البر إذا هم بشر كون) ولم يقل قرين وذلك لأن المذكور هناك غير معين . وهو ما يكون من حول البحر والمختص منه ما نسب إلى الخلق قبل . والذي لا يشك به بعد إخلاص فرقة منهم في غاية الغلة علم بحمل المشركين فريضة لغلة من خرج من المشركين . وأما المذكور بها . فهو مطلقاً عتقاد من صر إليه والبحر والأراض والأهول والمختص من أوانع الضر على كثير بل جميع الناس يكونون قد وعظوا في ضر ما وتخلصوا منه . والذي لا يبق بعد إخلاص مشركا من جميع الأنواع إذا جمع فهو خلق عظيم . وهو جميع المسلمين فانهم تخلصوا من ضر ولم يبقوا مشركين . وأما المشركون فلم يتخلصوا من ضر البحر بجمعهم . فلما كان الداهي من الضر من المؤمنين جمعاً كثيراً . جعل الباقي فريضة .

ثم قال تعالى : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَعْمُرُوا بَنِيكُمْ فَوْقَ قَدْحِهِمْ ۖ أَمْ أَنتُمْ لَمَنِسِينَ ﴾ . ثم قال تعالى : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْكُرُونَ ﴾ .

قوله تعالى ( لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَعْمُرُوا بَنِيكُمْ فَوْقَ قَدْحِهِمْ ۖ أَمْ أَنتُمْ لَمَنِسِينَ ) في بيان فائدة الخطاب بها في قوله ( فتنموا ) وعنده هناك في قوله ( وليستعوا فسوف يعلمون ) نفور لما كان الضر المذكور هناك هم أحد أجزائه لا يكون في ذلك الموضع من المختصين من ذلك الضر أحد . فلم يخاطب ولما كان المذكور بها مطلق الضر ولا يغتر موضع من المختصين عن الضر . فإخاطبه يصح خطاباً بأنه منهم مخاطب .

ثم قال تعالى ( أَمْ أَنتُمْ لَمَنِسِينَ ) . ثم قال تعالى ( لِيَكْفُرُوا بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْكُرُونَ ) . لما سبق قوله تعالى ( بل أتبع الدين ظلوا أهواهم ) أي المشركون يقولون ما لا علم لهم به بل هم عالمون بخلافه فانهم وقت الضر رجسوا إلى الله حتى ذلك الاستغفار عنهم . الإنكار . أي ما أزلنا بما يقولون سلطاناً . وجه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ أم للاستدحام ولا يقع إلا متوسطاً . كما قال قائلهم :

أبا طيبة الرعاء بن عجلان وبين شفا آتاهم أم سلام

لما أتاهم الذي قلته لا يقول تخذروه إذا ظهرت هذه الجمع على عادم قاذوا يقول . أم يبعثون الأهواء من غير علم . أم لم يعل على ما يقولون . وليس الثاني فيتمين الأول .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله ( فهو يشكرهم ) عار كما يقال إن كتابه الملق بكذا . وفيه معنى لطيف

وَإِذَا أَدْقَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرَحَوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ مِمَّا قَدَرْتُمْ أَتَيْبِهِمْ  
 إِذَا هُمْ يَقْتُلُونَ ﴿٥٥﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي  
 ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾

وهو أن المتكلم من غير دليل كآيته لا كلام له ، لأن الكلام هو المسموع وما لا يخل فكله لم يسمع  
 فكان المتكلم لم يتكلم به ، وما لا دليل عليه لا يخل ، فإذا جاز سلب الكلام عن التكلم عند عدم  
 الدليل وحسن حذر إثبات التكلم للدليل وحسن .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَدْقَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرَحَوا بِهَا ﴾ تعني ما قدمت إليهم إذا هم يقتلون  
 قوله [ تعالى ] ( وَإِذَا أَدْقَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرَحَوا بِهَا ) ما بين حال المقتول الظاهر شره بين  
 حال المقتول الذي دونه وهو من تكون عبادته الله لهدياً ، فإذا أتاه رحمة ، وإذا منه محط وفقط  
 ولا ينبغي أن يكون العبد كذلك ، بل ينبغي أن يبعد الله في الشدة والرخاء ، فمن الناس من يبعد الله  
 في الشدة كما قال تعالى ( وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَا إِلَيْهِمْ ) ومن الناس من يبعد إذا أتاه نعمة  
 كما قال تعالى ( وَإِذَا أَدْقَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرَحَوا بِهَا ) والاول كالتدبير يخدم مكرها بحالة العذاب والثاني  
 كالتدبير يخدم حياً لتوقع الأجر وكلاهما لا يكون من المتبين في دوران المرتين في المراتب  
 الذين يأخذون رزقهم سواء كان هناك شغل أو لم يكن ، فكذلك الضمان لا يكونان من المؤمنين  
 الذين لهم رزق عند ربحهم ، وفي مسألة : وهي أن قوله تعالى ( فَرَحَوا بِهَا ) إشارة إلى دنو عنهم  
 ونصور فظفرهم فإن فرحهم يكون مما وصل إليهم لا ما وصل منه إليهم ، فإن قال قائل الفرح  
 بالرحمة مأثور به في قوله تعالى ( قل بعث الله بركة هذا طيفر حوا ) وهذا ذمهم على الفرح  
 بالرحمة ، فكيف ذلك ؟ فنقول هناك قال فرحوا بالرحمة الله من حيث إنها مضافة إلى الله تعالى وهذا  
 فرحوا بغير الرحمة حتى لو كان المظهر من غير الله فكان فرحهم به مثل فرحهم بما إذا كان من  
 الله ، وهو كما أن الله لا يحط عند أمر رغباً على العاطف أو أمر الغلمان بأن يحطوا عنده رغبة  
 جدام يفرح ذلك الإمبر به ، ولو أنتمى ذلك غيراً غير ما تمت إليه رغباً أو رغبة جدام أيضاً  
 يفرح لكن فرح الأعمى يكون ذلك من المالك وفرح الفقير يكون ذلك رغباً وذميمة .

ثم قال تعالى ( وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ مِمَّا قَدَرْتُمْ أَتَيْبِهِمْ ) لم يذكر عند النعمة شيئاً لما لتصله بها  
 وذكر عند العذاب شيئاً لأن الآيات يزيد في الإحسان والثاني يحقق العدل ، قوله ( إِذَا هُمْ يَقْتُلُونَ )

إذا اغتصابوا إلى لا يصرون على ذلك قبل قول الله بفرح عنهم وأنه يذكرهم به .

ثم قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

فَأَتَىٰ ذَا الْقُرْنَيْنِ حَقُّهُ وَالْيَسْكِينَ وَآتَىٰ السَّبِيلَ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٦﴾

أى لم يطلبوا أن الكل من الله بالحقق ينبغي أن لا يكون نظره على ما يوجد بل إلى من يوجد وهو الله ، فلا يكون له تبدل حال ، وإنما يكون عنده الفرح الدائم ، ولكن ذلك مرتبة المؤمن الموحّد بالحقق ، ولذلك قال ( إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ) .

ثم قال تعالى : ﴿ فأت ذا القرنين حقه والمسكين وآت السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ﴾ .

وجه خلق الآية بما فيها من أن الله تعالى لما بين أن العبادة لا ينبغي أن تكون مقصورة على حالة البدة بقوله ( وإذا من الناس من دعوا بهم ) ولا أن تكون مقصورة على حالة الأخذ ثم من الدنيا كما هو عادة المدرك المتدلس (١) بيد الله إذا كان في الحوائق والرياء ، الرغيف والزيادة وإذا خلا بنفسه لا يذكر الله ، بقوله ( وإذا أذنا الناس رحمة فرحوا بها ) ومن أنه ينبغي أن يكون ، في حالة بسط الرزق وضده عليه ، نظره على الله الخالق الزاقي ليحصل الإرشاد إلى تنظيم الله والإيمان نسيان تنظيم لأمر الله وشفقة على خلق الله فقال بعد ذلك أت ذا القرنين حقه والمسكين وآت السبيل ، وفيه وجه آخر هو أن الله تعالى لما بين أن الله يسط الرزق ويقدّر ، فلا ينبغي أن يتوهم الإنسان في الاحسان فإن الله إذا بسط الرزق لا يتفحص بالانفاق ، وإذا قدر لا يزداد بالامساك ، وفيه مسائل :

﴿ مسألة الأولى ﴾ في تخصيص الأقسام الثلاثة بالذكر دون غيرهم مع أن الله ذكر الأصناف الثلاثة في الصدقات فنقول أراد هنا بيان من يجب الاحسان إليه على كل من له مال سواء كان زكواً أو لم يكن . وسواء كان بعد الحول أو قبله لأن المقصود منها الشفقة العامة ، وهو لا الثلاثة يجب الاحسان إليهم وإن لم يكن للمحسن مال زائد ، أما القريب فتجب نفقته وإن كان لم يجب عليه زكاة كمقتضى أو مال لم يعمل عليه الحول والمساكين كفذلك فإن من لا شيء له إذا بقي في درجة الحاجة حتى بلغ الشدة يجب على من له مقدرة دفع حاجته ، وإن لم يكن عليه زكاة ، وكذلك من انقطع في مفازة ومع آخر ذابة يمكن بها إصعاقه إلى مأمن بزمه ذلك ، وإن لم تكن عليه زكاة والفقير داخل في المسكين لأن من أوصى للمساكين شيئاً يصرف إلى الفقراء أيضاً ، وإذا نظرت إلى الثاني من الأصناف رأيتم لا يجب صرف المال إليهم إلا على الذين وجبت الزكاة عليهم

(١) المدرك المتدلس : الله اسم مطلق من وسائط وهم المتكلمون أو المتكلمون . يلبس الله رداءه وسائط الحوائق أو الرغبات مع حالة كفة الجوع وهو سكان هذه الدار وأما الرغبات فهي حوائج واطمئنان وهو الشكل يتنوع به المحاسن على دليل الله على التنوع بالأحاطة المعبودة من التنوير .

واعتبر ذلك في العالم والمكاتب والمؤلف والمديون . ثم اعلم أن على مذهب أبي حنيفة رحمه الله حيث قال : المسكين منزله هو . ما تقول . وإن كان الأمر كذلك لكان لا نزاع في أن إطلاق المسكين على من لا شيء له جائز فيكون الإطلاق هنا بذلك الوجه . والفقر يدخل في ذلك بالطريق الأول .

﴿ المسألة الثانية ﴾ في تقدم البعض على البعض فقوله لما كان دفع حاجة القريب واجباً سواء كان في شدة ومحنة ، أو لم يكن كان مقدماً على من لا يجب دفع حاجته من غير مال الزكاة إلا إذا كان في شدة . ولما كان المسكين حاجته ليست بمحنة بموضع كان مقدماً على من حاجته بمحنة بموضع دون موضع .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ذكر الأقارب في جميع المواضيع كذا المخط وهو ذوو القربى ، ولم يذكر المسكين بلفظ ذي المسكنة . وذلك لأن القرابة لا تتحدد فهي نسي . ثابت ، وهو كذا لا يقال إلا في الذات . فإن من صدرته رأى صاحب مرة أو حصل له جاه يوماً واحداً أو وجد منه فضل في وقت لا يقال ذورني وذو جاه وذو فضل ، وإذا دام ذلك له أو وجد منه ذلك كثيراً يقال له ذو الرأى وذو الفضل . فقال (ذا القريتين) إشارة إلى أن هذا حق متأكد ثابت ، وأما المسكنة فخطأ وتزول ولهذا المعنى قال (مسكيناً ذا مزية) فإن المسكين يسوم له كونه ذا مزية مادامت مسكنته أو يكون كذلك في أكثر الأمر .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قال (أتت ذاك القريتين حقه) ثم عطف المسكين وابن السبيل ولم يقل وأت ذاك القريتين والمسكين وابن السبيل معهم ، لأن العبارة الثانية لتكون صدور الكلام أولاً للتشريك والأول لتكون التشريك وإدراكاً على الكلام ، كأنه يقول أعط ذاك القريتين حقه ثم يذكر المسكين وابن السبيل بالتبعية ولهذا المعنى إذا قال أفكك خيل فلا يدخل . وفلاناً أيضاً يكون في التعظيم فوق ما إذا قال خيل فلا بلا غلاماً يدخلان . ولله هذا وأشار النبي عليه الصلاة والسلام بقوله « يسر غضيب القوم أنت » حيث قال الرجل من أطاع الله ورسوله فقد اهتدى ، ومن عصاهما فقد غوى . ولم يقل ومن عصى الله ورسوله .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قوله (ذلك خير) يمكن أن يكون معناه ذلك خير من غيره ويمكن أن يقال ذلك خير في نفسه . وإن لم يقس على غيره لقوله تعالى (وافضلوا الخير . فاستبقوا الخيرات) والثاني أولى لعدم احتياجه إلى إظهار والكراهة لأنه لأن الخير من الغير قد يكون مارك الدرجة . عند زول درجة ما يقاس إليه . كما يقال السكوت خير من الكذب . وما هو خير في نفسه فهو حسن ينفع وفعل صالح يرفع .

﴿ المسألة السادسة ﴾ قوله تعالى (الذين يربون وجه الله) إشارة إلى أن الاعتبار بالعبد لا بعص الفعل . فأنه من أغنى سبع أمواله رياء الناس لا يزال درجة من ينصدق برغيفه . وقوله (وجه الله) أي يكون عطاءه لله لا خير . فمن أعطى حاجة لم يرد به وجه الله . وإنما أراد بحسن الله .

﴿ المسألة السابعة ﴾ كيف قال (وأولئك هم المفلحون) مع أن لافلاح شرائط أخر ، وهي

وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّ الْبَرِّ إِلَّا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيوُا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْطَرُونَ ﴿٢٦﴾

المذكورة في قوله : **فَلَا يَرِيوُا** (يعفون) كل وصع مد كور هناك بعيد الافلاح . عفوته (والذين هم بركة فاعلون) عفوته (والذين هم لآمالهم وعهدهم واعون) إلى غير ذلك عطف على المضاعف أي هذا مضاعف . وذلك لأنهم لا يأتون إلا بمحصل الافلاح لمن ينصرون ولا يهتلى . فقول هذا كقول القائل الله مكرم أي نصر إلى غيره إذا عد في الزنا على سبيل أمكان وانطقت به في الشرف لا يهتلى ذلك القول حتى يقول القائل : **وَمَا كُنْ دَاك لَأَنَّهُ** أي بالحق . فكذلك بينه المسار لوجه الله بعيد الافلاح . اللهم إلا إذا وجد مانع من أن تكتب محضون أو توت واجب .

﴿ **المسألة الثامنة** ﴾ ثم يذكر غيره من الأعمال كالصلاة وغيرها : **وقول الصلاة مد كورة** من قول لأن الخطأ عنها قوله : **فَأَتَتْ بِحَرْمِ اللَّهِ** وغيره . ومع . وقد قال له من قبل : **فَأَتَتْ بِحَرْمِ اللَّهِ** (فأتم رسلك من جنبا) وقال : **مبين إليه واقفوه وأذيتوا الصلاة** .

﴿ **المسألة التاسعة** ﴾ قوله تعالى : **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْطَرُونَ** فيهم من المحصر وقد قال في أول سورة الحقرة : **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْطَرُونَ** (إشارة إلى من أقام الصلاة وآتى الزكاة) . وآمن بما أول على رسول الله وما أول من جهة وبالأخرة . فلو كان اضطر محضاً في أولئك المذكورين في سورة سورة فهذا خارج عنهم فكيف يكون مفعلاً ؟ فقول هذا هو ذلك لأننا بينا أن قوله : **فَأَتَتْ بِحَرْمِ اللَّهِ** (فأتم رسلك للبر) يحصل بهذا الكلام إذا أتى بالصلاة وآتى الزكاة . وأراد وجه الله . فقد ثبت أنه مؤمن بمقام الصلاة مؤمن بالزكاة . ونرى الآية من هذا الفصل مثل المذكور في آية .

قوله تعالى : **وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّ الْبَرِّ إِلَّا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيوُا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْطَرُونَ** .

ذكر هذا غرضاً يعني أنك إذا طالب منكم واحد ما ترون في وتوتوه وذلك لا يربوا عند الله والركاء دور عند الله كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام : **بِإِنْ الصَّدَقَةُ تَقَعُ فِي بَدَنِ الرَّحِمِ** فمن أحسن نصيب مثل الجليل . فذبحي أن يكون إيمانكم على الزكاة أكثر . وقوله تعالى : **وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْطَرُونَ** أي أولئك قلوب الاضطراب كالموسر لدى اليسار وأهل ذلك عشرة أصناف كل مثل ما أتى في كونه حسنة لا في المقدار فلا بهم أن من أعطى رغيفاً بطله الله عشرة أرغفة بر منة . فإن ما يقصده الله من أبواب على وجه الرحمة يصاحبه الله عشرة مرات على وجه المنه . وبالرغيب الواحد يكون له قصر في الجنة به من كل شيء . وأما

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيذُكُمْ ثُمَّ يُجِيبُكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ

مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١١﴾

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كُنتَ آيِدِي الْفَاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي

عَمِلُوا عَلَيْهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٢﴾

ظاهر إلى الرحمة . وعشر قصود منه تعالى : أولاً : تبيان ذلك في الشاهد . ذلك عظم قدره وعده هدية . فبما أدرهم نوعه وشدة رزاقهم لا يكون كرماء . بل إذا حُرِبَ عادته بأنه يعطي على شيء . فلا أمان . هذا أقصى له عشرة آلاف فقد ضاعف له عشرون .

قوله تعالى : ﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم ينجيكم ثم يهلككم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء . سبحانه . تعالى عما يشركون ﴾ .

قوله تعالى : الله الذي خلقكم . أي أوجدكم . يتم رزقكم . ثم ينجيكم . فأنما مرض محقق وليس يس . ثم يهلككم ثم ينجيكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء . أجمع وهذه الآية بينت أن لا صاحب الخلق والتوحيد . أما ما اختر فقوله : ثم ينجيكم . والمباين فضله على الخلق . تعالى . وأما التوحيد فقوله : هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء . ثم قال تعالى : سبحانه . وتعالى عما يشركون . فقوله سبحانه أي سبحانه سبحانه . لا ربه ولا شريك . لا شريك . وقوله : أو تعالى . أي لا يعجز عنه ذلك وهذا لأن من لا ربه ولا شريك . قد يجوز عليه هذا قال سبحانه أي لا ربه ولا شريك . وإنما قال وتعالى سبحانه قال ولا يجوز . عليه ذلك .

قوله تعالى : ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كُنت آيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾ .

وجه نطق هذه الآية بما فيها هو أن الشرك سب الفساد كما قال تعالى : لو كان فيها آفة إلا الله فعدونا . وإذا كثر الشرك سببه جعل الله يظهرهم شرك مورثاً للفساد والفساد ولو فعل بهم ما يتخذه قلوبهم . آفات السموات والأرض . كما قال تعالى : لكذ السموات ينقضن منه وتشتق الأرض . وغير هذا . وإلى هذا أشار قوله تعالى : ( ليدققهم بعض آيدي عرشاً ) وسموات الأرض . أي قوله : في البر والبحر . فقال بعض المفسرين : المراد خوف الطوفان في نواحي البحر . وقال بعضهم : المراد نجات البشر الإلهي وطوفان مياه البحار . وقال آخرون : المراد من البحر الفس . فإن تعريف اسمي هذا البحر بحرية . فكذلك معنى عبارتها على الماء . ويمكن أن يقال



قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُشْرِكِينَ ﴿١٢٩﴾

إن ظهور الفساد في البحر فقام به العيون بما من البحار . وأما أن كل فساد يكون فهو بسبب الشرك : أي الشرك قد يكون في العمل دون القول ولا ينفذ ما به من ديناً وعصباً وذلك إذا انفصلت عن لا يكون قد بقي يكون قاهر . فلهذا من شر الله دونه . فلهذا من الشر أن لا يكون بالفضل لاوجب الخلود لأن أصل المرء قلبه وشيئة . فإذا لم ير حرمها إلا التوحيدي والشرع البشري ليعلمها . ولولا أنما لا يعرفهم بعض الذي علموا ) وقد ذكرنا أن ذلك ليس بحرام جزاءهم وكل موجب لغنائهم . وقوله ( انظروا في جهنم ) من لا يفعله المتوابع : حوكمهم مع أن الله يعلم أن من أضلته لا يرجع لكن الناس يظنون أنه لو فعل بهم سوء من ذلك لشكوا به عند ربهم الرجوع . كما أن السيد إذا علم من عبده أنه لا يردع بالكلام . فيقول لقاتل ضاراً لا يترده بالكلية . فإذا قال لا يردع ربنا يردع في وجهه أنه لا يردع عن شيء . فإذا رجع ولم يردع يظهر له صدق كلام السيد وينقض طه .

قوله تعالى : ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين ﴾ .

لما بين عالمهم بظهور الفساد في أسوأهم بسبب ههنا لأنهم بينهم هلاك أمثالهم وأن كلامهم الذين كانت أمثالهم كأمثالهم فقال ( قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ) أي قوم نوح وعاد وثمود . وهذا ترتيب في غاية الخس وذلة في وقت الامتحان والإحسان قال : الله الذي خلقكم ثم : أنكم أنتم أنتم أنتم أنتم أنتم . وقت الامتحان بالهتاف قال ( ظهر الفساد في البر والبحر ) أي قتل ربكم . ثم قال تعالى ( سيروا في الأرض ) أي هو أنفسكم كما أنكم من ههنا . فكأنه قال أعداءكم الرجوع . وشق . ويطلب منكم الرجوع . والفساد . أما سبب الفساد . فإضمار الفساد . وأما سبب الرجوع . فبالإهلاك . وبعد الإهلاك . ثم الرجوع . فإضمار . لأن الرجوع أولاً ثم الفساد . وبعد السبب . فلهذا . وهو الاستمرار في الرجوع .

وقوله : ﴿ كان أكثرهم مشركين ﴾ . يحصل وجهاً ثلاثة أحدهما أن أفلاك في الأكثر كان سبب الشرك الظاهر وإن كان غيره أيضاً كالأهلا والمفسق والحقارة . كما كان غير أصحاب البيت الثاني أن كل كافر أمثله لم يكن مشركاً بل منهم من كان معاصياً لأفعالهم فيكون . وأكثر الكفار مشركون (الثالث) أن الفساد أعاجل لم يخص المشركين حين أن . كما قال تعالى ( وانظروا كيف لا نصيب الذين ظلموا منكم حصه ) . بل كان على السداد . والثاني . وأكثرهم كانوا مشركين .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّقُونَ ⑪ مَنْ كَفَرَ فَعَنَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُفْسِهِمْ بِمَهْدُونَ ⑫ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ

⑪

قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّقُونَ . مَنْ كَفَرَ فَعَنَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُفْسِهِمْ بِمَهْدُونَ ﴾ .  
 لما نهي الكافر عما هو عليه . أمر المؤمن بما هو عليه وحاطب النبي عليه السلام لبط المؤمن فضيلة ما هو مكاف به فانه أمر به أشرف الأنبياء ، وللمؤمنين في التكليف مقام الأنبياء كما قال عليه الصلاة والسلام : إنا لله أمر عباده المؤمنين بما أمر به عباده المرسلين ، وقد ذكرنا معناه ، وقوله ( من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ) يعني وجهين ( الأول ) أن يكون قوله ( من الله ) متصفاً بقوله ( يأتي ) والثاني أن يكون المراد ( لا مرد له من الله ) أي الله لا يرد وغيره . عاجز عن رد فلا بد من وقوعه ( يومئذ يصعدون ) أي يفرحون . ثم أشار إل انغرق بقوله ( من كفر قبله كفره ) ومن عمل صالحاً فلا نفهم يهدون ) وفي الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال ( من كفر قبله كفره ) ومن عمل صالحاً ) ولم يقل ومن آمن وذلك لأن العمل الصالح به يكن الإيمان قد ذكره تحريفاً لتكليف عبده . وأما الكفر إذا شاء فلا رتبة تشمل معه ، ووجه آخر : وهو أن الكفر فسبك : ( أحدهما ) فعل وهو الإنكار والقول به ، ( والثاني ) ترك وهو عدم النظر والإيمان فالتعاقب التام إذا كان في مدينة الرسول ولم يأت بالإيمان فهو كافر سواء قال بالترك أو لم يقل . لكن الإيمان لابد معه من العمل الصالح ، فإن الاعتقاد الحق عمل القلب ، وقول لا إله إلا الله عمل اللسان ونحوه .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال ( فعله ) فوجد الكنية وقال ( فلا نفهم ) جمعاً إشارة إلى أن الرخصة أمر من الغضب تشبه وأهله وذريته . أما الغضب فسبوق بالرخصة ، لازم لمن أساء .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال ( فنبه كفره ) ولم يبين وقال في المؤمن ( فلا نفهم يهدون ) تحريفاً لكأن الرخصة فانه عند الخير بين وفصل إشارة . وعند غيره أشار إليه إشارة .

قوله تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾  
 ذكر زيادة تفصيل لما عهده المؤمن الفداء الخبر وهو الصالح . وهو الجزاء الذي يجازيه به الله

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يَرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتُنَجِّرُوا  
أَنْفُسَكُمْ يَوْمَهُ . وَلِتَتَّقُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾

والملك إذا كان كبيراً كريماً . ووعد عبداً من عباده بأن يبارك به على عبده أكثر مما يلوذ به  
ثم أكد به قوله ( من فضله ) يعني أما الجزاء فيكيف يكون الجزاء . ثم إن لا أجازيك من العدل  
وإنما أباريك من الفضل فزيادة الربا . ثم قال تعالى ( يابى لا يحب الكافرين ) لم يعد  
ولم يفصل ما بينا وإن كان عند المحقق هذا الإجمال فيه كالموصول . فإن عدم المحبة من الله غاية  
العذاب . وأنهم ذلك من يكون له معشوق فانه إذا أغوى العاشق بأنه وعده المهرام والمناجيد  
كيف تكون مسرة . وإذا قيل له إنه قال يابى أحب فلاناً كيف يكون سروره .

وفيه لطيفة وهي أن الله عندما أسند الكفر والإيمان إلى العبد قدم الكافر فقال  
( من كفر قلبه كفره ) وعندهما أسند الحزاء إلى نفسه قدم المؤمن فقال ( ليجزي الذين آمنوا )  
ثم قال تعالى ( إنه لا يحب الكافرين ) لأن قوله ( من كفر ) في الحقيقة شاع الكافر عن الكفر  
بالوعد ونهيه عن فعله بالتهديد وقوله ( من عمل صالحاً ) لتعريض المؤمن خالط كالأبداد  
والتعريض للفرير والإيمان مقدم عند الحكيم الرحيم . وأما عدم ما ذكر الجزاء بدأ بالأحسان  
إظهاراً للكرم والرحمة . فان قال قائل هذا إما يصح أن لو كان الذكر في كل موضع كذلك وليس  
كذلك فان الله كثير من المواضع قدم الإيمان المؤمن على كفر الكافر وقدم التعذيب على الإثابة .  
فقول إن كان الله بوقتنا لبيان ذلك نبي ما انقضت تقديمه . ونحن نقول بأن كل كلمة وردت في  
القرآن فهي لمضي وكل ترتيب وجد غير الحكمة . وما ذكر على خلافه لا يكون في درجة ما ورد به  
القرآن فحين من علمه مثلاً وهو قوله تعالى ( يومئذ يفرقون ) فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
فهم في روضة ( قدم المؤمن على الكافر ) ومنها ذكر مثل ذلك المعنى في قوله ( يومئذ يصدعون )  
أي يفرقون فقدم الكافر على المؤمن فنقول هناك أيضاً قدم الكافر في الذكر لأنه قال من قبل  
( ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ) فذكر الكافر وإبلاسه . ثم قال تعالى ( ويوم تقوم الساعة  
يومئذ يفرقون ) فكان ذكر المؤمن وحده لا بد منه لبيان كيفية الفرق بصيغ قوله ( يبلس  
المجرمون ) وقوله في حق المؤمن ( في روضة يجرعون ) لكن الله تعالى أعاد ذكر المجرمين مرة  
أخرى لتفصيل فقال ( وأما الذين كفروا ) .

قوله تعالى : ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات ﴾ وليذيقكم من رحمته ولنجرى لملك أمره  
وليتقوا من فضله ولعلكم تشكرون .

قوله تعالى : ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات ﴾ لما ذكر أن ظهور السحاب والملاك

بسبب الشك ذكر ظهور الصلاح ولم يذكر أنه بسبب العدل الصالح ، لما ذكرنا غير مره أن  
الكريم لا يذكر لأحسانه عوضاً ، وبذكر لأضراره سبباً للثأر يوم به العلم فقال ( يرسل الرياح  
مبشرات ) قبل بالخطر كما قال تعالى ( بشرأ بين يدي رحمة ) أي قبل بالخطر ويمكن أن يقال مبشرات  
بصلاح الأمور والأحوال ، فإن الرياح لو لم تنهب لظهر الوفاء والعدا .

ثم قال تعالى ( ولينذركم من رحمته ) عطفت على ما ذكرنا ، أي لبشركم بصلاح الهواء . ومحنة  
الآبادان ( ولينذركم من رحمته ) بالخطر ، وقد ذكرنا أن الإذاعة فقال في القليل ، ولما كان أمر  
الدنيا قليلاً وراحته زراً قال ( ولينذركم ) ، وأما في الآخرة فيروهم ويوسع عليهم ويديم لهم  
( ولنجرى الفلك بأمره ولنجنوا من صنه ولعلكم تشكرون ) لما أسند العدل إلى الفلك عبه  
بقوله ( بأمره ) أي العدل ظاهر أعبه ولكنه بأمر الله ، وذلك لما قال ( ولنجنوا ) سنداً إلى  
المعاد ذكر بعده ( من فضله ) أي لا استغلال شيء . وفي الآية مسائل :

( الأولى ) في الترتيب فنقول في الرياح فوائد ، منها إصلاح الهواء ، ومنها إثارة السحاب ،  
ومنها جرثان الغيث بها فقال ( مبشرات ) بإصلاح الهواء فإن إصلاح الهواء يوجد من نفس  
الجنوب ثم الأمطار بعده ، ثم جرثان الغيث فإنه موقوف على اختيار من الأديس بإصلاح السفن  
وإقامتها على البحر ثم ابتداء الفضل بركبها .

( المسألة الثانية ) في قوله تعالى ( ظهر العاصف ... لينذركم بعض الذي عملوا ) وقال هنا  
( ولينذركم من رحمته ) مخاطب منها تشرعاً ( ولأن رحمته قريب من الحسن ) فالحسن قريب  
فيخطب والمسي . بعيد فلم يخاطبهم ، وأيضاً قال هناك بعض الذي عملوا وقال هنا ( من رحمته )  
فأصاب ما أصابهم إلى أنفسهم وأصناف ما أصاب المؤمن بك رحمته وفيه معنيان : ( أحدهما )  
ما ذكرنا أن الكريم لا يذكر لأحسانه ورحمته عوضاً ، وإن وجد فلا يقول أعطيتك لأنك فعلت  
كذا بل يقول هذا لك مني ، وأما ما قلعت من الحسة لجراؤه بعد عدى ( وثانيهما ) أن ما يكون  
بسبب فعل العبد قليل ، فهو قال أوسات الرياح بسبب فعلكم لا يكون بشارة عظيمة . وثالثاً إذا قال  
( من رحمته ) كان غاية البشارة . ومعنى ثالث وهو أنه لو قال بما فعلتم لكان ذلك حوفاً لتقصان  
نوابهم في الآخرة . وأما في حق الكفار فإذا قال بما فعلتم يسي . عن نقصان عقابهم وهو كذلك .

( المسألة الثالثة ) قال هناك ( لتليم يرجعون ) وقال هنا ( ولعلكم تشكرون ) قالوا وإشارة  
إلى أن توفيقهم للشكر من النعم فخطب على النعم .

( المسألة الرابعة ) في ما أخرجه الآية لأن في الآيات التي قد سبق ذكرها ظاهراً ذكر  
من كل باب آيتين تذكر من المنذرات ( يريكم البرق ) والحادث في الجو في أكثر الأمصار وريح  
فذكر الرياح هنا تذكيراً وتغريراً للذلائل . ولما كانت الريح بها فائدة غير الخطر وليس في اجتناب  
فائدة إن لم يكن خطر ذكر هناك خوفاً وطعناً ، أي قد يكون وقد لا يكون وذكر هنا ( مبشرات )

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ بِآيَاتِنَا فَاسْتَفْتَمْنَا مِنْ الَّذِينَ  
 يُعْرِضُونَ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ إِنَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سُدُودًا  
 فَتُبَسِّطُ فِي السَّمَاءِ كُفَّاتٍ يَبْرِقُ الْوَدَقُ فِيهَا وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَرَكَ الْجِبَالُ  
 فَيَكُونُ تُرَابًا أَوْ يَذَرَ الْبُلْدَ وَرُكْنًا أَوْ يَهْدِ السَّيْلَ أُولَئِكَ الَّذِينَ هُوَ أَدَبُ الَّذِينَ يَأْتِيهِمْ أَفْوَاجًا

لأن تعدي المرء أو تصفيه بالنسبة أمر لازم ، وحكمه به حكم جائز .

قوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً مبينين ﴾ ، فالتعدي بالصفات فالتعدي من الذين  
 أخرجوا وكان حقا علينا نصر المؤمنين .

ثم بين الأصول سبعة من ذكر الأصول الثلاث وهو البينة فقال ( ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً )  
 أي أرسلناهم دليل رسالتك فاهم لم يكن لهم شغل غير شغلهم ، ولم يظهر عليهم غير ما ظهر عليك  
 ومن كذبهم أمانيهم البوار ومن آمن بهم كان فيه الاتصال وله وجه آخر بين ثلث الآيات بما  
 قبلها وهو أن الله لما بين تيراهم ولم ينتفع بها لانكمار حتى قلب الي يولي وقال حال من خدمك  
 كان كذلك وجعلوا أيضا بالينات . وكان في قومهم كافر وؤمن كافي فوجدنا فالتعدي من الكافرين  
 ونصر المؤمنين ، وفي قوله تعالى ( وكان حقاً ) وجهان : ( أحدهما ) فالتعدي . وكان الانتقام حقاً  
 واستأنف وقال علينا نصر المؤمنين وعلى هذا يكون هذا إشارة للمؤمنين الذين آمنوا بمحمد ﷺ  
 أي علينا نصر كرمها المؤمنون ( والوجه الثاني ) ( وكان حقا علينا ) أي نصر المؤمنين كان حقاً  
 علينا وعلى الأول طبيعة وعلى الآخر أخرى . أما على الأول فهو أنه لا حال فالتعدي من أنه لم يكن  
 حلاً وإنما كان عدلاً حقاً ، وذلك لأن الانتقام لم يكن إلا بعد كون بقاتهم غير مقيد إلا زيادة  
 الزم وولادة للكافر العاجز وكانت عدتهم خيراً من وخدم الخبيث ، وعلى الثاني تأكيد  
 الإشارة . لأن كلمة على تعيد معنى الزم يقال على فلان كذا باني ، عن الزم . فإذا قال حقاً أكد  
 ذلك المعنى . وقد ذكرنا أن النصر هو القوة التي لا تكون عاقبتها وخيبة ، فان إحدى الطائفتين  
 إذا هزمت أولاً ، ثم عادت آخر لا يكون النصر إلا للهزيمة ، وكذلك مرسوم وقومه لما هزموا  
 من عربون ثم أدركه الفرق لم يكن انتصارهم إلا بعزة ، فالكافر إن هزم المسلم في بعض الأوقات  
 لا يكون ذلك نصراً إلا لا جأته له .

قوله تعالى : ﴿ والله الذي يرسل الرياح فتنفث سحاباً فيسقطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً  
 فزرى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون . وإن كانوا من

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْسِلِينَ ﴿١١﴾ فَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ  
كَيْفَ يُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢﴾  
وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ بِكُفْرُورٍ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا نَكَحَ  
نُوحُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّخْمَ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَوْ أَمْذُورِينَ ﴿١٤﴾

قبل أن ينزل عليهم من قبله المبسين ، فأنظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن  
ذلك يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ﴿١١﴾  
بين دلائل الرياح على التفصيل الأول في إرسالها قدرة وحكمة . أما القدرة ظاهرة فإن الهواء  
اللطيف الذي يشق الودق بصير بحيث يقطع الصخور ومولس بفاته كذلك فهو يفعل فاعل مختار ،  
ولما الحكمة في نفس المهبوب فيما ينفى إليه من إثارة السحب ، ثم ذكر أنواع السحب فنه  
ما يكون متصلاً منه ما يكون متقطعاً ، ثم المطر يخرج منه والماء في المواد أجيب علامة للقدرة ،  
وما ينفى إليه من إثبات الزرع وإعداد الصرع سكة بالغة ، ثم إنه لا يتم بل يختص به قوم دون  
قوم وهو علامة المشيئة . وقوله تعالى ( وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله ) اختلف المفسرون  
فيه ، قال بعضهم هو تأكيد في قوله تعالى ( فكان عاقبتهما أنها في الدار خالدن فيها ) وقال  
بعضهم من قبل التنزيل من قبل المهر ، والأولى أن يقال من قبل أن ينزل عليهم من قبله ، أي  
من قبل إرسال الرياح ، وذلك لأن بعد الإرسال يعرف الخير أن الريح فيها مطر أو ليس ، فقبل  
المطر إذا هبت الريح لا يكون ملبساً ، فلما قال من قبل أن ينزل عليهم لم يقل إنهم كانوا مبسين ،  
لأن من قبله قد يكون راجياً غالباً على ظنه المطر برؤية السحب وهبوب الرياح فقال من قبله ،  
أي من قبل ما ذكرنا من إرسال الريح وبسط السحاب ، ثم لما فصل قال ( فأنظر إلى آثار رحمة الله  
كيف يحيي الأرض بعد موتها ) إن ذلك يحيي الموتى ( لما ذكر الدلائل قال يحيي باللام التوكيد  
وباسم الفاعل ، فإن الإنسان إذا قال إن الملك بمطبك لا يفيد ما يفيد قوله إنه مطبك ، لأن الثاني  
يفيد أنه أعطاك فكان وهو مطب متصفاً بالمطبخ ، والأول يفيد أنه يحضف به وبنيين هذا بقوله  
إنك ميت فإنه أكد من قوله إنك موت ( وهو يحيي كل شيء ، قدير ) تأكيد ما يفيد الاختلاف .  
ثم قال تعالى ﴿ ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفرةً لظلوا من بعده يكفرون ﴾ ، فأنك لا تسمع  
الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين ﴿١٤﴾

وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعَمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣٥﴾

﴿ وما أنت بهاد الغمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴾

لما بين أنهم عند غرض الخير يكرنون بلسان آيين ، وعند ظهوره يكونون مستبشرين . بين أن تلك الحالة أيضاً لا يدومون عليها ، بل لو أصاب زرعهم زيج مضر لكفروا بهم منقلبون غير ثابتين نظرم إلى الحال لا إلى الحال ، وفي الآية سائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال في الآية الأولى ( يرسل الرياح ) على طريقة الإخبار عن الإرسال ، وقال هبنا ( ولئن أرسلنا ) لا على طريقة الإخبار عن الإرسال ، لأن الرياح من رحمة وهي متواترة والرياح من عذابه وهو نفال روف بالعباد يسكنها ، ولذلك نرى الرياح النافعة تهب في الشمال والياباس في البراري والأكام ، وريح السموم لا تهب إلا في بعض الأزمنة وفي بعض الأماكن .

﴿ المسألة الثانية ﴾ سمي السامة رياحاً والصاراة ريحاً لوجوه ( أحدها ) النافعة كثيرة الأنواع كثيرة الأفراد لجمعها ، فإن كل يوم ويلة تهب نفحات من الرياح النافعة ، ولا تهب الرياح الصاراة في أحوام ، بل الصاراة في الغالب لا تهب في الدهور ( الثاني ) هو أن النافعة لا تكون إلا رياحاً فإن ما يجب مرة واحدة لا يصلح المراه ولا يمتد ، السحاب ولا يجرى السفن ، وأما الصاراة بنفسه واحدة فتقتل كرجح السموم ( الثالث ) هو أن الرياح المضرة إما أن تضر بكيفية أو بكميتها ، أما الكيفية فهي إذا كانت حادة أو منكيفة بكيفية سم ، وهذا لا يكون الريح في هبوبها وإنما يكون بسبب أن الهواء الساكن في جهة فيها حداثاً وديناً أو في موضع غائر وهو حار جداً ، أو تكون منكوفة في أول زكورها كذلك وكميتها كان فتكون واحدة ، لأن ذلك الهواء الساكن إذا سخن ثم ورد عليه ريح تحركه ونخرجه من ذلك المكان فتهب على مواضع كالذهب ، ثم ما يخرج بعد ذلك من ذلك المكان لا يكون حاراً ولا منكيفاً ، لأن المدكث الطويل يربط التكيف ، ألا ترى أنك لو أدخلت إصبعك في نار وأخرجتها بسرعة لا تأثر ، والحديد إذا مسك فيها يذوب ، فإذا تحرك ذلك الساكن وتفرق لا يوجد في ذلك الوقت غيره من جنسه ، وأما المتولفة كذلك فتأثره وموضع غرضها واحد ، وأما الكيفية فالرياح إذا اجتمعت وصارت واحدة صارت كالطعنان ، ومباد الصيون إذا اجتمعت تحير نهر أعظها لا تسد السدود ولا يرد الجلود ، ولا شك أن في ذلك تحكيون واحدة بمنحة من كثير ، فلهذا قال في المضرة ريح وفي النافعة رياح .

ثم إنه تعالى لما علم رسوله أنواع الأدلة وأصناف الأمثلة ووعده وأوعده ولم يردم دعاؤه إلا

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿١٠﴾

فرأى ، وإياؤه إلا كفرًا وإصرارًا ، قال له ( فإنك لا تسمع الحق ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا صبرًا ) وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ في الترتيب فنقول إرشاد الميت محال ، والمحال أبعد من الممكن ، ثم إرشاد الأصم صعب فانه لا يسمع الكلام وإنما يفهم ما يقفه بالإشارة لا غير ، والإفهام بالإشارة صعب ، ثم إرشاد الأصم أيضًا صعب ، فانك إذا قلت له الطريق على يمينك يبور إلى يمينه ، فكيف لا يبق عليه بل يجرد عن قريب وإرشاد الأصم أصعب ، فلهذا تكون المعاشرة مع الأصم أسهل من المعاشرة مع الأصم الذي لا يسمع شيئًا ، لأن غاية الإفهام بالكلام ، فإن مالا يفهم بالإشارة يفهم بالكلام وليس كل ما يفهم بالكلام يفهم بالإشارة ، فانه المدوم والغائب لا إشارة إليهما فقال أولاً لا تسمع الحق ، ثم قال ولا الأصم ولا تسمى الأصم الذي دون الأصم .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال في ( ثم إذا ولوا صبرًا ) فيكون أدخل في الامتناع ، وذلك لأن الأصم وإن كان يفهم فاما يفهم بالإشارة ، فإدأولى ولا يكون نفعه إلى التسبر فانه يسمع ولا يفهم .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال في الأصم ( لا تسمع الصم الدعاء ) ولم يقل في الحق ذلك لأن الأصم قد يسمع الصوت الحائل كصوت الرعد القوي ولكن صوت الداعي لا يسمع ذلك الحد فقال إنك دافع لست تلتجئ إلى الإيمان والداعي لا يسمع الأصم الدعاء .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قال ( وما أنت جادى فعسى ) أى ليس شغلك هداية العميان كما يقول القائل فلان ليس بشاعر وإنما ينظم بيناً وبينين ، أى ليس شغله ذلك حقونه ( إنك لا تسمع الحق ) من ذلك عنه ، وقوله ( وما أنت جادى المسمى ) يعنى ليس شغلته ذلك ، وما أرسلت له .

ثم قال تعالى : ﴿ إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴾ لما نفى إسماع الميت والأصم وأثبت إسماع المؤمن بآياته لزم أن يكون المؤمن حياً سمياً وهو كذلك لأن المؤمن ترد على قلبه أسطر البراهين تثبت في قلبه العقائد الحقة . ويسمع زواجر الرطب تعظيروه الاضلال الحسنة ، وهذا يدل على خلاف مذهب المعتزلة فانهم قالوا القبريد من الكل الإنسان ، غير أن بعضهم يخالف إرادة الله ، وقوله ( إن تسمع إلا من يؤمن ) دليل على أنه يؤمن جسمه الذى صلى الله عليه وسلم ما يجب أن يفعل فهم مسلمون مطيعون كما قال تعالى عنهم ( قالوا اسمعوا وأطعوا )

قوله تعالى : ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴾ .



وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٣٥﴾

ثمة أمعاد من الدلائل التي صحت دليلاً من دلائل الآفاق وهو قوله ( الله الذي يرسل الرياح  
تختبر صحاباً ) وذكر أحوال الرياح من أوله إلى آخره أمعاد دليلاً من دلائل الأنس وهو خلق الإدمى  
وذكر أحواله ، فقال ( ستحكم من ضعف ) أى مبناكم على الضعف كما قال تعالى ( خلق الإنسان  
من عجل ) ومن هنا كما تتكون في قول الدلائل فلان زين فلانا من هرة وحمله غنياً أى من حالة  
فقره ، ثم قال تعالى ( ثم جعل من بعد ضعف قوة ) فقوله من ضعف إشارة إلى حالة كان فيها  
جنيباً وطفلاً مولوداً ورضعياً ومفطوماً هذه أحوال غاية الضعف ، وقوله ( ثم جعل من بعد  
ضعف قوة ) إشارة إلى حالة بلوغه وانتقاله وشبابه واكتماله ، وقوله ( ثم جعل من بعد قوة  
ضعفاً ) ونسبة بخلق ما يشاء وهو العليم القدير )

إشارة إلى ما يكون بعد الكهولة من ظهور الثمناك والشيبة من تمام الضعف ، ثم بين بقوله  
( يخلق ما يشاء ) إن هذا ليس طبعاً بل هو عطية الله تعالى كما قال تعالى في دلائل الآفاق ( يصطله  
في السماء كيف يشاء وهو العليم القدير ) لم تقدم العلم على القدرة ؟ وقال من قبل ( وهو العزيز الحكيم )  
فالمرء إشارة إلى تمام القدرة والحكمة إلى العلم ، فقدم القدرة هناك وقدم العلم على القدرة هنا فقوله  
هناك المذكور لإعادة بقوله ( وهو العليم عليه ) وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز  
الحكيم ) لأن الإعادة تكون بكن يمكن ، فالقدرة هناك أظهر وهما المذكور الإبداع وهو أطوار  
وأحوال والعلم بكل حال حاصل فالعلم هنا أظهر ، ثم إن قوله تعالى ( وهو العليم القدير ) تبشير  
وإنذار لأنه إذا كان عالماً بأعمال الخلق كان عالماً بأحوال الخلق فأن عملوا خيراً عملوا عليه وإن عملوا  
شراً عملوا ، ثم إذا كان قادراً فإذا علم الخير أناب وإذا علم الشر عاقب ، ولما كان العلم بالأحوال  
قبل الإنابة والعقاب المدين هما بالقدرة قدم العلم ، وأما في الآخرة فالعلم تلك الأحوال مع العقاب  
فقال ( وهو العليم الحكيم ) وإلى مثل هذا مثل هذا أشار في قوله ( فبارك الله أحسن الخالقين )  
عقيب خلق الإنسان ، فقول أحسن إشارة إلى العلم لأن حسن الخلق بالعلم ، والخلق الفهم من  
قوله ( الخالقين ) إشارة إلى القدرة ، ثم لما بين ذكر الإبداع والإعادة كالإبداع ذكره بذكر  
أحوالها وأوقاتها .

فقال تعالى ( ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون )  
فيل ما لبثوا في الدنيا غير ساعة ، وفيل ما لبثوا في القبور ، وقيل ما لبثوا من وقت فناء الدنيا  
إلى وقت النشور ( كذلك كانوا يؤفكون ) يصرفون من الحق إلى الباطل ومن الصدق إلى الكذب

وَقَالِ الَّذِينَ آمَنُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَيْتِ

فَهَذَا يَوْمُ الْبَيْتِ وَلَكِنْ كُنْتُمْ كُفَّارًا ﴿١٣٨﴾ لَا تَقْلُبُونَ ﴿١٣٩﴾

فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَنُّوا مَعْدِنَهُمْ وَلَا هُمْ يَسْتَعِينُونَ ﴿١٤٠﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا

لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ جَنَّتُمْ بِهَا فَاغْرَابُوا فَقَالُوا لَا يَنْفَعُنَا الْإِيمَانُ

أَنْتُمْ بِالْإِيمَانِ أَهْلٌ ﴿١٤١﴾

قوله تعالى: ﴿١٣٨﴾ وَقَالِ الَّذِينَ آمَنُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَيْتِ وَلَكِنْ كُنْتُمْ كُفَّارًا ﴿١٣٩﴾

قوله (وقال الذين آمنوا العلم والإيمان) من الملائكة وغيرهم (لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث) ونحن نبين ما هو المعنى اللطيف في هاتين الآيتين، فنقول الموعود موعود إذا ضرب له أجل يستكثر الأجل ويريد تمجيده، والموعود موعود إذا ضرب له أجل يستغل المدة ويريد تأخيرها، لكن المحرم إذا حشر علم أن مصيره إلى النار فيستغل مدة البعث ويختار تأخير الحشر والإبقاء في القبر، والمؤمن إذا حشر علم أن مصيره إلى الجنة فيستكثر المدة ولا يريد التأخير فيخاف أن يقرضه ويقول أحدهما إن مدة لبثنا قليل وإليه الإشارة بقوله (يفسر المحرمون ما لبثوا غير ساعة) ويقول الآخر لبثنا مديداً وإليه الإشارة بقوله تعالى (وقال الذين آمنوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث) يعني كان في كتاب الله ضرب الأجل إلى يوم البعث ونحن صبرنا إلى يوم البعث (فهذا يوم البعث ولكم كثر لا تملكون) يعني طلبكم التأخير، لأنكم كنتم لا تملكون البعث ولا تعتصمون به، فصار مصيركم إلى النار فتقلبون التأخير.

ثم قال تعالى: ﴿١٣٩﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَنُّوا مَعْدِنَهُمْ وَلَا هُمْ يَسْتَعِينُونَ ﴿١٤٠﴾ أي لا يطلب منهم الإعتاب وهو إزاله القلب يعني التوبة التي تزيل آثار الحرمة لا يطلب منهم لأنها لا تنبل منهم ثم قال تعالى: ﴿١٤١﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ جَنَّتُمْ بِهَا فَاغْرَابُوا فَقَالُوا لَا يَنْفَعُنَا الْإِيمَانُ أَنْتُمْ بِالْإِيمَانِ أَهْلٌ ﴿١٤٢﴾

قوله (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من مثل) إشارة إلى إزالة الأعداء والإيمان ما غرق الكفرية من الإغفار، وإلى أنه لم يبق من جانب الرسل نقص، فإن طلقوا لشدة آخرتهم عند ومن كان عليه تكذيب دليل لا يصعب عليه تكذيب الدلائل، بل لا يجوز المستدل أن يشرع في دليل

كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَصْبَحَ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا  
وَلَا يَسْتَحِقُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٥٥﴾

أحرى به ما ذكره البلاغة مستفياً ظاهراً لا غبار عليه وعند الخصم ، لأنه إما أن يعترف بورد  
سؤال الخصم عليه أولاً يعترف ، وإن اعترف بكون انقطاعاً وهو بفتح في الدليل أو المستدل ، إما  
بأن الدليل قاسد ، وإما بأن المستدل جاهل بوجه الدلالة والاستدلال . وكلاهما لا يجزى الاعتراف  
به من الظالم فكيف من الذي عليه الصلاة والسلام ، وإن لم يعترف بكون الشروع في غيره موهماً  
أن الخصم ليس معانداً فيكون اجترأؤه على قتاله في الثاني أكثر لأنه يقول امتداداً لما في الأول  
حيث نزع ذكر دليل آخر . فإن قيل فالأنبياء عليهم السلام ذكروا أنواعاً من الدلائل ، فنور سردوها  
سرداً ، ثم فردوها فرداً فرداً ، كمن يقول الدليل عليه من وجوه : الأول كذا ، والثاني كذا ،  
والثالث كذا ، وفي مثل هذا الواجب عدم الالتفات إلى عماد المعاند لأنه يزيد بقتاده حتى يضيع  
الوقت فلا يتمكن المستدل من الإتيان بجميع ما عده من الدلائل فتسقط دويجه فاذن لكل مكان  
مقال ، وإلى هنا وضعت الإضافة بقوله تعالى ( ولئن جهنم بآية ليقولن الذين كفروا إن آثم  
إلا مبعوثون ) وفي توحيد الخطاب بقوله ( ولئن جهنم ) والجمع في قوله ( إن آثم ) لطيفة وهي أن  
الله تعالى قال ( ولئن جهنم لكل آية ) جاءت بها الرسل ويمكن أن يجاز بها يقولون آثم كلكم أيها  
المكذبون الرسالة بطون . ثم بين تعالى أن ذلك يطبع الله على قلوبهم بقوله ( كذلك يطبع الله على  
قلوب الذين لا يعلمون ) فإن قيل من لا يعلم شيئاً أية فائدة في الإخبار عن الطبع على قلبه ؟ يقول  
المعنى هو أن من لا يعلم الآن عند طبع الله على قلبه من قبل ، ثم إنه تعالى على قلب الذي يطبع بقوله  
( فأصبر إن وعد الله حق ) أي أن صدقك بين وقوله ( ولا يستخفك الذين لا يوقنون ) إشارة  
إلى وجوب مداومة التي عليه الصلاة والسلام على الدعاء إلى الإيمان فإله لو سكنت لفلان الكافر  
إنه مغشوب الرئى . لا يثبت له . والله أعلم بالصواب . وإليه المرجع والمآب . وأخذه رب العالمين  
وصلاته على سيد المرسلين ، وآله وصحبه أجمعين .

(٣١) سُبْحَانَ الْقُدُّوسِ  
وَأَسْمَاءُ الْبَرِّ وَالْبَرِّ

الآيتين نزلتا بالقدية وهما (ولو أن ما في الأرض من نجرة) الآيتين والآية نزلت بالقدية وهي (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) لأن الصلاة والزكاة نزلتا بالقدية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ تَكُنْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝  
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ  
هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ألم ، تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾

وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر ما قبلها هو أن الله تعالى لما قال (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) إشارة إلى كونه معجزة وقال (ولئن جهنم بآية) إشارة إلى أنهم يكفرون بالآيات بين ذلك قوله (ألم تلك آيات الكتاب الحكيم) ولم يؤمنوا بها ، وإلى هذا أشار بعد هذا بقوله (وإذا تلى عليه آياتنا ول مستكبرا) .

وقوله ﴿ هدى ورحمة المحسنين . الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾

قوله (هدى) أى يلبأ وفرقا ، وأما التفسير فمثل تفسير قوله تعالى (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى) وكما قيل هناك إن المعنى بذلك هذا ، كذلك قيل بأن المراد بتلك هذه . ويمكن أن يقال كما قلنا هناك إن تلك إشارة إلى الثغاب منبعاها آيات القرآن آيات الكتاب الحكيم وعند إزال هذه الآيات التي زلت مع (ألم تلك آيات الكتاب الحكيم) لم تكن جميع الآيات نزلت فقال تلك إشارة إلى الكل أى آيات القرآن تلك آيات ، وفي مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال في مسودة البقرة (ذلك الكتاب) ولم يقل الحكيم ، ومنها قال (الحكيم) طار زاد ذكر وصف الكتاب زاد ذكر أمر في أحواله فقال (هدى ورحمة) وقال هناك

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ أَخْدِيثٍ لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ يُعَذِّبُهُ اللَّهُ

وَيُخَذِّدُهَا هُرُورًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤٩﴾

( من الذين ) هؤلاء ( هدى ) في مقابلته قوله ( الكتاب ) وفوقه ( ورحة ) في مقابلته قوله ( الحكيم ) ووصف الكتاب بالحكيم على معنى در الحكمة كقوله تعالى ( في عبثه راحية ) أى ذات رصا

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال عاك ( المتقين ) وقال هب ( المتحسين ) لأنه لما ذكر أنه هدى ولم يذكر شيئاً آخر قال ( المتقين ) أى يهتدى به من يتق الله والعباد والتعصب . ويظهر فيه من غير عمد . ولما زاد هدى راحة قال ( المتحسين ) أى المتقين للترك والعماد الإلهام بالمحس هو الآتى بالإيمان والحق هو التارك للكفر . كما قال تعالى ( إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ) ومن حاب الكفر كان متغياً وله الحق . ومن اتقى بحقيقة الإيمان كان محسداً وله الزيادة لقوله تعالى ( تزدن أحسنوا الهدى ) وزيادة ولأنه لما ذكر أنه راحة قال ( المتحسين ) لأن راحة الله قريب من التحسين .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال هناك ( الذين يؤمنون بالغييب ويقيمون الصلاة ) وقال هب ( الذين يقيمون الصلاة ) ولم يقل يؤمنون لما بين أن المتقى هو التارك للكفر وطوره أن يكون مؤمناً . والخمس هو الآتى بحق الإيمان . ويلزمه أن لا يكون كافراً ، فلما كان المتقى دالاً على المؤمن فى الاتزان صرح بالإيمان هناك تبييناً ولما كان الخمس دالاً على الإيمان بالتحصيل لم يصرح بالإيمان وقوله تعالى ( الذين يقيمون الصلاة ) قد ذكرناه ما فى الصلاة وإقامتها برأى وما فى الزكاة والقيام بها . وذكرنا فى تفسير الآيات فى أوامرها أن الصلاة ترك تنسبه بالعبادتها عبادة صورة وحقيقة والله تعالى يحب عبادة العباد ولا يجوز عليه العبادة . وترك التنسبه لازم على العبد أيضاً فى أمور فلا يجلس عند جفونه ولا يركب عند انكائه . والزكاة تنسبه بالسيد . فلما دفع حجة الغير والله دفع الحجابات . وتنسبه لازم على العبد أيضاً فى أمور . كما أن عبد العالم لا يتلبس بلباس الاساد . وعبد الجندى لا يتلبس بلباس الرعا . وجهاتكم المودية .

قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشترى لهو الخلد بس عن سبيل الله بغير علم وينخدعها هرواً أولئك لهم عذاب مهين ﴾

لما بين أن القرآن كتاب حكيم يشتمل على آيات حكمية بين من حال الكفار أنهم يتركون ذلك ويشغلون بغيره . ثم إن فيه ما بين سوء صنيعهم من وجوه ( الأول ) أن ترك الحكمة والاشتغال بمحدث آخر قبيح ( الثانى ) هو أن المحدث إذا كان لهواً لا فائدة فيه كان أقيح

وَلَمَّا نَزَّلْنَا عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ قُطْرًا فَنُفِثَ بِهِ

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾

(الثالث) هو أن الظاهر قد قصد به الإحاطة كما ينقل عن ابن عباس أنه قال أحصوا وتعالى عن ابن عباس أنه قال : وهو القلوب ساعة فساعة ، رواه الدريسي عن أنس مرفوعاً ويشهد به ما في سلم وباحظة ساعة وساعة ، والموافق يجمعون منه الأمر بما يجوز من المطالبية ، والخواص يقولون هو أمر بالعلم إلى جانب الحق فإن الترويج به لا غير فلما لم يكن قصدهم إلا الإضلال فنزل ( ليضل عن سبيل الله ) كان قوله أدخل في الفصح .

ثم قال تعالى ( بغير علم ) عائذ أن يشرأ أي يشتري بغير علم ويتخذها أي ( يتخذ السبيل هرواً أولئك لهم عذاب مهين ) قوله ( مهين ) إشارة إلى أمر يفهم منه القوام ، وذلك لأن الملك إذا أمر بتعذيب عبد من عبده ، فاجتلاء وإن علم أنه من يعود إلى خدمة الملك ولا يتركه الملك في الجلس بكرمه ويحفظ من تعذيبه ، وإن علم أنه لا يعود إلى ما كان عليه وأمره قد انقضى دعاه لا يكرمه . فقوله ( عذاب مهين ) إشارة إلى هذا وبه يفرق بين عذاب المؤمن وعذاب الكافر ، فإن عذاب المؤمن ليظهر فهو غير مهين .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا نَزَّلْنَا عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ قُطْرًا ، فَنُفِثَ بِهِ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

أي يشتري الحديث الباطل ، والحق الصراح بأنه محلاً يعرض عنه ، وإذا نظرت فيه فهمت حسن هذا الكلام من حيث إن المشتري يطلب المشتري مع له يعقل بدل النزع ، ومن يأتي النفس لا يظلمه ولا يدل شيئاً ، ثم إن الواجب أن يطلب العاقل الحكمة بأي شيء يجده ويشترها ، وهم ما كانوا يطلبونها ، وإذا جاءهم محلاً ما كانوا يسعون ، ثم إن فيه أيضاً مراتب ( الأولى ) التوبة عن الحكمة وهرفيج ( والثاني ) الاستكبار ، ومن يشتري حكاية ورسم وبرام ويحتاج إليها كعب يكون مستعياً عن الحكمة حتى يستكبر عنها ؟ وإنما يستكبر الشخص عن الكلام وإذا كان يقول أيا أقول مثله ، فمن لا يقدر يصنع مثل تلك الحكايات الباطلة كيف يستكبر على الحكمة الباطلة التي من عبد الله ؟ ( والثالث ) قوله تعالى ( كأن لم يسمعها ) شغل المستكبر الذي لا يلتفت إلى الكلام ويجعل نفسه كأنها غائبة ( الرابع ) قوله ( كأن في أذنيه قُطْرًا ) أدخل في الإعراض . ثم قال تعالى ( فَنُفِثَ بِهِ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ) أي له عذاب مهين فنشره أت به وأوعده . أو يقال إذا كان حاله بهذا ( فَنُفِثَ بِهِ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ) .

إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿١٤٣﴾ خَلِيلِينَ فِيهَا وَعَدَ  
 اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ فِي الْآخِرِ

قوله تعالى : ﴿١٤٣﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ، خالدين فيها وعد الله حقاً  
 وهو العزيز الحكيم ﴿١٤٤﴾ .

لما بين حال من إذا أتى عليه الأبات والى ، جن حال من يقل على تلك الأبات ويقبلها وما أن  
 ذلك له مراتب من التولية والاستكبار . فذاته مراتب من الأقال والقول والعمل به ، فإن من  
 سمع شيئاً وقبله قد لا يعمل به فلا تكون درسه مثل من يسمع ويطيع ثم إن هذا له جنت النعيم  
 ولذات عذاب مهيئ وفيه لطائف : ( أحداها ) توجد الدواب ومع الجنات إشارة إلى أن الرحمة  
 واسعة أكثر من العصب ( الثانية ) تنكير الدواب وتعرف الجنة بالإضافة إلى المعروف إشارة  
 إلى أن الرحيم ومن النعمة ويعرفها بإصالة إشارة إلى القلب ، وإما بين النعمة ، وإما بين عليها  
 تنبيهاً ( الثالثة ) قال عذاب ، ولم يصرح بأنهم به خالدين ، وإنما أشار إلى الخلود بقوله ( مهيئ )  
 وصرح في الثواب بالخلود بقوله ( خالدين فيها ) ، ( الرابعة ) أكد ذلك بقوله ( وعد الله حقاً )  
 ولم يذكر هناك ( الخامسة ) ذال هناك لغيره ( فبشره عذاب ) وقال فيها بغيره : وعد الله ، ثم  
 لم يفتن البشرى به لأن الإشارة لا تكون إلا بأعظم ما يكون ، لكن الجنة دون ما يكون للصلحين  
 إشارة من الله ، وإما تكون بشرتهم به رحمة وودونه كما قال تعالى ( فبشرهم برحمة من  
 ورسولان وجنت لهم فيها نعيم مقيم ) ولولا قوله ( منه ) لما عظمت البشارة . ولو كانت ( منه )  
 معروفة بأمر دون الجنة لكان ذلك فوق الجنة من غير اعتناء ، وإن قيل فقد بشر بنفس الجنة بهوله  
 ( وأبشروا بأجنة التي كنتم توعدون ) بقول البشارة هناك لم تكن بأجله وحدها ، بل بما وما ذكر  
 بعدهما إلى قوله تعالى ( نزلنا من غفور رحيم ) والنزل ما يهب عند النزول والأكرام العظيم بعده  
 وهو ( العزيز الحكيم ) كإفادته بعدد المعرض وينيب الفضل ، كإفادته العلم بفعل الأفعال كما  
 بغير ، فلا يعذب من يؤمن ولا ينيب من يكفر .

وقال تعالى ﴿١٤٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا .

بين عزته وسكته بقوله ( خلق السموات بغير عمد ) اختلف قول العلماء في السموات فهم  
 من قال إنها مبسوطة كصفحة مسوية ، وهو قول أكثر المفسرين ومنهم من قال إنها مستديرة وهو  
 قول جميع المحدثين ، والعراف رحمه الله قال نحن نوافقهم في ذلك قالت لهم عليها دليلان من  
 المحسوسات ومخالفه المحسوس لا يجوز ، وإن كان في الباب خبر بقوله ( ما يعتله ) فضلاً من أن ليس  
 في القرآن والخبر ما يدل على ذلك صريحاً ، بل فيه ما يدل على الاستدراك كما قال تعالى ( كل في ظلك

رَوَيْتُ أَنَّ نَحْمِدُ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾

يسبحون) والفلك اسم لشيء مستدير ، من الواجب أن يقال بأن السموات سواء كانت مستديرة أو مربعة فهي مخلوقة بقدرته الله لا مرجوعة بإيجاب وخلق . وإذا علم هذا فنقول السحاب في مكان وهو فضاء وانفصاله لا نهاية له وكون السحاب في بعضه دون بعض ليس إلا بقدرته اختاره وإليه الإشارة بقوله (غير عمد) أي ليس على شيء يمنحها الزوال من موضعها وهي لا تزول إلا بقدرته الله تعالى وقال بعضهم المعنى أن السموات بأسرها وبمجموعها لا مكان لها لأن المكان ما يعتمد عليه ما فيه فيكون شتكتا والخبر ما يشار إلى ما فيه بسببه يقال هنا . وهناك وعلى هذا قالوا إن من يقع من شاطئ جبل غيو في الهواء في حيز إذا يقال له هو هنا وهناك . وليس في مكان إذا لا يعتمد على شيء ، فإذا حصل على الأرض حصل في مكان ، إذا علم هذا فاسموات ليست في مكان تعتمد عليه فلا عمد لها وقوله (ترونها) فيه وجهان : (أحدهما) أنه راجع إلى اسموات أي ليست هي بعينه وأنتم ترونها كقولكم غير عمد (والثاني) أنه راجع إلى العمدة أي بغير عمد مرئية . وإن كان هناك عمد غير مرئية فهي قدرة الله وإرادته .

ثم قال تعالى : ﴿١٠﴾ والقي في الارض رؤسا أن نحمدهم وبكربهم من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبأنا بها من كل زوج كريم ﴿١١﴾ .

أي جبالا راسية ثالثة (أن نحمدهم) أي كرامة أن نحمد ونقول المعنى أن لا نبدى . واعلم أن الأرض نباتها بسبب قتلها ، وإلا كانت زوال عن موضعها بسبب المياه والرياح ، ولو غطتها مثل الرمل لما كانت تثبت للزراعة كما ترى الأرض الرملة ينتقل الرمل الذي فيها من موضع إلى موضع ، ثم قال تعالى (وبث فيها من كل دابة) أي سكن الأرض في مصلحة حركة البواب فاسكننا الأرض وحركنا البواب ولو كانت الأرض منزلقة وبعض الأرض يناسب بعض الحيرفات لكانت الدابة التي لا تعيش في موضع تنفع في ذلك الموضع فيكون فيه هلاك البواب ، أما إذا كانت الأرض ما سكنة والحيوانات متحركة تتحرك في المواضع التي تناسبها وترعى فيها وتعيش فيها ، ثم قال تعالى (وأنزلنا من السماء ماء) هذه نعمة أخرى أنعمها الله على عباده ، ونعمها ما يسكن الأرض لأن البذر إذا لم يثبت إلى أن ينبت لم يكن يحصل الزرع ولو كانت أجواء الأرض متحركة كل رمل لما حصل الثبات ولما كثر النبات ، والعدول من الخفايا إلى النسي فيه فسادة وحركة ، أما الفصاحة فذكرورة في باب الائتلاف من أن السامع إذا سمع كلاماً طويلاً من نطق واحد ، ثم ورد عليه نطق آخر يستطيه ألا ترى أنك إذا قلت قال زيد كذا وكذا ، وقال خالد كذا وكذا ، وقال عمرو كذا ، ثم إن



هَذَا خَلَقُ اللَّهِ فَأُرْوِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

﴿١١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ

وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾

بكرًا قال فلا حسبا بسطاب لما قد ذكره بقوله مرارا ، وأما الحكمة فمن وجهين ( أحدهما ) أن خلق الأرض تهيئ ، والسماء في غير مكان قد يقع لمفعول أنه الطبع ، وبث اللذات يقع لبعضهم أنه باختيار الدابة ، لأن لها اختيارا ، وقول الأربط طيبين ، والآخر اختيارى الحيوان ، ولكل لا يشك أحد في أن الماء في الهواء من جهة فوق ليس طبعاً فإن الماء لا يكون طبعه فوق ولا اختياراً ، إذ الماء لا اختيار له فهو بإرادة الله تعالى ، فقال ( وأنزلنا من السماء ) ( الثاني ) هو أن إزال الماء نعمة ظاهرة مشكورة في كل زمان ، مشكورة في كل مكان ، فأسند إلى نفسه صريحاً ليقته الإنسان لشكر نعمته فيزيد له من رحمة ، وقوله تعالى ( وآتينا فيها من كل زوج ثمر من كل جنس ، وكل جنس فتحه ورجان ) لأن النبات إما أن يكون نجراً ، وإما أن يكون غير نجس ، والذي هو الشجر إما أن يكون مشعراً ، وإما أن يكون غير مشعر ، والشمس كذلك ينقسم قسمين ، وقوله تعالى ( كريم ) أى ذى كرم ، لأنه بآتي كثيراً من غير حساب أو مكرم مثل ينقض للبعض . قوله تعالى : ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾ بل الظالمون في ضلال مبين ﴿ قوله تعالى : ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾ يعنى الله تعالى وغيره ليس بخالق فكيف تكون عبادة الخالق وتدنخلون بمادة المخلوق .

ثم قال تعالى ( بل الظالمون في ضلال مبين ) أى بين أو مبين للعاقل أنه ضلال ، وهذا لأن ترك الطريق والحيد عنه ضلال ، ثم إن كان الحيد منه أو بيرة فهو لا يعد عن الطريق المستقيم مثل ما يكون المقصد إلى وراءه فانه يكون غاية الضلال ، فالقصد هو الله تعالى ، فمن يطلبه وينتفض إلى غيره من الدنيا وغيره فهو ضال ، لكن من وجهه إلى الله قد يصل إلى المقصود ولكن بعد نصب وطول مدة ، ومن يطلبه ولا ينتفض إلى ما سواه يكون كالذى على الطريق المستقيم يصل عن قريب من غير تعب . وأما الذى تولى لا يصل إلى المقصود أصلاً ، وإن دام في السفر ، والمراد بالظالمين المشركون المراضعون لعبادتهم في غير موضع أو المراضعون أنفسهم في عبادة غير الله .

ثم قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ﴾ لما بين الله فساد اعتقادهم بسبب عنادهم فإن الله غنى حميد ﴿

قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ﴾ لما بين الله فساد اعتقادهم بسبب عنادهم

ياشرك من لا يخلق شيئاً من خلق كل شيء بقوله (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) وبين أن المشرك ظالم ضال، ذكر ما يدل على أن ضلالهم وظلمهم بمنعني الحكمة وإن لم يكن هناك نبوة وهذا إشارة إلى معنى . وهو أن اتباع النبي عليه السلام لازم قبله لا يخل منه إظهاراً للتبديد فكيف ما لا يختص بالنبوة ، بل يدرك بالخلق معناه وما حابه النبي عليه السلام مدرك بالحكمة وذكر حكاية لقمان وأنه أدركه بالحكمة وقوله (ولقد آتينا لقمان الحكمة) عبارة عن توفيق العمل بالعلم ، بكل من أوفى توفيق العمل بالعلم فقد أوفى الحكمة ، وإن أردنا تعديدها بما يدخل فيه حكمة الله تعالى ، فنقول حصول العمل على وفق المعلوم ، والتقى يدل على ما ذكرنا أن من تعلم شيئاً ولا يعلم معالجه ومفاسده لا يسمى حكيماً وإنما يكون مبغياً . ألا ترى أن من يلقي نفسه من مكان عال ووقع على موضع فانخفض به وظهر له كثر وسلم لا يقال إنه حكيم ، وإن ظهر لفته مصلحة وخلع عن نفسه ، لعدم علمه به أولاً ، ومن يعلم أن الإلقاء فيه إهلاك النفس ويلقي نفسه من ذلك المكان وتكسر أعضاؤه لا يقال إنه حكيم وإن علم ما يكون في فعله ، ثم التقى يدل على ما ذكرنا قوله تعالى (أن اشكر الله) فإن أن في مثل هذا تسمى المصيرة فسر الله إنشاء الحكمة بقوله (أن اشكره) وهو كذلك ، لأن من جده ما يقال إن العمل موافق للعلم ، لأن الإنسان إذا علم أمرين أحدهما أهم من الآخر ، فإن استعمل بالأهم كان عمله موافقاً لعلمه وكان حكيماً ، وإن أهمل الأهم كان مخالفاً للعلم ولم يكن من الحكمة في شيء ، لكن شكر الله أهم الأشياء ، فالحكمة أول ما تقتضيه . ثم إن الله تعالى بين أن بالشكر لا ينفع إلا الشاكر بقوله (ومن يشكر فلما يشكر لنفسه) وبين أن بالكفران لا يتضرر غير الكافر بقوله (ومن كفر فإن الله غني عن عباده) أي الله غير محتاج إلى شكر حتى يتضرر بكفران الكافر وهو في نفسه محمود سواء شكره الناس أو لم يشكروه ، وفي الآية مسائل ولطائف (الأولى) فسر الله إنشاء الحكمة بالأمر بالشكر ، لكن الكافر والجاهل مأموران بالشكر فبعض أن يكون قد أوفى الحكمة (والجواب) أن قوله تعالى (أن اشكر الله) أمر نسبي معناه آتينا الحكمة بأن جملناه من الشاكرين ، وفي الكافر الأمر بالشكر أمر تكليفي .

**في المسألة الثانية** قال في الشكر ومن يشكر بصيغة المستقبل ، وفي الكفران ومن كفر فإن الله غني ، وإن كان شراً لم يجعل الماضي والمستقبل في معنى واحد ، كقول القائل : من دخل دارى فهو حر ، ومن يدخل دارى فهو حر ، فنقول فيه إشارة إلى معنى ويراد إلى أمر ، وهو أن الشكر ينبغي أن يتكرر في كل وقت تتكرر النعمة ، فمن شكر ينبغي أن يكرر . والكفر يجب أن ينقطع من كفر ينبغي أن يترك الكفران . ولأن الشكر من الشاكر لا يقع بكافة ، بل أبداً يكون منه شيء في النعم يريد الشاكر إدخاله في الوجود ، كما قال (رب أودعني أن أشكر نعمتك) وكما قال تعالى (وإن نعموا لفتنة لئلا يحصوها) فأشار إليه بصيغة المستقبل ، تنبأ على أن الشكر بكافة لم يوجد . وأما الكفران فكل جزء يقع منه نام ، فقال بصيغة الماضي .

وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنَيْهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ يَنْبُتُ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا وَهُمَا عَلَى وَجْهِ وَفَضَّلَهُ فِي عَمَلَيْنِ إِنَّ

أَشْكُرُنِي وَنِوَالِدَكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾

﴿المسألة الثالثة﴾ قال تعالى هذا (ومن يشكر فلنا يشكر لنفسه) ومن كفر بقديم الشكر على الكفران ، وقال في سورة الروم (ومن كفر فقله كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمحسون) فقول هذا كان المذكور لله عجب لقوله تعالى من قبل (فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من أمره يومئذ يصدون) وهما المذكور للترغيب ، لأن وعظ الآب للابن يكون بطريق اللطف والوعد ، وقوله (ومن عمل صالحاً) يعنى ماذا كررنا أولاً ، لأن المذكور في سورة الروم لما كان بعد اليوم الذي لا مرد له تكون الأعمال قد سبقت فقال لفظ الماضي ومن عمل ، وهما لما كان المذكور في الابتداء قال ومن يشكر لفظ المستقبل وقوله (ومن كفر فلان الله غنى) عن حمد الخادمين ، حمد في ذاته من غير حمد ، وإنما الحمد زعيم مرتبه بكونه حامداً لله تعالى .

ثم قال تعالى . ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنَيْهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ يَنْبُتُ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ عطف على معنى ما سبق ، وقد بينا آياتنا الثماني الحكمة حين جعلناه شاكراً في نفسه وحين جعلناه واعداً لنفسه ، وهذا لأن عزم مرتبة الإنسان بأن يكون كاملاً في نفسه ومكملات غيره . قوله (أن أشكر) إشارة إلى التكامل وقوله (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه) إشارة إلى التكامل . وفي هذا لطيفة وهي أن الله ذكر لقمان وشكره سبعه حيث أرشد ابنه ليعلم منه فضيلة النبي عليه السلام الذي أرشد الأجانب والإخارب كان إرشاد الولد أمر مناد ، وأما تحمل المشقة في تعبير الابن فلا ، ثم إنه في الرعشة بدأ بالام وهو المنع من الإشراف ، قال (إن الشريك لظلم عظيم) أما أنه ظلم فلأنه وضع لنفس الشريف المكرم قوله تعالى (ولقد كررنا بني آدم) في عبادة الخمسين أولاً ، وضع العبادة في غير موضعها وهي غير وجه الله وسبيله ، وأما أنه عظيم فلأنه وضع في موضع ليس موضعاً ، ولا يجوز أن يكون موضعاً ، وهذا لأن من يأخذ مال يرد ويعطى عمراً يكون ظمناً من حيث إنه وضع مال زيد في يد عمرو . ولكن جاز أن يكون ذلك ملك عمرو أو يصير ملكه بيع سابق أو يملكه لاحق . وأما الإشراف فهو صريح الملبودية في غير الله تعالى ولا يجوز أن يكون غير مبدؤاً أصلاً .

ثم قال تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا وَهُمَا عَلَى وَجْهِ وَفَضَّلَهُ فِي عَمَلَيْنِ إِنَّ أَشْكُرُنِي وَنِوَالِدَكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾

لما تمتع من العبادة بغير الله ، والخدمة قريبة منها في الصورة بين أئمة غير متممة ، بل هي واجبة

الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تُمْ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَتِبْتُكُمْ بِمَا كُنتُمْ  
تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّا كُنَّا نَبْقَضُ حَيَاتَ مَنْ خَوَّلَ فَنَكَّرَ فِي صَفْرَةٍ أَوْ فِي  
السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٧﴾

لغير الله في بعض الصور مثل خدمة الآبرار ، ثم بين السبب فقال : ( حله أنه ) يعني أنه على العبد  
صفة الإيجاد ابتداء بالخلق ونسبة الإبقاء بالرزق و جعل بفضل الله صورة ذلك وإن لم يكن  
لها حقيقة فإن الحمل به يظهر الوجود ، وبالوضع يحصل التربية والبقاء فقال حله أنه أي صار  
بقدرة الله سبب وجوده ، وبهاله في عاين ، أي صار بقدرته أيضاً سبب بقاءه ، فإذا كان منها ماله  
صورة الوجود والبقاء ، وجب عليه ماله شبه العادة من الخدمة ، فإن الخدمة لها صورة العبادة ، فإن  
قال قال رضي الله عنه بالوالدين وذكر السبب في حق الأم فنقول خص الأم بالذكر وفي الأب ما وجد  
في الأم فإن الأب حله في صلبه سنين ورياء تكسبه سنين مهراشح وقوله ( أن اشكر لي ولو الله بك )  
لما كان الله تعالى بفضل جعل من الوالدين صورة ما من الله ، فإن الوجود في الحقيقة من الله وفي  
الصورة يظهر من الوالدين جعل الشكر بينهما فقال ( أن اشكر لي ولو الله بك ) ثم بين الفرق وقال ( إلى  
المصير ) يعني فمهما عصى بالدنيا ونعمتي في الدنيا والآخرة ، فإن إلى المصير أو تحول لها أمر  
بالشكر لنفسه والوالدين قال الخراء على وقت المصير إلى .

ثم قال تعالى : وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي  
الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تُمْ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَتِبْتُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾  
يعني أن خدمتهما واجبة و حاجتهما لازمة ما لم يكن بها ترك طاعة الله ، أما إذا أفضى إليه فلا  
تطيعهما . وقد ذكرنا تفسير الآية في المكثبات . وقال فيها ( واتبع سبيل من أناب إلى ) أي  
صاحبهما عبيدك فإن حجتها على جسدك . واتبع سبيل النبي عليه السلام بمقتك ، فإنه مربي عطفك ،  
كما أن الوالد مربي جسدك .

ثم قال تعالى : يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّا كُنَّا نَبْقَضُ حَيَاتَ مَنْ خَوَّلَ فَنَكَّرَ فِي صَفْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ  
فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٧﴾

لما قال ( فأتيتكم بما كنتم تعملون ) وقع لآيته أن ما يفعل في خفية يخفى فقال ( يا بني إسرائيل )  
أي الحسن والسنة إن كانت في الصبر مثل حنة خردل وتكون مع ذلك الصبر في موضع حرز  
كالصخرة لا تخوف على الله ، وفيه مسائل :

يَنْبَغِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ

إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٧٧﴾

﴿ المسألة الأولى ﴾ قوله ( فتكن ) بالفاء لإفادة الاجتماع يعني إن كانت صغيرة ومع صغرها تكون حجة في موضع حرز كالصخرة لا تعني على الله لأن افتاد للاتصال بالضعيف .

﴿ المسألة الثانية ﴾ لو قيل الصخرة لابد من أن تكون في السموات أو في الأرض فإفادة في ذكرها ؟ ولأن القائل لو قال هذا رجل أو امرأة أو ابن عمرو لا يصح هذا الكلام لتكون ابن عمرو داخلان أحد القدمين فتكفي بهم هذا ، فتقول الجواب عنه من أوجه ( أحدها ) ما قاله بعض المقربين وهو أن المراد بالصخرة صخرة عليها التورود في الأرض ولأن السماء ( والثاني ) ما قاله الزحشرى وهو أن فيه إحصاءاً تخديره فتكن في صخرة أو في موضع آخر في السموات أو في الأرض ( والثالث ) أن نقول تقديم الخاص وتأخير العام في مثل هذا التقسيم جائز وتقديم العام وتأخير الخاص غير جائز ، أما الثاني فلا يقيم لأن من قال هذا في دار زيد أو في غيرها أو في دار عمرو لا يصح لتكون دار عمرو داخلية في قوله أو في غيرها ، وأما الأول فلا قول القائل هذا في دار زيد أو في دار عمرو أو في غيرها صحيح غير قبيح فتكذلك ههنا قدم الخاص أو تقول هذا الشيء يكون بطريق منها أن يكون في غاية الصغر ومنها أن يكون كبيراً ، ومنها أن يكون في ظلمة ، ومنها أن يكون من وراء حجاب ، فإن انتفتت الأمور بأسرها بأن يكون كبيراً قريباً في ضوء من غير حجاب فلا يخفى في العادة ، فأثبت الله الرؤية والعلم مع انتفاء الشرائط فتقوله ( إنها إن تلك مثقال حبة ) إشارة إلى الصغر وقوله ( فتكن في صخرة ) إشارة إلى الحجاب وقوله ( أو في السموات ) إشارة إلى البعد فإنها أبعد الأبعاد وقوله ( أو في الأرض ) إشارة إلى الظلمات فإن جوف الأرض أظلم الأماكن وقوله ( يأتيها الله ) أبلغ من قول القائل يعلوها الله لأن من يظهر له الشيء ولا يظهر على إظهاره أميره يكون حاله في العلم دون حال من يظهر له الشيء ويظهره لغيره فتقوله ( يأتيها الله ) أي يظهرها الله للأشهاد وقوله ( إن الله لطيف ) أي نافذ القدرة ( خبير ) أي عالم بواطن الأمور .

قوله تعالى : ﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾

لما معه من الشك وخوفه بعلم الله وقدرته أمره بما يلزمه من التوسيد وهو العبادة لوجه الله غلصاً . وهذا يدل على أن الصلاة كانت في - أثر المثل غير أن حينها اختلعت .

ثم قال تعالى ( وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ) أي إذا كنت أنت في نفسك بعبادة الله فكل



وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُمُصْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ

(١٩)

ولا مطر . لأن من لا يأكل قد عجز بعم الإكل . وغائل أن يقول أن مثل هذا الكلام يكون  
لغيره فيقول لا تعجز ولا تأكل أي لا تعجز بأن تأكل ولا يكون بين من واحد .  
قوله تعالى : ( وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ) واقصص من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير  
التي قال ( ولا تأتس في الأرض مرسا ) وعدم ذلك قد يكون بصدده وهو الذي تعالج غاية  
الاحلاف . وهو مني المتفاوت الذي جرى من نعمة التذمم نزهة هذا فقال ( واقصِدْ فِي مَشْيِكَ )  
أي كن وسطا بين الطرفين المذكورين ، وفي الآية مسائل :

( الأولى ) هل للأمر بالعض من الصوت مناسبة مع الأمر بالقصِدْ في المشي ؟ فقوله : نعم  
سواء عليا عن أو لم عليها . وفي كلام الله من القوائد مالا يحصره حد ، ولا يصيبه عد ، ولا  
يغيبه أحد . والذي ظهر وجود ( الأولى ) هو أن الإنسان لا كان شريفاً تكون مطالب شريفة  
فيكون هو أن حظراً وأمر الله الإنسان على تحصيلها بالمشي . فان عجز عن إتيانها مقصوده ينأى  
ومقتوه ببقوله لو بأنه مشياً إليه فإن عجز عن الإلتزام كلامه إليه . وبعض الحيوانات بشارك الإنسان  
في تحصيل المطلوب بالصوت كذا أن الدم تغلب السخنة وأغبرة السحل وثالثة الفصل بالثقل  
والخوار والرفاء . وسكن لا تتعد ، إلى غيرها . والاداسان غير المتشعب عن البعض فإذا كان المشي  
والصوت معصية إلى مقصود واحد لم أوشده إلى أمدها أرشده إلى الأمر ( الثاني ) هو أن  
الإنسان له ثلاثة أشتاء على المطول مع بشرته من الحيوانات فله حركة وسكون . وقول بالإنسان  
ولا يشاركه به غيره . وعزم القلب وهو لا اطلاع عليه إلا الله . وقد أشار إليه بقره ( إنما إن  
لك عاقلة من جنس من حردن ) أي أصابع مبركة قال الله خير . بنى الأمران فقال ( واقصِدْ فِي مَشْيِكَ )  
واقصص من صوتك ( إشارة إلى الوسط في الأفعال والأقوال ) فتأيد هو أن الفهم أراد  
إرشاد الله إلى التوسط في الأوصاف الانسانية والأوصاف التي هي تلك التي هو أعلى مرتبة  
من الأوصاف التي للحيوان الذي هو أدنى مرتبة منه . فقوله ( وأمر المعروف وأنه عن المكسر )  
إشارة إلى المكسر الخاصة بالإنسان فان الملك لا يأمر مدكاً آخر شيء . ولا يباه عن شيء . وقوله  
( ولا تعجز هذا قللس ولا تأتس في الأرض مرسا ) إشارة إلى عدم التكبر والتعجز  
إشارة إلى المكريم التي هي صفة الملائكة فان عدم التكبر والاعتناء . وقوله ( واقصِدْ فِي  
مَشْيِكَ ) واقصص من صوتك ( إشارة إلى المكريم التي هي صفة الحيوان ثم قال تعالى ( إلى أنكر  
الأصوات لصوت الحمير ) وفيه مسائل :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ  
عَلَيْهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ

مُنِيرٍ ﴿١٥٢﴾

(الاول) لم ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المنى . نقول اما على قولنا ان المنى والصوت كلاهما موصولان إلى شخص مطلوب ان أذكره بالمشي إليه فذلك ، وإلا فيوقف بالنداء ، ونقول رفع الصوت يؤذى السامع ويضرع الصالح بقوة ، وربما يخرق الغشاء الذي داخل الأذن . وأما السرعة في المنى فلا تؤذى أو إن كانت تؤذى فلا تؤذى جبراً من في طريقه والصوت يبلغ من على البين واليسار ، ولأن المنى يؤذى آلة المنى . والصوت يؤذى آلة السمع وآلة السمع على باب القلب ، فإن الكلام يتغل من السمع إلى القلب ولا كذلك المنى ، وأما على قولنا الإشارة بالمشي . والصوت إلى الأفعال والأقوال فلان القول نبيه أفصح من قبج الفعل وحسن أحسن لأن اللسان ترجمان القلب والاعتبار يصحح الدعوى .

﴿ المسألة الثانية ﴾ كيف بهم كونه أنكر مع أن من المشار بالمرد وحت التحاس بالحديد أشد تنفيراً فنقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن المراد أن أنكر أصوات الحيوانات صوت الجبر فلا يرد ما ذكرتموه ماذكرتم في أكثر الأمر لمصلحة وغارة فلا ينكر . بخلاف صوت الجبر وهذا وهو الجواب (الثاني) .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ أنكر هو أفضل التفضيل فمن أى باب هو ؟ نقول يحتمل أن يكون من باب أطوع له من بناته ، بمعنى أشدها طاعة فإن أفضل لا ينجى . فيمفعول ولا في مفعول ولا في باب المديوب إلا ما دنا ، كقولهم أطوع من كذا التفضيل على المطيع ، وأشغل من ذات التجنب للتفضيل على المشغول ، وأحق من خلاف من باب المديوب ، وعلى هذا فهو في باب أفضل كاشغل في باب مفعول فيكون تفضيل على المنكر ، أو نقول هو من باب أشغل مأخوذاً من نكر المنى فهو منكر . وهذا أنكر منه ، وعلى هذا أنه معنى لطيف . وهو أن كل حيوان قد يفهم من صوته بأنه يصبح من قتل أو تنب كالبعير أو غير ذلك ، والحمل لو مات تحت الحمل لا يصبح ولو قتل لا يصبح . وفي بعض أوقات عدم الحاجة يصبح وينب قصوره منكور . ويمكن أن يقال هو من نكير كالجدر من جدير .

قوله تعالى : ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ .  
لما استدل بقوله تعالى ( خلق السموات بغير عمد ) على الوجهانية . وبين بحكاية لقمان أن



معرفة ذلك غير مخصصة بالثبوت بل ذلك موافق للحكمة ، وما جاء به النبي عليه السلام من التوحيد والصلوة ومكارم الأخلاق كما حكمه مائة . ولو كان تعدياً محضاً لزم قوله ، فضلاً عن أنه على وفق الحكمة . نستدل على الوحدانية بالعمه لأننا بدأنا أولاً أن الملك يحكم نعماته ، وإن لم ينم ويخدم الله به أيضاً ، فإما بين أنه المبدؤ فضعفه بحلقه السموات بلا عمد وإلقائه في الأرض الرواني . وذكر بعض أنهم يقولون ( وأرثنا من السماء ماء ) ذكر بعده عامة النعم فقال ( سحر لكم ما في السموات ) أي سحر لكم ما في السموات . فإن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمر الله وفيها نوتد لعباده ، وحر ما في الأرض لأهل عبادته ، وقوله ( وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة ) وهي ما في الأعصاب من سلامة وباطنة وهي ما في القوى فان المصروف ظاهر وفيه قوة باطنة . ألا ترى أن العين والأذن نعمة ، وتضخرف ظاهر ، واللسان والألف لحم وعظم فاعلم ، وفي كل واحد معنى باطن من الابصار والسمع والشم والذوق والشم . وكل ذلك كل عضو ، وقد تطلت القوة . ربيظ النضو فاعلم ، وهذا أحسن مما قيل من على هذا الوجه يكون الاستدلال بنعمة الآفاق وبنعمة الأنفس فقولنا ( ما في السموات وما في الأرض ) يكون إشارة إلى انعم الإلهية ، وقوله ( وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ) يكون إشارة إلى انعم الانسية ، ومهما أنزلت كثيرة مذكورة في جميع كتب التفاسير . ولا يبعد أن يكون ما ذكرناه مقولاً مقولاً ، وإن لم يكن فلا يجرح من أن يكون سائلاً مقولاً .

ثم قال تعالى : ومن انشأ من بحار في الله يعني أنه ثبت الوحدانية باخلاق والإتمام من الناس من بحار في الله وثبت غيره ، إما إلهاً أو متعدياً ( غير علم ولا هدى ولا كتاب منير ) هذه أمور ثلاثة مرتبة العلم والهدى والكتاب ، والعلم أعلى من الهدى والهدى من الكتاب ، وبأنه هو أن العلم يدخل فيه الأشياء الواضحة للأنفحة التي تعلم من غير هداية هاد ، ثم الهدى يدخل فيه الذي يكون في كتاب والهدى يكون من إلهام ووحى ، هناك تعالى ( بحار ) ذلك لئلا يدخل لا من علم واضح ، ولا من هدى أثناء من هاد . ولا من كتاب وكان الأول إشارة إلى من أول من لله تعالى كما قال تعالى ( زدك ملك ما لم يكن علم ) ( والثاني ) إشارة إلى مرتبة من هدى إلى صراط مستقيم بواسطة كما قال تعالى ( عليه شدة أقوى ) ( وثالث ) إشارة إلى مرتبة من هدى بواسطة براسطين ولهذا قال تعالى ( ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للذين ) وقال في هذه السورة ( هدى ورحمة للذين ) وقال في السجدة ( ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبي إسرائيل ) فالكتاب هدى للذين التي عليه السلام ، والتي هدى من الله تعالى من غير واسطة أو بواسطة الروح الأمير . فقال تعالى ( بحار ) لئلا يدخل ابتداء من إلهام كشافاً . ولا يهتدى أولسناه إليه وجب ، ولا الكتاب ينشأ عليه وصفاً . ثم فيه لطيفة أخرى وهو أنه تعالى قال في الكتاب ( ولا كتاب منير ) لأن البحار منه من كان ينادي من كتاب ولكنه محرف من التوراة بعد التحريف ، فلو قال

وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نسمع ما وجدنا عليه آباءنا أولئك  
كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ﴿١٧﴾ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن  
فقد استمسك بالعمرة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور ﴿١٨﴾

ولا كتاب المكن لغافل أن يقول لا يجادل من غير كتاب ، فان بعض ما يقولون هو في كتابهم  
ولأن الجحوس والنصارى يقولون بالثنية والثالث عن كتابهم . حال ( ولا كتاب من ) فان ذلك  
الكتاب مظلم ، ونا لم يحصل في المرة الأولى والثانية التعرف والتبديل لم يقل بغير علم ولا هدى  
منه أو سبق أو غير ذلك .

ثم قال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نسمع ما وجدنا عليه آباءنا أولئك  
كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير . ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعمرة  
الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور ﴾ .

قوله تعالى ( وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نسمع ما وجدنا عليه آباءنا ) من أن يجادلهم  
مع كونها من غير علم فهي في غاية القبح فان أمي عليه السلام يدعوهم إلى طاعة الله ، وهم يأخذون  
بكل ما أتاهم ، وبين كلام الله تعالى وكلام أمنا . بوزن عظيم فكيف ما بين كلام الله وكلام الجهلاء  
ثم إن هنا شيئاً آخر وهو أنهم قالوا ( بل نسمع ما وجدنا عليه آباءنا ) يعني ترك القول النازل من  
الله وتبع القمل ، والقول أدل من القمل لأن الفعل يحتمل أن يكون جازماً . ويحتمل أن يكون  
حراماً ، ثم تناهوه . ويحتمل أن يكون زائداً في اعتقادهم ، وتقوى بين الله لانه ، ثم سمعنا قول  
قاتل القمل ورأينا فعله يدل على خلاف قوله . لكن الواجب الاعتدال القول ، فكيف والقول من الله  
والقمل من الجهلاء . ثم قال تعالى ( أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ) استفهاماً على  
سبيل تشجيع في الإنكار يعني الشيطان يدعوهم إلى العذاب والله يدعو إلى طوبى ، وهم مع هذا  
يتبعون الشيطان . ثم قال تعالى ( ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعمرة  
الوثقى . وإلى الله عاقبة الأمور ) لنا بين حال المشرك والمجادل في الله بين حال المسلم الملتزم  
لأمر الله فهو له ( ومن يسلم وجهه إلى الله ) إشارة إلى الإيمان وقوله ( وهو محسن ) إشارة إلى  
التقوى الصالح فيكون الآية في معنى قوله تعالى ( من آمن وعمل صالحاً ) وفروقه ( فقد استمسك  
بالعمرة الوثقى ) أي تمسك بحبل لا يفتتق له وترى بسبب إلى أعمال القناعات وفي الآية مباحث :  
( في الأول ) قوله وجهه : أي يسلم وجهه إلى الله . وقابل سورة انفجر ( بل من أسلم وجهه )  
فمنه مباحث : قال الزمخشري معنى قوله ( أسلم له ) أي جعل وجهه سائداً إلى حاله

وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ إِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ فَعْنَيْتُهُمْ وَمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ

يَذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧٧﴾ لَمُتَّعْتُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ تَضَرَّعْتُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٧٨﴾

والوجه على النفس والذات . و... قوله ( يسلم ، سه ، إلى الله ) يسلم نفسه إلى الله كما يسلم واحد متاعاً إلى غيره ولم يرد على هذا ، ويمكن أن يرد عليه ويقال من أسلم لله أهمل دونه من يسلم إلى الله . لأن إلى لقاباً واللام الاختصاص . يقول لقمان أسلمت وجهي إليك أي توجهت نحوك ويعني هذا عن عدم الوصول لأن التوجه إلى الشيء قبل الوصول وغوته ( أسلمت وجهي لك ) لك يفيد الاختصاص ولا يعني عن العلية التي تدل على المسافة وقطعها للوصول . إذا علم هذا فنقول في البقرة قالت اليهود والنصارى ( لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ) فقال الله ردأ عليهم ( تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ) ثم بين فساد قولهم بقوله تعالى ( بل من أسلم وجهه لله ) أي أنتم مع أنكم تكونون الله تلبية وتولون عنه لاطل ونشرون بآياته ثم أقبلادخلون [ النار ] ومن كان تكليته لله لا يدخلها . هذا كلام باطل فأورد عليهم من أسلم لله ولا شك أن الخفض بالصورة التي هي لازم أولى فأورد عليهم الخفض الذي ليس له أمر إلا الله وقال أنتم تدخلون الجنة وهذا لا يدخلها . ثم بين كذبهم وقال بل يدعيون أن له فوق الجنة درجة وهي الجنة بقوله ( ثم أخرى عذره : وأما معنا أودعهم الجنة بالثواب والوصول إلى الدرجة العالية فوجد من هو دونه يدخل فيه من هو فوقه بالطريق الأولى وبعدم الوعد وهذا من الفوائد الخفية . ثم قال تعالى ( هذا استمسك بالعروة الوثقى ) أوثق المرى جانب الله لأن كل ما عده هلاك منقطع وهو ملق لا انقطاع له . ثم قال تعالى ( وإلى الله عاقبة الأمور ) أي استمسك ببروة نوحه إلى الله وكل شيء عاقبته إليه فإذا حصل في الحال ما إليه عاقبته في عاقبة في غاية الحسن وذلك لأن من يعلم أن عاقبة الأمور إلى واحد ثم يقدم إليه الهدايا قبل الوصول إليه يجد فائدة عدم القدوم عليه . وإلى هنا وقعت الإشارة بقوله ( وما تقدموا لأنفسكم من خير نخدوه عند الله ) .

قوله تعالى : ومن كفر فلا يحزنك كفره . إياهم من كفرهم فنعيتهم بما هموا إن الله عليهم بذات الصدور وبعيتهم فليلا ثم تضرعهم إلى عذاب غليظ .

لما بين حال المسلم رجع إلى بيان حال الكافر فقال ( ومن كفر فلا يحزنك ) أي لا تحزن إذا كفر كافرين من يكذب وهو قاطع بأن صدقه يشهد عن قريب لا يحزن ، بل قد يقرب المكذب على الزيادة في التكذيب إذا لم يكن من الهداة ويكون المكذب من العداة لخصه عاة التضليل ، وأما إذا كان لا يرجو ظهور صدقه يتأثم من التكذيب . فقد فلا يحزنك كفره . فإن المرجع إلى فأنهم بما عملوا فيجعلون وقرة ( إن الله عليهم بذات الصدور ) أي لا يحزن عليه سرهم وعلائقهم

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾

فينبئهم بما أخرجه صدورهم ، وذات الصدور هي المهلك . ثم إن الله تعالى فصل ما ذكرنا وقال ( نعمتم قليلا ) أي بماؤهم مدة قليلة ثم بين لهم وبال تكذيبهم وكفرهم بقوله ( ثم تضطرم ) أي تضاف عليهم أغلظ عذاب حتى يدخلوا بأنفسهم عذابا غليظا فيضطرون إلى عذاب النار قرارا من الملائكة الغلام القناد الذين يقدرونهم بمقامع من نار ، وفيه رجة آخر لطيف وهو أنهم لما كتبوا أوصل ثم تبين لهم الأمر وضع عليهم من المعاناة ما يدخلون النار ولا يخرجون للوقوف بين يدي ربهم محضرا الأنياب ، وهو يحقق بقوله تعالى ( فلا يحزنك كفره ) إينا مرجعهم فنبتهم بما حملوا . ثم قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾

الآية متعلقة بما قبلها من جهين ( أحدهما ) أنه تعالى لما استدل بخلق السموات بغير عمد وبتعمه الظاهرة والباطنة بين أنهم معترفون بذلك غير متكرين له وهذا يقتضي أن يكون الحمد لله . لأن حالي السموات والأرض يحتاج إليه كل ما في السموات والأرض ، وكون الحمد لله يقتضي أن لا يبعد غيره . لكنهم لا يفتنون هذا ( والثاني ) أن الله تعالى لما سل قلب النبي ﷺ بقوله ( فلا يحزنك كفره ) إينا مرجعهم فنبتهم ( أي لا تحزن على تكذيبهم فإن صدقت تكذيبهم يبين عن قريب عدد رجوعهم إينا ، قال وليس لاثنين إلا ذلك اليوم بل هو يتبين قبل يوم القيامة لأنهم معترفون بأن خلق السموات والأرض من الله . وهذا يصدقك في دعوى الوحدانية وبين تكذيبهم في الإشراف ( قل الحمد لله ) على ظهور صدقتك وكذب تكذيبك ( بل أكثرهم لا يعلمون ) أي ليس لهم علم بمعهم من تكذيبك مع اعترافهم بما يوجب تصديقك وعلى هذا يكون لا يعلمون استمالا لا تفعل مع القطع عن المفعول بالكيفية كما يقول الفاعل فلان يفعل ويمنع ولا يكون في ضيقه من بعض بل يريد أن له عظمة ومتأ فكذلك هنا قال لا يعلمون أي ليس لهم علم وعلى الأول يكون لا يعلمون له مفعول مفهوم وهو أنهم لا يعلمون أن الحمد لله ، والثاني أبلغ لأن قول الفاعل : فلان لا علم له بكذا ، دون قوله فلان لا علم له ، وكذا قوله فلان : لا يضع ريدا ولا يضرب . دون قوله : فلان لا يضرب ولا يرفع .

ثم قال تعالى : ﴿ قل ما في السموات والأرض إن الله هو الغني الحميد ﴾

وَلَوْلَا مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِثَتْ  
كَلِمَتُ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَحْيَاكُمْ إِلَّا تَحْفِيزٌ وَاحِدَةٌ  
إِنْ أَرَادَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾

ذكر سبحانه ما لا يكون له ما فيها والأمر كذلك مقلا وسرعا ، أما عقلا فلأن  
ما في السموات تغلقه غلظت وإضافته خالصة إلى من عنه خلق السموات والأرض لأمر عقلا  
لأنها عسكة ، والممكن لا يطلع ولا يوجد إلا ما سب من غير واسطة كما هو مدب أهل الله أو  
واسطه كما يقوله غيرهم ، وكيفية فرض وكلفه من الله لأن سبب التدب سبب ، وأما شرعا فلأن  
من يملك أرضا وحصل منها شيء ما يكون ذلك لمالك الأرض فكذلك كل ما في السموات  
والأرض حاصل منهما ومنها فهو لملك السموات والأرض وإذا كان الأمر كذلك تخفى أن  
المحدثات ، ثم قوله تعالى (إن الله هو الغني الحميد) فيه معنى لطيفة (أحدها) أن لكل شيء وهو غير  
محتاج إليه غير متفجع به وطواه مانع فهي لكم حقيقة فيكوني لعدم حاجته حبه شكوكا لئلا يحسب  
بها (وإنها) أن بعد ذكر الدلائل على أن المحدثات لله ولا تحتاج السادة إلا الله الذي المكفون  
عريقين مؤمن وكافر ، والكافر لم يجد الله والمؤمن معه فقال إنه غني عن أحد أحاديث فلا يلحجه  
نقص بسبب كفر الكافرين - وحيد في نفسه فيبين به إصابة المؤمنين وتكمل بجمعه الخاضعون  
(وقالها) هو أن السموات وما فيها والأرض وما فيها إذا كانت لله وعقله له ما لكل محتاجون فلا  
غنى إلا الله هو الذي المطلق وكل محتاج فيه حامد - لاحتياجه إلى من يدفع حاجته فلا يكون  
أخيرا لما في (إلا الغني المطلق فهو الحميد ، وعلى هذا يكون) (أخيرا بمعنى المحمود ، والله إذا قبل له أخيرا  
لا يكون معناه إلا الرضا ، أي وصف نفسه أو عباده بأوصاف حميدة ، والعبد إذا قبل له حامد  
يضمن ذلك المدي ، ويضمن كونه عابدا شاكرا له .

ثم قال تعالى : ولولا أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفثت  
كلمات الله إن الله عزير حكيم . ما خلقكم ولا يخلقكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير ﴿٢٦﴾  
لما قال تعالى (فه ما في السموات والأرض) وكان ذلك موحى شأهي ملكة لأخصار ما في  
السموات وما في الأرض فيما ، وحكم العقل الصريح بتأهيهما من أن في قدرته وعليه عجائب  
لأنها غايات (ولولا أن ما في الأرض من شجرة أقلام) ويكتب بها والبحر مداد لأن في عجائب  
صنع الله . وعلى هذا فالكلمة مصرة بالعجبة ، ووجهها أن العجائب بغيره كن وكل كلمة وإعلان  
اسم السبب على السبب جائز . يقول الصواع لمن يارزه أنا موتك . ويقال للدواء في حق المريض

هذا شفاؤك ، ودليل صحة هذا هو أن الله تعالى سمي المسبح لكثرة لأنه كان أمراً مجيئاً ومنعاً قريباً لوجوده من غير أب ، فإن قال قائل الآية واردة في اليهود حيث قالوا الله ذكر كل شيء في التوراة ولم يبق شيء لم يذكره ، فقال القائل في التوراة بالنسبة إلى كلام الله تعالى ليس إلا نظرة من جهار وأزل هذه الآية ، وقيل أيضاً إنها نزلت في واحد قال قنبي عليه السلام إنك تقولون وما أوتيتهم من العلم إلا قليلاً ونقول ( ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ) فقلت الآية دالة على أنه خير كثير بالنسبة إلى العباد ، وبالنسبة إلى الله وعلوه قليل ، وقيل أيضاً إنها نزلت بعد أعيان التكفار حيث قالوا بأن ما يورده محمد سيفقد ، فقال إنه كلام الله وهو لا ينفد ، وما ذكر من أسباب النزول ينال ما ذكرتم من التفسير ، لأنها تدل على أن المراد الكلام ، فنقول ما ذكرتم من اختلاف الأقوال فيه يدل على جواز ما ذكرنا ، لأنه إذا صلح جواباً لهذه الإشابة التي ذكرتموها وهي متباعدة علم أنها عامة وما ذكرنا لا ينافي هذا ، لأن كلام الله عجيب مبسر لا يقدر أحد على الإتيان به ، وإذا قلنا بأن جهات الله لا نهاية لها دخل فيها كلامه ، لا يقال إنك جعلت للكلام مخلوقاً ، لأننا نقول المخلوق هو الحرف والتركيب وهو عجيب ، وأما الكلمات فهي من صفات الله تعالى واعلم أن الآية وإن كانت نازلة على ترتيب غير الذي هو مكتوب ، ولكن الترتيب المكتوب عليه فقرر أن بأمر الله ، فإنه بأمر الرسول كتب كقوله ، وأمر الرسول من أمر الله وذلك محقق متيقن من سنن الترتيب الذي فيه ، ثم إن الآية فيها لطائف ( الأولى ) قال ( ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ) وحد الشجرة وجمع الأقلام ولم يقل ولو أن ما في الأرض من الأشجار أقلام ولا قال ولو أن ما في الأرض من شجرة فم إشارة إلى التكثير ، يعني ولو أن يمد كل شجرة أقلاماً ( الثانية ) قوله والبحر يمد تعريف البحر باللام لاستفراق الجنس وكل بحر ممد ، ثم قوله ( يمد ) من يمد سبعة أمير ( إشارة إلى بخار غير موجودة ، يعني لو مدت البحر الموجودة بسعة البحر آخر وقوله بسعة ) بحر لا تحصرها في سبعة ، وإنما الإشارة إلى العدد والكثرة ولو بالغ بحر ، والسبعة خصصت بالذكر من بين الأعداد ، لأنها عدد كبير يحصر الممدوبات في العادة ، والذي يدل عليه وجوه ( الأولى ) هو أن ما هو معلوم عدد كل أحد حاجته إليه هو الزمان والشكلان ، لأن المكان فيه الأجسام والزمان فيه الأفعال ، تشكل المكان منحصر في سبعة أقاليم والزمان في سبعة أيام ، ولأن الكواكب السيارة سبعة ، وكان المنحصرين بسبعين إليها أموراً ، فصار السبعة كالعدد الحاضر فكثرت الواقعة في العادة فاستعملت في كل كثير ( الثاني ) هو أن الأحاد إلى المشرقة وهي العقد الأول وما بعده يندى من الأحاد مرة أخرى فيقال أحد عشر واثنا عشر ، ثم الثالث من المشرقات والألوف من المئات ، إذا علم هذا فنقول أقل ما يلزم منه أكثر المقصودات هو الثلاثة ، لأنه يحتاج إلى طرفين مبدأ ومنتهى ووسط ، ولهذا يقال أقل ما يكون الاسم والفعل منه هو ثلاثة أحرف ، فإذا كانت الثلاثة هو القسم الأول من المشرقة التي هو العدد الأصغر نقي

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْبِحُ لَيْلًا فِي أَنهَارٍ وَيَرْبِحُ أَنهَارًا فِي أَثْنَلِ وَحَرَّ الشَّمْسِ وَأَنْتُمْ كُلُّ  
بَغِيضٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١﴾

السبعة ثَمَّ الأكثر . فإذا أردت بيان أن كثرة السبعة ، ولهذا فإن المعدادات في العبادات من الذبائح في الانتقالات في الصلوات ثلاثة ، والمراو في الوضوء ثلاثة يسيراً للأمر على المكلف أكثر ، بالقسم الأول ، إذا ثبت هذا فنقول قوله عليه السلام : أنتم من يأكل في مرة ولا يكفر بأكل في سعة أمهاته إشارة إلى قلة الأكل وكثرته من غير إرادة السبعة بمصرصها ، ويحصل أن يقال إن لهن سبعة أبواب بهذا الفصيح ، ثم على هذا هو لنا الجنة ثمانية أبواب إشارة إلى زيادتها فإن فيها الحسنى وزيادتها فلها أبواب كثيرة ورائدة على كثرة غيرها . والذي يدل على ما ذكرناه في السبعة أن العرب عند الثامن يريدونه ولو ، يقول الضراء إنما واد الثمانية وليس ذلك إلا للاختلاف لأن العدد بالسبعة يتم في العرف ، ثم ما ظن استئناف جديد (العبغة الثالثة) لم يقل في الانتقام اندد لرجلين (أحدهما) هو أن قوله (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام) بيان المراد منه هو أن يكون بعد كل شجرة موجودة أقلام فتكون الأقلام أكثر من الأشجار الموجودة وأوله في البحر (والبحر بعد سبعة أبحر) إشارة إلى أن البحر لو كان أكثر من الموجود لاستوى القلم والبحر في المدى (والثاني) هو أن القصص بالكثافة يلحق المقداد أكثر فانه هو المضاف والقلم الواحد يمكن أن يكتب به كتب كثيرة فذكر المضاف في البحر الذي هو كالمعداد . ثم قال تعالى (إن الله عزير حكيم) لما ذكر أن ملكوته كثيراً أشار إلى ما يعمق ذلك فقال (إنه عزير حكيم) أي كامل القدرة فيكون له مقدرات لا نهاية لها وإلا لاشتمت القدرة إلى حيث لا اتصال للاعتماد وهو حكيم كامل العلم من علمه ما لا نهاية له فتحقق أن البحر لو كان معداداً لما بعد ما في علمه وقدرته .

ثم قال تعالى (ما خلقكم ولا دينكم إلا كنفس واحدة) لما بين كان قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للمشيور وال (ما خلقكم ولا دينكم إلا كنفس واحدة) ومن لا فساد لكلماته يقول للنوني كرموا بكموا .

ثم قال تعالى (إن الله صبيح بصير) صبيح لا يقولون بصير بما يعملون فإذا كونه قادراً على البصير محيطاً بالأقوال والأفعال يرجع ذلك الاحتساب التام والإحراز الكامل .

قوله تعالى : ألم تر أن الله يربح الليل في أنهار ويربح النهار في الليل وسحر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى وأن الله بما تملكون خبير ﴿٢﴾ .

بمحمل أن يقال : إن وجه الترتيب هو أن الله تعالى لما قال ( ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض ) على وجه العموم ذكر منها بعض ما هو قبيح على وجه الخصوص بقوله ( يولج الليل في النهار ) وقوله ( وسخر الشمس والقمر ) إشارة إلى ما في السموات . وقوله بعد هذا ( ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ) إشارة إلى ما في الأرض . وبمحمل أن يقال إن وجهه هو أن الله تعالى لما ذكر البعث وكان من الناس من يقول ( وما يهلكنا إلا القدر ) والبحر هو القبال والإيام ، قال الله تعالى هذه القبائل والأيام التي تسبون أنها الموت والحياة هي بقدره الله تعالى فقال ( ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ) ثم إن غائلا لو قال إن ذلك اختلاف سير الشمس نارة تكون اقوس التي هي فوق الأرض أكثر من التي تحت الأرض فيكون الليل أقصر والنهار أطول ونارة تكون بالمعكس ونارة يتسولون فيفسدوا بأن فقال تعالى ( وسخر الشمس والقمر ) يعني إن كنتم لا تفرغون بأن هذه الأشياء كلها في أولها من الله فلا بد من الاعتراف بأنها بأمرها عائدة إلى الله تعالى ، فالأجل إن كانت بالشد والمشد يسير الكواكب فغير الكواكب ليس إلا بآفته وقدرته ، وفي الآية مسائل :

( الأولى ) إيلاج الليل في النهار بمحمل وجوب ( أحدهما ) أن يقال المراد إيلاج الليل في زمان النهار أي يحصل في الزمان الذي كان فيه النهار الليل . وذلك لأن الليل إذا كان مثلا اثني عشرة ساعة ثم يطول بصير الليل موجودا في زمان كان فيه النهار ( وثانيهما ) أن يقال المراد إيلاج زمان الليل في النهار أي يحصل زمان الليل في النهار . وذلك لأن الليل إذا كان كما ذكرنا اثني عشرة ساعة إذا قصر صار زمان الليل موجودا في النهار ولا يمكن غير هذا لأن إيلاج الليل في النهار محال الوجود فمما ذكرنا من الإضمار لابد منه نكر الأول لأن الليل والنهار أفعال والإفعال في الأزمنة لأن الزمان ظرف بقولنا الليل في زمان النهار أقرب من قولنا زمان الليل في النهار لأن الثاني يجعل الظرف مظهروا . إذا نت هذا فنقول قوله تعالى ( يولج الليل في النهار ) أي يرجده في رفته كان فيه النهار وافتد تعالى قدم ( إيجاد الليل على إيجاد النهار في كثير من المواضع كما في قوله تعالى ( وجعلنا الليل والنهار آيتين ) وقوله ( وجعل الغلقيات والورد ) وقوله ( واختلاف الليل والنهار ) ومن جهته قوله ( خلق الموت والحياة لبلوكم أيكم أحسن عملا ) وهذا إشارة إلى مسألة حكيمة ، وهي أن الظلة قد بطل بها أنها عدم النور والليل عدم النور والليل عدم النهار والحياة عدم الموت وليس كذلك إذ في الأول لم يكن نهار ولا نود ولا حياة لممكن ولا يمكن أن يقال كان فيه موت أو ظلة أو ليل فهذه الأمور كالأعمى والأصم فالعمى والصمم ليس مجرد عدم البصر وعدم السمع إذ الحصر والشجر لا يصر لها ولا سمع ولا يقال لشيء منها إنه أصم أو أعمى إذا علم هذا فنقول ما يتحقق فيه أعمى والصمم لا بد من أن يكون فيه اقتضاء لخلاصها وإلا لما كان يقال له أعمى وأصم وما يكون فيه اقتضاء شيء . ويرتب عليه مقتضاه



ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَسِيلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ

## التكملة

لا تغلب الشمس له سبباً . ذلك من يرى المنطق في السوء ، لا يقول له من السوء وما يشتغل على خلاف المنطق فغلب الشمس له سبباً . فمن يرى ملكا في السوء يقول له دس ، فأن سبب تدعي والعصاة يجعله كل واحد يقول لم صار بلان أعين . لا يقول لم صار فلان بصيراً . وإذا كان كذلك فدم الله تعالى ما تغلب الشمس منه وهو الليل الذي هو على وزاد العمى والظلمة والموت لتكون كل واحد طالباً بدمه ثم ذكر هذه الأمور الأخرى .

❖ المسألة الثانية ❖ قال ( بونج ) بصيغة الاستعجال وقال في الشمس والقمر صخر بصيغة الماضي لأن إزلاج الليل في النهار أمر يتجدد كل فصل من كل يوم وتغير الشمس والقمر أمر مستمر كما قال تعالى ( حتى ياز كالرحون القديم ) .

❖ المسألة الثالثة ❖ قدم الشمس على القمر مع تقدم الليل الذي فيه سلطان القمر على النهار الذي فيه سلطان الشمس لما بينا أن تقدم الليل كان لأن الإغنى تغلب فيه أكثر مما تغلب سبب النهار ، وحيثما كذلك ، لأن الشمس لما كانت أكبر وأعظم كانت أغنى والغنى تغلب سبب الأمر أنه يجب أكثر مما تغلب سبب الأمر الذي لا يكون عجيباً

❖ المسألة الرابعة ❖ ما نقل قوله تعالى ( وأن الله بما تعملون خبير ) بما تقدم ؟ نقول لما كان الليل والنهار على الأفعال بين أن ما يقع في مدب الراتب الغير مما يتصرف الله لإعني على الله .

❖ المسألة الخامسة ❖ قوله تعالى ( أم تر ) بحتمل وجهين ( أحدهما ) أن يكون الخطاب مع الذي صلى الله عليه وسلم وعليه الآكثرون ، وكأنه ترك الخطاب مع غيره ، لأن من هو غيره من الكفار لا فائدة من خطاب معهم لإصرارهم ، ومن هو غيره من المؤمنين فهم مؤثرون بأمر نبي عليه الصلاة والسلام فانظروا إليه ( الوجه الثاني ) أن يقال انفراد الله الوعظ والمواظع بخطاب ولا يبرأ أحد أقول ليع عظم : يا مسكين إلى الله مصيرك ، فلي مصيرك ، وكذا يا مصيرك . بقوله ( أم تر ) يكون خطاباً من ذلك القليل أي بأبها تسأل أم تر هذا الأمر انوضح .

ثم قال تعالى : هو ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو الحق الكبير ❖ ولا ذكر تعالى أوصاف الكمال بقوله ( إن الله هو الحق الخالد ) وقوله ( إن الله عز وجل حكيم ) وقوله ( إن الله سميع بصير ) وأشار إلى الإضافة والكمال بقوله ( ما عدت كائنات الله ) وقوله ( بونج الليل في النهار ) يعني ( ليلة ضوئية ) هو شعاع : إشارة إلى كل صفة سلبية فانه إذا كان غيباً لا يكون عرضاً محتاجاً إلى الجوهري القوام . ولا جسيماً محتاجاً إلى الحيز في الزمان ، ولا شيئاً من

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْصَبُ اللَّهُ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾

المسكنات المحتاجة إلى الموجد ، وذكر بعده جميع الأوصاف الثبوتية صريحاً وتخيلاً ، فإن الحياض في ضمن البحر والقدر ، قال ذلك بأن الله عز الخلق أي ذلك الانخاف بأنه هو الخلق والخلق هو الثبوت والثابت الله وهو الثابت المطلق الذي لا زوال له وهو الثبوت ، فإن المذهب الصحيح أن وجوده غير حقيقته فكل ما عداه فهو ذواته نظراً إليه والله له الثبوت والوجود نظراً إليه فهو الخلق وما عداه الباطل لأن الباطن هو الزائل يقال بطل غلته إذا زال وإنا كان له الثبوت من كل وجه يكون نمواً لا نقص فيه .

ثم اعلم أن الحكيم قالوا الله تام وفوق التام وجملاً الأشياء على أربعة أقسام ناقص ومكتمل وتام وفوق التام (فالتام) ما ليس له ما يقين أن يكون له كالصبي والمرءى والاعمى (والمكتمل) وهو الذي أعطى ما يدفع به حاجته في وقته كالإنسان والحيوان الذي له من الآلات ما يدفع به حاجته في وقتها لكنها في انحطال والزوال (والتام) ما حصل له كل ما جاز له ، وإن لم يحتج إليه كالملوك المقربين لهم درجات لا تزداد ولا ينقص الله منها لهم شيئاً كما قال جبريل عليه السلام (لو دوت أمة لا حترقت به قوله تعالى (وما مثله إلا له مقام معلوم) (وفوق التام) هو الذي حصل له ما جاز له وحصل له عدا ما جاز له أو احتاج إليه لكن الله تعالى حاصل له كل ما يجوز له من صفات الكمال ونوع الجمال ، فهو تام وحصل لغيره كل ما جاز له أو احتاج إليه فهو فوق التام إذا ثبت عدا فتقول قوله (هو الخلق) إشارة إلى التام وقوله (وأن الله هو الله الكبير) أي فوق التام وقوله (وهو العلي) أي في صفاته وقوله (الكبير) أي في ذاته وذلك ينافي أن يكون جسماني مكان لأنه يكون جسداً جسداً مقدراً بمقدار فيمكن فرض ما هو أكبر منه فيكون صغيراً بال نسبة إلى المقروض لكنه كبير من مطلقاً أكبر من كل ما يتصور .

ثم قال تعالى : ألم تر أن الفلك تجري في البحر ينصب الله ليرىكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صابر شكور ﴿٣١﴾ .

ثم قال تعالى (ألم تر أن الفلك تجري في البحر ينصب الله ليرىكم من آياته) لما ذكر آية سجاوية بقوله (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويحوّل الشمس والقمر) وأشار إلى السبب والسبب ذكر آية أوسع ، وأشار إلى السبب والمسبب فقوله (أفلك تجري) إشارة إلى المسبب وقوله (ينصب الله) إشارة إلى السبب أي إلى الريح التي هي بأمر الله (ليرىكم من آياته) معنى يرىكم إجماعاً ينصبه (من آياته) أي بعض آياته ، ثم قال تعالى (إن في ذلك لآيات لكل

وإذا غشيهم موج كالثقلان دعوا الله مخلصين له الذين قلنا لجنتهم إلى آتير  
فإنهم مقتصد وما يحمد بآياتنا إلا كل ختار كفور ﴿١٦٣﴾

صار شكور ( صار في الشدة شكور في الرخاء . وذلك لأن المؤمن منذر عند الشدة والبلاء  
عند النعم والآلاء . فيصير إذا أصابت غمة ويشكر إذا أتته نعمة ورود في كلام النبي صلى الله عليه  
وسلم والإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر ، إشارة إلى أن التكاليب أفعال وزرك والبروك  
صيرين المألوف كما قال عليه الصلاة والسلام « الصوم صبر والإيمان شكر على المعروف » .  
ثم قال تعالى : ﴿ وإذا غشيهم موج كالثقلان دعوا الله مخلصين له الذين قلنا لجنتهم إلى آتير فهم  
مقتصد وما يحمد بآياتنا إلا كل ختار كفور ﴾ .

لما ذكر الله أن في ذلك لآيات ذكر أن الكل معزومون به غير أن الصبر يدركه أولاً ومن  
في بصره ضعف لا يدركه أولاً . فإذا غشيه موج ودفع في شدة اعترف بأن الكل من الله ودعاه  
مخلصاً أي يترك كل من دعاه . ويقى جميع من سواه . فإذا نجاه من تلك الشدة قد سبق عن تلك  
الحالة وهو المراد بقوله (فهم مقتصد) وقد يعود إلى الشرك وهو المراد بقوله (وما يحمد  
بآياتنا إلا كل ختار كفور) وفي الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قوله ( موج كالثقلان ) وحده الموج وجمع الثقلان . وقيل في معناه كالجبال ،  
وقيل كالسحاب إشارة إلى عظام الموج . ويمكن أن يقال الموج الواحد العظيم يرى فيه ظفر ونزول  
وإذا نظرت في الحمرة الواحدة من أنهر العظيم تبين لك ذلك فيكون ذلك كالجبال المتلاصقة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال في الصكوب ( فإذا ركبوا في ذلك دعوا الله ) ثم قال ( فلما نجاهم إلى البر  
إذا هم يشركون ) وقالهنا ( قلنا نجاهم إلى البر فهم مقتصد فنقول لما ذكرهنا ( أمراً عظيماً )  
وهو الموج الذي كالجبال يترد ذلك في قلوبهم عرج منهم مقتصد أي في الكفر وهو الذي  
انزعج بعض الأتجار ، أو مقتصد في الإخلاص حتى ما شيء منه ولم يبق على ما كان عليه من  
الإخلاص . وهناك لم يذكر مع ركوب البحر معاناة مثل ذلك الأمر فذكر إشراكهم حيث لم  
يبق عنه أثر .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله ( وما يحمد بآياتنا ) في مقابلة قوله تعالى ( إن في ذلك لآيات ) يعني  
يعترف بها الصبار الشكور ، ويحمد ما الختار الكفور والصبار في موازنة الختار تظناً . ومنه  
والكفور في موازنة الشكور . أما لفظاً فظاهر . وأما معنى فلان الختار هو الختار الكثير الخسر  
أو الشديد الخسر ، والضر لا يكون إلا من غلة الصبر . لأن الصبور إن لم يكن يمدح مع أحد  
لا يمدحه إلا الضر . فله يصبر ويفرض الأمر إلى الله . وأما الختار فيجهد ولا يصبر على

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمَ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جِزٌّ

عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغْنَصُوكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا تَغْنَصُوكُمُ الْغُرُورُ



العهد فينقضه . وأما أن الشكور في مغالبة الشكور مني فظاهر .

ثم قد نعتي ( يا أيها الناس اتقوا ربكم ) وأخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جِزٌّ

جاء عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور .

لما ذكر الدلائل من أول السورة إلى آخرها وعظ بالغرور لأنه تعالى لما كان واحداً أوجب

التقوى الجامعة فإن من يعلم أن الأمر به اثنين لا يخاف أحدهما مثل ما يخاف لو كان الأمر به

أحدهما لا يخاف . ثم أكد الخوف بذكر اليوم الذي يحكم الله فيه بين العباد . وذلك لأن الملك إذا كان

واحداً وبعد منه أنه لا يعلم شيئاً ولا يشترط عباده . لا يخاف منه مثل ما يخاف إذا علم أن له يوم

استراض واستكشاف . ثم أكد بقوله ( لا يجزي والد عن ولده ) وذلك لأن الحرم إذا علم أن

له عند الملك من يتكلم في حقه ويفضي ما يخرج عليه برده من كسبه لا يخاف . مثل ما يخاف إذا علم

أنه ليس له من يقضي عنه ما يخرج عليه . ثم ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وما الوالد والولد

ليستدل بالأدنى على الأعلى . وذكر الولد والوالد جميعاً فيه لطيفة . وهي أن من الأمور ما يبادر

الأب إلى التحمل عن الولد كدفع المال وتحمل الآلام والولد لا يبادر إلى تحمله عن الوالد مثل

ما يبادر الوالد إلى تحمله عن الولد . ومنها ما يبادر الولد إلى تحمله عن الوالد ولا يبادر الوالد إلى

تحمله عن الولد كالإعانة . فإن من يريد إحصار والد أحد عند والد أو قاض يهون على الابن أن

يدفع الإعانة عن والده ويحضر هو بنفسه . فإذا انتهى الأمر إلى الإيلام يهون على الأب أن يدفع

الإيلام عن ابنه ويتحمل هو بنفسه ضربه ( لا يجزي والد عن ولده ) في دفع الآلام ( ولا مولود

هو جاز عن والده شيئاً ) في دفع الإعانة . وفي قوله ( لا يجزي ) وقوله ( ولا مولود هو جاز )

( لطيفة أخرى ) وهي أنها ذكرنا أن الفعل يأتي وإن كان بين لا ينفى ولا يكون من شأنه لأن

للك إذا كانت بحيث شيئاً يقال له بحيث ولا يقال هو بحيث . وكذلك من يحبك

شيئاً ولا يكون ذلك صفة يقال هو يحبك ولا يقال هو سائبك . إذا علمت هذا فتقول الابن

من شأنه أن يكون جازياً عن والده لما له عليه من الخوف والوالد يجزي شأه فيه من الشفقة

وليس بواجب عليه ذلك فقال في الوالد لا يجزي وقال في الولد ( ولا مولود هو جاز ) .

ثم قال تعالى ( إن وعد الله حق ) وهو محتمل وجهين ( أحدهما ) أن يكون تصديقاً اليوم بمعنى

إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ  
مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تُمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٦٩﴾

اعلموا يا مائة شانه وهو كان طرعا انه به ووعده حق (والثاني) ان يكون تخفيفاً لعدم الجزاء  
بمنى (لا بحري والمغنى وله) لان الله وعد (الاولى والجزء ورر اخرى) ووعده الله حق  
فلا يخفى والاول احسن واظهر

و قال عاتق : فو فلا امر انكم احببتم الدنيا يعني اذا كان الامر كذلك فلا تغفروا اليها بلها  
 راحة لوقوع ذلك فلو لم يذكر بالوجه اولى .

ثم قال تعالى: **وَلَا يَخْرُجُ عَلَيْكُمْ ظَعْنُ أَبِي الدُّنْيَا** لا يسعني أن أخرجكم منها، **وَلَا سَفَرُ ثِيَابِكُمْ** ولا  
إيابكم، **وَلَا سُلُوكُ عَلَى بَهْمٍ ثَمَرٍ** أو سلطان الكلب الناس على طعام بهيم من تدعوهم  
إليه، **إِلَّا بِمَا وَجَّهَ إِلَيْهَا وَمِنْهُمْ مَنْ رُجِعَ فِي صَدْرِهِ الشَّكُّ** ويرجع في عينه الدنيا، **وَمِنْهُمْ**  
ويقول إنك تحصل بها الآخرة أو تأخذ بها ثم تتركها، **وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ** يخاف الله، **وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ**  
الآخرين، **وَالَّذِينَ كَفَرُوا صَاحِبُوا** وهم الذين لا يلتفتون إلى الدنيا ولا إلى ما يحسن الدنيا في الآخرة.  
قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّ السَّاعَةِ وَبَقِيَ لَكَ وَاعِلٌ فِي الْآخِرَةِ وَمَا تَدْرِي خُصَّ  
ماذا تسكب نفداً وما تدرى عسر ما يؤول من ثوب إن الله عازم خبره ﴿

يقول دهر المنصور إن الله تعالى نفى عن أمور خمسة هذه الآية عن عباده وهو كذا في ذلك المقصود ليس ذلك . لأن الله يعلم الخواص تفرق الذي كان في كتيب . ومن في زمان طوطان ونفسه المريح من الخمر إلى الغرب كم مرة . ويستمع أنه ابن هو ولا يعلم غيره . ولأنه يعلم أنه يوحى بعد هذه السنين مرة في ليلة ثلاثينكم أحد ولا يعلم غيره . ولا وجه لاختصاص هذه الأتباع بالذكر وإنما الحق فيه أن نقول لما قال الله ( استمروا برأى لا يحزى والد من ولده ) وذكر أنه كاتق يقول ( إن وعد الله حق ) كأن قال قال في يكون هذا اليوم فاجيب بأن هذا العلم ربما لم يحصل تخبر الله وأكن هو كان . ثم ذكر الدليلين القديين ذكرناهما مراراً على البت ( أحدهما ) إجابة الأرض بعد موتها كما قال تعالى ( وإن كانوا من قبل أن يولد عليهم من قبله ليسدين . فاعطى آل آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لحكي الموفى ) وقال تعالى ( ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ) وقال عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تأمنوا بالله على ما يلقى الأعداء فاعطى آل آثار عليها كما هو قائم على إجابة الأرض حيث قال ( وهو الذي ينزل العيث ) وقال ( ويحيى الأرض )

( وثانيهما ) الخلق ابتداء كما قال ( وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ) وقال تعالى ( قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ) إلى غير ذلك فقال ههنا ( ويعلم ما في الأرحام ) إشارة إلى أن الساعة وإن كنت لا تعلمها لكنها كاتمة والله قادر عليها ، وكما هو قادر على الخلق في الأرحام كذلك يقدر على الخلق من الأرحام ، ثم قال لذلك الطالب عليه : يا أيها السائل إنك تسأل عن الساعة أيان مرسعا ، فلك أشياء أهم منها لا تعلمها ، فأنك لا تعلم معاشك ومعادك ، ولا تعلم ماذا تنكسب غداً مع أنه معك وزمانك ، ولا تعلم أين تموت مع أنه شغلك ومكانك ، فكيف تعلم قيام الساعة متى تكون ، فأنه ما أعطاك كسب غداً مع أن لك فيه فوائد نبي عليها الأمور من يومك ، ولا أعطاك أين تموت مع أن لك فيه أغراضاً نبي أمورك بسبب ذلك العلم وإنما لم يعطك لكي تكون في وقت بسبب الرزق راجعاً إلى الله تعالى متوكلاً على الله ولا أعطاك الأرض التي تموت فيها كي لا تأمن الموت وأنت في غيرها ، فإذا لم يعطك ما تحتاج إليه كيف يعطيك ما لا حاجة لك إليه ، وهي الساعة ، وإنما الحاجة إلى العلم بأنها تكون وقد أعطت الله على لسان أنبيائه .

ثم قال تعالى ( إن الله عليم خبير ) لما خصص أولاً عنه بالأشياء المذكورة ، بقوله ( إن الله عنده علم الساعة ) ذكر أن عنه غير مختص بها ، بل هو عالم مطلقاً بكل شيء ، وليس له علماً بظاهر الأشياء غيب ، بل غير علمه وأصله إلى بواطن الأشياء ، والله أعلم بالصواب .

(٣١) سُورَةُ السَّجْدَةِ ثَلَاثُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ لِرَبِّهِ فِيهِ مِنْ رَبِّهِ الْمَلَكِينَ ﴿١﴾ ثُمَّ يَقُولُونَ  
أَفَرَأَيْتُمْ بَلِّ هُوَ الْخَلْقُ مِنْ دُونِكَ ۚ يُلْقِدُ قَوْمًا مِمَّا أَشْتَهُمْ مِنْ تُرَابٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ

﴿٢﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ الم ، تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴿٢﴾

لما ذكر الله تعالى في السورة المتقدمة دليل الوحدة في ذكر الإله وهو الحق وختم السورة بهما بدأ بيان الرسالة في هذه السورة فقال: (الم ، تنزيل الكتاب لا ريب فيه) والله علم ما في قوله (الم) وفي قوله (لا ريب فيه) من سورة البقرة وغيرها غير أنهما قال (من رب العالمين) وقال من قبل (هدى ورحمة للحسين) وقال في البقرة (هدى للتقين) وذلك لأن من يرى كتاباً عند غيره ، فأول ما نصير النفس حالة تطلب ما في الكتاب فيقول: هذا الكتاب ؟ فإذا قيل هذا فقه أو نصير فيقول بعد ذلك تصنيف من هو ؟ ولا هذا ؟ أولاً : هذا الكتاب تصنيف من ؟ ثم يقول فإلهنا هو ؟ إذا علم هذا فقال أولاً هذا الكتاب هدى ورحمة ، ثم قال ههنا هو كتاب الله تعالى وذكره بلفظ رب العالمين لأن كتاب من يكون رب العالمين يكون فيه عجائب العالمين فتدعو النفس إلى مطالعته . ثم قال تعالى : ﴿١﴾ ثم يقولون أفراء بل هو الحق من ذلك لتندبر قوما ، لأنهم من يندبر من قبلك لعلهم يهتدوا ﴿٢﴾

يعني أقدرتون به أم تقولون هو مغفري ، ثم أجاب ربي أن الحق أنه حق من دونه ثم بين فائدة التزيل وهو الإلهاد ، وفيه مسائل :

﴿١﴾ المسئلة الأولى : كيف قال (لتندبر قوماً لأنهم من يندبر) مع أن التندبر سبقه (المغفوب) من وجهين (أحدهما) معقول والآخر مغفول ، أما ما نزل فهو أن فريقاً كانت أمة أمية لم يأبهم يندبر قبل عهد صلى الله عليه وسلم وهو بعيد ، فإنهم كانوا من أولاد إبراهيم وجميع

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى  
الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ دَلِيلٍ وَلَا شَيْعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١﴾

أنبياء بني إسرائيل من أولاد آدمهم وكيف كان الله يترك قوماً من وامت آدم إلى زمان  
محمد بلا دين ولا شرع ؟ وإن كنت تقول بأنهم ما جاءهم رسول مخصوصهم يعني ذلك القرن  
لم يكن ذلك مختصاً بالعرب بل أهل الكتاب أيضاً لم يكن ذلك القرن قد أتاهم رسول وإنما  
أتى الرسل آدمهم . وكذلك العرب أتى الرسل آدمهم كيف والذي عليه الأكثر أن آباء محمد عليه  
الصلاة والسلام كانوا كفاراً ولأن نبي أودعهم وأوعد آباءهم بالهدى . وقال تعالى ( وما كنا  
معذرين حتى نبعث رسولا ) وأما المقول وهو أن الله تعالى أجرى عاقبة على أن أمر عصر إذا  
صلوا بالسكينة ولم يبق فيهم من يهديهم بلطف بعباده ورسول رسولاً ثم إنه إذا أراد منهم  
إزالة الشرك والكفر من قلوبهم وإن أراد طهر وجه الأرض بأهلها . ثم أهل العصر صلوا  
بند الرسل حتى لم يبق على وجه الأرض عالم هاد ينفع بهديته يوم وهو على ذلك مشين مطاوعة  
ثم بأنهم رسول قبل محمد عليه الصلاة والسلام ضال ( لتند قوماً أنهم ) أي بعد ضلال  
الذي كان بعد الهداية لم بأنهم تدير .

﴿ المسألة الثانية ﴾ : وقال قائل التخصيص بالذكر يدل على تقي ماعدها قوله ( لتند قوماً  
مأنهم ) يوجب أن يكون إنداره مختصاً بمن لم ياته تذير لكن أهل الكتاب قد أتاهم تدير فلا يكون  
الكتاب متولاً إلى الرسول لينذر أهل الكتاب فلا يكون رسولاً إليهم بقول هذا فاسد من  
وجوه ( أحدها ) أن التخصيص لا يوجب تقي ماعدها ( والثاني ) أنه وإن قال به قائل لكنه  
وافق تغيره في أن التخصيص إن كان له سبب غير تقي ماعدها لا يوجب تقي ماعدها . وهنا وجد  
ذلك لأن إنذارهم كان أول . ألا ترى أنه تعالى قال ( وأنذر عشيرتكم الأقرنين ) ولم يفهم منه  
أنه لا ينذر غيرهم أو لم يؤمر بإنذار غيرهم وإنذار المشركين كان أول . لأن إنذارهم كان بالترجيح  
والجزم وأهل الكتاب لم ينذروا إلا بسبب إنذارهم الرسالة فكانوا أول بالذكر فرفع التخصيص  
لاجل ذلك ( الثالث ) هو أن على ما ذكر لا يرد ما ذكره أصلاً ، لأن أهل الكتاب كانوا قد صلوا  
ولم بأنهم تدير من قبل محمد بعد ضلالهم فزوم أن يكون مرسل إلى الكل على درجة سواء . وهذا  
يقين حسن ما عرفتاه . وقوله ( لعنهم يمدونه ) يعني تنفرهم راجعاً أنت اهتمام .

قوله تعالى : ﴿ الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على  
العرش ما لكم من دونه من دلي ولا تنفع أفلا تذكرون ﴾ .

لما ذكر الرسالة بين ما على الرسول من الدعاء إلى الذرير وإقامة الدليل ، فقال ( الله الذي



خلق السموات والأرض ( الله متداً وحده الذي خلق يعني الله هو الذي خلق السموات والأرض ولم يخلقها إلا واحد فلا إله إلا واحد ، وقد ذكرنا أن قوله تعالى ( في ستة أيام ) إشارة إلى ستة شهور في نظر الناظرين وذلك لأن السموات والأرض وما بينهما ثلاثة أشياء ولكل واحد منها ذات وصفة فصرأ إلى خلقه ذات السموات حالة ونظراً إلى خلقه صفاتها أخرى ونظراً إلى ذات الأرض وإلى صفاتها كذلك ونظراً إلى ذات ما بينهما وإلى صفاتها كذلك فهي ستة أشياء على ستة أحوال . وإنما ذكر الأيام لأن الإنسان إذا نظر إلى المخلوق رآه صفلاً وتعلل ظرض الزمان والأيام أشهر الأربعة . وإلا هـن السموات لم يكن ليل ولا نهار وهذا مثل مايقول القائل لغيره :  
إن يوماً وليلت فيه كان يوماً مباركا

وله يجوز أن يكون ذلك قد ورد لإلا ولا يخرج عن مراده ، لأن المراد هو الزمان الذي هو ظرف ولادته .

ثم قال تعالى ( ثم استوى على العرش ) اعلم أن ذهب العلماء في هذه الآية وأمثالها على وجوب ( أحدهما ) ترك التعرض إلى بيان المراد ( وثانيهما ) التعرض إليه والأول أسلم وإلى الحكمة أقرب ، أما أنه أسلم فذلك لأن من قال أنا لا أعرض إلى بيان هذا ولا أعرف المراد من هذا ، لا يكون حاله إلا حال من يتكلم عند عدم وجوب الكلام أو لا يعلم شيئاً لم يجب عليه أن يعلم ، وذلك لأن الأصول ثلاثة التوحيد والقول بالحشر والاعتراف بالرسول تسكن الحشر أجمعاً واخفها أن اعلم ، واجب والعالم منفصلة أنه متى يكون غير واجب ، ولهذا قال تعالى في آخر السورة التقديمة ( إن الله عديم علم الساعة ) فكذلك الله يجب معرفة وجوبه ووجوبيته وانصافه بصفات الجلال ونوع الكائن على سبيل الإجمال وتمايله عن صفات الإمكان وصفات النقصان ، ولا يجب أن يعلم جميع صفاته كما هي ، وصفة الاستواء مما لا يجب العلم بها فنترك التعرض إليه لم يترك واجباً ، وأما من تعرض إليه ضد الحق ، فيه فيعتقد خلاف ما هو عليه فالأول غاية ما يلزمه أنه لا يعلم ، والثاني يكاد أن يقع في أن يكون جاهلاً مركباً وعدم العلم بالجهل المركب كالسكوت والكذب ولا يشك أحد في أن السكوت خير من الكذب ، وأما أنه أقرب إلى الحكمة فذلك لأن من يطالع كتاباً صفه بإنسان وكتب له شرحاً والشارح دون المصنف فالظاهر أنه لا يأتي على جميع ما في عليه المصنف ، ولهذا كثيراً ما يرى أن الإنسان يورد الإشكالات على المصنف المتقدم ثم يحرم من ينصر كلامه ويقول لم يرد المصنف هذا وإنما أراد كذا وكذا وإذا كان حال الكتب الحادثة التي تكتب عن علم قاصر كذلك ، فما ظنك بالكتاب العزيز الذي فيه كل حكمة يجوز أن يدعى جامعاً أي عظم كل سر في هذا الكتاب ، وكيف ولو ادعى عالم أني علمت كل سر وكل فائدة يشتمل عليه الكتاب القلاني يستخرج منه ذلك ، فكيف من يدعى أنه علم كل ما في كتاب الله ؟ ثم ليس نقائل أن يقول بأن الله تعالى بين كل ما أنزله لأن تأخير البيان إلى

وقت الحاجة جائز ولعل في القرآن ما لا يحتاج إليه أحد غير تبيين له لا لغيره ، إذا ثبت هذا علم أن في القرآن ما لا يعلم ، وهذا أقرب إلى ذلك الذي لا يعلم ، التشابه البالغ الذي فيه ، لكن هذا المذهب له شرط وهو أن ينفي بعض ما يمتنع قطعاً ، ليس مراد ، وهذا لأن غالباً إذا قال إن هذه الأيام أيام قره ، فلا يعلم أنه لا يريد أن هذه الأيام أيام موت ثلاثة ، ولا يريد أن هذه الأيام أيام سفر ثلاثة ، وإنما المراد تنحصر في الظاهر أو الخفى فذلك هنا يعلم أن المراد ليس ما يجب نقضاً في ذاته لاستحالة ذلك ، والمجلوس والاستقرار المكاني من ذلك الباب فيجب القطع بنفي ذلك والموقوف فيما يجوز بعده (والمذهب الثاني) خَطَر ومن يذهب إليه فربما كان (أحدهما) من يقول المراد طاهره وهو القيام والانتصاب أو الاستقرار المكاني (والثاني) من يقول المراد الاستبلاء والأول جهل بحسن الثاني يجوز أن يكون جهلاً بالأول مع كونه جاهلاً ببدنه وكاد يكون كفوفاً ، والثاني وإن كان جهلاً طبعاً بجهل يورث بدنه ، وهذا كما أن واحداً إذا اعتقد أن الله يرحم الكفار ولا يعاقب أحداً منهم يكون جهلاً ببدنه وكفوفاً ، وإذا اعتقد أنه يرحم زيداً الذي هو مستور الخلق لا يكون بدنه غاية ما يكون أنه اعتقاد غير مطلق ، وما قيل فيه : إن المراد منه استوى على مسكه ، والعرش يعبر به عن الملك ، يقال الملك قد عد على سرير المملكة بالبلدة الفلانية وإن لم يدخلها وهذا مثل قوله تعالى (وقالت اليهود يا الله مفلولة) إشارة إلى الخس ، مع أنهم لم يقولوا بأن على يد الله خلا على طريق الحقيقة ، ولو كان مراد الله ذلك لكان كذباً جل ذم الله عنه ، ثم طفا ففرض تحرير وهو أن الملوك على درجات ، فمن يملك بدنه ضيق ذل أو ملاة يسيرة ما جرت العادة بأن يجلس أول ما يجلس على سرير ، ومن يكون سلطاناً يملك البلاد السابعة والدير الواقعة وتكون الملوك في خدمته يكون له سرير يجلس عليه ، وقامه كرسي يجلس عليه وزيه ، فالعرش والكرسي في العادة لا يكون إلا بعد تحفة المملكة ، طبعاً كان ملك السموات والأرض في غاية العظمة ، غير بما يبي ، في العرف عن العظمة ، وما ينبغي هذا قوله تعالى (إنا خلقنا ، وإنا زينا ، ونحز أقرب ونحس زائناً) أي أو يشك مسلم في أن المراد طاهره من الكبرياء وعن يمينه محلاً ، غير أن العظيم في العرف لا يكون ولا عرف لا يكون واحداً وإنما يكون معه غيره ، فكذلك الملك العظيم في العرف لا يكون إلا إذا سرير استوى عليه فالحمل ذلك مبدءاً للعظمة ، وما يزيد هذا أن المفهوم المتقرب المرسوم يقال له حائز به الأرض حتى لم يسبق له مكان ، أبطل أنهم يريدون به أنه صار لا مكان له وكيف يصور الجسم بلا مكان ، ولا سيما من يقول بأن إلهه في مكان كيف يخرج الإنسان عن المكان ، فكما يقال لمتصور المار به يبق له مكان مع أن المكان واجب له ، يقال لقادر الظاهر هو متمكن وله عرش ، وإن كان التزه عن المكان واجباً له ، وعلى هذا كلمة ثم معناها خلق السموات والأرض ، ثم نقصة أنه استوى على الملك ، وهذا كما يقول القائل : فلان أكرموني وأنت على مرأى ، ويحكى عنه أشياء ، ثم يقول إنه ما كان يعرفني ولا كنت فقلت معه ما يجازيني

بهذا فتقول ثم السجدة لا للمحك ( الوجه الآخر ) قبل استوى جاء عنى استوى على العرش . واستوى جاء بمعنى استوى خلا واستبالا . أما النقل فكثير مذكور في كتب اللغة منها ديوان الأدب وغيره مما يعتبر النقل عنه . وأما الاستعمال فنقول نقائل :

فه استوى بشر على المراق من غير سيف ودم ومرافق

وعلى هذا فكلية ثم ، منها ما ماذ كرنا كأنه قال خلق السموات والأرض ، ثم هنا ما هو أعظم منه استوى على العرش ، فإنه أعظم من الكرسي والكرسي وسع السموات والأرض ( والوجه الثالث ) فيقول إن المراد الاستقرار وهذا القول ظاهر ولا يبعد أنه في مكان ، وذلك لأن الإنسان يقول استقر وأى فلان على الخروج ولا يشك أحد أنه لا يريد أن يرى في مكان وهو الخروج ، لما أن الرأى لا يجوز فيه أن يقال إنه متمكن أو هو ما يدخل في مكان إذا علم هذا فنقول فهم المتمكن عند استعمال كلمة الاستقرار مشروط بجواز العكس ، حتى إذا قال فلان استقر زيد على الفلك أو على الثبوت بهم منه التمكن وكونه في مكان ، وإذا قال فلان استقر الملك على فلان لا يفهم أن الملك في فلان ، يقول القائل أنه استقر على العرش لا يفهم أن يفهم كونه في مكان ما لم يعلم أنه ما يجوز عليه أن يكون في مكان أو لا يجوز ، فإذا فهم كونه في مكان من هذه اللفظة مشروط بجواز أن يكون في مكان ، جواز كونه في مكان إن استفيد من هذه اللفظة يلزم تقدم الشيء على نفسه وهو محال ، ثم الذي يدل على أنه لا يجوز أن يكون على العرش بمعنى كون العرش مكانا له وجود من القرآن ( أحدها ) قوله تعالى ( وإن الله هو الغنى ) وهذا يقتضى أن يكون غنيا على الإطلاق ، وكل ما هو في مكان فهو في بقائه محتاج إلى مكان ، لأن مدية النقل ما كنه بأن الجيز إن لم يكن لا يكون المتجيز باقيا ، فالتجيز يقتضى عند انقضاء الجيز ، وكل ما يقضى عند انقضاء غيره فهو محتاج إليه في استمراره ، فالقول باستقراره يوجب احتجاجة في استمراره وهو غنى بالنفس ( الثاني ) قوله تعالى ( كل شيء عاكف إلا وجهه ) فالعرش يملك وكذلك على مكان فلا يبقى وهو يبقى ، فإذا لا يكون في ذلك الوقت في مكان ، لجاز عليه أن لا يكون في مكان ، وما جاز له من الصفات وجب له فيجب أن لا يكون في مكان ( الثالث ) قوله تعالى ( وهو معكم ) ووجه التمسك به هو أن على إذا استعمل في المكان يفهم كونه عليه بالذات فتقولنا فلان على السطح وكلمة مع إذا استعملت في متمكنين يفهم منها اقترانها بالذات فتقولنا زيد مع عمرو إذا استعمل هذا فإن كان الله في مكان ونحن متمكنون . فتقوله ( إن الله معنا ) وقوله ( وهو معكم ) كان يفهم أن يكون للاقتران وليس كذلك ، فإن قيل كلمة مع تستعمل لتكون مبهمة إليه وعلمه معه أو فصره يقال الملك الغنى مع الملك الغنى ، أى بالإعانة والعصر ، فنقول كلمة على تستعمل لتكون حكمه على الغير ، يقول القائل لولا فلان على فلان لا أشرف في الملوك ولا أشرف على الملوك ، وكذلك يقال لولا فلان على أملاك فلان أو على أرضه لما حصل له شيء منها ولا أكل

حاصلها بمعنى الإشراف والظفر . فكيف لا يقول في استوى على العرش إنه استوى عليه بحكمه كما يقول هو متابعه (الرابع) قوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) ولو كان في مكان لا يحاط به المكان وحيط فإما أن يرى وإما أن لا يرى . لا سبيل إلى إثبات بالافتقار لأن القول بأنه في مكان ولا يرى باطل بالإجماع ، وإن كان يرى فبغير في مكان يحاط به فتدركه الأبصار . وأما إذا لم يكن في مكان فصوره يرى أو لا يرى لا يلزم أن تدركه الأبصار . أما إذا لم ير فظاهر ، وأما إذا ولى فلأن البصر لا يحيط به فلا يدركه . وأما فلا إن البصر لا يحيط به لأن كل ما أحاط به البصر فله مكان يكون فيه وقد فرغنا عدم المكان ، ولو تدبر الإنسان القرآن لوجد علواً من عدم جواز كونه في مكان ، كيف وهذا الذي يتسلك به هذا القائل يدل على أنه ليس على العرش بمعنى كونه في المكان ، وذلك لأن كلمة تم القرائن فلو كان عليه بمعنى المكان لكان قد حصل عليه بعد ما لم يكن عليه فإما أن يكون في مكان أو لا يكون ، فإن كان يلزم محالان (أحدهما) كون المكان أزلياً ، ثم إن هذا القائل يدعي مضادة الفلاس فيصير طلياً يقول بغير سماء السموات (والثاني) جواز الحركة والانتقال على الله تعالى وهو يفتقر إلى حدوث الجاري أو يطل دلائل حدوث الأجسام . وإن لم يكن مكان وما حصل في مكان بحيل العقل وجوده بلا مكان ، ولو جاز لما أمكن أن يقال بأن الجسم لو كان أزلياً ، بلما أن يكون في الأول ساكناً أو متحركاً لانهما فرعاً المحصول في مكان ، وإذا كان كذلك فليزله القول بحدوث الله أو عدم حدوث السموات ، لأنه إن سلم أنه قبل المكان لا يكون فهو القول بحدوث الله تعالى وإن لم يسم فبحر أن يكون الجسم في الأول لم يكن في مكان ثم حصل في مكان فلا يتم دليله في حدوث العالم ، فلو أنه أن لا يقول بحدوثه ، ثم إن هذا القائل يقول إن الله شبه الله بالمعدوم فانه ليس في مكان ولا يعلم أنه جعله معدوماً حيث أحوجه إلى مكان ، وكل يحتاج نظراً إلى عدم ما يحتاج إليه معدوم ولو كتبنا ما فيها طالع الكلام .

ثم قال تعالى : ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون لما ذكر أن الله خالق السموات والأرض ، قال بعضهم نحن معترفون بأن سائر السموات والأرض واحد هو الله السموات ، وهذه الأجسام صور الكواكب منها نصرتنا وقوتنا . وقال آخرون هذه صور الملائكة عند الله هم شفعاؤنا فقال الله تعالى لا إله غير الله ، ولا نصرة من غير الله ولا شفاعة إلا بإذن الله فبادتكم لم هذه الأجسام باحالة ضائعة لا هم خالقوكم ولا ناصرؤكم ولا شفعاؤكم ، ثم قال تعالى (أفلا تتذكرون) فاعلموا من أنه خالق السموات والأرض وخلق هذه الأجسام النظام لا يفتقر عليه مثل هذه الأجسام حتى تنصرفكم والملك العظيم لا يكون عنده لهذه الأشياء المخيرة احترام وخشعة حتى تكون لها شفاعة .

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ

سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۚ

قوله تعالى : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون .

لما بين الله تعالى الخلق بين الأمر كما قال تعالى ( أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ) والنظرة تتعين ههنا  
عند من يثبت من تلك كثيرين عظامه تكون له عظيمة . ثم إذا كان أمره نافعا فيهم يزداد في عين  
الخلق . وإن لم يكن له عاذا أمر ينقص من خلقه . وقوله تعالى ( ثم يرجع إليه ) معناه وإليه أعلم أن  
أمره يزن من السماء على عباده وتخرج إليه أعمالهم للصلابة الصادرة على موافقة ذلك الأمر . فإن  
العمل بأمر الأمر . وقوله تعالى ( في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ) فيه وجوه : ( أحدها )  
أن نزول الأمور ورجوع العمل في مساحة ألف سنة مما تعدون وهو في يوم فإن بين السماء والأرض  
مسافة حسب المسافة فيزول في مسيرة خمسمائة سنة ، ويرجع في مسيرة خمسمائة سنة . فهو مقدار ألف  
سنة ( ثانيها ) هو أن ذلك إشارة إلى اعتداد نفاذ الأمر . وذلك لأن من نفذ أمره غاية النفاذ في يوم  
أو يومين واضعلا لا يكون مثل من نفذ أمره في سنين . فإذ كان قوله تعالى ( في يوم كان مقداره  
ألف سنة ) يعني ( يدبر الأمر ) في زمان يوم مع الفسحة . فكيف يكون شهره . وكيف تكون سنة  
مع . وكيف يكون دهره . وعلى هذا الوجه لا فرق بين هذا وبين قوله مقداره خمسمائة ألف سنة لأن  
تلك إذا كانت إشارة إلى دوام نفاذ الأمر . فسواء يعبر بالآلاف أو بالخمسين لافعا لا يتفاوت إلا أن  
المبالغة تكون في الخمسين أكثر وبين . فالتدبر في موضعها إن شاء الله تعالى ( وفي هذه النظرة ) وهو  
أن الله ذكر في الآية المقدمة عالم الأحياء والخلق . وأشار إلى عظمة الملك . وذكر في هذه الآية  
عالم الأرواح والأمر بقوله ( يدبر الأمر ) والروح من عالم الأمر كما قال تعالى ( ويستلمونك من  
الروح قل الروح من أمر ربي ) وأشار إلى دوامه بلفظ يوم الزمان وأفراد دوام البقاء كما يقال  
في تعرف طائر زمان فلان والزمان لا يعاين . وإنما الواقع في الزمان بعدة فيوجد في أزمنة كثيرة  
ببطول ذلك فيأخذ الأزمنة كثيرة . فأشار هناك إلى عظمة الملك بالمكان وأشار إلى دوامه ههنا بالزمان  
فالتسكين من خلقه وملكه والزمان يحكمه وأمره . وأعلم أن ظاهر قوله ( يدبر الأمر ) في يوم  
بعضه أن يكون أمره في يوم واليوم له ابتداء وانتهاء . فيكون أمره في زمان حادث فيكون حادثا  
ويحدث من يقول بأن الله على العرش المستوى يقول بأن أمره قديم سني الحروف . وكلفه كل  
فككت فهم من كلمة على كونه في مكان . ولم يفهم من كلمة في كونه أمره في زمان ثم بين أن هذا  
الملك العظيم النافذ الأمر غير مائل . فإن الملك إذا كان أمرا ناهيا بطاع في أمره ونهيه . ولكن يكون

ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧١﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ  
وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿١٧٢﴾ ثُمَّ جَعَلَ نُفُسَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿١٧٣﴾

فأولاً لا يكون ميباً عظيماً كما يكون مع ذلك غيراً عظيماً لأن على أمور الميثاق والميثاق فقال  
( ذلك عالم الغيب والشهادة ) وقتاً ذكر من قبل عالم الاشباح فهو ( خلق السموات ) وعالم  
الارواح بقوله ( يدبر الامر من ) ( السد إلى الارض ) قال ( عالم الغيب ) يعلم ما في الارواح  
( والشهادة ) يعلم ما في الاجسام أي يقول قال ( عالم الغيب ) إشارة إلى عالم يكن بعد ( والشهادة )  
إشارة إلى ما وراء ذلك وقدم علم الغيب لأنه أقوى وأشد إيماناً عن كمال العلم . ثم قال تعالى  
( العزيز الرحيم ) لما بين أنه عالم ذكر أنه عزيز قادر على الانتقام من الكفرة وحيم واسع القدر  
على البررة . ثم قال تعالى الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ( لما بين الدارين  
لذلك على التوحيدة من ) ( الامر بقوله ) ( خلق السموات والارض وما بينهما ) وأنه عز وجل  
ومكلائه ذكر الدارين لأنه تعالى من الامر بقوله ( الذي أحسن كل شيء ) ( يعني أحسن كل شيء  
بما ذكره ) وبين أن الله عز وجل بين السموات والارض خلقه وهو كذلك لأنه إذا عرفت ذلك  
وأثبتها على ما مضى من صلافة الارض للبيت واسباب وسلافة السموات للاستدقاق وقبول الاستدقاق  
تسهيل الاستدقاق . ويلاحظ الماء نفسه على في كل موضع وحركة التدرج فوق . لأنها لو كانت  
مثل الماء لكانت بعمق وبسرعة لا حذر في انسال الماء فالتدرج فالتدرج فالتدرج فالتدرج فالتدرج فالتدرج  
الاستدقاق وقوله ( وبدأ خلق الإنسان من طين ) فويل المراد آدم عليه السلام منه خلق من طين  
ويكفي أن يقال بأن الطين ماء وزراب عتمة والادس أصله من والشيء أصله غدا . والاشد  
إلى حوائبه . وإما بانية . والحيوانية بالاشد ترجع إلى الشاة والبيت وجوده الماء والراب  
الذي هو طين .

قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ، الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ  
الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نُفُسَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ۝ ١٧٤ ۝ ١٧٥ ۝ ١٧٦ ۝ ١٧٧ ۝ ١٧٨ ۝ ١٧٩ ۝ ١٨٠ ۝ ١٨١ ۝ ١٨٢ ۝ ١٨٣ ۝ ١٨٤ ۝ ١٨٥ ۝ ١٨٦ ۝ ١٨٧ ۝ ١٨٨ ۝ ١٨٩ ۝ ١٩٠ ۝ ١٩١ ۝ ١٩٢ ۝ ١٩٣ ۝ ١٩٤ ۝ ١٩٥ ۝ ١٩٦ ۝ ١٩٧ ۝ ١٩٨ ۝ ١٩٩ ۝ ٢٠٠ ۝ ٢٠١ ۝ ٢٠٢ ۝ ٢٠٣ ۝ ٢٠٤ ۝ ٢٠٥ ۝ ٢٠٦ ۝ ٢٠٧ ۝ ٢٠٨ ۝ ٢٠٩ ۝ ٢١٠ ۝ ٢١١ ۝ ٢١٢ ۝ ٢١٣ ۝ ٢١٤ ۝ ٢١٥ ۝ ٢١٦ ۝ ٢١٧ ۝ ٢١٨ ۝ ٢١٩ ۝ ٢٢٠ ۝ ٢٢١ ۝ ٢٢٢ ۝ ٢٢٣ ۝ ٢٢٤ ۝ ٢٢٥ ۝ ٢٢٦ ۝ ٢٢٧ ۝ ٢٢٨ ۝ ٢٢٩ ۝ ٢٣٠ ۝ ٢٣١ ۝ ٢٣٢ ۝ ٢٣٣ ۝ ٢٣٤ ۝ ٢٣٥ ۝ ٢٣٦ ۝ ٢٣٧ ۝ ٢٣٨ ۝ ٢٣٩ ۝ ٢٤٠ ۝ ٢٤١ ۝ ٢٤٢ ۝ ٢٤٣ ۝ ٢٤٤ ۝ ٢٤٥ ۝ ٢٤٦ ۝ ٢٤٧ ۝ ٢٤٨ ۝ ٢٤٩ ۝ ٢٥٠ ۝ ٢٥١ ۝ ٢٥٢ ۝ ٢٥٣ ۝ ٢٥٤ ۝ ٢٥٥ ۝ ٢٥٦ ۝ ٢٥٧ ۝ ٢٥٨ ۝ ٢٥٩ ۝ ٢٦٠ ۝ ٢٦١ ۝ ٢٦٢ ۝ ٢٦٣ ۝ ٢٦٤ ۝ ٢٦٥ ۝ ٢٦٦ ۝ ٢٦٧ ۝ ٢٦٨ ۝ ٢٦٩ ۝ ٢٧٠ ۝ ٢٧١ ۝ ٢٧٢ ۝ ٢٧٣ ۝ ٢٧٤ ۝ ٢٧٥ ۝ ٢٧٦ ۝ ٢٧٧ ۝ ٢٧٨ ۝ ٢٧٩ ۝ ٢٨٠ ۝ ٢٨١ ۝ ٢٨٢ ۝ ٢٨٣ ۝ ٢٨٤ ۝ ٢٨٥ ۝ ٢٨٦ ۝ ٢٨٧ ۝ ٢٨٨ ۝ ٢٨٩ ۝ ٢٩٠ ۝ ٢٩١ ۝ ٢٩٢ ۝ ٢٩٣ ۝ ٢٩٤ ۝ ٢٩٥ ۝ ٢٩٦ ۝ ٢٩٧ ۝ ٢٩٨ ۝ ٢٩٩ ۝ ٣٠٠ ۝ ٣٠١ ۝ ٣٠٢ ۝ ٣٠٣ ۝ ٣٠٤ ۝ ٣٠٥ ۝ ٣٠٦ ۝ ٣٠٧ ۝ ٣٠٨ ۝ ٣٠٩ ۝ ٣١٠ ۝ ٣١١ ۝ ٣١٢ ۝ ٣١٣ ۝ ٣١٤ ۝ ٣١٥ ۝ ٣١٦ ۝ ٣١٧ ۝ ٣١٨ ۝ ٣١٩ ۝ ٣٢٠ ۝ ٣٢١ ۝ ٣٢٢ ۝ ٣٢٣ ۝ ٣٢٤ ۝ ٣٢٥ ۝ ٣٢٦ ۝ ٣٢٧ ۝ ٣٢٨ ۝ ٣٢٩ ۝ ٣٣٠ ۝ ٣٣١ ۝ ٣٣٢ ۝ ٣٣٣ ۝ ٣٣٤ ۝ ٣٣٥ ۝ ٣٣٦ ۝ ٣٣٧ ۝ ٣٣٨ ۝ ٣٣٩ ۝ ٣٤٠ ۝ ٣٤١ ۝ ٣٤٢ ۝ ٣٤٣ ۝ ٣٤٤ ۝ ٣٤٥ ۝ ٣٤٦ ۝ ٣٤٧ ۝ ٣٤٨ ۝ ٣٤٩ ۝ ٣٥٠ ۝ ٣٥١ ۝ ٣٥٢ ۝ ٣٥٣ ۝ ٣٥٤ ۝ ٣٥٥ ۝ ٣٥٦ ۝ ٣٥٧ ۝ ٣٥٨ ۝ ٣٥٩ ۝ ٣٦٠ ۝ ٣٦١ ۝ ٣٦٢ ۝ ٣٦٣ ۝ ٣٦٤ ۝ ٣٦٥ ۝ ٣٦٦ ۝ ٣٦٧ ۝ ٣٦٨ ۝ ٣٦٩ ۝ ٣٧٠ ۝ ٣٧١ ۝ ٣٧٢ ۝ ٣٧٣ ۝ ٣٧٤ ۝ ٣٧٥ ۝ ٣٧٦ ۝ ٣٧٧ ۝ ٣٧٨ ۝ ٣٧٩ ۝ ٣٨٠ ۝ ٣٨١ ۝ ٣٨٢ ۝ ٣٨٣ ۝ ٣٨٤ ۝ ٣٨٥ ۝ ٣٨٦ ۝ ٣٨٧ ۝ ٣٨٨ ۝ ٣٨٩ ۝ ٣٩٠ ۝ ٣٩١ ۝ ٣٩٢ ۝ ٣٩٣ ۝ ٣٩٤ ۝ ٣٩٥ ۝ ٣٩٦ ۝ ٣٩٧ ۝ ٣٩٨ ۝ ٣٩٩ ۝ ٤٠٠ ۝ ٤٠١ ۝ ٤٠٢ ۝ ٤٠٣ ۝ ٤٠٤ ۝ ٤٠٥ ۝ ٤٠٦ ۝ ٤٠٧ ۝ ٤٠٨ ۝ ٤٠٩ ۝ ٤١٠ ۝ ٤١١ ۝ ٤١٢ ۝ ٤١٣ ۝ ٤١٤ ۝ ٤١٥ ۝ ٤١٦ ۝ ٤١٧ ۝ ٤١٨ ۝ ٤١٩ ۝ ٤٢٠ ۝ ٤٢١ ۝ ٤٢٢ ۝ ٤٢٣ ۝ ٤٢٤ ۝ ٤٢٥ ۝ ٤٢٦ ۝ ٤٢٧ ۝ ٤٢٨ ۝ ٤٢٩ ۝ ٤٣٠ ۝ ٤٣١ ۝ ٤٣٢ ۝ ٤٣٣ ۝ ٤٣٤ ۝ ٤٣٥ ۝ ٤٣٦ ۝ ٤٣٧ ۝ ٤٣٨ ۝ ٤٣٩ ۝ ٤٤٠ ۝ ٤٤١ ۝ ٤٤٢ ۝ ٤٤٣ ۝ ٤٤٤ ۝ ٤٤٥ ۝ ٤٤٦ ۝ ٤٤٧ ۝ ٤٤٨ ۝ ٤٤٩ ۝ ٤٥٠ ۝ ٤٥١ ۝ ٤٥٢ ۝ ٤٥٣ ۝ ٤٥٤ ۝ ٤٥٥ ۝ ٤٥٦ ۝ ٤٥٧ ۝ ٤٥٨ ۝ ٤٥٩ ۝ ٤٦٠ ۝ ٤٦١ ۝ ٤٦٢ ۝ ٤٦٣ ۝ ٤٦٤ ۝ ٤٦٥ ۝ ٤٦٦ ۝ ٤٦٧ ۝ ٤٦٨ ۝ ٤٦٩ ۝ ٤٧٠ ۝ ٤٧١ ۝ ٤٧٢ ۝ ٤٧٣ ۝ ٤٧٤ ۝ ٤٧٥ ۝ ٤٧٦ ۝ ٤٧٧ ۝ ٤٧٨ ۝ ٤٧٩ ۝ ٤٨٠ ۝ ٤٨١ ۝ ٤٨٢ ۝ ٤٨٣ ۝ ٤٨٤ ۝ ٤٨٥ ۝ ٤٨٦ ۝ ٤٨٧ ۝ ٤٨٨ ۝ ٤٨٩ ۝ ٤٩٠ ۝ ٤٩١ ۝ ٤٩٢ ۝ ٤٩٣ ۝ ٤٩٤ ۝ ٤٩٥ ۝ ٤٩٦ ۝ ٤٩٧ ۝ ٤٩٨ ۝ ٤٩٩ ۝ ٥٠٠ ۝ ٥٠١ ۝ ٥٠٢ ۝ ٥٠٣ ۝ ٥٠٤ ۝ ٥٠٥ ۝ ٥٠٦ ۝ ٥٠٧ ۝ ٥٠٨ ۝ ٥٠٩ ۝ ٥١٠ ۝ ٥١١ ۝ ٥١٢ ۝ ٥١٣ ۝ ٥١٤ ۝ ٥١٥ ۝ ٥١٦ ۝ ٥١٧ ۝ ٥١٨ ۝ ٥١٩ ۝ ٥٢٠ ۝ ٥٢١ ۝ ٥٢٢ ۝ ٥٢٣ ۝ ٥٢٤ ۝ ٥٢٥ ۝ ٥٢٦ ۝ ٥٢٧ ۝ ٥٢٨ ۝ ٥٢٩ ۝ ٥٣٠ ۝ ٥٣١ ۝ ٥٣٢ ۝ ٥٣٣ ۝ ٥٣٤ ۝ ٥٣٥ ۝ ٥٣٦ ۝ ٥٣٧ ۝ ٥٣٨ ۝ ٥٣٩ ۝ ٥٤٠ ۝ ٥٤١ ۝ ٥٤٢ ۝ ٥٤٣ ۝ ٥٤٤ ۝ ٥٤٥ ۝ ٥٤٦ ۝ ٥٤٧ ۝ ٥٤٨ ۝ ٥٤٩ ۝ ٥٥٠ ۝ ٥٥١ ۝ ٥٥٢ ۝ ٥٥٣ ۝ ٥٥٤ ۝ ٥٥٥ ۝ ٥٥٦ ۝ ٥٥٧ ۝ ٥٥٨ ۝ ٥٥٩ ۝ ٥٦٠ ۝ ٥٦١ ۝ ٥٦٢ ۝ ٥٦٣ ۝ ٥٦٤ ۝ ٥٦٥ ۝ ٥٦٦ ۝ ٥٦٧ ۝ ٥٦٨ ۝ ٥٦٩ ۝ ٥٧٠ ۝ ٥٧١ ۝ ٥٧٢ ۝ ٥٧٣ ۝ ٥٧٤ ۝ ٥٧٥ ۝ ٥٧٦ ۝ ٥٧٧ ۝ ٥٧٨ ۝ ٥٧٩ ۝ ٥٨٠ ۝ ٥٨١ ۝ ٥٨٢ ۝ ٥٨٣ ۝ ٥٨٤ ۝ ٥٨٥ ۝ ٥٨٦ ۝ ٥٨٧ ۝ ٥٨٨ ۝ ٥٨٩ ۝ ٥٩٠ ۝ ٥٩١ ۝ ٥٩٢ ۝ ٥٩٣ ۝ ٥٩٤ ۝ ٥٩٥ ۝ ٥٩٦ ۝ ٥٩٧ ۝ ٥٩٨ ۝ ٥٩٩ ۝ ٦٠٠ ۝ ٦٠١ ۝ ٦٠٢ ۝ ٦٠٣ ۝ ٦٠٤ ۝ ٦٠٥ ۝ ٦٠٦ ۝ ٦٠٧ ۝ ٦٠٨ ۝ ٦٠٩ ۝ ٦١٠ ۝ ٦١١ ۝ ٦١٢ ۝ ٦١٣ ۝ ٦١٤ ۝ ٦١٥ ۝ ٦١٦ ۝ ٦١٧ ۝ ٦١٨ ۝ ٦١٩ ۝ ٦٢٠ ۝ ٦٢١ ۝ ٦٢٢ ۝ ٦٢٣ ۝ ٦٢٤ ۝ ٦٢٥ ۝ ٦٢٦ ۝ ٦٢٧ ۝ ٦٢٨ ۝ ٦٢٩ ۝ ٦٣٠ ۝ ٦٣١ ۝ ٦٣٢ ۝ ٦٣٣ ۝ ٦٣٤ ۝ ٦٣٥ ۝ ٦٣٦ ۝ ٦٣٧ ۝ ٦٣٨ ۝ ٦٣٩ ۝ ٦٤٠ ۝ ٦٤١ ۝ ٦٤٢ ۝ ٦٤٣ ۝ ٦٤٤ ۝ ٦٤٥ ۝ ٦٤٦ ۝ ٦٤٧ ۝ ٦٤٨ ۝ ٦٤٩ ۝ ٦٥٠ ۝ ٦٥١ ۝ ٦٥٢ ۝ ٦٥٣ ۝ ٦٥٤ ۝ ٦٥٥ ۝ ٦٥٦ ۝ ٦٥٧ ۝ ٦٥٨ ۝ ٦٥٩ ۝ ٦٦٠ ۝ ٦٦١ ۝ ٦٦٢ ۝ ٦٦٣ ۝ ٦٦٤ ۝ ٦٦٥ ۝ ٦٦٦ ۝ ٦٦٧ ۝ ٦٦٨ ۝ ٦٦٩ ۝ ٦٧٠ ۝ ٦٧١ ۝ ٦٧٢ ۝ ٦٧٣ ۝ ٦٧٤ ۝ ٦٧٥ ۝ ٦٧٦ ۝ ٦٧٧ ۝ ٦٧٨ ۝ ٦٧٩ ۝ ٦٨٠ ۝ ٦٨١ ۝ ٦٨٢ ۝ ٦٨٣ ۝ ٦٨٤ ۝ ٦٨٥ ۝ ٦٨٦ ۝ ٦٨٧ ۝ ٦٨٨ ۝ ٦٨٩ ۝ ٦٩٠ ۝ ٦٩١ ۝ ٦٩٢ ۝ ٦٩٣ ۝ ٦٩٤ ۝ ٦٩٥ ۝ ٦٩٦ ۝ ٦٩٧ ۝ ٦٩٨ ۝ ٦٩٩ ۝ ٧٠٠ ۝ ٧٠١ ۝ ٧٠٢ ۝ ٧٠٣ ۝ ٧٠٤ ۝ ٧٠٥ ۝ ٧٠٦ ۝ ٧٠٧ ۝ ٧٠٨ ۝ ٧٠٩ ۝ ٧١٠ ۝ ٧١١ ۝ ٧١٢ ۝ ٧١٣ ۝ ٧١٤ ۝ ٧١٥ ۝ ٧١٦ ۝ ٧١٧ ۝ ٧١٨ ۝ ٧١٩ ۝ ٧٢٠ ۝ ٧٢١ ۝ ٧٢٢ ۝ ٧٢٣ ۝ ٧٢٤ ۝ ٧٢٥ ۝ ٧٢٦ ۝ ٧٢٧ ۝ ٧٢٨ ۝ ٧٢٩ ۝ ٧٣٠ ۝ ٧٣١ ۝ ٧٣٢ ۝ ٧٣٣ ۝ ٧٣٤ ۝ ٧٣٥ ۝ ٧٣٦ ۝ ٧٣٧ ۝ ٧٣٨ ۝ ٧٣٩ ۝ ٧٤٠ ۝ ٧٤١ ۝ ٧٤٢ ۝ ٧٤٣ ۝ ٧٤٤ ۝ ٧٤٥ ۝ ٧٤٦ ۝ ٧٤٧ ۝ ٧٤٨ ۝ ٧٤٩ ۝ ٧٥٠ ۝ ٧٥١ ۝ ٧٥٢ ۝ ٧٥٣ ۝ ٧٥٤ ۝ ٧٥٥ ۝ ٧٥٦ ۝ ٧٥٧ ۝ ٧٥٨ ۝ ٧٥٩ ۝ ٧٦٠ ۝ ٧٦١ ۝ ٧٦٢ ۝ ٧٦٣ ۝ ٧٦٤ ۝ ٧٦٥ ۝ ٧٦٦ ۝ ٧٦٧ ۝ ٧٦٨ ۝ ٧٦٩ ۝ ٧٧٠ ۝ ٧٧١ ۝ ٧٧٢ ۝ ٧٧٣ ۝ ٧٧٤ ۝ ٧٧٥ ۝ ٧٧٦ ۝ ٧٧٧ ۝ ٧٧٨ ۝ ٧٧٩ ۝ ٧٨٠ ۝ ٧٨١ ۝ ٧٨٢ ۝ ٧٨٣ ۝ ٧٨٤ ۝ ٧٨٥ ۝ ٧٨٦ ۝ ٧٨٧ ۝ ٧٨٨ ۝ ٧٨٩ ۝ ٧٩٠ ۝ ٧٩١ ۝ ٧٩٢ ۝ ٧٩٣ ۝ ٧٩٤ ۝ ٧٩٥ ۝ ٧٩٦ ۝ ٧٩٧ ۝ ٧٩٨ ۝ ٧٩٩ ۝ ٨٠٠ ۝ ٨٠١ ۝ ٨٠٢ ۝ ٨٠٣ ۝ ٨٠٤ ۝ ٨٠٥ ۝ ٨٠٦ ۝ ٨٠٧ ۝ ٨٠٨ ۝ ٨٠٩ ۝ ٨١٠ ۝ ٨١١ ۝ ٨١٢ ۝ ٨١٣ ۝ ٨١٤ ۝ ٨١٥ ۝ ٨١٦ ۝ ٨١٧ ۝ ٨١٨ ۝ ٨١٩ ۝ ٨٢٠ ۝ ٨٢١ ۝ ٨٢٢ ۝ ٨٢٣ ۝ ٨٢٤ ۝ ٨٢٥ ۝ ٨٢٦ ۝ ٨٢٧ ۝ ٨٢٨ ۝ ٨٢٩ ۝ ٨٣٠ ۝ ٨٣١ ۝ ٨٣٢ ۝ ٨٣٣ ۝ ٨٣٤ ۝ ٨٣٥ ۝ ٨٣٦ ۝ ٨٣٧ ۝ ٨٣٨ ۝ ٨٣٩ ۝ ٨٤٠ ۝ ٨٤١ ۝ ٨٤٢ ۝ ٨٤٣ ۝ ٨٤٤ ۝ ٨٤٥ ۝ ٨٤٦ ۝ ٨٤٧ ۝ ٨٤٨ ۝ ٨٤٩ ۝ ٨٥٠ ۝ ٨٥١ ۝ ٨٥٢ ۝ ٨٥٣ ۝ ٨٥٤ ۝ ٨٥٥ ۝ ٨٥٦ ۝ ٨٥٧ ۝ ٨٥٨ ۝ ٨٥٩ ۝ ٨٦٠ ۝ ٨٦١ ۝ ٨٦٢ ۝ ٨٦٣ ۝ ٨٦٤ ۝ ٨٦٥ ۝ ٨٦٦ ۝ ٨٦٧ ۝ ٨٦٨ ۝ ٨٦٩ ۝ ٨٧٠ ۝ ٨٧١ ۝ ٨٧٢ ۝ ٨٧٣ ۝ ٨٧٤ ۝ ٨٧٥ ۝ ٨٧٦ ۝ ٨٧٧ ۝ ٨٧٨ ۝ ٨٧٩ ۝ ٨٨٠ ۝ ٨٨١ ۝ ٨٨٢ ۝ ٨٨٣ ۝ ٨٨٤ ۝ ٨٨٥ ۝ ٨٨٦ ۝ ٨٨٧ ۝ ٨٨٨ ۝ ٨٨٩ ۝ ٨٩٠ ۝ ٨٩١ ۝ ٨٩٢ ۝ ٨٩٣ ۝ ٨٩٤ ۝ ٨٩٥ ۝ ٨٩٦ ۝ ٨٩٧ ۝ ٨٩٨ ۝ ٨٩٩ ۝ ٩٠٠ ۝ ٩٠١ ۝ ٩٠٢ ۝ ٩٠٣ ۝ ٩٠٤ ۝ ٩٠٥ ۝ ٩٠٦ ۝ ٩٠٧ ۝ ٩٠٨ ۝ ٩٠٩ ۝ ٩١٠ ۝ ٩١١ ۝ ٩١٢ ۝ ٩١٣ ۝ ٩١٤ ۝ ٩١٥ ۝ ٩١٦ ۝ ٩١٧ ۝ ٩١٨ ۝ ٩١٩ ۝ ٩٢٠ ۝ ٩٢١ ۝ ٩٢٢ ۝ ٩٢٣ ۝ ٩٢٤ ۝ ٩٢٥ ۝ ٩٢٦ ۝ ٩٢٧ ۝ ٩٢٨ ۝ ٩٢٩ ۝ ٩٣٠ ۝ ٩٣١ ۝ ٩٣٢ ۝ ٩٣٣ ۝ ٩٣٤ ۝ ٩٣٥ ۝ ٩٣٦ ۝ ٩٣٧ ۝ ٩٣٨ ۝ ٩٣٩ ۝ ٩٤٠ ۝ ٩٤١ ۝ ٩٤٢ ۝ ٩٤٣ ۝ ٩٤٤ ۝ ٩٤٥ ۝ ٩٤٦ ۝ ٩٤٧ ۝ ٩٤٨ ۝ ٩٤٩ ۝ ٩٥٠ ۝ ٩٥١ ۝ ٩٥٢ ۝ ٩٥٣ ۝ ٩٥٤ ۝ ٩٥٥ ۝ ٩٥٦ ۝ ٩٥٧ ۝ ٩٥٨ ۝ ٩٥٩ ۝ ٩٦٠ ۝ ٩٦١ ۝ ٩٦٢ ۝ ٩٦٣ ۝ ٩٦٤ ۝ ٩٦٥ ۝ ٩٦٦ ۝ ٩٦٧ ۝ ٩٦٨ ۝ ٩٦٩ ۝ ٩٧٠ ۝ ٩٧١ ۝ ٩٧٢ ۝ ٩٧٣ ۝ ٩٧٤ ۝ ٩٧٥ ۝ ٩٧٦ ۝ ٩٧٧ ۝ ٩٧٨ ۝ ٩٧٩ ۝ ٩٨٠ ۝ ٩٨١ ۝ ٩٨٢ ۝ ٩٨٣ ۝ ٩٨٤ ۝ ٩٨٥ ۝ ٩٨٦ ۝ ٩٨٧ ۝ ٩٨٨ ۝ ٩٨٩ ۝ ٩٩٠ ۝ ٩٩١ ۝ ٩٩٢ ۝ ٩٩٣ ۝ ٩٩٤ ۝ ٩٩٥ ۝ ٩٩٦ ۝ ٩٩٧ ۝ ٩٩٨ ۝ ٩٩٩ ۝ ١٠٠٠ ۝ ١٠٠١ ۝ ١٠٠٢ ۝ ١٠٠٣ ۝ ١٠٠٤ ۝ ١٠٠٥ ۝ ١٠٠٦ ۝ ١٠٠٧ ۝ ١٠٠٨ ۝ ١٠٠٩ ۝ ١٠١٠ ۝ ١٠١١ ۝ ١٠١٢ ۝ ١٠١٣ ۝ ١٠١٤ ۝ ١٠١٥ ۝ ١٠١٦ ۝ ١٠١٧ ۝ ١٠١٨ ۝ ١٠١٩ ۝ ١٠٢٠ ۝ ١٠٢١ ۝ ١٠٢٢ ۝ ١٠٢٣ ۝ ١٠٢٤ ۝ ١٠٢٥ ۝ ١٠٢٦ ۝ ١٠٢٧ ۝ ١٠٢٨ ۝ ١٠٢٩ ۝ ١٠٣٠ ۝ ١٠٣١ ۝ ١٠٣٢ ۝ ١٠٣٣ ۝ ١٠٣٤ ۝ ١٠٣٥ ۝ ١٠٣٦ ۝ ١٠٣٧ ۝ ١٠٣٨ ۝ ١٠٣٩ ۝ ١٠٤٠ ۝ ١٠٤١ ۝ ١٠٤٢ ۝ ١٠٤٣ ۝ ١٠٤٤ ۝ ١٠٤٥ ۝ ١٠٤٦ ۝ ١٠٤٧ ۝ ١٠٤٨ ۝ ١٠٤٩ ۝ ١٠٥٠ ۝ ١٠٥١ ۝ ١٠٥٢ ۝ ١٠٥٣ ۝ ١٠٥٤ ۝ ١٠٥٥ ۝ ١٠٥٦ ۝ ١٠٥٧ ۝ ١٠٥٨ ۝ ١٠٥٩ ۝ ١٠٦٠ ۝ ١٠٦١ ۝ ١٠٦٢ ۝ ١٠٦٣ ۝ ١٠٦٤ ۝ ١٠٦٥ ۝ ١٠٦٦ ۝ ١٠٦٧ ۝ ١٠٦٨ ۝ ١٠٦٩ ۝ ١٠٧٠ ۝ ١٠٧١ ۝ ١٠٧٢ ۝ ١٠٧٣ ۝ ١٠٧٤ ۝ ١٠٧٥ ۝ ١٠٧٦ ۝ ١٠٧٧ ۝ ١٠٧٨ ۝ ١٠٧٩ ۝ ١٠٨٠ ۝ ١٠٨١ ۝ ١٠٨٢ ۝ ١٠٨٣ ۝ ١٠٨٤ ۝ ١٠٨٥ ۝ ١٠٨٦ ۝ ١٠٨٧ ۝ ١٠٨٨ ۝ ١٠٨٩ ۝ ١٠٩٠ ۝ ١٠٩١ ۝ ١٠٩٢ ۝ ١٠٩٣ ۝ ١٠٩٤ ۝ ١٠٩٥ ۝ ١٠٩٦ ۝ ١٠٩٧ ۝ ١٠٩٨ ۝ ١٠٩٩ ۝ ١١٠٠ ۝ ١١٠١ ۝ ١١٠٢ ۝ ١١٠٣ ۝ ١١٠٤ ۝ ١١٠٥ ۝ ١١٠٦ ۝ ١١٠٧ ۝ ١١٠٨ ۝ ١١٠٩ ۝ ١١١٠ ۝ ١١١١ ۝ ١١١٢ ۝ ١١١٣ ۝ ١١١٤ ۝ ١١١٥ ۝ ١١١٦ ۝ ١١١٧ ۝ ١١١٨ ۝ ١١١٩ ۝ ١١٢٠ ۝ ١١٢١ ۝ ١١٢٢ ۝ ١١٢٣ ۝ ١١٢٤ ۝ ١١٢٥ ۝ ١١٢٦ ۝ ١١٢٧ ۝ ١١٢٨ ۝ ١١٢٩ ۝ ١١٣٠ ۝ ١١٣١ ۝ ١١٣٢ ۝ ١١٣٣ ۝ ١١٣٤ ۝ ١١٣٥ ۝ ١١٣٦ ۝ ١١٣٧ ۝ ١١٣٨ ۝ ١١٣٩ ۝ ١١٤٠ ۝ ١١٤١ ۝ ١١٤٢ ۝ ١١٤٣ ۝ ١١٤٤ ۝ ١١٤٥ ۝ ١١٤٦ ۝ ١١٤٧ ۝ ١١٤٨ ۝ ١١٤٩ ۝ ١١٥٠ ۝ ١١٥١ ۝ ١١٥٢ ۝ ١١٥٣ ۝ ١١٥٤ ۝ ١١٥٥ ۝ ١١٥٦ ۝ ١١٥٧ ۝ ١١٥٨ ۝ ١١٥٩ ۝ ١١٦٠ ۝ ١١٦١ ۝ ١١٦٢ ۝ ١١٦٣ ۝ ١١٦٤ ۝ ١١٦٥ ۝ ١١٦٦ ۝ ١١٦٧ ۝ ١١٦٨ ۝ ١١٦٩ ۝ ١١٧٠ ۝ ١١٧١ ۝ ١١٧٢ ۝ ١١٧٣ ۝ ١١٧٤ ۝ ١١٧٥ ۝ ١١٧٦ ۝ ١١٧٧ ۝ ١١٧٨ ۝ ١١٧٩ ۝ ١١٨٠ ۝ ١١٨١ ۝ ١١٨٢ ۝ ١١٨٣ ۝ ١١٨٤ ۝ ١١٨٥ ۝ ١١٨٦ ۝ ١١٨٧ ۝ ١١٨٨ ۝ ١١٨٩ ۝ ١١٩٠ ۝ ١١٩١ ۝ ١١٩٢ ۝ ١١٩٣ ۝ ١١٩٤ ۝ ١١٩٥ ۝ ١١٩٦ ۝ ١١٩٧ ۝ ١١٩٨ ۝ ١١٩٩ ۝ ١٢٠٠ ۝ ١٢٠١ ۝ ١٢٠٢ ۝ ١٢٠٣ ۝ ١٢٠٤ ۝ ١٢٠٥ ۝ ١٢٠٦ ۝ ١٢٠٧ ۝ ١٢٠٨ ۝ ١٢٠٩ ۝ ١٢١٠ ۝ ١٢١١ ۝ ١٢١٢ ۝ ١٢١٣ ۝ ١٢١٤ ۝ ١٢١٥ ۝ ١٢١٦ ۝ ١٢١٧ ۝ ١٢١٨ ۝ ١٢١٩ ۝ ١٢٢٠ ۝ ١٢٢١ ۝ ١٢٢٢ ۝ ١٢٢٣ ۝ ١٢٢٤ ۝ ١٢٢٥ ۝ ١٢٢٦ ۝ ١٢٢٧ ۝ ١٢٢٨ ۝ ١٢٢٩ ۝ ١٢٣٠ ۝ ١٢٣١ ۝ ١٢٣٢ ۝ ١٢٣٣ ۝ ١٢٣٤ ۝ ١٢٣٥ ۝ ١٢٣٦ ۝ ١٢٣٧ ۝ ١٢٣٨ ۝ ١٢٣٩ ۝ ١٢٤٠ ۝ ١٢٤١ ۝ ١٢٤٢ ۝ ١٢٤٣ ۝ ١٢٤٤ ۝ ١٢٤٥ ۝ ١٢٤٦ ۝ ١٢٤٧ ۝ ١٢٤٨ ۝ ١٢٤٩ ۝ ١٢٥٠ ۝ ١٢٥١ ۝ ١٢٥٢ ۝ ١٢٥٣ ۝ ١٢٥٤ ۝ ١٢٥٥ ۝ ١٢٥٦ ۝ ١٢٥٧ ۝ ١٢٥٨ ۝ ١٢٥٩ ۝ ١٢٦٠ ۝ ١٢٦١ ۝ ١٢٦٢ ۝ ١٢٦٣ ۝ ١٢٦٤ ۝ ١٢٦٥ ۝ ١٢٦٦ ۝ ١٢٦٧ ۝ ١٢٦٨

ثُمَّ سَوَّاهُ وَفَتَحَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لِكُلِّ الشَّيْءِ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ قَلِيلًا مَّا

تَشْكُرُونَ ﴿١٧٥﴾

يبدو أن يقال ( ثم سواه وفتح فيه من روحه ) عائد إلى آدم أبشراً لأن كلمة ثم للترانخي فتكون القدوة بعد خلق نسل من خلقة ، وذلك بعد خلق آدم ، وأعلم أن دلائل الاتفاق أدل على كمال القدرة كما قال تعالى ( لخلق السموات والأرض أكبر ) ودلائل الانفس أدل على اتحاد الإرادة فإن انبعاث منها كثيرة وإله الإشارة بحوله ( ثم جعل له ثم سواه ) أي كان عيناً جعله نبياً ثم جعله بشراً سوياً ، وقوله تعالى ( وفتح فيه من روحه ) إضافة الروح إلى نفسه كإضافة البيت إليه تفسرياً ، وأعلم أن النصارى يقولون على الله الكذب ويقولون بأن عيسى كان روح الله هو أبى ولا يملكون أن كل أحد روحه روح الله بقوله ( وفتح فيه من روحه ) أى الروح التى هى حاكمه كما يقول الفاضل دوى وعيدى . ولم يقل أعطاه من جسمه لأن الشرف بالروح فأضاف الروح دون الجسم على ما يترتب على دفع الروح من السمع والبصر والعلم فقال تعالى ( وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ) وفيه مسائل :

( فى الأول ) قال وجعل لكم عظاماً ولم يخاطب من قبل وذلك لأن الخطاب يكون مع الخلق ملصقاً قال ( وفتح فيه من روحه ) خاطبه من بعده وقال جعل لكم ، فإن قيل الخطاب واقع قبل ذلك كما فى قوله تعالى ( ومن آياته أن خلقكم من تراب ) فنقول هناك لم يذكر الأمور المرتبة وإنما أشار إلى تمام الخلق . وهما ذكر الأمور المرتبة وهى كون الإنسان طيناً ثم ماء مهيئاً ثم خلقاً صوى بأمر الله فنقول مغربى الخطاب فى بعض المراتب دون البعض .

( فى المسألة الثانية ) فى الترتيب فى السمع والأبصار والأفئدة على مقتضى الحكمة ، وذلك لأن الإنسان يسمع أولاً من الأوبر أو الدار أموراً فمهما ثم يحصل له سبب ذلك بصرية فيبصر الأمور ويحسها ثم يحصل له سبب ذلك إدراك ثم ردهن كامل فيستخرج الأشياء من قبله وعندها يخص يسمع من أستاذ شيئاً ثم يهيم له أحلية مطالعة الكتب وفهم معانيها . ثم يصير له أحلية التصديق فيكتب من قلبه كتاباً . فكذلك الإنسان يسمع ثم يطالع صحائف الموجودات ثم يعلم الأمور الخفية .

( فى المسألة الثالثة ) ذكر فى السمع المصدر وفى البصر والفؤاد الاسم . ولهذا جمع الأبصار والأفئدة ولم يجمع السمع ، لأن المصدر لا يجمع وذلك لحكمة وهو أن السمع قوة واحدة ولها فضل

وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿٥٠﴾

واحد فإن الإنسان لا يضبط في زمان واحد كلامين : والآدم عليه ولا اختيار لها فيه فإن لصوت من أي جانب كان يصل إليه ولا قوة لها على تخصيص القوة بإدراك البعض دون البعض . وأما الإبصار فعمله العين ولها فيه شبه اختيار فإنها تتحرك إلى جانب ترى دون آخر وكذلك الفؤاد محل الإدراك وله نوع اختيار يثبت إلى ما يريد دون غيره . وإذا كان كذلك لم يكن للسمع في السمع تأثير وقوة مستقلة . فذكر القوة في الآذن وفي العين والفؤاد للسمع مبرح اختيار . فذكر المحل لأن الفعل يستند إلى المختار . ألا ترى أنك تقول سمع زيد ورأى عمرو ولا تقول سمع أذن زيد ولا رأى عين عمرو إلا نادراً ، لما بيننا أن المختار هو الأصل وغيره آتة بالسمع أصل دون عمله لعدم الاختيار له . والعين كالأصل وقوة الإبصار آتة بالفؤاد كذلك وقوة الفهم آتة . فذكر في السمع المصدر الذي هو القوة وفي الإبصار والأفؤاد الآدم الذي هو محل القوة ولأن السمع له قوة واحدة ولها محل واحد وهذا لا يسمع الإنسان في زمان واحد كلامين على وجه يضطهما ويدرك في زمان واحد صورتين وأكثر ويستبينهما .

المسألة الرابعة : لم تقدم السمع هنا والقلب في قوله تعالى ( ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ) فنقول ذلك يحقق ما ذكرنا ، وذلك لأن عند الإعطاء ذكر الآدمي وارتقوا إلى الأصل فقال أعطاكم السمع ثم أعطاكم ما هو أشرف منه وهو القلب وعند السلب قال ليس لهم قلب يدركون به ولا ما هو دونه وهو السمع الذي يسمعون به بمن له قلب يفهم الحقائق ويستخرجها ، وقد ذكرنا هناك ما هو السلب في تأخير الإبصار عما في الوسط فيما ذكرنا من الترتيب وهو أن القلب والسمع سلب فونهما بالطبع لجميع بينهما وسلب قوة البصر يجعل المشاوة عليه فذكرها متأخرة .

قوله تعالى : وَقَالُوا إِنَّا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿٥٠﴾ لما قال ( قللاً ما نشكركون ) بين عدم شكرهم بأنبيائهم بعده ، وهو الكفر وإنكار قدرته على إحسان الخلق وقد ذكرنا أن الله تعالى ، في كلامه القديم ، كلما ذكر أصلين من الأصول الثلاثة لم يذكر الأصل الثالث وهما كذلك لما ذكر الرسالة بقوله ( تنزيل الكتاب ) إلى قوله ( لتتذقوا فوما ما أنام من نذير من قبلك ) وذكر التوحيد بقوله ( الله الذي خلق ) إلى قوله ( وجعل لكم السمع والأبصار ) ذكر الأصل الثالث وهو الجبر بقوله تعالى ( وقالوا إنما ضلنا في الأرض ) وفيه مسائل :



قُلْ يَتَوَكَّلْكُمْ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكُلُّ يَكِرْتُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تَرْجِعُونَ ﴿١٧٧﴾

﴿ المسألة الأولى ﴾ الواو لا تطلب على ما سبق منه فأنهم قالوا أحمد ليس برسول وأنت ليس بواحد وقالوا أحضر ليس بممكن

﴿ المسألة الثانية ﴾ أن تعالى قال في تكذيبهم الرسول في الرسالة أم يقولون بلفظ المستقبل وقال في تكذيبهم إياه في الحشر ، وقالوا بلفظ الماضي ، وذلك لأن تكذيبهم إياه في رسالته لم يكن قبل وجوده وإيماء كان ذلك حاله وجوده فقال يقولون يعني هم فيه . وأما إنكارهم فحشر كان سابقاً صادراً منهم ومن آياتهم فقال وقالوا .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ أنه تعالى مرجع يذكر قولهم في الرسالة حديث قال (أم يقولون) وفي الحشر حديث قال (وقالت أمنا) ولم يصرح بذكر قولهم في الواحدانية ، وذلك لأنهم كانوا معشرين في جميع الأحوال على إنكار الحشر والرسول ، وأما الواحدانية فنكروا يعرفون بها في الدنيا ، ألا ترى أن الله تعالى قال (واتقوا الله من خلق السموات والأرض يقولون الله) ثم يقل قالوا إن الله ليس بواحد وإنما كانوا قالوه في الظاهر .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ لو قال تعالى في ذكر الرسالة ذكر من قبل دليلها وهو التنزيل الذي لا ريب فيه ولما ذكر الواحدانية ذكر دليها وهو خلق السموات والأرض وخلق الإنسان من ضيق ، ولما ذكر إنكارهم الحشر لم يذكر الله ليل ، فهو في الجواب : ذكر دليله أيضاً وذلك لأن حق الإنسان ابتداء دليل على قدرته على إعادته ، ولهذا استدلل الله على إمكان الحشر بالخلق الأول كما قال (ثم بيده وهو أهون عليه) وقوله (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) وكذلك خلق السموات كما قال تعالى (أوليس الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق منهم) بل (قل) وقوله تعالى (أنت أرحم راعي خلق) أي أنا كائنون في خلق جديد أو المموت فيه بل هم لمقاديرهم كالزمن (أصابهم من الأول يعني ليس إنكارهم بغيره المخلق ثانياً بل بكبريائهم بجميع الأحوال الأخيرة حتى لو صدقوا بالخلق الثاني لم اعتبروا ما عذاب والثواب ، أو قول معناه لم ينكروا الميت نفسه بل إنكارهم ، فأنكروا المنع ، لأنه . ثم بين ما يكون لهم من الموت بل العذاب .

قوله تعالى : قل يتوكلنكم الله الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴿١٧٨﴾ .

يعني لابد من الموت ثم من الحياة بعده وإليه الإشارة بقوله (ثم إلى ربكم ترجعون) وقوله (الذي وكل بكم) إشارة إلى أنه لا يفتنكم وإذا جاء أحدكم لا يؤخركم إلا لتشغل له إلا هذا وقوله (ثم من ذلك الموت) يعني عن بقائه الأرواح فإن التوفى الاستغناء والتقص هو الأخذ والإعدام انحصار ليس بأخذ ، ثم إن الروح الزكي الظاهر يعني عند الملائكة مثل الشخص بين أهله والنفس الرازي - ح ٢٥ م ١٦

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمَجْرُمُونَ نَاكِسًا رُّؤُسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا

نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿٣٥﴾

الماسين له والخائف الفاجر بيني وعدم كآسير بين قوم لا يعرفهم ولا يعرف تساهلهم ، والاول  
يسر رزق ويزداد صفاته وفوته والآخر بذيل ويضعف ويزداد شقاؤه وكسوته ، والحكمة  
يقولون إن الأرواح الظاهرة تلتقي بحس سماوي غير من بدنها وتكلم به ، والأرواح الفاجرة  
لا تكلم لما بعد التلويح الثاني فإن أرادوا ما ذكرها فقد وافقوا ولا يغير النظر في ذلك بحسب  
إرادتهم فقد يكون قولهم حقاً وقد يكون غير حق ، فإن قيل هم انكروا الإحياء والله ذكر الموت  
وبينها عبارة تقول فيه وجيان ( أحدهما ) أن ذلك دليل الإحياء ودفع استبعاد ذلك قائم غلوا  
ما عدم بالكلية كيف يكون الموجود بين ذلك ؟ فقال المالك يقبض الروح والأجزاء تنفر في لمح  
الأجزاء لا بعد فيه وأمر الملك بردها قبضه لا صعوبة فيه أيضاً ، فقوله ( قل شوقاًكم ملك  
الموت ) أي الأرواح ملومة فترد إلى أجسادها .

قوله تعالى : ﴿ ولترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا  
نعمل صالحاً إنا مؤمنون ﴾ .

نما ذكر أنهم يرجعون إلى ربهم بين ما يكون عند الرجوع على سبيل الإيهام بقوله ( ولو  
ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم ) يعني لو ترى حالهم وت شاهد استعجالهم لرى عجباً ، وقوله  
( ترى ) يحتمل أن يكون خطاباً مع الرسول صلى الله عليه وسلم تشفياً لصدره قائم كانوا يتذوقونه  
بالنكذب ، ويحتمل أن يكون عاماً مع كل أحد كما يقول القائل إن فلاناً كريم إن خدمته ولو  
لحظة بحسن إليك قول عمرك ولا يريد به نجاحاً ، وقوله ( عند ربهم ) ليكن شدة الخجالة لأن  
الرب إذا أساء إليه المريب ، ثم وقف بين يديه يكون في غاية الخجالة .

ثم قال تعالى ( ربنا أبصرنا وسمعنا ) يعني يقولون أو قائمين ( ربنا أبصرنا ) وحذف يقولون  
إشارة إلى غاية خجالتهم لأن الخجل العظيم الخجالة لا يتكلم ، وقوله ( ربنا أبصرنا وسمعنا ) أي  
أبصرنا الخسر وسمعنا قول الرسول فارجعنا إلى دار الدنيا لنعمل صالحاً ، وقولهم ( إنا مؤمنون )  
معناه إنا في الحال أما ولكن النافع الإيمان والعمل الصالح ولكن العمل الصالح لا يكون إلا  
عند التكليف به وهو في الدنيا فارجعنا للعمل ، وهذا باطل منهم فإن الإيمان لا يقبل في الآخرة  
كالعمل الصالح أو يقول المراد منه أنهم يتذكرون الله كما قالوا ( وه كنا مشركين ) فقالوا إن هذا  
الذي جرى علينا ما جرى إلا بسبب ترك العمل الصالح ، وأما الإيمان فإنا مؤمنون وما نشر كنا .

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٩﴾

قوله تعالى : ﴿ ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها ، ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ جواباً عن قولهم ( وما أصرنا ولا سمنا فارجعنا ) وبالله هو أنه تعالى قال : ﴿ إن لو أوجعناكم إلى الإيمان لهديناكم في الدنيا ولما لم أهدكم نبي أن ما أزعمت وما شئت لإيمانكم فلا أردكم ، وقوله ( ولو شئنا لأتينا ) صريح في أن هداها صحيح حيث يقول إن الله ما أراد الإيمان من الكافر وما شئنا منه إلا التكفير ، ثم قال تعالى ( ولكن حق القول مني لأملأن جهنم ) أي ، وقع القول وهو قوله تعالى لإبليس ( لأملأن جهنم منك ومن قومك ) هذا من حيث العقل وله وجه في العقل وهو أن الله تعالى لم يفعل فعلاً غالباً عن حكمة وهذا متفق عليه والخلاف في أنه هل قصد الفعل للحكمة أو فعل الفعل ولمت الحكمة لأجبت فعله تلك الحكمة على الفعل ، وإذا علم أن الله لا يتغير عن الحكمة فقال الحكمة أماله بأمرها لا تدرك على حيل التفصيل لكن تدرك على سبيل الإجمال ، فكل ضرب يكون في العالم وفساد حكمته يخرج من تفصيل عقل وهو أن الفعل إما أن يكون خيراً أو شراً أو خيراً أو شراً مثبوتاً بشر ، وهذا القسم على ثلاثة أقسام قسم خيره غالب وقسم شره غالب وقسم خيره وشره متوازن ، إذا علم هذا علمنا الله تعالى به الخير المحض وهو عالم الملائكة وهو الدائم العلوي وحلقه علماً فيه خير وشر وهو علماً وهو العالم السفلي ولم يخلق عالماً فيه شر محض ، ثم إن العالم السفلي الذي هو عالماً ، وإن كان الخير والشر موجودين فيه لكنه من القسم الأول الذي خيره غالب ، فإذن إذا علمت المنازع المضار والمنافع والضرر ، نجد المنافع أكثر ، وإذا علمت الضرر بالمعير نجد الخير أكثر ، وكيف لا والمؤمن بقاءه التكفير ، ولكن المؤمن قد يتكفر وجوده بحيث لا يكون فيه شر أصلاً من أول عمره إلى آخره كالأنبياء عليهم السلام والأولياء ، والتكفير لا يمكن وجوده بحيث لا يكون فيه خير أصلاً غاية ما في الباب أن التكفير يمحط خيره ولا يبعده ، إنما يستحيل نظراً إلى العادة أن يوجد كافر لا ينسى العطفان نوبة ماء ولا يطعم الطامع لقمة خير ولا يذكر به في جمرة ، وكيف لا وهو في زمن صباه كان مخلوقاً على القطرة المتعصية للعبث ، إذا ثبت هذا فصول قاله الرولا الشر في هذا العالم فكانت مخلوقات الله تعالى محصورة في الخير المحض ولا يكون قد خلق القسم الذي فيه الخير الغالب والشر القليل ثم إن ترك خلق هذا القسم إن كان لما فيه من شر فذلك الخير أن تكثيره لأجل الشر القليل لا يناسب الحكمة ، ألا ترى أن الشاكر إذا طلب منه تروم دياراً ، لم اعتنع وقال في هذا شر وهو ذوال الدرم عن طريقي فيقال له إنك في مقابلته خير كبير وهو حسراً الديار في ملكك وكذلك

فَذُوقُوا بِمَا سَيِّئْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَكُمُ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا

كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

الإيمان فوزاً للحركة الدائمة فإياها من المشقة مع أنه تحصل له راحة مستمرة ينسب إلى مخالفة الحكمة فإذا نظر إلى الحكمة كان وقوع الخير الكثير المشوب بالنشر القليل من المنصف لخلق العالم الذي يقع فيه الشر وإلى هذا أشار بقوله (إني جالس في الأرض خيفة قالوا أتعلم فيها من يفسد فيها ويهلك فيها) وعن النبي محمد (كأنك قدس لك) فقال الله تعالى في جوابهم (إني أعلم ما لا تعلمون) أي أعلم أن هذا القسم بنسب الحكمة لأن الخير فيه كثير ، ثم بين ثم خيره بالتعليم ، كما قال تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) يعني أيها الملائكة خلق الشر المحض والشر الغالب والشر المساوي لا يناسب الحكمة . وأما الخير الكثير المشوب بالشر القليل مناسب ، بقوله تعالى (أتعلم فيها من يفسد فيها) إشارة إلى الشر ، وأجابهم الله بما فيه من الخير بقوله (وعلم آدم الأسماء كلها) فإن قال قائل فأنه تعالى قادر على تخصيص هذا القسم من الشر بحيث لا يوجد فيه شر فيقال له ما جاز الله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) يعني لو شئنا لخلصنا الخير من شر ، لكن سيئتم لا يكون الله تعالى خلق الخير الكثير المشوب بالشر القليل وهو قسم مقبول ، فما كان يجوز تركه للشر القليل وهو لا يناسب الحكمة ، لأن ترك الخير الكثير بشر القليل غير مناسب للحكمة ، وإنت كان لا كذلك فلا مانع من خلقه بما فيه من الخير الكثير . وهذا الكلام يعبر عنه من يقول برعاية المنصاح إن الخير في النضار والشر في القدر ، فإنه قضى بالخير . ووقع الشر في التقدر بقضه الله عن الصبح والجهل ، وقوله (من الجنة والناس) لأنه تعالى قال لإبليس (لا تملأن جنتك) وعن نبيك ) وهذا إشارة إلى أن البارئ في العالم السفلي ، والذين في العالم العلوي مبرورون عن دخول النار وهم الملائكة ، وهذا يقتضي أن لا يكون إبليس من الملائكة وهو الصحيح ، وقوله (أجدين) يحتمل وجهين (أحدهما) أنه يكون تأكيذاً وهو الظاهر (والثاني) أن يكون حالا ، أي مجموعين ، فإن قيل كيف جعل جميع الإبرس والجن ما يملأهم النار؟ نقول هذا لبيان الجنس ، أي جهنم تملأ من الجن والإنس لا غير أمنا لملائكة ، ولا يقتضي ذلك دخول الكل كما يقول القائل ملأت الكيس من الدراهم لا يلزم أن لا يبقى درهم خارج الكيس ، فإن قيل فهذا يقتضي أن تكون جهنم ممتلئة ، نعملي ، ببعض الملائكة نقول هو كذلك وإنما الواسع الجنة التي هي من الرمة الواسعة والله أعلم . ولما بين الله تعالى بقوله (ولو شئنا لآتينا) أنهم لا يرجعون لهم قال لهم إذا علمتم أنهم لا يرجعون لكم .

قوله تعالى : ﴿ فذوقوا بما سيئتم لقاء يومكم هذا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

إِمَّا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ بَيْنَانَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾

وفي تفسير الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قوله ( صدقوا بما نسبتم لقاد ) فقد يحتمل أن يكون منصوباً بـ « صدقوا » أي ذوقوا لقاد يومكم بما نسبتم . وعلى هذا يحتمل أن يكون المنسب هو الشقاق الذي أخذ منهم بقوله ( ألسنت ربكم قالوا بلى ) أو بما في العطرة من المرسدية فينسب بالإيقان على الدنيا والاشغال بها ويحتمل أن يكون منصوباً بقوله ( نسبت ) أي بما نسبت لناد هذا اليوم ذوقوا . وعلى هذا لو كان قاتل النسيان لا يكون إلا في المعلوم أولاً إذا جهل أمره فنقول لما ظهرت براعيه فكانه ظهر ونعم . ولما تركوه بعد الظهور ذكر بلفظ النسيان إشارة إلى كونهم منكبين لأنهم ظاهروا كمن ينكر أمر آكان مدعله .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله تعالى هذا يحتمل ثلاثة أوجه ( أحدها ) أن يكون إشارة إلى اليوم ، أي ذوقوا بما نسبت لقاد هذا اليوم ( وثانيها ) أن يكون إشارة إلى لقاد اليوم . أي ذوقوا بما نسبت هذا اللقا . ( وثالثها ) أن يكون إشارة إلى العذاب . أي ذوقوا هذا العذاب بما نسبت لقاد يومكم . ثم قال بما نسبتكم ، أي تركتكم بالكعبة غير ملتفت إليكم كما يفعله التامس فطفاً ( رجايتكم ، ثم ذكر ما يلزم من تركه إيمانكم كما ينزك التامس وهو حلول العقاب . لأن من لا يخلصه الله فلا خلاص له . فقال ( رذوقوا عذاب الخلد كما كنتم تعملون )

﴿ ثم قال تعالى : إِمَّا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ بَيْنَانَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾

قوله تعالى ( إِمَّا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ بَيْنَانَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ) إشارة إلى أن الإيمان بالآيات كالمخلص . وإمّا ينسأ البعض غافاً ذكرها غير ساجداً له . يعني نقادته أعداؤه له . وسبح بحمده . يعني وبحرك لسانه بتزجيته عن الشرك . وهم لا يستكبرون . يعني وكان قلبه عاشقاً لا يتكبر ومن لا يستكبر عن عبادته فهو الثوم حقاً .

ثم قال تعالى ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ يعني بالتأمل قليلاً ما يصحون وقوله ( يدعون ربهم ) أي يصلون . فان الدعاء والصلاة من باب واحد في المعنى أو بطريقه وهذا لا ينافي الأول لأن الطلب قد يكون بالصلاة . والمعنى على الأول أول

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

لأنه قال بعده ( وما رزقناهم ينفقون ) وفي أكثر المواضع التي ذكر فيها الرزق ذكر الصلاة فليها كقوله تعالى ( ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ) وقوله ( خروا وطعنا ) يحتمل أن يكون مضمو لا له ويحتمل أن يكون حالا . أي خائفين طامعين كقوله لك جأؤن زورا أي زائرين ، وكان في الآية الأولى إشارة إلى المربة العالية وهي العبادة لوجه الله تعالى مع الذهول عن الحروف والطبع بدليل قوله تعالى ( إذا ذكروها بها خرّوا ) فإنه يدل على أن عند مجرد الذكر يوجد منهم الصمود وإن لم يكن خوف وطمع . وفي الآية الثانية إشارة إلى المرتين الأخيرتين وفي العبادة خروا كمن يخدم الملك الجبار مخافة سعادته أو يخدم الملك الجواد طمعاً في ربه ، ثم بين ما يكون لهم جزاء ضلهم .

قوله تعالى : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾

يعني بما خفي عن عبده ولا تفتت إلى غيره يقال إن هذا لا يدخل في معنى . يعني تطلع إلى غيره مطافاً لم ينس تطلع العين إلى شيء آخر لم يبق لغيره مسرح إلى غيره فنفس جزاء بحكم الوعد . وهذا فيه لطيفة وهي أن من العبد شيئاً وهو العمل الصالح . ومن الله أشياء سابقة من الخلق والرزق وغيرها وأشياء لاحقة من الثواب والإكرام . فله تعالى أن يقول جزاء الإحسان إحسان ، وأنا أحسن أولاً والعبد أحسن في مقابلة ، فالثواب بفضل ومنحة من غير عوض . وله أن يقول جعلت الأول فضلاً لا أطلب عليه جزاء . فإذا أتى العبد بالعمل الصالح فليس عليه شيء . لأن ما أراه ما عليه من انهم فكان هو أتياً بالحنسة ابتداء ، وجزاء الإحسان إحسان ، فأجعل الثواب جزاء كلاماً جازئ . لكن غاية الإكرام أن يجعل الأول حبة ويجعل الثاني مقابلاً وعرضاً لأن العبد ضئيف توفيل له بأن نلتك جزاء فلا تستحق جزاء . وإنما الله بفضل يتق ولكن لا يضمن قلبه ، وإذا قبل له الأول غير محسوب عليك والذي أنبت به أنت به باد . ولك عليه استحقاق ثواب يتق ويضمن ثم إذا عرف أن هذا من فضل الله فالواجب من جانب العبد أن يقول صلى جزاء نعم الله السابقة ولا أستحق به جزاء . فإذا أنابه الله تعالى يقول الذي أنبت به كان جزاء . وهذا ابتداء إحسان من الله تعالى يستحق حمداً وشكراً يأتي بمسنة فيقول الله في أحسنه إليه جزاء نفسه الأول وما جعلت أولاً لا أطلب له جزاء فيجازه ثانياً فيشكر العبد ثالثاً فيجازه رابعاً وعلى هذا لا ينقطع الهداية بين العبد والرب ، ومثله في الشاهد اثنان تحاباً فأهدي أحدهما إلى الآخر هدبة ونسباً والمهدي إليه يتذكر ما أهدي إلى المهدي عوضاً فرأه المهدي الأول ابتداء . لنسباً ما أهده إليه فيجازه هدبة فقال انحب الآخر ما أهديته كان جزاء لهدبته السابقة . وهذه هدبة ما عوضتها بغير عوض وبمعرض

أَمِنَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨٣﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ زُلاَمًا كَانُوا بِهَا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٨٥﴾

فيه المحرم الآخر ويسهل الأمر بينهما ولا يقطع الترادى والحب ، بخلاف من أرسل إل واحد هدية وهو عند كرها فإذا مات أتته المودة إليه عوضاً يقول المهدى هذا محرض ما أهديت إليه ويسكت ويترك الإهداء فيقطع . واعلم أن التكليف يوم القيامة ، وإن ارتفعت لكن الذكر والشكر والعبادة لا ترتفع بل العبد يمد به في الجنة أكثر مما بعده في الدنيا . وكيف لا وقد صار حاله على حال الظلمة كما ذكرنا في حقه : يسبحون الليل والنهار لا يفتخرون ( غاية ما في الباب أن العبادة ليست عليهم تشكيف بل هي مقتضى الطبع ومن حلة الأسباب المرجوة لدوام نعم الجنة هذا وكيف لا وحدة الملوك لذة وشرف فلا تترك وإن قرب العبد منه بل تزداد للثناء قوله تعالى ﴿ أَمِنَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ ، أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات المأوى زلا ماً كانوا يعملون . وأما الذين فسقوا فأماهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴿

لما بين حال المحرم والآخر من قال للعاقلة هل يستوى الفريقان ، ثم بين أنها لا يستويان ، ثم من عدم الاسواء على بين التفصيل ، فقال ( أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات المأوى ) إشارة إلى ما ذكرناه أن الله ليس ابتداء لا قعوض فلا آمن العبد وعمل صالحاً قبله منه كأنه ابتداء ، فإزاء أن أعطاه الجنة ثم قال تعالى ( زلا ماً ) إشارة إلى أن بعده ما يشاء لأن تنزل ما يعطى الملك النازل . وقت نزوله قل أن يحصل له راضياً أو يكسب له غيراً وغيره ( مما كانوا يعملون ) يحقق ما ذكرناه وقوله تعالى ( وأما الذين فسقوا فأماهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها ) إشارة إلى حال الكافر . وقد ذكرنا مراراً أن العمل الصالح له مع الإيمان أثر . أما الكفر إذا جاء فلا الصالحات إلى الأعمال ، فلم يقل ( وأما الذين فسقوا وعملوا السيئات لأن المراد من فسقوا أكثرها ولو جعل للفتاب في مقابلة الكفر وانسمل ، لظن أن مجرد الكفر لا يحجب عليه ، وقوله في حق المؤمنين ( لهم ) بلام التثنية زيادة إكرام لأن من قال لغيره استكن هذه النار يكون ذلك محمولا على العارضة وله استرداده ، وإذا قال هذه النار فك يكون ذلك محمولا على سببه الملكية إليه وليس

وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٦﴾

له استعداده بحكم قوله وكذلك في قوله ( ولم جذات ) ألا ترى أنه تعالى لما أسكن آدم الجنة وكان في عله أنه يخرج منها قال ( أسكن أنت وروحك الجنة ) ولم يقل لك الجنة وفي الآخرة لما لم يكن للمؤمنين خروج منها قال ( نسكن الجنة ) ولم جذات ) وقوله ( كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعربوها فيها ) وقيل ( لم ذوقوا ) إشارة إلى معنى حكى ، وهو أن المؤمن إذا تمسك بالآية إذا امتد لم يبق به شعور تام ولهذا قال الأجلة إلى حرارة حمى الحق بالنسبة إلى حرارة الحمى كلفية نسبة النار إلى الماء الدس ، ثم إن الذوق لا يحس من الحرارة عما يحس به من ، الحمى الباردة لتسكن الحق وغرب العود بظهور حرارة الحمى كلفية ، وكذلك الامتنان إذا وضع يده في ماء بارد يشلم من البرد ، فإذا أصبح وما أصويلا تلج يده ويطل عنه ذلك الألم الشديد مع مساهمته ، إذا طهر هذا قوله ( كلما أرادوا أن يخرجوا منها أسبغوا فيها ) إشارة إلى أن الإله لا يسكن عنهم بل يرد عليهم في كل حال أمر مؤلم يبعد وقوله ( ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ) يقرر ما ذكرنا ومعه أنهم في الدنيا كانوا يكذبون بعذاب النار ، فلما فاقوه كان أشد إبلا ما لأن من لا يتوقع شيئاً فيصعبه يكون أشد تأثراً ، ثم لهم في الآخرة كما في الدنيا يحرمون أن لا عذاب إلا وقد وصل إليهم ولا يتوقعون شيئاً آخر من العذاب فبرد عليهم عذاب أشد من الأول ، وكانوا يكذبون به غولم لا عذاب فوق ما نحن فيه فاذن معنى قوله تعالى ( ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ) ليس مقصراً على تكذيبهم الذي كان في الدنيا بل ( كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعربوها فيها ) وقيل لهم ذوقوا عذاباً كذبتم به من قبل ، أما في الدنيا جزئكم لا عذاب في الآخرة ، وأما في الآخرة فيقول لكم لا عذاب فوق ما نحن فيه .

ثم لما عدهم قال تعالى ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

يعني قل عذاب الآخرة لنذيقهم عذاب الدنيا . فان عذاب الدنيا لا يصب له إلى عذاب الآخرة لأن عذاب الدنيا لا يكون شديداً ، ولا يكون مديداً فان عذاب الشدة في الدنيا ملك قيمته العذب ، ويستريح منه فلا يمتد ، وإن أراد العذب أن يند عذاب المعتد لا يصبه بعذاب في غاية الشدة ، وأما عذاب الآخرة فتشديد ومديد ، وفي الآية مسألتان :

( إحداهما ) قوله تعالى ( ولنذيقنهم من العذاب الأدنى ) في مقابلة العذاب الاقصى والعذاب الأكبر في مقابلة العذاب الأصغر ، فإما الحكمة في مقابلة الأدنى بالأكبر ؟ فنقول حصل في عذاب الدنيا أمران : ( أحدهما ) أنه قريب والآخر أنه قليل صغير وحصل في عذاب الآخرة أيضاً أمران ( أحدهما ) أنه بعد والآخر أنه عظيم كثير ، نسكن القرب في عذاب الدنيا هو الذي يصلح



للتخويف به ، قال المذنب العاجل وإن كان قليلاً قد يحترز منه بعض الناس أكثر مما يحترز من العذاب الشديد إذا كان أجلاً . وكذا الثواب العاجل قد يرغب فيه بعض الناس ويستبعد الثواب العظيم الآجل ، وأما في عذاب الآخرة فإدعى بصلاح للتخويف به هو العظيم والكبير لا العبد لما يثاب فقال في عذاب الدنيا (عذاب الأول) ليحترز العاقل عنه ولو قال : لنذيقهم من العذاب الأصغر ما كان يحترز عنه لصغره وعدم منه كونه عاجلاً وقال في عذاب الآخرة الأكبر لذلك المعنى ، ولو قال دون العذاب الأبد الأبقى لما حصل التخويف به مثل ما يحصل بوضعه بالكلية . والمجلة فقد اختار الله تعالى في العبادين الوصف الذي هو أصح للتخويف من الوصفين الآخرين فهما الحكمة بالغة

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله تعالى ( لنعلمهم يرجعون ) لعل هذه الترجي والله تعالى جعل ذلك عليه في الحكمة به ، يقول فيه وجواب ( أحدهما ) مبداء لنذيقهم إذا ذاقوا المصير كفوفه فقال ( إنا ننبئكم ) يعني تركنا تركاً كما تركنا الناس حيث لا يلتفت إليه أصلاً ، فكذلك هذا لنذيقهم على الوجه الذي يعمل بالراجي من التترجيع ( والثاني ) مساو لنذيقهم إذا ذاقوا كفوفهم لنعلمهم يرجعون سبه ، وينبذ وجهاً آخر من عندنا ، وهو أن كل من يتولد أمر مطلوب من ذلك الفعل يصبح تعليل ذلك الفعل ذلك الأمر ، كما يقال فلان انزعج ليرجع . ثم إن هذا التعليل إن كان في موضع لا يحصل الجزم بحصول الأمر من الفعل نظراً إلى نفس الفعل وإن حصل الجزم وأعطى بناء على أمر من خارج فانه يصح أن يقال بعمل كذا وجاء كذا ، كما يقال بغير رجاء أن يرجع ، وإن حصل للناجز بزم بازع لا يقدح ذلك في صحة قولنا يرجع لما أن الجزم غير حاصل نظراً إلى التجارة وإن كان الجزم حاصل نظراً إلى الفعل ، لا يصح أن يقال يرجع وإن كان ذلك الجزم يحتمل خلافه كقول القائل فلان حر رقة غدوة رجاء أن يموت ، لا يصح لحصوله الجزم بالموت غيب الحر نظراً إليه وإن أمكن أن لا يموت نظراً إلى قدرة الله تعالى ، ويصح قولنا قوله تعالى في حق إبراهيم (والذي أضاع أن يعزى غيبتي) مع أنه كان عالمياً بالمنفرة لكن لما لم يصح الجزم حاصل من نفس الفعل أطلق عليه الضمير وكذلك قوله تعالى ( وأرجوا اليوم الآخر ) مع أن الجزم به لازم إذا علم ما ذكرنا فقول في كل صورة قال الله تعالى ( لنعلمهم ) فان نظراً إلى الفعل لا يلزم الجزم ، فان من انشذب لا يلزم الرجوع لزوماً بينما يصح قولنا يرجع وإن كان عنه حاصل ما يكون غاية ما في ثواب أن الرجاء في أكثر الأمر استعمال فيها لا يكون الأمر ملزوماً فأوهم أن لا يجوز الإحلاق في حق الله تعالى وليس كذلك من ترجى يجوز في حق الله تعالى . ولا يلزم منه عدم العلم ، وإنما يلزم عدم الجزم بناء على ذلك الفعل وعم الله ليس مستغداً من الفعل فيصح حقيقة الدرج في حقه على ما ذكرنا من المعنى

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ، إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ  
 ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرَّةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ إِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ

﴿١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه ثم أعرض عنها ﴾ ، إنا من المجرمين منتقمون ،  
 ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرة من لقاءه وحملناه هدى لبني إسرائيل ، وجعلنا منهم  
 إمامة يهتدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴿

قوله تعالى ﴿ ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه ثم أعرض عنها ﴾ يعنى لندبهم ولا يرجعون  
 فيكونون قد ذكروا آيات الله من النعم أولا والنعيم ثانياً ولم يزموا فلا أظلم منهم أحد ، لأن من  
 يكفر بالله ظالم فإن الله ليدري البصائر ظاهر لا يحتاج المستنير الباطن إلى شاهد ينهد عليه بل هو  
 شهيد على كل شئ كما قال تعالى ﴿ أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ أى دابك الله لا يحتاج  
 بانير الباطن إلى دليل على الله . ولهذا قال بعض السافرين رأيت الله قبل كل شئ فمن لم يكفه الله  
 فسائر الموجودات سواء . كان فيما نفع أو ضرر كلف في مرة الله كما قال تعالى ﴿ سرير آياتنا في  
 الأفاق وفى أنفسهم ﴾ فإن لم يكفه ذلك فسيبته عليهم نعمه ظاهرة وباطنة . فالأولى الذى لا يحتاج  
 إلى غير الله هو عدل والثانى الذى يحتاج إلى دليل فهو متوسط والثالث الذى لم تسكه الأفاق ظالم  
 والرابع الذى لم تقنعه انعم أظلم من ذلك الظالم وقد يكون أظلم منه آخر . وهو الذى إذا أدب  
 العذاب لا يرجع عن ضلالتة . فإن الأكثر كان من صفهم أنهم إذا مضى ضرر دعوا ربهم حنينين  
 إليه فهذا لما غلب ولم يرجع فلا أظلمه أصلاً فقال ﴿ ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه ثم أعرض عنها ﴾ .  
 ثم قال تعالى . ﴿ إنا من المجرمين منتقمون ﴾ أى لما لم ينفعهم العذاب الاذى فإنا منتقم منهم  
 بالعذاب الأكبر .

ثم قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ لما قرأ الاصول الثلاثة على مايناه عاد إلى الأصل  
 الذى بدأ به وهو الرسالة المذكورة في قوله ﴿ لتذوقوا ما أنتم من مذير ﴾ وقال ﴿ قل ما كنت  
 بدعاً من الرسل ﴾ بل كان قبلك رسل مثلك واختار من بينهم موسى لقربه من الله تعالى ووجود  
 من كان على دينه إلزاماً لهم . وإنما لم يحتج بحسى عليه السلام للذكر والاستدلال لأن اليهود  
 ما كانوا يرافقون على بونه . وأما النصارى فكانوا يعرفون بنبوة عيسى عليه السلام فتمسك

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٦٨﴾ أَوْ لَمْ

يَهْدِ لَهُمْ كُرْهُهُمُ كَانَ أَهْلُكُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

بالجمع عليه . وقوله ( فلا تكن في مرة من مقامه ) قيل معناه فلا تكن في شك من مقامه . موسى فملك تراه ونفاه . وقيل بأنه رأى جنة ادعراج ونخل مثناه فلا تكن في شك من مقامه . الكتاب فملك ثمناه كالقري موسى الكتاب ويحتمل أن تكون الآية والرواية لا للتقرير بل لالتسليم اليه عليه السلام لأنه لما أتى بكل آية وذكر ما وأعرض عنها قومه حزن عليهم ففعل له تذكير حال موسى ولا يحزن لأنه لم يزل ما لعنت وأودى كما أوديت . وعلى هذا فاعلم أن موسى عليه السلام حكمة . وهي لمن أهداه من الأضياء لم يهده قومه إلا الذين لم يؤمنوا به . وأما القوم آمنوا به فلم يخالفوه غير قوم موسى فإن لم يؤمن به آذاه مثل فرعون وغيره ومن آمن به من بني إسرائيل أضاع آذاه بالخيانة وطلب أشباهه . مثل طلب رؤساء الله جبهة ومثل قولهم ( اذهب أنت وربك فاعلا ) ثم بين له أن هدايته خير حيلة من الضلالة كما أنه لم يخل عداية موسى . فقال ( وجعلناه هدى لبني إسرائيل ) وجعلنا منهم آية يهدون بها . فهدى بني إسرائيل . فهدى موسى هدى وحمل منهم آية يهدون كفلك يجعل كتابك هدى ويخرج من أمك صحابة يهدون . كما قال عليه السلام : «أصلح كالتهدوم بأهم اقتديهم اهتديهم » ثم بين أن ذلك يحصل بالنصر . فقال ( لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ) فكذلك اصبروا وآتوا بأن وعد الله حق .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ . أو لم يهد لهم كُرْهُهُمُ كَانَ أَهْلُكُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

قوله ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون هذا يصلح جوامعا لثبوت : وهو أنه لما دارت السبل ( وجعلنا منهم آية يهدون بها ) كان لقائهم أن يقول كيف كانوا يهدون وهم يختلفوا وصاروا فرقا وسبل الحق واحد . فقال عليهم عداوة والله بين المتدع من المتبع كما بين المؤمنين من الكافر يوم القيامة . وبه وجه آخر . وهو أن الله تعالى بين آية يفصل بين المختلفين من آية واحدة كما يفصل بين المؤمنين من الأمم فبعض أن لا يأمن من آمن وإن لم يجتهد . فان المتدع مضطرب كالنفس ، غاية ما في الباب . أن عذاب الكافر أشد وألم وأشد وأدوم .

ثم قال تعالى ( أو لم يهد لهم كُرْهُهُمُ كَانَ أَهْلُكُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ ) قد ذكرنا أن قوله تعالى ( ولقد آتينا موسى الكتاب ) تخريروا له أنه محمد ﷺ وإعادة لبان ما سبق في قوله ( لتنته قوما ما أنهم

أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض فخرج منه ذرّاً ثم نأكل منه  
 أنعمهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴿١٦﴾ ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صَادِقِينَ  
 ﴿١٧﴾ قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا يمينهم ولا هم ينظرون ﴿١٨﴾

من ظر من فلك ( ولما أعاد ذكر الرسالة أعاد ذكر التوحيد . فقال تعالى ( أولم يد علم كم  
 أطعنا من قبلهم ) وقوله ( يمشون في مساكنهم ) زيادة إلمة ، أي مساكن المملكين دالة على  
 سالم وأتم نعمون فيها وتصرونها . وقوله تعالى ( إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون ) اعتبر فيه  
 السمع . لأنهم ما كان لهم قوة الإدراك بأنفسهم والاستنباط بعقولهم . فقال أفلا يسمعون . يعني  
 ليس لهم درجة الشغل الذي يسمع الشيء ووجهه .

قوله تعالى : ﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض فخرج به ذرّاً ثم نأكل منه أنعمهم  
 وأنفسهم أفلا يبصرون ، ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين ﴾

قوله تعالى ( أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الفجر ) لما بين الإهلاك وهو الإمارة  
 بين الإحياء لمكون إشارة إلى أن تنضج والفتح يد الله . والجذر الأرض اليابسة التي لا نبات فيها  
 والجذر هو القطع وكأنها المنطوق عنها الماء والنبات . ثم قال تعالى ( فتخرج به ذرّاً ثم نأكل منه  
 أنعمهم وأنفسهم ) هم الأنعام على الأرض في الأكل لوجود (أصداها) أن الزرع أول ما ينبت  
 يصلح للثواب ولا يصلح للإنسان (والثاني) وهو أن الزرع غذاء للثواب وهو لا يد منه . وأما  
 غذاء الإنسان فخذ يحصل من الحيوان . فكان الحيوان يأكل الزرع . ثم الإنسان يأكل من الحيوان  
 (الثالث) إشارة إلى أن الأكل من ذوات الثواب . والإنسان يأكل بحيوانه أو نباته من القوة  
 العقلية فكانة بالعبادة . ثم قال تعالى ( أفلا يبصرون ) لأن الأمر يرى بخلاف حال المعتبين . فإنا  
 كنتم مسموعة . ثم لما بين الرسالة والتوحيد بين الغش بقوله تعالى ( ويقولون متى هذا الفتح  
 إن كنتم صادقين ) إلى آخر السورة . نصار ترتب آخر السورة كترتيب أولها حيث ذكر الرسالة  
 في أولها بقوله ( لتبين قوماً ) وفي آخرها بقوله ( ولقد آتينا موسى الكتاب ) وذكر التوحيد  
 بقوله ( الذي خلق السموات والأرض ) وقوله ( الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان  
 من طين ) وفي آخر السورة ذكره بقوله ( أولم يد لهم ) وقوله ( أولم يروا أنا نسوق ) وذكر  
 الحشر في أولها بقوله ( وهؤلاء أمنا ضلّان الأرض ) وفي آخرها بقوله ( ويقولون متى  
 هذا الفتح ) .

## فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِلَيْهِمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى : ﴿ فَرَأَى يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ أى لا يقبل إيمانهم في تلك الحالة . لأن الإيمان المقبول هو الذى يكون في دار الدنيا ، ولا ينظرون ، أى لا يجهلون بالإعادة إلى الدنيا يؤمنوا فقبل إيمانهم . ثم لما بين المسائل وأتقن الدلائل ولم يتفهم . قال تعالى ( فأعرض عنهم ) أى لا تناظرهم بعد ذلك ( وإنما الطريق بعد هذا القتال . وقوله ( وانتظر إليهم منتظرون ) بمحمل وجوهاً ( أحدها ) وانتظر ملاكهم فإهم ينتظرون هلاكك ، وعلى هذه فرق بين الانتظارين . لأن انتظار الذى يتوقع بأمر الله تعالى بعد وعده وانتظارهم يتسويل أنفسهم والتسويل على الشيطان ( وثانيها ) وانتظر النهر من الله فإهم ينتظرون النهر من أنفسهم وفرق بين الانتظارين ( وثالثها ) وانتظر عذابهم بنفسك فإهم ينتظرونه بلغضهم استهزاء ، كما قالوا ( فأنا بما نقعدنا ، وقالوا متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ) إلى غير ذلك ، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب ، والحمد لله رب العالمين وحللاته على سيد المرسلين محمد النبي وآله وصحبه أجمعين . وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين .

(٢٢) سُوْرَةُ الْاِحْزَانِ مَكِّيَّةٌ  
وَاَيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ . في تفسير الآية مسائل :

( الأول ) في الفرق بين النداء والمنادي بقوله يا رجل ويا أيها الرجل . وقد قيل فيه ما قيل وعن بقول قول القائل يا رجل يدل على النداء وقوله يا أيها الرجل يدل على ذلك أيضاً وينبغي من خطر خطاب المنادي له أو غفلة المندى ( أما ثانياً ) فذكر ( وأما الأول ) فلأن قوله ( يا أي ) حمل المندى غير معلوم أولاً فيكون كل سامع متطعياً إلى المندى فإذا خص واحد كان في ذلك إنباء الكل لتعلمهم بآله ، وإذا قال يا زيد أو يا رجل لا يلتفت إلى حاسب المندى إلا المذكر إذا علم هذا فنقول ( يا أيها ) لا يجوز حمله على نطقة منى لأن قوله ( النبي ) يتأني النطقة لأن النبي عليه السلام جبر فلا يكون غافلاً فيجب حمله على خطر الخطب .

﴿ المسألة الثانية ﴾ الأمر بالنبي . لا يكون إلا عند عدم اشتغال المأمور بالأمور به إذ لا يصلح أن يقبل طعائس الجلس والساكنة أسكت والذي عليه السلام كان متعباً فما الوجه فيه ؟ نقول فيه وجهان : ( أحدهما ) متفق وهو أنه أمر بالمداومة فإنه يصبح أن يقول القائل للجلس اجلس ههنا إلى أن أجيئك . ويقول القائل للساكنة قد أصبحت فاسكنت فسلم ، أي دم على ما أنت عليه ( والثاني ) وهو مقول لطيف ، وهو أن الملك يتقرب من عباده على ثلاثة أوجه بعضهم يخاف من عقابه وبعضهم يخاف من قطع نوايه وثالث يخاف من اجتماعه فالتقوى لم يؤمر بالتقوى بالمعنى الأول ولا بالمعنى الثاني . وأما الثالث فالخاص لا بأنه ما دام في الدنيا . وكيف والأمر الدينية شاغلة والادنى في الدنيا تارة مع الله وأخرى مقبل على مآلذته ، ولما كان مع الله وإلى هذا إشارة بقوله ( إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي ) يعني يرفع الحجاب عن رقت الوحي ثم أجمع إليكم كأني منكم فالأمر بالتقوى يوجب استدعاء الحضور ( الوجه الثاني ) هو أن النبي عليه الصلاة والسلام كل لحظة كان يرداه عليه ومرتبته حتى كان حاله فيها معني بالنسبة إلى ما هو فيه تركاً للاختلال . فكان له في كل ساعة تقوى متجددة فقله ( اتق الله ) على هذا أمر بما ليس فيه وإلى هذا أشار عليه الصلاة والسلام بقوله

## وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴿١٩١﴾

ومن السنن يومئذ فهو منبئون ولأنه طلب من ربه بأمرائه زيادة بزيادة الظلم حيث قالوا قل رب زدني علماً ( وأيضاً دل على وقت الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام أنه ليعان على ظني فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة ) بدى اتحد له مقام يقول الذي أثبت به من الشكر والعبادة لا يكن شيئاً ، إذا علم هذا فالتى صلى الله عليه وسلم يحكم ( إنما أنا بشر مثلكم ) كان قد وقع له خوف ما يسير من جهة أنسبة الكفار والمنافقين ومن أيديهم بدليل قوله تعالى ( وتحنى الناس والله أعنى أن تخشاهم ) فأمره الله تقوى أخرى فرق ما ينبغي بحيث نسبة الخلق ولا يريد إلا الحق وزاد الله به درجته فكان ذلك إشارة له . ( يا أيها النبي ) أنت ما ينبغي في الدرجة التي يقع منك تقوى . مثل تقوى الأحاد أو تقوى الآحاد بل لا يقع منك إلا تقوى نفسك ألا ترى أن الإنسان إذا كان يخاف موت مال إن هجم عليه عظم يفقد فقه يدخل عن المال ويهرب ويتركه . فكذلك النبي عليه الصلاة والسلام أمر بمثل هذه التقوى ومع هذه التقوى لا يقع الخوف من أحد غير الله وخرج هذا مخرج قول القائل لم يخاف زيداً أو خفاً عاماً فإن زيدا لا يقدر عليك إذا كان عمرو مملك فلا يكون ذلك أمراً بالخوف من عمرو فانه يخافه وربما يكون ذلك نبأ عن الخوف من زيد في ضمن الأمر زيادة الخوف من عمرو حتى ينسبه زيدا .

ثم قوله تعالى ( ولا تطع الكافرين والمنافقين ) يقرر قولنا أي اتق الله تقوى يمنعك من طاعتهم .

المسألة الثالثة ( لم خص الكافرين والمنافقين بالذكر مع أن النبي صلى الله عليه وسلم يسمي أن لا يطع أحداً غير الله ) نقول لو جهي ( أحدهما ) أن ذكر المر لا حاجة إليه لأن غيرهما لا يطلب من النبي عليه الصلاة والسلام الاتباع ، ولا يتوقع أن يصبر الذي عليه السلام مطيعاً له على بقصد اتباعه ولا يكون عنده إلا مطاعاً ( والثاني ) هو أنه تعالى لما قال ( ولا تطع الكافرين والمنافقين ) منع من طاعة الكل لأن كل من طاب من النبي عليه الصلاة والسلام طاعت فهو كافر أو منافق لأن من يأمر بشي عليه الصلاة والسلام بأمر أمر إيجاب معتقداً على أنه لو لم يفعله بعباده يفتي يكون كافراً .

ثم قال تعالى ( إن الله كان عليماً حَكِيماً ) إشارة إلى أن التقوى ينبغي تكون من صميم فلك لا تحق في نفسك تقوى غير الله كما يفعله الذي يرى من نفسه الشجاعة حيث يخاف في نفسه ويضبط فان التقوى من الله ومرض عليه . وقوله ( حَكِيماً ) إشارة إلى دفع وهم وهم وهو أن منوها لو قال إذا قال الله شيئاً وقال جميع الكافرين والمنافقين مع أنهم أقرب النبي عليه الصلاة والسلام شيئاً آخر ورأوا المصلحة فيه وذكروا وجهاً مقبولاً . فانما لهم لا يكون إلا مصلحة فقال الله

وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جُوفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٣﴾

تعالى إنه حكيم ولا تكثرن الصلحة إلا في قول الحكيم ، فإنا أمرنا الله بئس ، فاتبه ولو منعك  
أعمل لعالم عنه .

قوله تعالى : ﴿١﴾ واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً ، وتوكل على الله  
وكفى بالله وكيلاً ، ما جعل الله لرجل من قلوب في جوفه ، وما جعل أزواجكم أدعياءكم أنادكم  
ذلك قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴿٣﴾ .

بقره ما ذكرنا من أنه حكيم فاتباه هو الواجب . ثم قال تعالى ( إن الله كان بما تعملون  
خبيراً ) لما قال إنه عليم بما في قلوب استاذ بين له عالم خبير بأعمالكم فسودوا قلوبكم وأصنعوا  
أعمالكم . ثم قال تعالى ( وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ) يعني اتق الله وإن فرمت من أحد  
توكل على الله فانه كفى به دافعاً يدفع ولا يضر معه شيء ، وإن ضر لا يضر مع شيء .

ثم قال تعالى ( ما جعل الله لرجل من قلوب في جوفه ) قال بعض المفسرين الآية نزلت في أبي  
معمر كان يقول لظلي أعم وأقيم بأحدكما أكثر بما يصعب محمد ورد الله عليه بقوله ( ما جعل  
الله لرجل من قلوب في جوفه ، وقال الزمخشري قوله ( وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن  
أُمَّهَاتِكُمْ ) أي ما جعل لرجل ظنين كما لم يجعل لرجل أمين ولا لآلئ أمين . وكلاهما ضعيف من الحق  
أن يقال إن الله تعالى لما أمر النبي عليه الصلاة والسلام بالانكاح بقوله ( يا أيها النبي اتق الله )  
مكان ذلك أمر أنه يشترى لا يكون فوقها تقوى ومن يتق ويحافظ شيئاً عوداً شديداً لا يدخل في  
قلبه شيء ، آخر الآية أن الخائف الشديد الحرف يسي مسانه حاله الخوف فكان الله تعالى قال  
يا أيها النبي اتق الله حق تقائه ، ومن حفظها أن لا يكون في ذلك تقوى غير الله فإن المرء ليس له  
قربان حتى يتق بأحدكم الله وبالأخرة غيره فإن اتق غيره ولا يكون ذلك إلا بصرف القلب عن  
جهة الله إلى غيره وذلك لا يليق بالمتق الذي يدعي أنه يتق الله حق تقائه ، ثم ذكر الله عليه  
الصلاة والسلام أنه لا ينبغي أن يتق أحداً ولا مثل ما اتقيت في حكاية زينب زوجة زيد حيث  
قال الله تعالى ( ونحشني الناس وإنه أحسن أن تحشني ) يعني مثل تلك التقوى لا ينبغي أن تدخل في



فذلك . ثم لما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام تلك الحالة ذكر ما يدفع عنه السر . فقال ( وما جعل أدعجاكم أبناءكم ) أي وما جعل الله دعي أفرأيه ثم قدم عليه ما هو دليل قري على انتفاع النصح وهو قوله ( وما جعل لأزواجكم اللاتي تظاهرون منهن أهنأكم ) أي أنكم إذا ظنتم لأزواجكم أنتم على كتمان أي على كتمانكم هي أمأ بأجماع الكل ، أمأ في الإسلام فلا تظاهر إلا بحرم اقترانه . وأمأ في الحالة فلا تظاهر إلا بما كان يجوز أن يزوجه بها من جديد . فإذا كان قول القائل زوجه أنت أي أو كتمان أي لا يوجب صبره الزوجة أمأ كذلك قول القائل للذي أنت أي لا يوجب كرهه أمأ فلا تصبر زوجته إلا بنكاح لا حد أن يقول في ذلك شيئاً علم بكل حوافك من الناس له وجه كيف ولو كان أمراً محمواً ما كان يجوز أن تتألف فيه الله أو ليس لك فلان وأنتك مشمول بقولي الله فلا كان ينبغي أن تتألف أمأ

ثم قال تعالى ( ذلكم قولكم بأفواهكم ) فيه لطيفة وهو أن الكلام المتعبر عن نسيان ( أهدم ) كلام يكون عن شيء كان فيقال ( والثاني ) كلام . قال فيكون كاذب والاول كلام الصادقين الذين يقولون ما يكون والآخر كلام المتصدقين الذين إذا قالوا شيئاً جعله الله كالقول وكلامها صادر عن قلب والكلام الذي يكون بالغم حسب هو مثل نيق الخار أو يبلغ للكلب ، لأن الكلام المتعبر هو الذي يندفع عليه والذي لا يكون عن قلب وروية لا اعتناء عليه . والله تعالى لما كرم ابن آدم وفضله على سائر الحيوانات ينبغي أن يحترز من التخلق بأخلاقها ، فنقول للقائل : هذا ابن فلان مع أنه ليس ابنه ليس كلاماً بأن الكلام في النزاهة وهذا في الغم لا غير ، واللطيفة هي أن الله تعالى هذا قال ( ذلكم قولكم بأفواهكم ) وقال في قوله ( وقالت لصداقته المسبح أن الله ذلك قولهم بأفواههم ) يعني لغة تشخص إلى غير الأب قول لا حقيقة له ولا يخرج من قلب ولا يدخل أيضاً في قلب فهو قول بالغم مثل أصوات البهائم .

ثم قال تعالى ( والله يقول الحق ) إشارة إلى معنى لطيف وهو أن القائل ينبغي أن يكون قوله إما عن عقل أو عن شرع فإذا قال فلان ابن فلان ينبغي أن يكون عن حقيقة أو يكون عن شرع بأنه يكون ابنه شرعاً وإن لم يطر الحقيقة كمن تزوج بامرأة فولدت لسته أشهر ولها وكانت الزوجة من قبل زوجه شخص آخر محتمل أن يكون الولد منه فإنا ننحى بالزوج الثاني لقيام القرائن فنقول إنه ابنه وفي الدعوى لم توجد الخصبة ولا ورد الشرع به لأنه لا يقول إلا الحق وهذا خلاف الحق لأن أباه مشهور ظاهر زوجه أمر فيه وهو أنهم قالوا هذه زوجة الابن فنحرم وقال الله تعالى هي لك حلال . وقولهم لا اعتبار به فإنه بأفواههم كأصوات البهائم ، وقول الله حق فيجب اتباعه وقوله ( وهو بهدي السنين ) يؤكد قوله ( والله يقول الحق ) يعني يجب اتباعه لكونه حقاً ولكونه عادياً وقوله تعالى ( ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق ) فيه لطيفة وهو أن الكلام الذي بالغم حسب تشبه صوت البهائم الذي يوجد لا عن قلب ، ثم إن الكلام الذي بالقلب قد

ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَمَا تُحْسِنُوا  
 الَّذِينَ وَمَوْلَاكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ  
 وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ④

يكون حقاً وقد يكون باطلاً ، لأن من يقول شيئاً من اعتقاد قد يكون مطابقاً فيكون حقاً ، وقد لا يكون فيكون باطلاً ، فالقول الذي بالقلب وهو المختبر من أقوالكم فهو يكون حقاً وقد يكون باطلاً لأنه يقع الوجود ، وقول الله حق لأنه بنفسه الوجود فانه يقول عما كان أو يقول بغيره . فإذا قول الله خير من أقوالكم التي عن قلوبكم فكيف تكون نسبة إلى أقوالكم التي بأفواهكم . فاذن لا يجوز أن تأخذوا بقولكم الكاذب اللافي وتركوا قول الله الحق فمن يقول بأن نروج النبي عليه الصلاة والسلام بزييف لم يكن حسناً يكون قد ترك قول الله الحق وأخذ يقول خرج عن الله . ثم قال تعالى ( وهو يهدي السبيل ) إشارة إلى أن اتباع ما أقول الله خير من الأخذ بقول الغير . ثم بين الهداية وقال ( ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آبائهم فافخروا في الدين وهو اليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً ) قوله تعالى ( ادعوهم لأبائهم ) أرشدوا قال ( هو أقسط عند الله ) أي أعدل فانه وضع انتهى في موضعه وهو محتمل وجهين ( أحدهما ) أن يكون ترك الإضافة للعموم أي أعدل كل كلام كقول القائل الله أكبر ( وثانيها ) أن يكون ما تقدم منوياً كأنه قال ذلك أقسط من قولكم هو ابن فلان ثم نعم الإرشاد وقال ( فان لم تعلموا آبائهم فافخروا في الدين وموالبكم ) يعني قولوا لهم إخواننا وأخبر فلان فان كانوا محرومين فقولوا مولى فلان . ثم قال تعالى ( وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ) يعني قول القائل لغيره يا بني بطريق التشفقة ، وقول القائل لغيره يا بني بطريق التعظيم ، فانه مثل الخطأ ألا ترى أن القوافي المبين مثل الخطأ وسبق الإنسان فكذلك سبق الإنسان في قول القائل أي والسمو في قوله أي من غير قصد إلى إثبات السب سوء . وقوله ( ولكن ما تعمدت قلوبكم ) مبتدأ خبره محذوف يدل عليه ما سبق وهو الجناح يعني ما تعمدت قلوبكم فيه جناح ( وكان الله غفوراً رحيماً ) يتقرر التوب ويرحم المذنب وقد ذكرنا كلاماً شافياً في المغفرة والرحمة في مواضع . ولقد بطنها هنا فنقول المغفرة هو أن يسره القادر التيسير العاد من تحت قدرته حتى أن العبد إذا ستر عيب سيده بخافة عقابه لا يقال إنه غفر له . والرحمة هو أن يبذل إليه بالإحسان ليجز المرء من إليه لا ليعرض فإن من مال إلى إنسان قدر كالسلطان لا يخال رحمه ، وكذا من أحسن إلى غيره رجاء في غيره أو عرضاً عما صدر منه أنفاً من الإحسان لا يقال رحمه ، إذا علم هذا

أَتَسْبِي أُولَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أُولِيكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿١٩٥﴾

فالغفرة إذا ذكرت قبل الرحمة يكون معناها أنه ستر عليه ثم رآه مفلساً عاجزاً فرحمه وأعطاه ما كانه . وإذا ذكرت الغفرة بعد الرحمة وهو قليل يكون معناها أنه مال إليه لجزءه فترك عقابه ولم يقتصر عليه بل ستر ذنوبه .

قوله تعالى ﴿ تسبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً ﴾

قوله تعالى (تسبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) تقرير لصحة ما صدر منه عليه الصلاة والسلام من التزوج بزيه وكان هذا جواب عن سؤال وهو أن قائلا لو قال هب أن الأديان تيسرأ بأبناء كانت لك من سماء غيره أبناً إذا كان قدسبه شيء حسن لا يبقى شروعه أن بأعده منه ويطن فيه عرفاً فقال الله تعالى (تسبى أولى بالمؤمنين جواباً عن ذلك السؤال وتقريره هو أن دفع الحاجات على مراتب دفع حاجة الأجيال ثم دفع حاجة الأقارب الذين على حوائج القريب ثم دفع حاجة الأصول والقبول ثم دفع حاجة النفس . والاول عرفاً دون الثاني وكذلك شرعاً فإن الحاجة تحمل الدية عنهم ولا تحملها عن الأجيال والثاني دون الثالث أيضاً وهو ظاهر بدليل التنفص والثالث دون الرابع فإن النفس تقدم على الغير وإليه أشار النبي عليه الصلاة والسلام بقوله (أبدأ بنفسك ثم بمن يقول) إذا علمت هذا فالإنسان إذا كان معه ما يعطى به إحدى الرجلين أو يدع به حاجة عن أحد شئ منه ، فترأخذ الفطاء من أحدهما وتغطي به الآخر لا يكون لأحد أن يقول له لم فعلت ففعلنا أن يقول بقينا فعلت . اللهم إلا أن يكون أحد العضوين أشرف من الآخر مثل ما إذا ولى الإنسان عبته يده ويدفع البرد عن رأسه الذي هو مبدن حوائج ويترك رجليه تبرد فإنه الواجب تحلل . فمن يمسك الأمر يقال له لم فعلت . وإذا تبين هذا فالتسبى صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمن من نفسه ثم دفع المؤمنين حاجة نفسه دون حاجة غيره يكون مثله مثل من يدهن شعره ويكتشف رأسه في برد مضطراً فاصداً به قربة شعره ولا يعلم أنه يؤذى رأسه الذي لا نبت لشعره إلا أنه ، فكذلك دفع حاجة النفس تفرغها إلى عبادة الله تعالى ولا غم بكيفية العبادة إلا من الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلو دفع الإنسان حاجته لا للعبادة فهو ليس

دفعاً للحاجة لأن دفع الحاجة ما هو فوق تحصيل المصلحة وهذا ليس فيه مصلحة فضلاً عن أن يكون حاجة وإذا كان للعبادة ترك التي الذي منه يتعلم حِكْمَةُ العبادة في الحاجة ودفع حاجة النفس مثل تزية الشعر مع إهمال أمر الزمان ، فتبين أن الشيء صلى الله عليه وسلم إذا أراد شيئاً حرم على الأمة التعرض إليه في الحكمة الواضحة .

ثم قال تعالى : هو وأزواجه ممنهاتهم ، فخريراً آخر ، وذلك لأن زوجة النبي ﷺ ما جعلها الله تعالى في حكم الأمم إلا لقطع نظر الأمة عما تعلق به غرض التي عليه الصلاة والسلام ، فإذا تعلق عاظمه بإمرأة شاركت الزوجات في التعلق طرحت مثل ما حرمت أزواجه على غيره . فلو قال قائل كيف قال (وأزواجه ممنهاتهم) وقال من قبل (وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) إشارة إلى أن غير من ولدت لا نصير أمّاً بوجه ، ولذلك قال تعالى في موضع آخر (إن أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم) فتقول قوله تعالى في الآية المتقدمة (وإنه يقول الحق وهو يهدي السبيل) جواب عن هذا سناؤه أن الشرع مثل الحقيقة . ولهذا يرجع المائل عند تقدير اعتبار الحقيقة إلى الشريعة . كما أن أمر اثنين إذا ائتمت كل واحدة ولداً بعينه ولم يكن لها بيته وحلفت إحداهما دون الأخرى حكمها بالرك ، وإن تبين أن التي حلفت دون البلوغ أو بكر بيته لا يحكم لها بالرك ، فثبت أن عدم الوصول إلى الحقيقة يرجع إلى الشرع ، لا بل في بعض المواضع على التدرج تطلب الشريعة الحقيقة ، فإن الزاني لا يجعل أباً لولد الزنا ، إذا ثبت هذا فالشارع له الحكم بقول القائل هذه أمي قول بينهم لأن حقيقة ولا يترتب عليه حقيقة ، وأما قوله (شارع) فهو حق والذي يؤيده هو أن الشارع به الحقائق خفائي فله أن يتصرف فيها ، ألا ترى أن الأمم ما صارت أمّاً إلا بحلق الله الولد في رحمها ، ولو سقط في جوف غيرها لسكنت الأم غيرها ، فإذا كان هو الذي يحمل الأم الحقيقة أمّاً فله أن يسمي امرأة أمّاً ويعطيها حكم الأمومة ، والمذكور في جعل أزواجه أمهاتنا ، هو أن الله تعالى جعل درجة الأب محرمة على الإبر ، لأن الدرجة محل الفرية والتنازع فيها ، فإن تزوج الابن بمن كانت تحت الأب بغض ذلك إلى قطع الرحم والعقوق ، لكن تلتى عليه الصلاة والسلام أشرف وأعلى درجة من الأب وأول بالإرخاء ، فإن الأب يربي في الدنيا بحسب ، والتي عليه الصلاة والسلام يربي في الدنيا والآخرة ، فوجب أن تكون زوجاته مثل زوجات الأنبياء ، فإن قال قائل : ولم لم يقل (إن التي أبوكم) ويحصل هذا المعنى ، أو لم يقل (إن أزواجه أزواجكم) فتقول الحكمة ، وهي أن الشيء لما بينا أنه إذا أورد زوجة واحدة من الأمة وحسب عليه تركها ليتزوج بها متى عليه الصلاة والسلام ، فلو قال أنت أبوكم لم يحرم عليه زوجات المؤمنين على التأيد ، ولأنه لما جعله أولى بهم من أنفسهم وانفس مقدم على الأب لقوله عليه الصلاة والسلام وابدأ بتقريبكم ثم بمن فموت ، ولأنك فإن المحتاج إلى القوة لا يجب عليه صرفه إلى الأب ، ويجب عليه صرفه إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم إن أزواجه لم حكم زوجات

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ  
ابْنُ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٩٧﴾

الآب حتى لا تحرم أولادهم على المؤمنين ولا أخواتهم ولا أمهاتهم ، وإن كان الكل يحرم من في  
الأم الحقيقية والزمانية .

ثم قال تعالى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ  
إِلَّا أَنْ تَهْمَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَرْوَعًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ إشارة إلى الميراث ، وقوله  
(إِلَّا أَنْ تَهْمَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ) مَرْوَعًا إشارة إلى الوصية . يعني إن أوصيتهم هبوا الوارثين أول .  
وإن لم توصوا فالوارثون أول بغير أنكم وبما تركتم ، فإن قيل فلي هذا أي فلي للميراث والوصية  
بما ذكرت نقول فلي قولي لا يبين إلا لمن هداه الله بزره . وهو أن غير النبي عليه الصلاة  
والسلام في حال حياته لا يصير له مال الغير . وبعد وفاته لا يصير ماله لغير ورثته . والنبي عليه  
الصلاة والسلام في حال حياته كان يصير له مال الغير إذا أراد . ولا يصير ماله لورثته بعد وفاته ،  
كأن الله تعالى عوض النبي عليه الصلاة والسلام عن قطع ميراثه بقدرته على تركه مال الغير  
وعوض المؤمنين بأن ماتركهم يرجع إليهم . حتى لا يكون حرج على المؤمنين في أن النبي ﷺ إذا  
أراد شيئاً يصير له ثم يموت ويورثه فيموت عليهم ولا يرجع إليهم فقال تعالى (وَأُولُوا  
الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ) يعني بينكم التوارث فبصيرمان أحدكم لغيره . بالإرث وفلي لا توارث  
بينه وبين غيره فيبني أن يكون له بدل هذا أولى في حياته بما في أيديكم (إثاني) هو أن  
الله تعالى ذكر دليلاً على أن النبي عليه الصلاة والسلام أولى بالمؤمنين وهو أن أولي الأرحام  
بعضهم أولى ببعض . ثم إذا أراد أحدكم جمع صديق فهو أولى بصير أولى من قربه وكأنه  
بالوصية قطع الإرث وقال هذا حال لا ينتقل شيء إلا إلى من أريد . وكذلك الله تعالى جعل  
لصديقه من الدنيا ما أراد ثم ما جعل منه يكون لغيره . وقوله كان ذلك في الكتاب مسطوراً فيه  
وجهاً (أحدهما) في القرآن وهو آية الموارث والوصية (والثاني) في اللوح المحفوظ .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ  
ابْنُ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

وجه فلي الآية بما قبلها هو أن الله تعالى لما أمر النبي عليه الصلاة والسلام بالإفتاء بقوله  
(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّ اللَّهَ) وأكده بالحكاية التي عني فيها الناس لكي لا يخشى فيها أحد غيري . وبين  
أنه لم يرتكب أمراً يوجب الحنث بقوله (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أكده بوجه آخر  
وقال (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ) كأنه قال إن الله ولا تخف أحدًا وإذا ذكر أن الله أخذ ميثاق النبيين  
في أنهم يلقون رسالات الله ولا يخفون من ذلك خوف ولا طمع فيه مسائل :

لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا  
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١١﴾ إِذْ جَاءَ وَكُرْمٌ مِنْ قَوْفِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ

﴿ المسألة الأولى ﴾ المراد من الميثاق المأخوذ من التدين لإبراهيم وأمرهم بالتسليم .

﴿ المسألة الثانية ﴾ خصص بالذكر أربعة من الأنبياء وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى لأن  
موسى وعيسى كانا في زمان نينا قوم وأمة قد ذكرهما استعجاباً على قومهما . وإبراهيم كان العرب  
يقولون فضله وكانوا يبدونه في الشعائر بعضها . ونوحاً لأنه كان أصلاً ثانياً قحاس حيث وجد  
الخلق منه بعد الطوفان . وعلى هذا لو قال قائل فآدم كان أولى بالذكر من نوح فنقول خلق آدم كان  
للمعارة ويوم كانت مثل الإرشاد للأولاد ولهذا لم يكن في زمانه إهلاك قوم ولا تعذيب . وأما  
نوح فكان مخلوقاً فسوقاً وأرسل للأنذار ولهذا أهلك قومه وأغرقوا .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ في كثير من المواضع يقول الله (عيسى بن مريم ، والمسيح بن مريم) إشارة  
إلى أنه لا أب له إذ لو كان لوقع التعريف به . وقوله ( وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ) غلط الميثاق هو  
سؤالهم عما فعلوا في الإرسال كما قال تعالى ( ونفصال المرسلين ) وهذا لأن الملك إذا أرسل  
رسولاً وأمره بشئ . وقبله خبر ميثاق . فإذا أخطأ بأنه يسألك عن حاله في أمته وأمره الله بكون ذلك  
تخليطاً للميثاق عليه حتى لا يزيد ولا ينقص في الرسالة . وعلى هذا يمكن أن يقال بأن لاراد من  
قوله تعالى ( وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض ) وأخذت منكم ميثاقاً غليظاً ) هو الإخبار  
بأنهم مسؤولون عنها كما قال النبي عليه الصلاة والسلام « كلكم راع وكلكم مسئول » وكما أن الله  
تعالى جعل الرعا قوامين على عباد جعل الأنبياء قائمين بأمر أمته وإرشادهم إلى سبيل الرشاد .  
ثم قال تعالى . ﴿ ليسأله الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً ﴾ .

يعني أرسل الرسل وعاقبة المكلفين إما حساب وإما عذاب . لأن الصادق عاقب والكافر  
معذب . وهذا كما قال علي عليه السلام « الدنيا حللها حساب وسراها عذاب » وهذا مما  
يجب الخوف لتمام ميثاقه قوله ( يا أيها النبي اتق الله ) .

ثم قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم  
ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً ، إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ

## زَاغَتْ الْاَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْخَنَاصِرَ وَظَنُّونَ بِاللّٰهِ الظُّنُونَا ①

زَاغَتْ الْاَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْخَنَاصِرَ وَظَنُّونَ بِاللّٰهِ الظُّنُونَا .

نَحْنُ نَسْقِي لِمَا سَقَى مِنَ الْأَمْرِ يَقْوَى فَتَةَ بَحِثٍ لَا يَبْقَى مَعَهُ خَوْفٌ مِنْ أَحَدٍ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فِي وَاقِعَةِ  
اجْتِمَاعِ الْأَحْرَابِ وَاسْتِنَادِ الْأَمْرِ عَلَى الْأَسْخَابِ حَيْثُ اجْتَمَعَ الْمُرْكُوبُ بِأَسْرَمِ وَالْيَهُودِ بِأَجْمَعٍ  
وَزَلُّوا عَلَى الْمُدْفَعَةِ وَعَمِلَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْخَدَقُ . كَانَ الْأَمْرُ فِي غَايَةِ الشَّدَةِ وَالْخَوْفِ بِالْعَالَمِ إِلَى  
الْعَايَةِ وَاللّٰهُ دَعَا الْقَوْمَ عَنْهُمْ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ وَأَمَّنَهُمْ مِنَ الْخَوْفِ فَيَسْنِي أَنْ لَا يَخَافَ الْمَدَّ خَيْرُ رَبِّهِ فَانَّهُ  
كَفَى أَمْرَهُ وَلَا بِأَنْ مَكَّرَ فَانَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَكَانَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَقْبِرَ الْمُسْلِمِينَ بِالْكَفَادِ مَعَ  
أَنَّهُمْ كَانُوا مُصَنَّفًا كَمَا قَبِرَ الْكَافِرِينَ بِالْمُؤْمِنِينَ مَعَ قَوْمِهِمْ وَشَوْكِهِمْ ، وَقَوْلُهُ ( فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا  
وَحْنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ) بِإِشْلَاقٍ إِلَى مَا فَعَلَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ إِسْرَالٍ وَبَحْ بِأَوْدَةٍ عَلَيْهِمْ فِي لَيْلَةٍ شَانِيَةٍ وَإِسْرَالِ  
الْمَلَائِكَةِ حَرْفَ الرَّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ حَتَّى كَانَ الْإِنْسَانُ يَلْتَرِقُ بِالْحُضْضِ مِنْ خَوْفِ الْجَبَلِ فِي جُوفِ  
الْجِبَلِ وَالْخُكَّانَةِ مَشْرُودَةً ، وَقَوْلُهُ ( رَكَانَ اللَّهِ عَسَى تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ عَلِمَ اتِّجَاهَكُمْ  
إِلَيْهِ وَدَجَاكُمْ فَخَذَلَ مَصْرَكُمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ عِنْدَ الْاسْتِنَادِ ، وَهَذَا يَقْرِيرُ لَوْجُوبِ الْخَوْفِ وَعَدَمِ  
جَوَازِ الْخَوْفِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ فَإِنَّ قَوْلَهُ ( فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَحْنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ) أَيْ اللَّهُ يَفْضِي حَاجَتَكُمْ  
وَأَنْتُمْ لَا تَرَوْنَ ، فَإِنَّ كَانَ لَا يَظْهَرُ لَكُمْ وَجْهُ الْأَمْنِ فَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى عَدَمِ ظُهُورِهِ لَكُمْ لِأَنَّكُمْ لَا تَرَوْنَ  
الْأَشْيَاءَ فَلَا تَخَافُونَ غَيْرَ اللَّهِ ( وَاللّٰهُ يَصِيرُ عَسَى تَعْمَلُونَ ) فَلَا تَقُولُوا بَأَنَا نَحْمِلُ شَيْئًا وَهُوَ لَا يَصْرِفُهُ  
( فَانَّهُ يَكُلُ شَيْءًا يَصِيرُ ) وَقَوْلُهُ ( إِذْ جَاؤَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ) يَأْنِ لَشَدَةِ الْأَمْرِ وَغَايَةِ  
الْخَوْفِ ، وَقِيلَ ( مِنْ فَوْقِكُمْ ) أَيْ مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ ( وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ) مِنْ جَانِبِ الْمَغْرِبِ وَمِنْ  
أَعْلَى مَكَانٍ زَاغَتْ الْاَبْصَارُ أَيْ مَالَتْ عَنْ سَقَمِهَا فَلَمْ تَلْقُفْ إِلَى الْعَدُوِّ لَتَكْتَفِرَنَّ ( وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ  
الْخَنَاصِرَ ) كِتَابَةٌ عَنْ غَايَةِ الشَّدَةِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقُلُوبَ عِنْدَ الْغَضَبِ يَتَدَفَّقُ وَغَدَّ الْخَوْفُ يَجْتَمِعُ فَيَتَأَمَّرُ  
فَيَأْخُذُ بِالْخَشْيَةِ وَقَدْ يَفْهَمُ ذَلِكَ أَنَّ الْبَدَنَ يَجْرِي النَّفْسَ فَلَا يَقْدِرُ الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ وَبَيَّوتٍ مِنَ الْخَوْفِ  
وَلَكِنَّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ( حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الرُّوحُ الْحَقْقُومَ ) يَقُولُهُ ( وَظَنُّونَ بِاللّٰهِ الظُّنُونَا ) الْآلِفُ وَاللَّامُ يُمْكِنُ  
أَنْ يَكُونَا بِمَعْنَى الْاسْتِغْرَاقِ مِثَالِيَّةٍ بِمَعْنَى ظَنُّونَ كُلِّ طَرَفٍ لِأَنَّ عِنْدَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ كُلِّ أَسَدٍ بَطْنٌ شَبِيحٌ  
وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ شُؤْنَهُمْ الْمَجْهُودَةَ ، لِأَنَّ الْمَجْهُودَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ خَلَّيَ بِاللّٰهِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
« غُثُوًّا بِاللّٰهِ خَيْرًا » وَمِنَ الْكَافِرِ الظَّنُّ السُّوءُ . كَمَا قَالَ تَعَالَى ( ذَلِكَ عَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا ) وَقَوْلُهُ ( إِنَّ  
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ) فَإِنَّ قَالَ قَاتِلُ الْمُسَدِّ لَا يَجْمَعُ ، فَا الْمُنَادِيَةُ فِي جَمْعِ الظُّنُونِ تَخْتَصِرُ لِأَنَّكَ فِي اللَّهِ  
مَنْصُوبٌ عَلَى الْمُسَدِّ وَلَكِنْ الْأَسْمُ قَدْ يَجْعَلُ مُصَدَّرًا كَمَا يَفْعَلُ حَرْبُهُ سِيَاخًا وَأَوْدَتُهُ مَرَارًا فَكَانَهُ  
كَأَنَّ ظَنَّتُمْ ظَنًّا بَعْدَ ظَنٍّ أَيْ مَا تَتَّبِعُ عَلَى ظَنٍّ فَالْمُنَادِيَةُ هِيَ أَنَّ اللَّهَ نَسَأَلُ لَوْ قَالَ : ظَنُّونَ ضَلًّا ، جَازٍ  
أَنْ يَكُونُوا مُصَيِّبِينَ فَإِنَّا قَالُ : ظَنُونَا ، تَبَيَّنَ أَنَّ فِهْمَ مَنْ كَانَ ظَنَّهُ كَاذِبًا لِأَنَّ الظُّنُونُ قَدْ تَكْتَفِي بِهَا

هَذَا إِلَهُ ابْنِ التَّوْحِيدِ وَزَلُّوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمَشْغُفُونَ  
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ  
مِنْهُمْ إِنَّا لَمُبْتَلُونَ لَكُمْ فَارِجٌ مَوَدَّةً مِنْ رَبِّكُمْ قَالُوا لَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقُولُ  
إِنْ يَبْرَأَ غُرُورًا وَمَا هِيَ بِعَوْدَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾

وقد يكذب بعضها إذا كانت في أمر واحد مثله إذا رأى جمع من بعيد حسبا وظن بعضهم أنه زيد  
وآخرهم أنه عمرو وقال ثالث إنه بكر ، ثم ظهر لهم الحق قد يكون الكل عطفين والمرئي غير  
أو حصر . وقد يكون أحدهم مصيأ ولا يمكن أن يكونوا كلهم مصيئين قوله ( الفترنا ) أفاد أن  
فيهم من أعطى الظن ، ولو قال نظرون بالله ظناً ما كان بعيد هذا .  
ثم قال تعالى : ﴿ هَذَا إِلَهُ ابْنِ التَّوْحِيدِ وَزَلُّوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ .

أي عند ذلك اتضح أنه المزعوم صغير الصادق عن المنافق ، والاضحاح من الله ليس لاضحاح  
الامر له بل لحكمة أخرى وهي أن الله تعالى علم بما هم عليه لكنه أراد إظهار الامر لغيره من  
الملائكة والأنبياء ، كما أن السيد إذا علم من عبده الخائفة وعزم على عقابته على عاقبته وعنده غيره من  
العبيد وغيرهم فيأمره بأمر طائفاً بأنه يخالفه فيمن الامر عند الغير فضع المصافية على أحسن الوجوه  
حيث لا يقع لأحد أنها ظلم أو من جهة حلم وقوله ( وزلزلوا ) أي أزعجوا وحركوا فمن ثبت منهم  
كان من الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم . وبذكر الله تعلقت مرة أخرى ، وهم المؤمنون حقاً .  
ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ،  
وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ  
يَبْرَأَ غُرُورًا وَمَا هِيَ بِعَوْدَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ .

فسر الظنون وبينها . ظن المنافقون أن ما قال الله ورسوله كان زوراً ، ووعدهما كان غروراً أي  
تخلوا بأن الخبة راقية وقوله ( وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ لَا مَقَامَ لَكُمْ ) أي لا وجه لإظهاركم  
مع محمد كما يقال لا إقامة على القتل والموت أي لا وجه لها ( ويبرأ ) اسم لفظة التي هي المديفة  
فارجعوا أي من عند ، واتفقوا مع الأحزاب فخرجوا من الأحزاب ثم السامعون عزموا على الرجوع  
واستأذوه وتطلوا بأن يبرأ مرة أي فيها خلل لا يأمن صاحبها السارق على متاعه واليسوع على  
أتباعه ثم بين الله كذبهم بقوله ( وما هي بعودة ) وبين تصدم وما تكن صدورهم وهو الفترار  
وذوال القرار بسبب الخوف .



وَلَقَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ افْطَارِهَا ثُمَّ سَلُوا الْفِتْنَةَ لَا تَوَّاهَا وَمَا تَنْبِئُوهَا بِهَا إِلَّا بَسِيرًا  
 ١٤ وَلَقَدْ كَانُوا عِندَ اللَّهِ مِن قَبْلُ لَا يُولُونَ إِلَّا ذِكْرًا وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا  
 ١٥ قُلْ لَّيْسَ بِشَعْنِكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَعُونَ إِلَّا  
 قَلِيلًا ١٦ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِن أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ  
 رَحْمَةً وَلَا تَجِدُونَ لَهْم مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ١٧

قوله تعالى : ﴿ ولقد دخلت عليهم من افطارها ثم سئلوا الفتنه لا توهوها ، انبئوها بها إلا بسيراً ﴾  
 إشارة إلى أن ذلك الفرار والرجوع ليس بحفظ البيوت لأن من يفعل ذلكا لغرض ، فإذا قامه  
 الغرض لا يبق له كمن يبدل المال لكي لا يتخذ منه يته فإذا أخذ منه البيت لا يثبت فقال الله تعالى  
 هم قالوا بأن رجوعنا عنك لحفظ بيوتنا ولو دخلها الاحزاب وأخذوها منهم لرجعوا أجمعاً ، وليس  
 رجوعهم عنك ولا بسبب كفرهم وسبهم الفتنه ، وقوله ( ولقد دخلت عليهم ) احتمل أن يكون  
 المراد المدينة واحتمل أن يكون البيوت ، وقوله ( وما تنبئوها ) احتمل أن يكون المراد الفتنه ( إلا  
 بسيراً ) فإنها زبون وتسكون العاقبة للفتن ، واحتمل أن يكون المراد المدينة أو البيوت فأي ما تنبئوها  
 بالمدينة إلا بسيراً قالت المؤمنین يخرجوهن .

ثم قال تعالى : ﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يملكون الأدبار وكان عبد الله مسئولاً ،  
 قل لئ ينفقكم الفرار إن فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا . ﴾

بياناً لقصد سررتهم ، وفيه سيرتهم انفسهم العهود فاعلم قبل ذلك تخلفوا وأظهروا عذراً  
 وندماً ، وذكروا أن القتال لا يزال لهم قدماً ثم عدهم بقوله ( وكان عبد الله مسئولاً ) وقوله ( قل  
 لئ ينفقكم الفرار إن فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ) إشارة إلى أن الامور مقدرة لا يمكن الفرار  
 عما وقع عليه الفرار ، وما قدره الله كان من أمر بشئ ، إذا سلمه بين في راحة العقاب آجلاً ولا  
 ينفع بالخلافة عاجلاً ، ثم قال تعالى ( وإذا لا تنتعون إلا قليلاً ) كأنه يقول ولو فَرَرْتُمْ منه في يومكم  
 مع أنه غير ممكن لما دهم بئ لا تنتعون إلا قليلاً فالداخل لا يرغب في شئ ، قليل مع أنه بقوت  
 عليه شيئاً كثيراً ، فلا فرار لكم ولو كان لما منهم بعد الفرار إلا قليلاً .

قوله تعالى : ﴿ قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا  
 تجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ .

قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَانْقَابَ عَلَيْكُمْ فَلْيَنْصِرُوا لِلَّهِ وَلِلَّهِ الْفَوْزُ  
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ أَشْجَىٰ عَلَيْكُمْ إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْظُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ  
كَالَّذِي يُغْتَنَّىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا ذُكِبَ الْخَوْفُ سَمِعُوكُمْ بِأُنْثَىٰ جَدَاةٍ اشْحَىٰ  
عَلَىٰ أَخْبَرٍ أُولَٰئِكَ لَمْ يَأْمُرُوا اللَّهَ أَنْ يُخْلِقَهُمْ وَأَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِسِيرًا ﴿١٦﴾

بياناً لما تقدم من قوله ( لن ينصركم الله ) وقوله ( ولا يجدون لهم من دون الله نصيراً )  
قوله ( مردا الذي يصعبكم ) أي ليس لكم ولي يشفع لحبب إليكم ولا نصير يتبركم ويدفع  
عنكم السوء إذا أتاكم .

قوله تعالى : ﴿ قد يعلم الله الموقنين منكم ﴾ والذين لا يخافونهم علم البتة ولا يأتون البأس  
إلا قليلاً : أشجع عليكم ﴿ ١٥ ﴾ .

أي الذين يطمنون المسلمون ويقولون تعالوا إلينا ولا تخافوا مع محمد صلى الله عليه وسلم وفيه  
وجوه ( أحدها ) أنهم المشافقون الذين كانوا يقولون لأعدائهم لا تخافوا وأسرا محمداً إلى فريضة  
( وثانيها ) اليهود الذين كانوا يقولون لأهل المدينة تعالوا إلينا وكونوا معنا وهم يعني تعال أو  
احضر ولا تجمع في آفة الميعاد وتجمع في غيرها فقال للبيعة هلوا ولتسا هلين ، وقوله ( ولا  
يأتون البأس إلا قليلاً ) يؤيد الروحة الأولى وهو أن المراد منهم المشافقون وهو يحصل وجهين  
( أحدهما ) ( لا يأتون البأس ) يعني يخطون عنكم ولا يخرجون منكم وحيفت قوله تعالى ( أشجع  
عليكم ) أي بخلاف حيث لا يفتقون في سبيل الله شيئاً ( وثانيها ) ( لا يأتون البأس ) يعني لا يخافون  
منكم ويتحذرون عن الاشتغال بالقتال وقت الحضور معكم ، وقوله ( أشجع عليكم ) أي ما ضمم  
وأبداهم .

قوله تعالى : ﴿ فإذا جاء الخوف رَأَيْتَهُمْ يَقْظُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَّىٰ عَلَيْهِ مِنَ  
الْمَوْتِ إِذَا ذُكِبَ الْخَوْفُ سَمِعُوكُمْ بِأُنْثَىٰ جَدَاةٍ اشْحَىٰ عَلَى الْخَبَرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمَرُوا أَنْ يُخْلَقُوا فَاعْلَمُوا  
أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِسِيرًا ﴾ .

يشارة إلى غلبة جنهم ونهاية دواعيهم ، واعلم أن البخل شيء الجبن ، فلما ذكر البخل جن منه  
وهو الجبن والذي يدل عليه هو أن الجبان يبخل بماله ولا ينفقه في سبيل الله لأنه لا يتوقع النفع

يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي  
 الْأَحْزَابِ يَسْفُلُونَ عَنْ أَنبَاءِ يَكْرَهُوا لَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۝ لَقَدْ  
 كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ  
 كَثِيرًا ۝

فلا يرسلوا الغلبة فيقول هذا اتفاق لأجل له فينوقف فيه ، وأما التجماع فيبين الغفر والاعتناء  
 فيكون عليه إخراج المال في القتال ملتبساً فيها هو اعتناء ذلك ، وأما النفس والبدن فكذلك  
 فإن الجبان يخاف فرسه ويتصور القتل فيجبن ويترك الإقدام ، وأما التجماع فيحكم بالطلبه وانصر  
 فيقسم ، وقوله تعالى ( فإذا ذهب الحرف سفلوكم ) أي غلبوكم بالأسنة وأتوكم بكلامهم يقولون  
 نحن الذين قاتلنا دينا انصرتكم وكسرتهم العدو وغررتهم ويطلبونكم بالقسم الأوفر من الغلبة  
 وكانوا من قبل راضين من الغلبة بالإياب ، وقوله ( أشعة على الخير ) قيل الخير المال ويمكن  
 أن يقال معناه أنهم قليلوا الخير في الجانبين كثيرو الشر في الوقتين في الأول يبتغون ، وفي  
 الآخر كفتلك .

ثم قال تعالى ( أورتكم ) أي أروا فاحيط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً ) يعني لم  
 يؤمنوا حقيقة وإن اطهروا الإيمان لفظاً فأحيط الله أعمالهم التي كانوا بأنون بها مع المسلمين  
 وقوله ( وكان ذلك على الله يسيراً ) إشارة إلى ما يكون في نظر الناظر كما في قوله تعالى ( وهو  
 أهدى عليهم ) وذلك لأن الإحباط إعدام وإعداد ، وإعدام الأجسام إذا نظر الناظر بقول الجسم  
 بتفريق أجزائه ، فإن من أحرق شيئاً يبق منه رماد ، وذلك لأن الرماد إن مرقة الرج يبق منه  
 قرات ، وهذا مذهب بعض الناس وألقوا بأن الله يعدم الأجسام ويعدم ما يشاء منها ، وأما العمل  
 فهو في العين ممدوم وإن كان يبق يبق بحكته وآثاره ، فإذا لم يكن له عائدة واعتبار فهو ممدوم  
 حقيقة وسكاً فالعمل إذا لم يمتد فهو ممدوم في الحقيقة بخلاف الجسم .

قوله تعالى : ﴿ يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يدعونهم بآدئون في  
 الأحزاب يسألون عن أنباءكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً ، لقد كان لكم في رسول الله  
 أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ .

أي من غاية الجبن عند ذهابهم كانوا يخافونهم وعند مجيئهم كانوا يدعونهم ليدعونهم في البؤادى  
 ولا يكونون بين المقاتلين معاً ، عند حضورهم كانتهم غائبون حيث لا يقاتلون فأحال تعالى

وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ  
 وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿١٧﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا  
 اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿١٨﴾ لِيَجْزِيَ  
 اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ  
 كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٩﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يَأْتُوا خَيْرًا وَكَفَى  
 الْمُؤْمِنِينَ الْفِتْنَةَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٠﴾

(ولو كانوا فيكم لما قلنا إلا قليلا) .

قوله تعالى : ﴿١٧﴾ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق  
 الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴿١٨﴾ .

لما بين حال المنافقين ذكر حال المؤمنين وهو أنهم قالوا هذا ما وعدنا الله من الابتلاء ثم قالوا  
 (وصدق الله ورسوله) في مقابلة قولهم (ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) وقولهم (وصدق الله  
 ورسوله) ليس إشارة إلى ما وقع فاتهم كانوا يبرفون صدق الله قبل الوقوع وإنما هي إشارة إلى  
 بشارته وهو أنهم قالوا (هذا ما وعدنا الله) وقد وقع وصدق الله في جميع ما وعد فوقع الكل مثل  
 فتح مكة وفتح الروم وفارس وقوله (وما زادهم إلا إيماناً) بوقوعه وتسليماً عند رجوعه .

ثم قال تعالى : ﴿١٨﴾ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من  
 ينتظر وما بدلوا تبديلاً ، ليجزي الله الصادقين بصدقهم وينصب المنافقين إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ  
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ، ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ركنى الله المؤمنين القتال  
 وكان الله قوياً عزيزاً ﴿١٩﴾

إشارة إلى وفاتهم بمهدهم الذي عاهدوا الله أنهم لا يفلتون فيه إلا بالموت فمنهم من قضى  
 نحبه أى قاتل حتى قتل غرقاً بغيره والتعب القتل ، ومنهم من هو بعد في القتال ينتظر الشهادة وجاء  
 بالمهد وما بدلوا تبديلاً بخلاف المنافقين فإنهم قالوا لا نولي الأديار قبلوا قولهم وولوا أديارهم  
 وقوله (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) أى بصدق ما وعدهم في الدنيا والآخرة كما صدقوا  
 مواهدهم وينصب المنافقين الذين كذبوا وانقلبوا وقوله (إن شاء) ذلك فيعصمهم من الإيذاء

وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتِنَا أَنْتَ بَصِيرٌ بَعِيدٌ وَأَسْرَأُ إِلَيْكَ أَنْتَ بَصِيرٌ بَعِيدٌ  
الرَّعْبَ فَرِيضًا تَقْتُلُونَ وَيَأْسُرُونَ فَرِيضًا ﴿٥٥﴾

أو يذوب عليهم إن أراد . وإنما قال ذلك حيث لم يذكر قد حصن بأس الذي عليه الصلاة والسلام عن إيمانهم وأمر صدق ذلك ناس منهم وقوله ( وكان الله غفورا ) حيث سار ذنوبهم و ( رحيا ) حيث رحمهم وروثهم الإيمان فكانوا هذا فمن آمن بعد أو خول ( ويذوب المانع ) مع أنه كان مصورا رحيا لكثرة ذنوبهم وقوة حرمهم ولو كان مود . ذلك لغفر لهم ثم بين بعض ما سارهم الله به على صدقهم فقال ( يورد الله الذين كفروا تذيبهم ) أي مع عظيم لم يشعروا صدرا ولم يغفروا أمر ( وكنى الله المؤمنين فقال ) أي لم يحرمهم إلى قتال ( وكان الله قويا ) خير محتاج إلى نظام عزيا قادر على اتصال الكفار وإذلالهم .

قوله تعالى ﴿ ٥٥ ﴾ وأرسل الدين طاهرهم من أهل الكتاب من صبايحهم وخلف في قلوبهم الرعب فريضا تقتلون ويأسرون فريضا ﴿ ٥٥ ﴾

أي عاديهم من أهل الكتاب وهم بنو قريظة من صبايحهم من قلاعهم وخلف في قلوبهم الرعب حتى سلوا تسبب القتل وأولادهم وأصلهم الذي فريضا تقتلون وهم الرجال . وأأسرون فريضا وهما الصبيان والدعوان . قال قبل هل في تقديم المقول حيث قال فريضا تقتلون وتأخيرها حيث قال ( ويأسرون فريضا ) فائدة : قلت قد أجابنا أن ما مر شي من القرآن إلا وله فوائد منها ما يظهر ومنها ما لا يظهر . والذي يظهر من هذا والله أعلم أن القتال يبدأ بالأهم فالأهم والأخف فالأخف . والأقرب فالأقرب . والرجال كانوا مشهورين وكان القتل وأرأى عليهم والأخفى كانوا هم النساء والصغار ولم يكونوا مشهورين والسبي والأسر أظهر من القتل لأنه بين يظهر لكل أحد أنه ليس غدر من المظن ما هو أشهر عن الفعل فاعلم به وما هو أسهر من القتل قدمه على الحق الأسمى . وإن شذنا نقول بعبارة ثواني المسائل النجوة فقول قوله ( فريضا تقتلون ) فعل مضارع ولا نص في آخره ففعلية تقدم الفعل على المقول والفاعل . أما أنها جملة فعلية فلا لأنها لو كانت أسمية لكانت الواجب في فريق الرعب وكان يكون منهم تقتلونهم فلا يصح كان ذلك فعل مضارع بصيغة العاطف ففعلية تقتلون فريضا تقتلون والمحال على مثل هذا الكلام شدة الإلتزام ببيان المقول . وهذا كذلك لأنه تعالى لما ذكر حال تقدر طاهرهم وأنه قد في قلوبهم الرعب فهو قال يقتلون إلى أن يسمع السامع معقول يقتلون يكون زمان وقد يمتنع مانع وقوته فلا يعلم أنهم يقتلون . فلما إذا قال فريضا مع سبق في قلوبهم الرعب إلى سمعه يستمع إلى تمام الكلام وإذا كان الأول فعلا ومفعولا ففعل المضارع فاعلم أنه الثانية عليها على

وَأُورِدْكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَالرِّبَا لَمْ تَنْقُصْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبِّهَا فَامْلِكْنَ فَتَمْلِكْنَ وَأَسْرِحْكِ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِذِنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ أَعْدَاءَ الْمُؤْمِنِينَ مَكْنٌ أَعْرَاطِيهَا ﴿٢٩﴾

الاصل قدم تقديم الفعل لوزن موجب التقديم إذا عرف حاله وما يحى بعده يكون مصروفاً إليهم . ولو قال بعد ذلك ورفيعاً فأمرهم لمن سمع رفيعاً ربما يفسر أن يقال إليهم يعلقون ، أو لا يقدرون عليهم فكان تقديم الفعل هنا أولى . وكذلك الكلام في قوله ( وأمرن للذين طاهروا ) وقوله ( ووقف ) فإن وقف الرعب قبل الإزالة لأن الرعب صار سبب الإزالة ، ولكن لما كان المرح في الإزالة أكثر . قدم الإزالة على حذف الرعب والله أعلم .  
قوله تعالى : ﴿ وأوردكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تقصوها وكان الله على كل شيء قديرًا ﴾ .

به ترتيب على ما كان . فإن المؤمنين أولاً تمكنوا أرضهم بانزول فيها والاستيلاء عليها ثم تمكنوا ديارهم بالهجوم عليهم وأخذ قلاعهم ثم أموالهم التي كانت في بيوتهم وقوله ( وأرضاً لم تقصوها ) قبل المراد القلاع وقبل المراد الروم وأرض فارس وقيل كل ما يؤخذ في يوم الجمعة ( وكان الله على كل شيء قديرًا ) هذا يؤكد قول من قال إن المراد من قولهم ( وأرضاً لم تقصوها ) هو ما سبقه بعد نبي فريقه ، روجه هو أن الله تعالى لما ملكهم نكث البلاد روعدهم بغيرها دفع استبعاد من لا يكون مولى الاتكال على الله تعالى وقال ليس الله منكم هذه فهو على كل شيء قدير يملككم خيراً .

ثم قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تودن الحياة الدنيا وزينتها فتأمنن فامتنعن وأسرحن سراحاً جميلاً ﴾ . وإن كنتم تودن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجراً عظيماً ﴿

وجه التعلق هو أن مكارم الاخلاق منحصرة في شيئين التنظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ، وإلى هذا أشار عليه السلام بحوله الصلاة وما ملكت أيمانكم ثم إن الله تعالى لما أرشد فيه إلى ما يلقى بجانب التنظيم به بقوله ( يا أيها النبي اتق الله ) ذكر ما يلقى بجانب الشفقة وبدأ بالزوجات فإن أولى الناس بالشفقة . ولهذا قسم في الشفقة . وفي الآية مماثل فحبه منها أن تنجي

هل كان واجباً على النبي عليه السلام أم لا ؟ فنقول التخيير فلا كان واجباً من غير شك لأنه  
إبلاغ الرسالة ، لأن الله تعالى لما قال له قل لم صار من الرسالة ، وأما التخيير معنى فيجوز على أن  
الأمر للوجوب أم لا ؟ والظاهر أنه للوجوب ، ومنها أن واحدة منها لو اختارت الفراق هل كان  
يصير اختيارها فراقاً والظاهر أنه لا يصير فراقاً وإذنا بين اختارة نفسها بإثابة من جهة النبي صلى  
الله عليه وسلم لقوله تعالى ( فتمايّن أمتكن وأسرحكن سراحاً جيلاً ) ومنها أن واحدة منها إن  
اختارت نفسها وقتاً بأنها لا تبين إلا بإثابة من جهة النبي عليه السلام فهل كان يجب على النبي عليه  
السلام المطلق أم لا ؟ الظاهر نظراً إلى منصب النبي عليه السلام أنه كان يجب ، لأن الخلف في  
الوعد من النبي غير جائز بخلاف واحد ما ، فإنه لا يلزمه شرعاً الوفاء بما بعد ومنها أن الاختارة  
بعد اليقونة هل كانت تحرم على غيره أم لا ، والظاهر أنها لا تحرم ، وذلك لا يكون التخيير ممكناً  
لها من النفع برية الدنيا ، ومنها أن من اختارت الله ورسوله كان يحرم على النبي عليه الصلاة  
والسلام ملائمتها أم لا ؟ الظاهر الحرمة نظراً إلى منصب الرسول عليه الصلاة والسلام على معنى  
أن النبي عليه السلام لا يباشره أصلاً ، بمعنى أنه لو أن به لم يقب أو عوتب ، وفيها لطائف لفظية  
منها تقديم اختيار الدنيا ، إشارة إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام غير ملغى إلى جانب غاية  
الإلتفات وكيف وهو مشغول بعبادة ربه ، ومنها قوله عليه السلام ( أسرحكن سراحاً جيلاً )  
إشارة إلى ما ذكرنا ، فإن الأسراح الجليل مع التأذي القوي لا يمتنع في العادة ، فلم أن النبي عليه  
تصلاة والسلام ما كان يأنر من اختيار من فرائه بدليل أن السريح الجليل منه ، ومنها قوله وإن  
كنتن تردن الله ( إعلماً لمن يأن في اختيار النبي عليه السلام اختيار الله ورسوله والشار الآخرة  
وعنه الثلاثة من الدين وقوله ( أعد للبهنات منكن ) أي لمن عمل صالحاً منكن ، وقوله ( تردن  
الله ورسوله والدار الآخرة ) فيه معنى الإيمان ، وقوله ( للبهنات ) لبيان الإحسان حتى تكون  
آية في المعنى ، كقوله تعالى ( ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن ) وقوله تعالى ( من آمن وعمل  
صالحاً ) وقوله ( الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) والأجر العظيم الكثير في الذات المحسن في  
الصفات الباقي في الإزاقات ، وذلك لأن العظيم في الأجسام لا يبطئ إلا على الزائد في الطول وفي  
العرض وفي السمك ، حتى لو كان زائداً في الطول يقال له طويل ، ولو كان زائداً في العرض يقال  
له عريض ، وكذلك العصب ، فإذا وجدت الأمور الثلاثة قبل عظم ، يقال جبل عظيم إذا كان غالباً  
مبدأ في الجهات ، وإن كان مرتفعاً بحسب يقال جبل عال ، إذا عرفت هذا فآية الدنيا في ذاته  
قابل وفي صفاته غير عال عن جهة نفع ، لما في ما كوله من الضرر والنقل ، وكذلك  
في مشروبه ونجسه من التلذذ وغير دائم ، وأجر الآخرة كثير عاى عن جهات النفع دائم  
نحو عظيم .

يُنْسَاءُ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِي مِنْكَ بِغَاشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ  
وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٥﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ سَعِلَ صَاحِبُهَا  
نُفْسَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٦﴾

قوله تعالى : ﴿٥﴾ يا أيها النبي من يأتي منك بغاشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً ﴿٦﴾

لما أخبر من النبي ﷺ واخبرن الله ورسوله لأدبهن الله وهدىهن لتتقن مما يسوء النبي عليه السلام ويضع بين من الغاشة التي هي أصعب على الزوج من كل ما تأتي به زوجته وأودع من تضيق العذاب وفيه حكتان (إحداها) أن زوجة الغير تعذب على الزنا بسبب ما في القرآن من القاسم وزوجة النبي تعذب إن أتت به لذلك لإيذاء قلبه والإضرار بمنصبه ، وعلى هذا بنات النبي عليه السلام كذلك . ولأن امرأة لو كانت تحت النبي ﷺ وأتت بغاشة تكون قد اختارت غير النبي عليه السلام ، ويكون ذلك التبر خيراً عندنا من النبي وأول ، والنبي أولى من النفس التي هي أولى من الغير ، فقد نزلت منصب النبي مرتين تعذب من العذاب ضعفين (تأنيهاً) أن هذا إشارة إلى شرفهن ، لأن الحرمة هنا ضعف عذاب الأمة إظهاراً لشرفها ، ونسبة النبي إلى غيره من الرجال نسبة السادات إلى العبيد لكونه أولى بهم من أنفسهم فكذلك زوجاته وزواجه الثلاثي عن أمهات المؤمنين ، وأم الشخص امرأة حاكمة عليه واجبة الطاعة ، وزوجته مأمورة بمطاعته له ونعت طاعته ، فصارت زوجة الغير بالنسبة إلى زوجة النبي عليه السلام كالأمة بالنسبة إلى الحرمة ، وأعلم أن قول القائل من جعل ذلك في قرء قوله (لئن أشركت ليحبطن عملك) من حيث إن ذلك يمكن الترفع في أول النظر ، ولا يقع في بعض الصور جزءاً . وفي بعض يقع جزءاً من مات قد استراح ، وفي البعض يتردد السامع في الأمر ، فقوله تعالى (من يأتي منك بغاشة) عندنا من التيسير الأول ، فإن الآية صلت الله زوجاتهم عن الغاشة ، وقوله تعالى (ويكون ذلك على الله يسيراً) أي ليس كونك تحت النبي عليه السلام وكونك شريفاً جلالات مما يقع لعذاب عتقك . وليس أمر الله كأمير المخلوق حيث ينظر عليهم تعذيب الأئمة بسبب كثرة أوليائهم وأخواتهم أو شغلهم وأخوانهم .

ثم قال تعالى : ﴿٦﴾ ومن يفتن منك الله ورسوله وسعل صاحبها أجرها مرتين وأعدنا لها رزقاً كريماً ﴿٦﴾

قوله تعالى : ﴿٦﴾ ومن يفتن منك الله ورسوله وسعل صاحبها ﴿٦﴾ يائاً لزيادة ثوابه ، كما بين



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ إِنِ اتَّقَيْتُمْ فَلَا تُخْضَعُونَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ

الْبَدِي فِي قَلْبِهِ مَرْمَضٌ وَقُلُّنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٢٠٩﴾

زيادة عقابن ( نزلها أجراً منين ) في معاملة قوله تعالى ( يصاعف لها العذاب مدة من ) مع لطفه وهي أن عند إنشاء الأجر ذكر الحق وهو الله ، وعند العذاب لم يصرح بالمعذب فقال ( يصاعف ) إشارة إلى كمال لوعة الكرم ، كما أن الكرم اخي عند دفعه يظهر نفسه ونفله ، وعند الضر لا يذكر نفسه ، وقوله تعالى ( وأعدنا لها رزقاً كريماً ) وصف رزق الأسرة بكونه كريماً ، مع أن الكرم لا يكون إلا وصفاً للرزق إشارة إلى معنى لطيف ، وهو أن الرزق في الدنيا مقدار على أيدي الناس ، لا أجر يسترزق من الصدقة ، والمعلمين والصناع من المستعملين ، والمالك من الرعية والرعية منهم ، فالرزق في الدنيا لا يأخذ بنفسه ، وإنما هو مسخر للغير بمسك وبصلة إلى الأعيان ، وإنما في الآخرة فلا يكون له مرسل ومسل في الطاهر فهو الذي يأخذ بنفسه ، فلا قبل هذا لا يوصف في الدنيا بالكرم إلا الرزاق ، وفي الآخرة يوصف بالكرم نفس الرزق .

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ كآخذ من آياتي اتقوا فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً ﴿

ثم قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ لما ذكر أن عذابهن مصف عذاب غيرهم وأجرهن مثلاً أجز غيرهن صرح كآخره بالنسبة إلى الإمام ، فقال ( اتقوا الله ) ومعنى قولنا اتقوا ليس فلان كآحاد الناس ، بمعنى ليس فيه مجرد كونه إنساناً ، بل وصف أخص موجود فيه ، وهو كونه عالماً أو عاملاً أو شاعراً أو حسيماً ، فإن الوصف الآتي إذا وجد لا يوجب التعريف بالإنتم ، من من عرف رجلاً ولم يعرف به غير كونه رجلاً يقول رأيت رجلاً فإن عرف عليه بقوله رأيت ، بدأ الأمر عرفاً ، فكذلك قوله تعالى ( اتقوا الله ) بمعنى اتقوا غير ذلك الأمر لا يوجد في غيركم وهو كونكم أمهات جميع المؤمنين وزوجات غير المؤمنين ، وكما أن محمداً عليه السلام ليس كآحد من الرجال ، كما قال عليه السلام : أنت كآحدكم ، كذلك قرأته اللاتي بشرن به وبين الزوجين نزع من الكفارة .

ثم قوله تعالى ( إن اتقنن فلا تخضعن بالقول ) بمقتل وجهين : ( أحدهما ) أن يكون متعلقاً بما فيه على معنى لست كآحد من المؤمنين بأن الأكرم عند الله هو الأنثى ( وثانيها ) أن يكون متعلقاً بما بعده على معنى إن اتقنن فلا تخضعن والله تعالى لما شهد من القاضفة وهي الفعل القبيح منهن من مقدمته وهي المحادثة مع الرجال والإنقياد في الكلام للناس . ثم قوله تعالى ( فيطمع الذي في قلبه مرض ) أي ، من في قلبه مرض ( وقلن قولاً معروفاً ) أي ذكر الله ، وما تخضعن إليه .

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ  
الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ  
وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٤﴾

من الكلام والله تعالى لما قال (لا تخفضن بالقول) ذكر بعده (وقلن) إشارة إلى أن ذلك ليس  
أمرًا بالإيجاب، والتكرار للقول المعروف وعند الحاجة هو المأمور به لا غيره .  
قوله تعالى : ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة  
وأطعن الله ورسوله﴾ .

قوله تعالى (وقرن في بيوتكن) من القرار وإسقاط أحد حرفي الضعيف كما قال تعالى  
(فلا تمشكن) وقيل بأنه من الرفار كما قال وعد بعد وعد قوله (ولا تبرجن تبرج الجاهلية  
الأولى) قيل معناه لا تنكسن ولا تخفضن، ومحمّل أن يكون المراد لا تظهرن زينتك وقوله  
تعالى (الجاهلية الأولى) فيه وجهان : (أحدهما) أن المراد من كان في زمن نوح والجاهلية  
الأخرى من كان بعده (وثانيهما) أن هذه ليست أولى تفضي أخرى بل معناه تبرج الجاهلية القديمة  
كقول القائل : أين الأكاسرة الجارية الأولى .

ثم قال تعالى (وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله) يعنى ليس التكليف في تنهى  
فقط حتى يحصل قوله تعالى (لا تخفضن ، ولا تبرجن) بل فيه وفي الأوامر (وأقمن الصلاة)  
إلى هي ترك تنهى بالجوار المنكر (وآتين الزكاة) تنهى هي تنهى بالكسر الرحيم (وأطعن الله)  
أي ليس التكليف متحصراً في المذكور بل كل ما أمر الله به وآتى به بكل ما نهى الله عنه فاستثنى عنه  
ثم قال تعالى : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ .

يعنى ليس المتضع بتكليفك هو الله ولا دفع الله فيما تأتى به ، وإنما دفعه عنكم وأمره تعالى  
إياكم لمطهرتكن ، وقوله تعالى (ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم) فيه الطبقة وهي أن  
الرجس قد يرد على من لا يظهر المحل بقوله تعالى (ليذهب عنكم الرجس) أي يزيل عنكم الرجس  
ويطهركم أي يطهركم طهره ، ثم إن الله تعالى ترك خطاب المؤمنين وخطاب المؤمنين  
المذكورين بقوله (ليذهب عنكم الرجس) لدخول فيه دعا أهل بيته ورجالهم ، واعتلفت الأحوال  
في أهل البيت ، والأولى أن يقال هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وعلى سهم لا يملكه  
مراعاة به بسبب معارفته بسبب نسب السلا . وملازمه للنبي .

وَاذْكُرْنَ مَا يُنْزِلُ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا  
 ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَنْسَارِيَّةَ وَالنَّسِيلِيَّةَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ  
 وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ  
 وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَافِضِينَ وَالْخَافِضَاتِ

قوله تعالى : ﴿ واذكرن ما ينزل في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ أي القرآن ( والحكمة )  
 أي كلمات الله عليه السلام إشارة إلى ما ذكرنا من أن التكليف غير منحصرة في الصلاة والزكاة ،  
 وما ذكر الله في هذه الآية فقال ( واذكرن ما ينزل ) ليعلم الموححات كلها فأتين بها . والمهرمات  
 بأسرها فأتين عنها .

( ونزله ) ( إن الله كان لطيفاً خبيراً ) إشارة إلى أنه خير بالباطن ، لطيف فله يصل إلى  
 كل شيء ، ومنه اللطيف الذي يدخل في المسام الضيقة ويخرج من المسالك المسدودة .  
 ثم قال تعالى ( إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ) لا أمر من ونها من وبين ما يكون  
 لمن وذكر من عشر مراتب ( الأولى ) الإسلام والانقياد لأمر الله ( والثانية ) الإيمان بما ورد  
 به أمر الله . فإن المكلف أولاً يقول كل ما يقوله الله فهذا إسلام . فإذا قال الله شيئاً وقبله صدق  
 عقالته وجميع اعتقاده فهو إيمان ثم اعتقاده بدعوه إلى الفعل الحسن والعمل الصالح فبذل  
 وهو ( المراتبة الثالثة ) المذكورة بقوله ( والقانتين والقانتات ) ثم إذا آمن وعمل صالحاً كن فيكمل  
 غيره ويؤمر بالمعروف وينصح أخاه فيصدق في كلامه عند الصيغ وهو المراد بقوله ( والصادقين  
 والصادقات ) ثم إن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يصيبه إذى قصير على كما قال تعالى  
 ( والصابرين والصابرات ) ثم إنه إذا كل وكل قد يقترئ بنفسه ويذهب بعبادته فتعنه منه بقوله  
 ( والخاشعين والخاشعات ) أو نقول لما ذكر هذه الصفات أشار إلى ما يجمع منها وهو إما حب  
 الخفاء أو حب الخصال من الأمور الخارجة أو الشهوة من الأمور الداخلية . والغضب منها يكون  
 لأنه يكون بسبب نفس جاه أو عورت مال أو منع من أمر منتهى عقوله ( والخاشعين والخاشعات )  
 أي المتراضعين الذين لا يملهم الجاه عن طاعة . ثم قال تعالى ( والمصدقين والمصدقات ) أي  
 الباذلين الأموال المأثورة لا يكتفون بها لشدة محبتهم إياها . ثم قال تعالى ( والصابرين والصابرات ) إشارة  
 إلى الذين لا تمنعهم الشهوة العظيمة من عبادة الله . ثم قال تعالى ( والخافضين والخافضات )  
 أي الذين لا تمنعهم الشهوة العرجية .



نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَنَخَشِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ نَخْشَاهُ قَبْلَ أَنْ تَقْضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا  
 زَوَّجْنَاهَا لَكِ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَزْوَاجِهِمْ إِذَا قَضَوْا  
 مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٢١٤﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ  
 اللَّهُ لَهُ سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَفْعُولًا ﴿٢١٥﴾ الَّذِينَ

في نفسك ما الله مبديه ونخشى الناس والله أحق أن نخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها  
 لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً  
 وهو زيد أنتم الله عليه بالإسلام (وأفادت عليه) بالتمرير والإعتاق (أسألتك عنك زوجك)  
 ثم زيد بطلاق زينة فقال له النبي أمرك أي لا تطلقها (وانت الله) قبل في الطلاق، وقبل في  
 الشكوى من زينة، فان بدأ قال فيها إما تنكح علي بسب السب وعدم الكفاءة ونخشى  
 في نفسك ما الله مبديه) من أمرك زيد أنزوج زينة (ونخشى الناس) من أن يقولوا أهد زوجة  
 النبي أو الإبن (والله أحق أن نخشاه) ليس إشارة إلى أن النبي غشى الناس ولم يغش الله بل المعنى  
 أنه أحق أن نخشاه وسد ولا نخش أحد أمه وأنت نخشاه ونخشى الناس أيضاً، فاجعل الحشية  
 له وحده كما قال تعالى (الذين يمانون رسالات الله ويخشونه ولا يشكون أحد إلا الله).

ثم قال تعالى (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها) أي لما طلقها زيد وانقضت عدتها  
 وذلك لأن الزوجة مدامت في نكاح الزوج متى تدفع حاجته وهو محتاج إليها، فلم يقض منها  
 الطهر بالكلية ولم يستغن وكذلك إذا كان في العدة له بها تعلق لإمكان شغل الرحم فلم يقض  
 منها بد وطراً، ولما إذا طلق وانقضت عدتها استغنى عنها ولم يبق له بها تعلق فبقي منها التوثر  
 وهذا موافق لما في الشرع لأن الزوج زوجة النبي أو نعتنه لا يجوز لهذا قال (فلما قضى)  
 وكذلك قوله (لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً)  
 أي إذا طلقوهن وانقضت عدتهن، وفيه إشارة إلى أن الزوج من النبي عليه السلام لم يكن لقضاء  
 شهوة النبي عليه السلام من شأن الشريعة بفعله فإن الشرع يستفاد من فعل أبي وقوله (وكان أمر  
 الله مفعولاً) أمر مفعولاً ما فعله كان.

ثم بين أن زوجه عليه السلام بها مع أنه كان مبدياً للشرع مشغول على فائدة كان حاله أن انفاسه فقال:  
 ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الدين خلو من قبل وكان أمر الله

يُبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يحشون أحدًا إلا الله وكفى بالله حسيبًا ﴿٣١﴾

قدراً مقدوراً (بمعنى كان شرع من تقدمه كذلك . كان بزواج الأنبياء بنسوة كثيرة أمكار ومطافات الغير (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) أى كل شئ بقضاء وقدر والتقدير التفسير وبين المفعول والمقدور فرق مقول بين القضاء والقدر ، والقضاء ما كان مقصوداً في الأصل والقدر ما يكون تابياً له ، مثلاً من كان يقصد مدينة فزل بطريق تلك المدينة بخلاف أو قرية يصح منه في العرف أن يقول في جواب من يقول لم جئت إلى هذه القرية : إني ماجئت إلى هذه وإنما قصدت المدينة الغلابة وهذه وقتت في طريقه وإن كان قد جاءها ودخلها . إذا عرفت معنا فان الحيز كله بقضاء وما في العاقل من الضرر بقدره ، فانه تعالى خلق المكلف بحيث يشتهي وينتهي ، ليكون اجتباؤه في أغلب العقل والدين عليهما متاباً عليه بأبلغ وجه فأقصى ذلك في البعض أن أن يرى عقل الله لم يختلفهما فيه معصوداً منه القتل والزنا وإن كان ذلك بقدر الله إذا علمت هذا فاض قوله تعالى أولاً (وكان أمر الله مفعولاً) وقوله تابياً (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) لطيفة وهي أنه تعالى لما قال (زوجناكم) قال (وكان أمر الله مفعولاً) أى تزويجنا ذنب إياك كان مقصوداً حبوا ما مضياً مراعى . ومما قال (سنة الله في الدين خطأ) إشارة إلى قصة داود عبسه السلام حيث افتن بأمرأة أوروى قال (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) أى كان ذلك حكماً نبياً ، فلو قال قائل هذا قول المعتزلة بالنوادر والفلاسفة يوجب كون الأشياء على وجهه مثل كون النار تحرق حيث قالوا الله تعالى أود أن يخلق ما يضيئ الأشياء وهو لا يكون إلا عرقاً بالطبع خلق النار للضغ فوقه اتفاق أسباب أو جئت آخرق دار زيد أو دار عمرو . فنقول ماذا الله أن يقول بأن الله غير مختار في أفعاله أو يضع شئ لا باختياره . ولكن أهل السنة يقولون أجرى الله عادة بكذا أى وله أن يخلق النار بحيث عند حاجة إنضاج اللحم نضج وعند سباس ثوب العجوز لا تحرق ، ألا ترى أنها لم تحرق إبراهيم عليه السلام مع فونها وكثرتها لكن خلقها على غير ذلك الوجه ببعض إرادته أو لحكمة خفية ولا يسأل عما يضل . فنقول ما كان في مجرى عادته تعالى على وجه تدركه العقول البشرية يقول بقضاء . وما يكون على وجه ينفع للعقل فاصبر أن يقول لم كان ولهذا لم يكن على خلافه قول بقدر . ثم بين الذين خلوا بقوله :

﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يحشون أحدًا إلا الله وكفى بالله حسيبًا﴾

بمعنى كانوا هم أيضاً مثلك رسلاً ، ثم ذكرهم بمخالفتهم أنهم جردوا خشية ووجدوا بقوله (ولا يحشون أحدًا إلا الله) فصار كقولهم (فهم دام اقتده) وقوله (وكفى بالله حسيباً) أى محاسباً

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَحَاثَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ

اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢١٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٢١٦﴾

هذا يخص غيره أو محسباً ولا تاهت إلى غيره ، ولا تفعل في حديثك .

قوله تعالى : ﴿٢١٥﴾ ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وحاثم النبيين وكان الله بكل شيء عليم .

لما بين الله ما في نزوح النبي عليه السلام بزيب من العوائد بين أنه كان عالياً من وجوه المعاصد ، وذلك لأن ما كان يزعم من المصداق كان محصوراً في التزوج بوجه الابن منه غير جائز فقال الله تعالى إن زبداً لم يكن أباً له لأن أحد الرجال لم يكن ابن محمد ، فإن قائل النبي كان أباً أحد من الرجال لأن الرجل اسم الذكر من أولاد آدم قال تعالى ( وإن كانوا لأخوة رجالاتنا ) ونهبي داخل فيه ، فنقول الجواب عنه من وجوب ( آدمي ) أن الرجل في الاستعمال يدخل في معنونه الكبر والبلوغ ولم يكن النبي عليه السلام ابن كبير يقال له رجل ( والثاني ) هو أنه تعالى قال : ( من رجالكم ) ووقت الخطاب لم يكن له ولد ذكر ، ثم إنه تعالى لما غي كونه أباً عقبه بما يدل على ثبوت ما هو في حكم الآخرة من بعض الوجوه فقال ( ولكن رسول الله ) فإن رسول الله كالآب للأمة في الشفقة من جانب ، وفي التعظيم من طرفهم بل أقوى فإن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، والآب ليس كذلك . ثم بين ما يفيد زيادة الشفقة من جانبه والتنظيم من جهةهم بقوله ( وحاثم النبيين ) وذلك لأن النبي الذي يكون بعده نبي إن ترك شيئاً من تصحيحه وإياد يستتركه من يأتي بعده ، وأما من لا نبي بعده يكون أشد على أمته وأشدى لهم وأجدي ، إذ هو كواله لو لم يكن له غيره من أحد وقوته ( وكان الله بكل شيء عليم ) يعني الله بكل شيء دخل فيه أن لا نبي بعده علم أن من الحكمة إكمال شرع محمد صلى الله عليه وسلم بتزوجه بوجه دعيه تمكيداً للشرع وذلك من حيث إن قول النبي صلى الله عليه وسلم يفيد شرعاً لكن إذا امتنع هو عنه حتى في بعض النفوس مرة ، ألا ترى أنه ذكر بوله ما فهم منه حل أكل الخبث ثم لم يأكله نبي في النفوس شيء . ولما أكل لحم ليل طاب أكله مع أنه في بعض الملل لا يؤكل وكذلك الأرنب .

ثم قال تعالى : ﴿٢١٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٢١٧﴾

وجه تعلق الآية بما قبلها هو أن السورة أصلها ومبناها على تأديب النبي ﷺ وقد ذكرنا أن الله تعالى بدأ بذكر ما ينبغي أن يكون عليه النبي عليه السلام مع الله وهو تفوى وذكر ما ينبغي أن يكون عليه النبي عليه السلام مع أهله وأقاربه بقوله ( يا أيها النبي قل لأزواجك ) والله تعالى يأمر

وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿١٦﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ  
مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴿١٧﴾ نَحْمَدُكَ يَوْمَ يَقْرَأُ مُلْكُ

عباده المؤمنين بما يأمرون به أيباه الملائكة وأمر عباده كما أدب الله وبدأ بما يتعلق بعباده من  
التعظيم فقال ( يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ) كما قال عليه ( يا أيها النبي اني الله ) .  
( نعم هنا إضافة ) وهو أد المؤمن قد ينسى ذكر الله فأمر بدوام الذكر ، أما الذي لكتوبه من  
المقرئين لا ينسى ولكن قد ينسى القرب من الملك فربه منه فيقبل خوفه فقال ( اني الله ) فان  
يخلص على خطر عظيم وحسنه الاول . حسنة الانبياء وقوله ( ذكراً كثيراً ) قد ذكرنا ان الله في  
كثير من المواضع لما ذكر الذكر وصفه بالكثرة إذ لا مانع من التكرار على ما بينا .

وقوله تعالى ( وسبحوه بكرة وأصيلاً ) أي إذا ذكرتموه فينبغي أن يكون ذكركم إياه على وجه  
التعظيم والتذبح عن كل سوء . وهو المراد بالتسبيح وقيل المراد منه الصلاة وقيل الصلاة تسبيحه بكرة  
وأصيلاً إشارة إلى المداومة وذلك لأن مريد المعلوم قد يذكر الطرفين ويقوم منهما الوسط كقوله  
عليه السلام : لو أن أوليكم وآخركم ، ولم يذكر وسطكم فقمتم من الخلة في المعلوم .

وله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ  
بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾ يعني هو يصلي عليكم ويرحمكم وأنتم لا تذكرون ، قد ذكر صلاته تحريماً مؤثراً  
على الذكر والتسبيح ( ليخرجكم من الظلمات إلى النور ) يعني يهديكم برحمته وتصلاته من الله رحمة  
ومن الملائكة استغفار فقال بأن الملائكة تشترك بحوز استماله في معنيهما ، وكذلك الجمع بين  
الحقيقة والجاز في لفظ جاز . وينسب هذا القول إلى الشافعي رحمه الله وهو غير بعيد فإن  
أريد تفرقه بحيث يصير في غاية القرب لقوله أرحم الراحمين والاستغفار يشتركان في تعاليمه تعالى المرحوم  
والمستغفر له والمراد هو القدر المشترك فيكون الدلالة تضمنية لكونه تعالى جازاً فيها وكان  
بالمؤمنين رحماً إشارة لجميع المؤمنين وإشارة إلى أن غوته ( يصلي عليكم ) غير مختص بالساجدين  
وقت الوحي .

ثم قال تعالى : ﴿ نَحْمَدُكَ يَوْمَ يَقْرَأُ مُلْكُ اللَّهِ مِنْ عِلِّيِّهِ ﴾ . في الآية الأولى بين عناية في  
الآخرة وذكر السلام لأنه هو الدليل على الخيرات فإن من أتى فيه وسلم عليه دل على الصلوة  
بينها وإن لم يعلم دل على المداومة وقوله ( يوم يقرؤه ) أي يوم القيامة وذلك لأن الإنسان في  
ديناه غير مقبل بكتبته على الله وكيف وهو حائل يومه غافل عنه وفي أكثر أوقاته مشغول بتحصيل  
رزقه ، وأما في الآخرة فلا شغل لأمره بنهيه عن ذكر الله فهو حقيقة انقاد .



وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١١﴾  
وَدَاعِبًا إِلَى اللَّهِ بِآذَنِهِ وَمَعْرِجًا مَبْثُورًا ﴿١٢﴾

ثم قال تعالى ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ لو قائل قائل الإعداد إنما يكون عن لا يقدر عند  
الخاصة إلى الشيء عليه . وأما الله تعالى فلا حاجة ولا عجز حيث يلقاه الله بقرينه ما يرضى به وزيادته  
فما معنى الإعداد من قبل فتكون الإعداد لا كرامة لا للحاجة وهذا كما أن الملك إذا قبل له فلان  
وأخص . فإذا أراد أن يكرم بهيئته بيتاً وأمره أن من الإكرام ولا يقول بأنه إذا وصل ففتح باب  
الحزام وتوثيقه ما يرضى به كذلك الله لكلام الإكرام أعد الله الإكرام كرامة وأمره أن يكرم به فذكرهم  
في الزرق أي أعد له أجراً يأتيه من غير طلبه بخلاف الدنيا فإنه يطلب الرزق ألف مرة ولا يأتيه  
إلا بقدر . وقوله (نعتهم يوم يلقونه سلام) مناسب لحلم لأنهم لما ذكروا لعنق دينهم حصل  
فيه معرفة ومسا مسجود ما كانت القدرة حيث عرفوه كما ينبغي بصفات الجلال وسورة الكمال  
وأما يعلم حاكم في الدنيا فأحسن إسم بالرحمة . كما قال تعالى (هو الذي يعطي عظيمكم) وقال (وكان  
ماؤمسين رحيم) والمتنوعون إذا التقوا وكان أحدهما شقيقاً بالآخر والآخر معطية غاية التعظيم  
لا يتحقق بينهما إلا السلام وأنواع الإكرام.

ثم قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ إلى الله يذمه وسراجاً  
مبشراً ﴿قد ذكرنا أن السورة مما أنشأ النبي عليه السلام من ربه قوله في ابتدائها (يا أيها النبي  
أنني الله) إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه من ربه وقوله (يا أيها النبي قل لأذعنكم) إشارة إلى  
ما ينبغي أن يكون عليه مع أنه وقوله (يا أيها النبي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ) إشارة إلى ما ينبغي أن يكون  
عليه مع عنة الحق وقوله تعالى (شاهداً) بمحمل وحراً (أشهداً) أنه شاهد على الحق يوم  
القيامة إنما قال تعالى (ويكون الرسول عليكم شهوداً) وعلى هذا فأنى بمثل شاهد أي متعديلاً  
شهادة ويكون في الآخر شهوداً أي مؤيداً لما تحمله (قائلاً) أنه شاهد أن لا إله إلا الله .  
(دعى هذا الصيغة) وهو أن الله جعل النبي شاهداً على الخوذية والشاهد لا يكون متديلاً فأنه  
تعالى لم يجعل النبي في مسئلة الوعدية عدلاً له لأن الذي من يقول شيئاً على خلاف الظاهر  
والوعدية أنه أظهر من النفس والتي عليه السلام كان ادعى الدعوة فجعل الله معه شاهداً له في  
محازاة كونه شاهداً له فقال تعالى (وأما يشهد أنك لرسول) (دواعياً) أنه شاهد في الدنيا  
بأحوال الآخرة من الجنة والنار والميزان والهرام وشاهد في الآخرة بأحوال الدنيا بالعداة  
والهبة والصلاح والفساد وقوله (ومبشراً ونذيراً) فيه ترتيب حسن وذلك من حيث  
إن النبي عليه السلام أرسل شاهداً يقول لا إله إلا الله ويرغب في ذلك بالبشارة فإن لم يكف

ذلك بربح بالإذار ثم لا يكتفي بقوله لا إله إلا الله بل يدعوهم إلى سبيل الله كما قال تعالى ( ادع إلى سبيل ربك ) وقوله ( وسراجاً منيراً ) أى مبرهاً على ما يقول مظهره له بأوضح الجميع وهو المراد بقوله تعالى ( بالحنكة والمراد بالحنكة ) .

وفيه لطائف ( أحدها ) قوله تعالى ( وداعياً إلى الله بأذنه ) حيث لم يقل وشاهداً بأذنه مباشرة وعنه الدعاء قال وداعياً لأذنه . وذلك لأن من يقول عن ملك إنه ملك الدنيا لا غيره لا يحتاج فيه إلى إذن من ظاهري وصفه بما فيه وكذلك إذا قال من يطعمه بسعد ومن يعصه يرضى يكون مبشراً ونذيراً ولا يحتاج إلى إذن من الملك في ذلك ، وأما إذا قال تعالى إلى مهابطه ، واحضروا على خواتمه يحتاج فيه إلى إذنه فقال تعالى ( وداعياً إلى الله بأذنه ) ووجه آخر وهو أن النبي يقول إني أدعو إلى الله والولي يدعو إلى الله . والأول لا إذن له فيه من أحد ، والثاني مأذون من جهة النبي عليه السلام كما قال تعالى ( قل هذا صبي أدعوا إلى علي بصيرة أنا ومن اتبعني ) وقال عليه الصلاة والسلام : رحم الله عبداً سمع مقالتي فادعاه كما سمعها ، والنبي عليه السلام هو المأذون من الله في الدعاء إليه من غير واسطة .

( الطائفة الثانية ) قال في حق النبي عليه السلام سراجاً ولم يقل إنه شمس مع أنه أشد إضاءة من السراج لغو الله منها ، أن الشمس بورها لا يؤخذ منه شيء ، والسراج يؤخذ منه نور كثيرة فإذا انطفأ الأول بقي الذي أخذ منه . وكذلك إن غاب والنبي عليه السلام كان كذلك إذ كل صحابي أخذ منه نور الهداية كما قال عليه السلام : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، وفي الخبر : نطفة وإن كانت ليست من التفسير ولكن الكلام يجر الكلام وهو أن النبي عليه السلام لم يجعل أصحابه كالسراج وجعلهم كالنجوم لأن النجم لا يؤخذ منه نور بل له في نفسه نور إذا غرب هو لا يبقى نور مستفاد منه . وكذلك الصحابي إذا مات فالتأني يستدبر بنور النبي عليه السلام ولا يأخذ منه إلا قول النبي عليه السلام ونطقه . فأول ما ينبغي أن يعلم من النبي عليه السلام وهو السراج والى عنه السلام أيضاً سراج كان شامخاً أن يستدبر من أراد منهم . ولأخذ النور من الشمار ، وليس كذلك فإن مع نص النبي عليه السلام لا يعمل يقول الصحابي يؤخذ من النبي النور ولا يؤخذ من الصحابي فلم يجعله سراجاً وهذا موجب ضعف حديث سراج الأئمة والمحدثون ذكروه وفي تفسير السراج وجه آخر وهو أن المراد منه القرآن وتفسيره إنا أرسلناك ، وسراجاً منيراً عطفاً على محل التكاف أي وأرسلنا سراجاً منيراً وعلى قولنا إنه عطفاً على مبشراً ونذيراً يكون معناه إذا سراج لأن الحلال لا يكون إلا وصفاً لفاعل أو مفعول . والسراج ليس وصفاً لأن النبي عليه السلام لم يكن سراجاً حقيقة أو يكون كقول القائل رأيت أهدأ أي شجاعاً تقول سراجاً أي هادئاً مبدئاً كالسراج يرى الطريق ويبين الأمر .

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿١٨﴾ وَلَا يَطْعَمُ أَكْثَرِيْنَ  
وَالْمُنْتَفِعِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ  
إِيمَانًا إِذَا لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَلَاقَتْهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْكِحَهُنَّ قَدْ كُنَّ عَلَيْنَ  
مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ فَمَنْ تَعَرَّضَ وَسَّرَّحَهُنَّ سَرَّاحًا حَبِيلًا ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ عطف على مفهوم تقديره إيا أولئك شاعداً ، وبشرأ فاشهد  
وبشر ولم يذكر شاهد للاستغناء عنه ، وأما الإدارة فانه ذكرت إياه للكرم وإلاها غير واجبة  
لولا الأمر بقوله تعالى : ﴿ بأن لهم من الله فضلا كبيرا ﴾ هو مثل قوله : ﴿ وأما لهم أجراً عظيماً ﴾  
فالعظيم والكبير متغايران وكونه من الله كبير فكيف إذا كان مع ذلك كرامة أخرى .  
قوله تعالى : ﴿ ولا تطعم الكافرين والمنافقين ﴾ وادع أذانهم وتوكل على الله وكفى بالله وكلا .  
[ إشارة إلى الإنذار بمعنى غلظهم وورد عليهم وعلى هذا موله تعالى ( وادع أذانهم ) أي دعه  
إلى الله فإنه يعذبهم بأيديكم وبالآيات ، وبين هذا قوله تعالى ( وتوكل على الله وكفى بالله وكلا )  
أن الله كاف عبده ، قال بعض المعتزلة لا يجوز تسمية الله بالوكيل لأن الوكيل أدون من الموكل  
وقوله تعالى ( وكفى بالله وكلا ) حجة عليه وسوء وأهمه من حيث إن الوكيل قد يوكل للذبح  
وقد يوكل للعز وإفادته وكيل عاده ليجزم عن التصرف ، وقوله تعالى ( وكفى بالله وكلا )  
ينبغي إذا نظرت في الأمور التي لا يسعها لا يكفي الوكيل الواحد منها أن لا يكون قوياً قادراً على  
المسل كالمثل الكثير الأشغال يحتاج إلى وكلاء ثمج الواحد عن القيام بجميع أشغاله ، وسواء أن  
لا يكون عالماً بما فيه التوكيل ، ومنها أن لا يكون عبداً ، والله تعالى عالم قادر وغير محتاج  
فيكفي وكلا .

ثم قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن كن  
لكن عليهن من عدة تعتدونها فتمتعوهن وسرحوهن سراحاً حبيلاً ﴾ .

وجه تعليق الآية بما قلناه هو أن الله تعالى في هذه السورة ذكر مكارم الأخلاق وأدب فيه  
على ما ذكرناه . لكن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بما أمر به نبيه المرسل فكذلك ذكر للنبي مكرمة  
وعطه أدباً ذكر للمؤمنين مااسبه ، فكذلك الله في تأديب النبي عليه الصلاة والسلام يذكر ما يتعلق  
بجانب الله بقوله ( يا أيها النبي اتق الله ) ونهى عما يتعلق بحجاب من تحت رداءه من أدواجه بقوله بعد  
( يا أيها النبي قل لأزواجك ) وثمة ما يتعلق بحجاب العامة بقوله ( يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً )

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي أَتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ  
مِمَّا أَتَى اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ وَبَنَاتِ أَخِيكَ

كذلك بدأ في إرشاد المؤمنين بما يتعلق بحجاب الله فقال ( يا أيها الذين آمنوا إذا كروا الله ذكراً  
كثيراً ) ثم أتى بما يتعلق بحجاب من تحت أيديهم بقوله ( يا أيها الذين آمنوا إذا كنتم المؤمنات )  
ثم كما نلت في تأديب النبي بحجاب الامة ثلاث في حق المؤمنات بما يتعلق بحجاب نبيهم . فقال بعد  
هذا ( يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ) وبقوله ( يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه ) وفي  
الآية مسائل :

( إحداهما ) إذا كان الامر على ما ذكرت من أن هذا إرشاد إلى ما يتعلق بحجاب من حو  
من خواص المرء . فم يخص المطلقات الثلاث طلق قبل المسيس بالذكر ؟ فقوله هذا إرشاد إلى أهل  
درجات المكرمات ليعلم منها مادونها وبناه هو أن المرأة إذا طلقت قبل المسيس لم يحصل بينهما  
تأكد العهد . ولهذا قال الله تعالى في حق المسوسة ( وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى  
بعض واخذن منكم ميثاقاً غليظاً ) وإذا أسرها الله بالفتح والإحسان مع من لا مودة بينه وبينها فما  
ملك بين حصلت المودة بالنسبة إليها بالإحصاء أو حصل تأكدها بحصول الولد بينهما والقرآن  
في التحريم صريح ولكن لو استنبطت معانيه لافى بها الأطلاق ولا تكفى لها الأوراق . وهذا  
مثل قوله تعالى ( فلا تغل لها أف ) لو قال لا تضرهما أو لا تشمتا ظن أنه حرام لخص مختص  
بالضرب أو الشتم . أما إذا قال لا تغل لها أف علم منه معان كثيرة وكذلك هنا لما أمر بالإحسان  
مع من لا مودة معها علم منه الإحسان مع المسوسة ومن لم تطلق بيد ومن ولدت عنده منه .

وقوله ( إذا كنتم المؤمنات ) التخصيص بالذكر إرشاد إلى أن المؤمن يبنى أف بنفسه  
المؤمنة فانها أشد تخصيصاً لديه . وقوله ( ثم طلقنوهن ) يمكن الفصل به في أن تعليق الطلاق  
بالنكاح . لا يصح لأن التطبيق سبقت لا يكون إلا بعد النكاح والله تعالى ذكره بكلمة ثم . وهي  
للإفراغ وقوله ( فما لكم عليهن من عدة ) بين أن العدة حق الزوج فيها غالب وإن كان لا يسلط  
بالفائدة لما فيه من حق الله تعالى . وقوله ( تعبدونها ) أي تستوفون أتم عددها ( فتسرون ) قبل  
بأنه مختص بالمفوضة التي لم يسر لها إذا طلقت قبل المسيس وجب لها المنة . وليس بأنه عام  
وعلى هذا فهو أمر وجوب أو أمر نهي يختلف العلماء فيه . فمنهم من قال لوجوبه فيجب مع نصف  
المهر المنة أيضاً . ومنهم من قال للاستحباب فيستحب أن يمنها مع الصداق بشئ . وقوله تعالى  
( ورسرهن سراً جليلاً ) الجليل في التسريح أن لا يطالبها بما آتاهما .

فقال تعالى : ( يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي أتيت أجورهن وما ملكت . يمينك

الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِيَكُنْ عَلَيْكَ حَرْجٌ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٥﴾

عما آفاه الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات أخالك وبنات أخالك اللاتي هاجرت معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين فهدانا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله عفورا رحيما .

ذكر النبي عليه السلام ما هو الأول في الرواية التي أوثقت مهرها أطيب قلباً من التي لم توثق . والمطلوكة التي سبها الرجل بنفسه أظهر من التي اشتراها الرجل لأنها لا بدوى كيف حالها ، ومن هاجرت من أقارب النبي عليه السلام معه أشرف من لم تهاجر ، ومن الناس من قال بأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يحب عليه إعطاء المهر أولاً . وذلك لأن المرأة لها الامتناع إلى أن يأخذ مهرها والتي عليه السلام ما كانت يستوفى ما لا يجب له . والوطء قبل إيتاء الصداق غير مستحق وإن كان كان حلالاً لنا وكففت والتي عليه السلام إذا طلب شيئاً حرم الامتناع عن المطوب والظاهر أن الطالب في المرة الأولى . إما يكون هو الرجل ليأخذ المرأة هو طلب النبي عليه السلام من المرأة الفريضة قبل المهر لزم أن يعطى وأن لا يجب وهذا محال ولا كذلك أحدنا . وقال ويؤكد هذا قوله تعالى ( وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ) بمعنى حيث لا يبقى لها صداق قصير كالمستوفية مهرها . وقوله تعالى ( إن أراد النبي أن يستنكحها ) إشارة إلى أن مهرها نفسها لا بد منها من قبول وقوله تعالى ( خالصة لك من دون المؤمنين ) قال الشافعي رضى الله عنه مناه إباحة الوطء بالحبة وحصول التزويج بانفعالها من خواصك . وقال أبو حنيفة تلك المرأة صارت خالصة لك وزوجه ومن أمهات المؤمنين لا تحل لعمر بك أبداً . والفرج يحتمل أن يقال بأن على هذا فأنخصيص بالراهبة لا فائدة فيه فإن أزواجه كلهن خالصات له وعلى ما ذكرنا يبين للخصيص فائدة وقوله ( قد علما ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم ) مناه أن ما ذكرنا مهرصك وحكمك مع نسائك وأما حكم أمك فهدايا عليه وسببه لم وإنما ذكر هذا لئلا يحصل واحد من المؤمنين نفسه على ما كان النبي عليه الصلاة والسلام فإن له في الكاخ حصانص ليست لغيره وكذلك في السراري . وقوله تعالى ( لكيلا يكون عليك حرج ) أي تكون في فسخة من الأمر فلا يبقى لك شغل قلب فيزل الروح الأمين بالأيات على قلبك الفاروق وتبلغ رسالات ربك بحمدك واجتهادك . وقوله

تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتَقْرَىٰ إِلَيْكَ مِنَ تَشَاءُ ۖ وَمِنْ أَهْنَيْتَ مِنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ تَنْفَرِغِيهِنَّ وَلَا يُجْرُنَّ وَرَضِينَ بِمَا أَيْسَرَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾

لَا يَجْعَلُ لَكَ الْإِنْسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبْدُلَ بِهِنَ مِنْ أَوْسَاجٍ وَلَوْ أَغْنَيْتُكَ حُسْنَهُنَّ إِلَّا مَا  
مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَرَئِيًا ﴿٥٧﴾

تعال ( وكان الله غفر رحيما ) بغفر الذنوب جميعا ورحم الميديد .  
قوله تعالى : ﴿ ترجي من تشاء وتقرى إليك من تشاء . ومن أهنت من عزلت فلا جناح عليك ﴾ .

هذا بين أنه أمكن له ما ذكرنا من الأتواضع بين أه أهل له وجوده المماثل من حتى نعتج  
كيف ياد ولا يحب عليه القسم . وذلك لأن النبي عليه السلام بالنسبة إلى أمته كنه السيد المطاع  
والمرسل وإن لم يكن نبيا فله روجه في ملك حكمه والكناج عليها رضى ، فكيف روحا التي عليه  
السلام بالنسبة إليه . فإذن من كانت لوكالات له ولا يحب انهم بين المنوكات ، والإرجاء لتأخير  
والإرجاء القسم (ومن أهنت من عزلت) فهي إذا فعلت من كنه تركها فلا جناح عليك في شيء  
من ذلك ومن قال : أن القسم كان واحدا مع أنه ضيف بالنسبة إلى المقصود من الآية قال المراد  
( ترجي من تشاء ) أي تختر من إنا شئت إذا لا يحب قسم في الأول . والقروح أن لا يتم منه  
أحد من . وبأن أهنت من عزلت فلا جناح عليك فإذ بين شئت وتم القول . والأول أقوى .  
قوله تعالى : ﴿ ذلك أدنى أن تغرغيهن ولا يجزن ورضين بما آتيتن كلهن ﴾ .

يعني إذا لم يحب عنك القسم ، وأنه لا تترك القسم ( تغرغيهن ) أنسب لك بينهن ولا تجزن  
بجملته ما لو وجب عليك ذلك ، فإنه تكون عند إحداهن بقول صاحبة في لوى أنه إنما جازي لأمر  
الله وإيجابه عليه ( ورضين بما آتيتن ) من الإرجاء والإرجاء إلى الله ض عليك شيء حتى لا يرضين .  
قوله تعالى : ﴿ والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليمًا حَكِيمًا ﴾ .

أي إن أنتمون خلاف ما الظاهر فإنه يعلم صفا القلوب فإنه عليم . فلو لم يثبت في الحال  
فلا يغفرون فإنه حاكم لا يعمل .

قوله تعالى : ﴿ لا يجعل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أغبطك حصيرا

إلا ما ملكت بيملك وكان الله على كل شيء رقيباً ﴿٦﴾ .

لما لم يوجب الله على نبي القسم وأمره بتخييره فاحترق الله ورحله ذكر لمن ما جاهدن به من تحريم غيرهن على النبي عليه السلام ومنه من خلافهن بقوله (ولا أن فعل من) وفيه مسائل:

﴿ المسألة الأولى ﴾ قوله (لا يحل لك النساء من بعد) قال المفسرون من بعدهن والآولى أن يعاقب لا يحل لك إسلام من بعد احتياضهن الله ورسوله ورضاهن بما يؤمن من التوصل راغراهن والمفسر والمفردان .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله (ولا أن تفعل بهن) بعد حرمة خلافهن إذ لو كان جائزاً خذ أن يعقل الكل ، وبهذه إما أن يتزوج بعدهن ، أولاً يتزوج من لم يتزوج بدخل في مرة واحدة والتكاح فضيلة لا يتزكأ الشيء ، وكيف وهو يقول والتكاح سائى ، وإن تزوج بغيرهن يكون قد فعل من وهو متزوج من البيت .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ من المفسرين من قال بأن الآية ليس فيها تحريم غيرهن ، ولا المنع من خلافهن بل المسمى أن لا يحل لك النساء غير الثلاث ذكرنا ذلك من المخرجات المهاجرات من ذلك حكم وبنات عماتك وبنات خالك ومياتك لآلئك . وأما غيرهن من الكليات فلا يحل لك التزوج بهن وقوله (ولا أن تفعل بهن) مع من شمل الجاهلية عليهم كانوا يأتون زوجة فيزوجها أحدهم عزز حسنه وبأخذ زوجة بعده ، ويعطيه زوجته ، وعلى التفسيرين ومع خلاف في مسألتين (أحدهما) حرمة طلاق زوجته (والثانية) حرمة تزوجها بالكليات فمن فرغ على الأول حرم الطلاق ومن سارع على الثاني حرم التزوج بالكليات .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قوله (ولو أنجلك حسنة) أى حينئذ ، قال أبو عيسى قوله (ولو أنجلك) فى من الخلق ، ولا يجوز أن يكون ذر الخلق قوله (من أرواح) شبهة تشكيك فيه ولكن هو الخلق لا يحسن أن يكون مكررة بل ذن هو الذى عليه السلام . بين لا يحل لك النساء ، ولا أن تفعل بهن من أرواح وأب موجب محسن .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ ظاهر هذا ما كان قد ثبت له عليه السلام من أنه إذا رأى واحدة موفقت في قلبه موقدة كانت تحرم على تزوج ويحب عليه طلاق ، وهذه المسألة حكاه وهو أن من عليه السلام وسائر الأنبياء في أول انبوه فشد عليهم برحاء الوحي ثم يستأنسون به فيقول عليهم وهم يتحدثون مع أصحابهم لا يتقدم من ذلك مانع . ففى أول الأمر أحل الله من رفع في نفسه نفرة على نفسه وتوسيعاً لصدوره فلا يكون مشغولاً بغير الله ثم ما استأنس بالوحي وبين على لسانه الوحي مسح ذلك . بلما نقوله هذه السلام للجميع بين الأمرين ، وإما أنه يشوام الأزال لم يبق له مكوف من أمور الدنيا ، فلم يبق له الذمات إلى غير الله ، فلم يبق له حاجة إلى إحلل التزوج بمن وقع بصره عليه .

بَنَاتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ  
 نَظِيرِينَ إِنَّهُ وَلَكُمْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْبِلِينَ  
 لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ  
 الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلَكَ مُؤْمِنٌ شَيْئًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ زَوْجِهِمْ قَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ لِتُخْرِجُوا مِنْهُ  
 وَأَقْلُو بِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُوجَهُنَّ مِنْ بَعْدِهِ إِذْ

المسألة الخامسة: احتساب العلماء في أن تحريم النساء عليه من نسخ أم لا ؟ قال الشافعي  
 نسخ وقد قالت عائشة ما مات النبي إلا وأهل له النساء. وعلى هذا فالنسخ قوله (يا أيها النبي إنا  
 أحقق لك نزعائك) إذ أن قال (وبنات علك) وقال (وأمرأة مؤمنة) على قول من يقول  
 لا يجوز فسخ النكاح بغير الواحد إذ النسخ غير متواتر إن كان خبراً.

ثم قال تعالى (إلا ما طلقت بينك) لم يحرم عليه المطلكات لأن الإبقاء لا يحصل بالمطوكة،  
 ولهذا لم يجوز من أجل أن يجمع بين حرقين في بيت لمصون تقسوة بينهما وإمكان التخاصمة، ويجوز  
 أن يجمع لزوجة وجهاً من المطلكات لعدم التمازى بينهما ولهذا لا قسم لمن على أحد.  
 ثم قال تعالى (وكان الله على كل شيء رقيباً) أي حافظاً علماً بكل شيء قادر عليه، لأن الحفظ  
 لا يحصل إلا بهما.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ  
 نَظِيرِينَ إِنَّهُ

لما ذكر الله تعالى في النساء الثالث (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً) يائاً لخلافه مع أمته العامة  
 قال المؤمنون في هذا النساء لا تدخلوا إرثاً دأله وبياناً لحالهم مع النبي عليه السلام من الاحترام  
 ثم إن حال الأمة مع النبي على وجهين (أحدهما) في حال الخلوة والراحب هناك عدم إزعاجه  
 وبين ذلك بقوله (لا تدخلوا بيوت النبي) (وثانيهما) في الملأ والموجب هناك إظهار التحريم كما  
 قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اسلوا عليه وسلوا قبلها) وقوته (إلى طعام غير نظيرين إياه) أي  
 لا تدخلوا بيوت النبي إلى طعام إلا أن يؤذن لكم

قوله تعالى: وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْبِلِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ  
 ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلَكَ مُؤْمِنٌ شَيْئًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ



إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً ﴿٣٩﴾

وراء حجاب ذلكم ظهر لغيركم وفلهم وما كان لكم أَنْ تَدْعُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَسْأَلُوهُ  
أَوْ رَأْسَهُ مِنْ بَعْدِهِ . أَيْ أَنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً ﴿٣٩﴾

لَمْ يَبَيِّنْ مِنْ حَالِ الَّذِي أُلْهِمَ إِلَى اللَّهِ دَعْوُهُ (وَدَعَا إِلَى اللَّهِ) قَالَ هَذَا لَا تَدْعُوا إِلَّا إِيَّاهُ  
دَعَيْتُمْ بَيْنِي كَأَنَّكُمْ مَا دَعَيْتُمُ الْبَرَّ إِلَّا بِمَنِّهِ وَكَذَلِكَ لَا تَدْعُوا عَلَيْهِ إِلَّا بِدَعَاةٍ وَهِيَ (غَيْرُ  
مُطَرَّنٍ) مُنْصَوِّبٌ عَلَى الْحَقِّ . وَالْمَعْنَى فِيهِ عَلَى مَا قَالَه الرَّحْمَنِيُّ لَا تَدْعُوا قَالًا وَتَقْدِمُوا لَا تَدْعُوا  
بِرُوحِ النَّبِيِّ إِلَّا مَا دُعِيَ بِهِ مِنْ غَيْرِ مَظْهَرٍ . وَفِي الْآيَةِ مَسَائِلُ :

(الْأَوَّلَى) قَوْلُهُ (إِلَّا أَنْ يَدْعُونَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ) إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ تَقْدِيمُهُ  
وَلَا تَدْعُوا إِلَى طَعَامٍ إِلَّا أَنْ يَدْعُونَ لَكُمْ . فَلَا يَكُونُ مَسْأَلَةً مِنَ الدَّخُولِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الطَّعَامِ بَعِيرُ  
الْإِذْنِ . وَإِمَّا أَنْ لَا يَكُونَ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ فَكُونَ مَعْنَاهُ لَا تَدْعُوا إِلَّا أَنْ يَدْعُونَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ  
فَيَكُونُ الْإِذْنُ مُشْرُوطاً لَكُنْهُ إِلَى طَعَامٍ فَإِنْ يَدْعُونَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ إِلَّا بِحُجُوزِ الدَّخُولِ فَلَوْ أَنَّ  
لِوَاحِدٍ فِي الدَّخُولِ لاسْتَبَاحَ كَلَامَهُ لَا أَكُلُ طَعَامٍ لَا بِحُجُوزٍ . فَيَقُولُ الْمُرَادُ هُوَ الثَّانِي لِتَعْرِيفِ اللَّهِ عَنْ  
الدَّخُولِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ فَلَا يَحُجُوزُ إِلَّا (إِلَّا أَنْ يَدْعُوا إِلَى طَعَامٍ) . فَيَقُولُ قَالَ الرَّحْمَنِيُّ الْمُطَابَقُ مَعَ قَوْلِهِ  
كَانُوا يَحْبِسُونَ حِينَ الطَّعَامِ . وَيَدْخُلُونَ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ فَمَنْعُوا مِنَ الدَّخُولِ فِي وَقْتِهِ بَعِيرُ إِذْنٍ . وَالْأَوَّلَى  
أَنْ يَقَالِ الْمُرَادُ هُوَ الثَّانِي لِأَنَّ التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ خِلَافُ الْأَصْلِ وَقَوْلُهُ (إِلَى طَعَامٍ) مِنْ بَابِ  
التَّخْصِصِ بِالذِّكْرِ فَلَا يَدُلُّ عَلَى بَيِّنَةٍ مَعْنَاهُ . لَا سَبَابَ إِذَا عَلِمَ أَنَّ غَيْرَهُ مِثْلَهُ مَنْ مِنْ جَانِ دَخُولِ بَيْتِهِ  
يَأْذَنُ (إِنْ طَعَامُهُ جَارَ دَخُولَهُ إِلَى غَيْرِ طَعَامِهِ يَأْذَنُ) . فَإِنْ غَيْرُ الطَّعَامِ تَكُنْ وَجُودُهُ مَعَ الطَّعَامِ . فَمَنْ مِنْ  
الْجَانِ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعَهُ وَقَدْ يَدْعُوهُ إِلَى طَعَامٍ وَيَسْتَعْصِمُهُ فِي حَوَائِجِهِ وَيُعَلِّمُهُ عِنْدَهُ مِنْ الْمَعْلُومِ مَعَ  
زِيَادَةِ الْإِطْمَآنِ . فَادَّعَى بِالْكُلِّ رِصَادَهُ بِأَلْبَعُضِ أَقْرَبَ إِلَى الْفِعْلِ فَصِيرُ مِنْ بَابِ (لَا تَقُلْ لَهَا أَفْ)  
وَقَوْلُهُ (غَيْرِ مَظْهَرٍ) يَعْنِي أَنَّهُمْ لَا تَسْأَلُوهُ وَقَدْ طَعَامُهُ فَهُوَ رَسْمًا لَا بَيِّنَةً .

(الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ) قَوْلُهُ تَعَالَى (وَالَّذِينَ إِذَا دُعِيَ بِهِ دَعُوا) فِيهِ لُغْزٌ وَهُوَ أَنَّ فِي الْعَادَةِ إِذَا دُعِيَ  
لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُ دَخُولَ دَارِهِ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ لَا تَدْعُوا إِلَّا بِإِذْنٍ يَأْذَنُ وَيَقْطَعُ بِحَيْثُ لَا يَدْعُوا إِلَّا  
لَا بِالْعَدَا . وَلَا بِالْعَدَا . فَقَدْ لَا تَدْعُوا مِثْلَ مَا يَعْلَمُ الْمُسْتَكْفِرُونَ بِكُفْرِهِمْ حَاضِرِينَ سَامِعِينَ إِذَا قِيلَ  
لَكُمْ لَا تَدْعُوا لَا تَدْعُوا وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ ادْعُوا فَادْعُوا . وَإِنَّمَا قِيلَ وَقَدْ أَسْمُوهُ وَقَوْلُهُ (وَالَّذِينَ  
إِنْ يَدْعُونَ) بِغَيْرِ الْجَوَازِ وَقَوْلُهُ (وَالَّذِينَ إِذَا دُعِيَ بِهِ دَعُوا) بِغَيْرِ الْجَوَازِ فَقَوْلُهُ (وَالَّذِينَ إِذَا  
دُعِيَ بِهِ) لَيْسَ بِأَكِيدَ أَيْ هُوَ بِغَيْرِ فَائِدَةٍ جَدِيدَةٍ .

(الْمَسْأَلَةُ الثَّلَاثَةُ) لَا يَشْغُرُ فِي الْإِذْنِ التَّصْرِيحُ بِهِ . بَلْ إِذَا حَصَلَ الْعِلْمُ بِتَرْصَادِهِ جَارَ الدَّخُولِ  
وَلِهَذَا قَالَ (وَلَا أَنْ يَدْعُوا) مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ مُعَلَّلَةٍ . فَالْإِذْنُ إِنْ كَانَ اللَّهُ الَّذِي أُوْثِقَ الْبَقْلُ الْمُؤَيَّدُ بِالْبَيِّنِ

**إِنْ تَدْرَأُونَ شَيْئًا أَوْ تَخْشَوْنَ صُورَةَ اللَّهِ كَانَ بِكُمْ شَيْءٌ عَصِيًّا** ﴿٢٧﴾

جاء وتغل دار عليه حيث قال تعالى (أو صدقكم) وحده صداقة لما ذكرنا، فهو جاءهم بكر وعلم أن لا مانع في بيت عائشة من بيوت التي عيبه اسلام من تنكشف أو حضور غير محرم عندها أو على غير النار من الأهل أروى محتاجة إلى إطفاء حريق فيها أو غير ذلك، جاء المخوف.

﴿المسألة الرابعة﴾ قوله (فإذا طعتم فانتشروا) كان بعض الصحابة أطال المكث يوم وتغف إلى عيبه السلام في عرس زيب، والتي عيبه السلام لم يقل له شيئاً، وردت الآية جامعة لأدب، منها المنع من إيذاء المكث في بيوت الناس، وفي معنى البيت موضع مباح اختياره شخص لعباده أو اجتماعه بشغل يأتيه أحد، ويغسل المكث عنده، وموته (ولا مسأئين لحديث) قال الزخري مو عطف على (غير مظرين) مجرور، ويحتمل أن يكون مصدراً عطفاً على المعنى، فإن معنى قوله تعالى (لا يدخلوا بيوت الذين إلا أن يؤذنوا) لا يخطرها حاجين، فاعطف عليه (ولا مسأئين) ثم إن الله تعالى بين كون ذلك أدباً وكونه إلى حاجته بقوله (إن ذلكم كان يؤذي التي فاعتنوا بتلك) والله لا ينهي من الحق (إشارة إلى أن ذلك حتى وأدب، وقوله كان إشارة إلى تحسن التي عليه السلام، ثم ذكر الله أدباً آخر وهو قوله (وإذا سألكم عن ذلك فآلوهم من وراء حجاب) لما منع الله الناس من دخول بيوت نبي عبده السلام، وكان في ذلك عند الوصول إلى المأوى: بين أن ذلك غير ممنوع منه فإذ لم يلبس ولا عجب من وراء حجاب، وقوله (ذلكم أظهر تقويكم وطيوبكم) يعني الذين روي القلوب، فإذا لم تر الذين لا يشبه القلوب، أما إن رأيت الذين هذه يشبه القلوب وإذا لا يشبه، فاعقب عند عدم الرؤية أظهر وعدم التفتة حيث أظهر ثم إن الله تعالى لما علم المؤمنين الأدب، أكد بما يعلمهم على محافظته، فقال (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) بكل ما ستم عنه مؤذوا مؤامراته، وقوله تعالى (ولا أن تنكحوا أرواحهم من بعدهم) يدل سب نزوله أن تعسر الناس قبل هو طلبة بن عبيد الله، قال ابن عثيمين بعد محمد لا تكلمن عائشة، وقد ذكرنا أن القبط العالم لا يعبر عنه سب الرسول، فإن المراد أن إيذاء الرسول حرام، والتعريض لقبائله في حياته إيذاء فلا يجوز، ثم قال لا بل ذلك غير جائز مطلقاً، ثم أكد بعبارة (إن ذلكم كان عداوة عليه) أي إيذاء الرسول.

قوله تعالى : **إِنْ تَدْرَأُونَ شَيْئًا أَوْ تَخْشَوْنَ صُورَةَ اللَّهِ كَانَ بِكُمْ شَيْءٌ عَصِيًّا** ﴿٢٧﴾

يعني إن كنتم لا تدرأون في الخيال أو تدرأون على إيمانه أو تكافح أدبه، فإنه عليهم ذلك المحذور

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آيَاتِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءٍ لَهُنَّ وَلَا إِخْوَانٍ وَلَا أَبْنَاءَ لِإِخْوَانِهِنَّ  
وَلَا أَبْنَاءَ لِإِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَاءٍ وَلَا مَمْلُوكَاتٍ أَيْمَنَهُنَّ

ثم إن الله تعالى لما أقرن الحجاب استغنى المحارم بقوله لا جناح عليهن في آياتهن ولا أبناء  
ولا إخوانهن ولا أبناء لإخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نساءهن ولا مملكات أيمانهن ثم ولى  
الآية مسائل :

( الأولى ) في الحجاب أوجب السؤال من وراء الحجاب على الرجال . فلم لم يستثن الرجال  
عن الجناح ، ولم يقل لا جناح على آياتهن ؟ فتقول قوله تعالى ( فاسألوهن من وراء حجاب ) أمر  
بسد الستر عليهن وذلك لا يكون إلا بكونهن مستورات محجوبات وكان الحجاب واجب عليهن ،  
ثم أمر الرجال بتركهن كذلك ، ونهوا عن هنك أستارهن فاستثنى عن الأبناء والأبناء ( وفيه  
لحظة ) وهي أن عند الحجاب أمر الله الرجل بالسؤال من وراء حجاب ، وبخبرهم منه كون المرأة  
محجوبة عن الرجل بالطريق الأول . وعند الاستثناء قال تعالى ( لا جناح عليهن ) عند رفع الحجاب  
عنه ، فالرجال أولى بذلك .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قدم الآيات لأن اطلاعهم على بناتهن أكثر . وكيف وهم قد رأوا جميع  
بنات البنات في حال صغرهن ، ثم الأبناء ، ثم الإخوة وذلك ظاهر . إنما الكلام في بنى الإخوة  
حيث قدمهم الله تعالى على بنى الأخوات ، لأن بنى الأخوات أبأزوم ليسوا بمحارم إنما هم  
أزواج خالات أبنائهم ، وبنى الأخوة أبأزوم محارم أيضاً ، فن بنى الأخوات مبدء ما وهى أن  
الابن ربما يمكن خاله عند أبيه وهو ليس بمحرم ولا كذلك بنو الإخوة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ لم يذكر الله من المحارم الإصمام والأخوال ، فلم يقل ولا إصمامهن ولا  
أخوالهن لوجوب ( أحدهما ) أن ذلك علم من بنى الإخوة وبنى الأخوات ، لأن من علم أن بنى  
الأخ طهات محارم علم أن بنات الأخ للأصمام محارم ، وكذلك الحال في أمر الخصال ( ثانيها )  
أن الإصمام ربما يذكرون بنات الأخ عند أبنائهم وهم غير محارم ، وكذلك الحال في ابن الخال .  
﴿ المسألة الرابعة ﴾ ( ولا نساءهن ) مضافة إلى المؤمنات حتى لا يجوز الكشف للكافرات  
في وجهه .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ ( ولا مملكات أيمانهن ) هنا بعد السك ، فإن المقدسة في الكشف  
لم ظاهرة ، ومن الآية من قال المراد من كل دون البوع .

وَاتَّقِنِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿١٠٠﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿١٠١﴾

ثم قوله تعالى (واتقن الله) عند المائتة دليل على أن التكليف لم يشترط سلامة والطر بعدم المحذور . وقوله (إن الله كان على كل شيء شهيداً) في غاية الحسن في هذا الموضع . وذلك لأن ما سبق إشارة إلى جوانب أطرافهم والتكليف لهم . فقال إن الله شاهد عند ادخال بعضهم بعضاً . فخطوتكم مثل ملككم بشهادة الله تعالى فافهموا .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ لما أمر الله المؤمنين بالاستئذان وعدم النظر إلى وجوه سائر اصحابه ما كل ما كان حرمه . وذلك لأن حاله منحصرة في اثنين حالة شؤنه . وذكر ما يدل على احترامه في تلك الحالة بقوله (لا تدخلوا بيوت النبي) وحالة يكون في ملا . والملا إما الملا الأتلي . وإما الملا الأدنى . أما في الملا (لا على غير محرم . فإن الله وملائكته يصلون عليه . وأما في الملا الأدنى فذلك واجب الاحترام بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) وفي الآية مسائل :

(الاولى) الصلاة لله . يقال في اللغة صل عليه . أي دعا له . وهذا المعنى غير منقول في حق الله تعالى فإنه لا يدعوا له . لأن الدعا للغير طلب نفعه من ثالث . فقال الشافعي رحمه الله عنه استعمال المصنف بعدان . وقد تقدم في تفسير قوله (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) والذي يزيد هذا هو أن الله تعالى قال هناك (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) جعل الصلاة لله وحطف الملائكة على الله . وهما جمع نفسه وملائكته وأست الصلاة إليهم فقال يصلون) وفيه أعظم أنبي عليه الصلاة والسلام . وهذا لأن زواجر الواحد بالذكر وعقاب المبر عليه يوجب فضيلاً للذكور على المخطوف . كما أن الملك إذا قال يدعي فلان وفلان أيضاً بهم منه تقديم لا ينهم لو قال فلان وفلان يدعيان . إذا عطف هذا . فقال في حق النبي عليه السلام بهم يصلون يشاهد أن النبي الصلاة على النبي عليه السلام كالإصالة وفي الصلاة على المؤمنين الله برحمهم لهم أن الملائكة يوافقونه في الصلاة على النبي عليه السلام يصلون بالإحسان كأنها راجبة عليهم أو منسوبة سواء صل الله عليه أو لم يصل وفي المؤمنين ليس كذلك .

﴿ المسألة الثانية ﴾ هذا دليل على منعه الشافعي لأن الأمر بوجوب تحب الصلاة على النبي عليه السلام ولا تحب في غير الترتيب تحب في التشديد .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ سئل النبي عما "السلام كيف يصل عليك يا رسول الله ؟ فقال دعوا لوالدكم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم . وبارك على محمد وعلى آل محمد

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا

مُهِينًا ﴿٥٥﴾

كما ذكرت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ إذا صلى الله وملائكته عليه فأى حاجة إلى صلاتنا ؟ تقول الصلاة عليه ليس لحاجة إليها وإلا فلا حاجة إلى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه ، وإنما هو لإظهار تعظيمه ، كما أن الله تعالى أوجب علينا ذكر نفسه ولا حاجة له إليه ، وإنما هو لإظهار تعظيمه منا شفقة علينا ليحبنا عليه ، ولهذا قال عليه السلام : « من صلى على مرة صلى الله عليه عشرين » .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ لم يترك الله النبي عليه السلام تحت منه أمته بالصلاة حتى عرضهم عنه بأمره بالصلاة على الأئمة حيث قال ( وحصل عليهم إن ملائكتك سكن لهم ) وقوله ( وسليوا نبيي ) أمر فيجب ولم يجب في غير الصلاة فيجب فيها وهو قولنا السلام عليك أيها النبي في التشهد وهو حجة على من قال بعدم وجوبه وذكر المصدر لتأكيد ليكمل السلام عليه ولم يؤكد الصلاة هنا التأكيد لأنها كانت مؤكدة بقوله ( إن الله وملائكته يصلون على النبي ) .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ فصل الأشتيا ببيان بعض أحوالها ، فبين حال مؤذى النبي لبس فضيلة المسم عليه والعن أشد المحنورات لأن البدن من الله لا يرحى منه خير بخلاف التعذيب بالنار وغيره . ألا ترى أن الملك إذا تنهر على عذرك إن كان تأذيه غير قوى يرحمه ولا يطرده ولو خيرا المحرم [بين] أن يضرب أو يطرده عندما يكون الملك في غاية العظمة والكرام يحار الضرب على العز . ولا سيما إذا لم يكن في الدنيا ملك غير مبدى ، وقوله ( في الدنيا والآخرة ) إشارة إلى بعد الأجزاء القرب منه ، لأن المجد في الدنيا يرحم القرية في الآخرة ، فإذا أبعد في الآخرة فقد حاب وخسر ، لأن الله إذا أبعد وطرده فمن الذي يرحمه يوم القيامة ، ثم إنه تعالى لم يحصر جزاءه في الإبعاد بل أوعده بالعذاب بقوله ( وأعد لهم عذابا مهينا ) وجه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ ذكر إضاد الله وإضاد الرسول وذكر عنيه أمرين القن والتعذيب فالقن جزاء الله ، لأن من آذى الملك يبعده عن يابه إذا كان لا يأمر بمذابه ، والتعذيب جزاء إضاد الرسول لأن الملك إذا آذى بعض عبيده كبير يستوفى منه قصاصه ، لا يقال فعل هذا من يؤذى الله ولا يؤذى الرسول لا يعذب ، لأننا قولنا أنك أحد من على هذا الوجه عن الآخر محال لأن من آذى الله فقد آذى الرسول ، وأما على الوجه الآخر وهو أن من يؤذى النبي عليه السلام ولا يؤذى الله كمن عصى من غير إضراك ، كمن سبق أو طر من غير ارتداد وكفر ، فقد آذى النبي عليه السلام غير أن الله

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا . فَقَدْ احْتَمَلُوا مِنْهَا

وَمَا لَكُمْ مِنْهَا

تعال صبور غفور رحيم فيجزيه بالعذاب ولا يلحقه بكونه يعمده عن الباب .  
في المسئلة الثانية في أكد العذاب بكونه مهيناً لأن من تأذى من عيده وأمر بحبه وضربه  
فإن أمر بحبه في موضع غير . أو أمر بضربه رجلاً كبيراً يدل على أن الأمر حين . وإن أمر بضربه  
على ملا وجهه بين المفسدين يفهم عن شدة الأمر . فمن آذى الله ورسوله من المخلفين في النار  
فيحطب عذاباً مهيناً ، وقوله ( أعد لهم ) لتأكيد لأن السب إذا عذب عيده حالة الغضب من غير  
إعداد يكون دون ما إذا أعد له قيدا وغلا ، فإن الأول يمكن أن يقال هذا أثر الغضب فلا سكت  
الغضب يزول ولا كذلك الثاني .

قوله تعالى : وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا . فَقَدْ احْتَمَلُوا مِنْهَا  
وَمَا لَكُمْ مِنْهَا

لما كان الله تعالى مسلماً على نية لم يفتك إيذاء الله عن إيذائه ، فإن من آذى الله فقد آذى  
الرسول فبين الله للمؤمنين أنهم إن أتيت بما أمرتكم وعليتكم على النبي كما صليت عليه ، لا يفتك  
إيضاؤكم عن إيذاء الرسول قائم من يؤذيكم لتكون إيذاؤكم إيذاء الرسول ، كما أن إيذاؤك إيذاؤه  
وبالحمل لما حصلت الصلاة من الله ولللائكة والرسول والمؤمنين صار لا يكاد يفتك إيذاء أحد  
منهم عن إيذاء الآخر كما يكون حال الأصدقاء الصادقين في صداقة ، وقوله ( بغير ما كتبتوا )  
اجترأ من الأمر بالمعروف من غير عتف زائد ، فإن من جلد مائة على شرب الخمر أو حد أربعين  
على لعب الترد آذى بغير ما كتبت أيضا ، ومن جلد على الزنا أو حد الشرب لم يؤذ بغير  
ما كتبت ، ويمكن أن يقال لم يؤذ أصلا لأن ذلك إصلاح حال المضروب ، وقوله ( فقد  
احتملوا منها ) الهتان هو الزور وهو لا يكون إلا في القول والإيذاء قد يكون بغير القول فمن  
آذى مؤمناً بالضرب أو أخذ ماله لا يكون قد احتمل منها ، فنقول : المراد والذين يؤذون  
المؤمنين بالقول . وهذا لأن الله تعالى أراد إظهار شرف المؤمن ، فلا ذكر أن من آذى الله ورسوله  
لن . وإيذاء الله بأن ينكر وجود الله بعد معرفة دلائل وجوده أو يشرك به من لا يصبر ولا  
يسمع أو من لا يقدر ولا يعلم أو من هو محتاج في وجوده إلى موجد وهو قول ذكر إيذاء المؤمن  
بالقول . وعلى هذا خسر الألياء بالقول بالذكر لأنه أهم وأتم ، وذلك لأن الإنسان لا يقدر أن  
يؤذي الله بما يؤله من ضرب أو أخذ ما يحتاج إليه فيؤذي بالقول ، ولأن القليل الغائب لا يمكن  
إيذاؤه بالقول ، ويمكن إيذاؤه بالقول بأن يقول فيه ما يصل إليه فيتأذى ، والوجه الثاني في

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا جِذَابُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَكْبَرُ مِنْ جِذَابِ الدُّنْيَا وَالْآلِهَةِ الْمَعْلُومَاتِ .  
 ذَلِكَ أَتَى أَنِ يَعْرِفَ قُلُوبُ الْيُودِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣١﴾ لَّيْسَ لَكَ  
 يَنْتَهِي الْعَمَلُ فَتَقُولُ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ فِيهِمْ  
 ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٣٢﴾

الجواب هو أن نقول قوله بعد ذلك (وإنما مبني) عندك فكأنه قال أحصل جناناً إن كان بالقول  
 وإنما مبني كما هو كذا الإيذاء ، وكما كان فإن الله خص الإيذاء القول بالذكر لما يذنبه المؤمن  
 ولأنه أهم لأنه يصل إلى القلب ، وإن الكلام يخرج من القلب واللسان دليله ويدخل في القلب  
 والآذان سبيله .

قوله تعالى : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا جِذَابُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَكْبَرُ مِنْ جِذَابِ الدُّنْيَا وَالْآلِهَةِ الْمَعْلُومَاتِ .  
 لما ذكر أن من يؤذي المؤمن يتعمد جناناً وكان فيه منع التكلف عن إيذاء المؤمن ، أمر  
 المؤمن باجتناب الموضح التي فيها نهيهم الموجبة للتأذي لئلا يحصل الإيذاء المستوعب منه ، ولما  
 كان الإيذاء القول مختصاً بالذكر أحسن لأنه ذكر ما هو سبب الإيذاء القول وهو اللسان ، فأنشأ  
 ذكره بالسور يؤذي الرجال ، وأنشأ بخلاف ذكر الرجال فإن من ذكر امرأة بالسور تأذت  
 وتأذي أفرادها ، كقولهم : تأذيها ، ومن ذكر رجلاً بالسور تأذي ولا تأذي نسائه ، وكان في الجاهلية  
 تخرج المرأة والأمة مكشوفات بغير الزنا وقمع لهن ، فأمر الله الحرار بالتحليل .

وقوله : ذَلِكَ أَتَى أَنِ يَعْرِفَ قُلُوبُ الْيُودِيِّينَ قِيلَ يَعْرِفُونَ أَمِنْ سِرِّهِمْ فَلَا يَفِيضُونَ وَيُمْكِنُ أَنْ يَقَالَ  
 الْمَرَادُ يَعْرِفُونَ أَمِنْ لَا يَزِيدُونَ لِأَنَّ مِنْ أَسْمَاءٍ وَجْهًا مَعْلُومًا لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَا يَطْلُعُ فِيهَا أَنَّهُ تَكْتَفٍ  
 عَرَفَتْهَا فَمِنْ أَمِنْ مَسْتَوْدَعَاتٍ لَا يُمْكِنُ طَلَبُ الزَّانِئِينَ وَقَوْلُهُ (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) يُخَوِّلُكُمْ  
 مَا هُوَ سَبَبُ بَرَحَتِهِ وَيُفِيضُكُمْ عَلَى مَا تَأْتُونَ بِهِ رَاحَةً عَلَيْكُمْ .

قوله تعالى : لَّيْسَ لَكَ يَنْتَهِي الْعَمَلُ فَتَقُولُ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ فِيهِمْ  
 ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٣٢﴾ .

لما ذكر حال المشرك الذي يؤذي الله ورسوله ، والجاهل الذي يؤذي المؤمنين ، ذكر حال  
 المنصر الذي يظهر الحق ويصغر الباطل وهو المنافق ، ولما كان المذكور من قبل أقواماً ثلاثة  
 نظراً إلى اعتبار أمور ثلاثة : وهم المؤذون بالله ، والمؤذون بالرسول ، والمؤذون بالمؤمنين ، ذكر من  
 المنصرين الثلاثة نظراً إلى اعتبار أمور ثلاثة : (أحدها) المنافق الذي يؤذي الله سرّاً (والثاني) الذي

مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَحْضُرُوا قَاتِلُوا تَقْتِيلًا ﴿٣٧﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ  
وَلَنْ نَجْعَدَ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٣٨﴾ بِسَعَتِكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا  
عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٣٩﴾

في قلبه مرض الذي يؤذي المؤمن بإتياع سائه ( والثالث ) المرجف الذي يؤذي النبي عليه السلام بالإرجاف بقوله غلب محمد وسيخرج من المدينة وسيؤخذ وهؤلاء ، وإن كانوا قوماً واحداً إلا أن لهم ثلاث اعتبارات وهذا في مقابلة قوله تعالى ( إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ) حيث ذكر أصنافاً عشرة وكلهم يوجد في واحد فهم واحد بالخص كغير بالاعتبار وقوله ( لتربيتك بهم ) أي لتسلطك عليهم ولتخرجهم من المدينة ، ثم لا يجاوزونك وتخلو المدينة منهم بالموت أو الإخراج ، ويحصل أن يكون المراد لتربيتك بهم ، فإذا أغربناك لا يجاوزونك ، ( والاول ) كقول القائل يخرج فلان ريفاً إشارة إلى أمرين ( والثاني ) كقوله يخرج فلان ويدخل السوق في الآول يقرأ وإن لم يخرج وفي الثاني لا يدخل إلا إذا خرج ، والاستثناء فيه لطيفة وهي أن الله تعالى وعد النبي عليه السلام أنه يخرج أعداءه من المدينة ويفهم على يده إظهاراً لشوكة ، ولو كان النبي بإرادة الله من غير واسطة النبي لأحلى المدينة عنهم في الطرف أن يقول [ كن فيكون ] ، ولكن لما أراد الله أن يكون على يد النبي لا يقع ذلك إلا بزمان وإن لطف قتال ( ثم لا يجاوزونك بها الا قليلا ) وهو أن يهبطوا ويتأهبوا للخروج .  
قوله تعالى : ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَحْضُرُوا قَاتِلُوا تَقْتِيلًا ﴾ .

أي في ذلك القليل الذي يجاوزونك فيه يكونون ملعونين ملعونين من باب الله وبابك وإذا خرجوا لا يفتكون عن القلة ، ولا يجدون ملجأ بل أينما يكونون يقتلون ويؤخذون ويقتلون .  
قوله تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ نَجْعَدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .

يعني هذا ليس بدعا بهم بل حوسنة جارية وعادة مستمرة تفعل بالمكذبين ( ولن نجعد لسنة الله تبديلا ) أي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يبدل ويفسخ فإن شاع يكون في الأحكام ، أما الأفعال والأخبار فلا تدفع .

قوله تعالى : ﴿ بِسَعَتِكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ .

لما بين حالهم في الدنيا أنهم يلغون ويهاونون ويفترون أراد أن بين حالهم في الآخرة مد كرم بأشياءه وذكر ما يكون لهم فيها فقال ( يسألك الناس عن الساعة ) أي عن وقت القيامة ( قل إنما عليها عند الله ) لا بين لكم ، لأن الله أعفاهما لحكمة هي امتناع المكلف عن الاجترار وخوفهم منها في كل وقت .



إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٧١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ لَا يُجَدُّونَ  
وَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿٧٢﴾ يَوْمَ تُغْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ  
وَأَطَعْنَا الرُّسُلَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ  
﴿٧٤﴾ رَبَّنَا آتِنَاهُمْ فُضُولًا ﴿٧٥﴾ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنِيمِ لَعَنَ كَبِيرًا ﴿٧٦﴾

قوله تعالى : ﴿٧١﴾ وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ﴿٧٢﴾ إشارة إلى التعريف ، وذلك لأن قول القائل الله يسم من يكون الأمر انقلاباً بغير من إيعاز الأمر ، ألا ترى أن من يطلب مديراً يحقه بأن استعمله شهراً أو شهرين ربما يصبر ذلك . وإن قال له أصبر إلى أن يقدم فلان من غيره يقول الله يعلم حتى يحى . فلان ، ويمكن أن يكون يحى . فلان قبل انقضاء تلك المدة فقال ههنا ( وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ) يعني هي في علم الله فلا تسبطنوها ربما نفع عن قريب والقريب قبل يستوى فيه المذكر والمؤنث . قال تعالى ( إن رحمة الله قريب من المحسنين ) ولهذا لم يقل لعل الساعة تكون قريبة .

قوله تعالى : ﴿٧٣﴾ إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً ﴿٧٤﴾ يعني كما أنهم مملونون في الدنيا عندكم فكذلك مملونون عند الله ( وأعد لهم سعيراً ) كما قال تعالى ( لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً خالدين فيها أبداً ) مطبقين المكث فيها مستمرين لأمد خروجهم وقوله ( لا يجدون ولياً ولا نصيراً ) لما ذكر خلودهم بين تعقيبهم وذلك لأن المطالب لا يختص من العذاب إلا صديق يشفع له أو ناصر يدفع عنه . ولا دل لم يشفع ولا نصير يدفع . قوله تعالى : ﴿٧٥﴾ يوم تغلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسل . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل . ربنا آتِنَاهُمْ فُضُولًا مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنِيمِ لَعَنَ كَبِيرًا ﴿٧٦﴾ لما بين أنه لا شفع لهم يدفع عنهم العذاب من أن بعض أعضائهم أيضاً لا يدفع العذاب عن البعض بخلاف عذاب الدنيا فإن الإنسان يدفع عن وجهه الضرر إن شاء ، فانه من يفسد رأسه ووجهه يحمده ، يجعل يده جنة أو يظلمه رأسه كي لا يصيب وجهه . وفي الآخرة ( تغلب وجوههم في النار ) فما طنك بسائر أعضائهم التي تجعل جنة قلوبهم ووجوههم ( يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسل ) فيشعرون وينسبون حيث لا تنعيم الدائمة والحسرة ، لخصول عنهم بأن الخلاص ليس إلا للطيع . ثم يقولون ( إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا ) يعني بدل طاعة الله تعالى أطعنا سادة وعدل طاعة الرسل أطعنا الكبراء وتركنا طاعة سيد السادات وأكبر الأكار

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَنُوا مُوسَىٰ فَبَرَأَ اللَّهُ بِمَا قَالُوا

وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِبٌ ۝

بعدنا الخبر بالشعر ، فلا جرم فانا خير الجنان وأوتينا شر الزبائن ، ثم إنهم يطوبون بعض الناس بعذاب المصائب ، ويقولون (ربنا آتاهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) أى بسبب ضلالتهم وإسلامهم وفي قوله تعالى (ضعفين والعنهم لعناً كبيراً) معنى لطيف وهو أن الله لا يكون إلا عند عدم حصول الأمر المدعوى به والعذاب كان حاصل لهم والمعن كذاث فظلموا ما ليس بمحصل وهو زيادة العذاب بقولهم (ضعفين) وزيادة المعن بقولهم (لعناً كبيراً) .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَنُوا مُوسَىٰ فَبَرَأَ اللَّهُ بِمَا قَالُوا ۝﴾

لما بين الله تعالى أن من يؤذى الله ورسوله يلحقه ويغضب وكان ذلك إشارة إلى إيذاء هو كفر ، أرشد المؤمنين إلى الامتناع من إيذاء مودونه وهو لا يورث كفراً ، وذلك مثل من لم يرض بقسمة النبي عليه السلام وبحكمه بالتي لبيس وغير ذلك فقال ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَنُوا مُوسَىٰ ) وحديث إنداء موسى يختلف فيه ، قال بعضهم هو [إنداءهم إياه بنسبته إلى عيب في بدنه ، وقال بعضهم [إن] قارون فررمع امرأة فاحشة حتى تقول عندى [إسرائيل إن موسى زنى بى فلما جمع قارون هموم وفراوة ساهرة ألقي الله في قلبها أنها حدثت ولم تفل ما قلت وبالجملة الإيذاء المذكور في القرآن كاف وهو أنهم قالوا له ( اذهب أنت وربك فقاتلا ) وقولهم ( لن تؤمن لك حتى ترى الله جهره ) وقولهم ( لن نصبر على طعام واحد ) إلى غير ذلك فقال المؤمنون لا تكونوا أمثالهم إنما ظلمكم الرسول إلى القتال أى لا تقولوا ( اذهب أنت وربك فقاتلا ) لا تسألوا ما لم يؤذن لكم فيه وإذا أمركم الرسول فاعلموا منه ما استطعتم وقوله ( فبرأه الله بما قالوا ) على الأول ضامر لأنه أبرز جسمه ثمزوه فأروه وعلموا فساد اعتقادهم ونظفت ففراة بالحق وأمر الملائكة حتى عبروا بهرون عليهم فأروه غير مجروح ضلوا برأه موسى عليه السلام عن قتله الذى رموه به ، وعلى ما ذكرنا ( فبرأه الله بما قالوا ) أى أخرجه عن عهده ما طلبوا بإعتكابه البعض إياهم وإظهاره عنهم جواز التبرؤ وبالجملة فطمس الله سبحانه سمعهم ثم ضرب عليهم الذللة والنسكة وغضب عليهم ، وقوله ﴿ وَكَانَ هُنْدَاقٌ وَجِبٌ ۝﴾ أى ذا رجاعة ومعرفة ، والرجعية هو الرجل الذى يكون له زوجة أى يكون معروفاً بالخير ، وكل أحد وإن كان عند الله مبروراً لكن المعرفة مجردة لا تنكس في الرجاعة ، فإن من عرف غيره لكونه خادماً له وأجيراً عنده لا يقال هو رجعية عند فلان ، وإنما الرجعية من يكون له خصال حميدة تجعل من شأنه أن يعرف ولا ينكر وكان كذلك .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٦٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ  
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٦٨﴾ إِنَّا  
عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا  
وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٦٩﴾

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر  
لكم ذنوبكم ﴿ أرشدكم إلى ما ينبغي أن يصدر منهم من الاتقوا الأقوال ، أي الإحصال فطير . وأما  
الأقوال فالقول لأن من أتى بالخير وترك الشر فقد اتقى الله ومن قال الصدق قال قولاً سديداً ، ثم  
وعدهم على الأمرين بأمرين : على الخير وإصلاح الأعمال فإن يتقوا الله يصلح العمل والعمل  
الصالح يرفع ويقيم فيبقى طاعة خالداً في الجنة ، وعلى القول السديد بغفرة الذنوب .

قوله تعالى : ﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ طاعة الله هي طاعة الرسول ،  
ولكن جمع بينهما ليبين شرف فعل الطيع فإنه يفعله أو أحد اتخذ عند الله عهداً وعده الرسول بما  
وقوله ( فقد فاز فوزاً عظيماً ) جمعه عظيماً من وجوه ( أحدهما ) أنه من عذاب عظيم والنجاة من  
العذاب تعظم بعظم العذاب ، حتى أن من أراد أن يضرب غيره سوطاً ثم حامه لا يقال فاز فوزاً  
عظيماً ، لأن العذاب الذي لحقه لو وقع ما كان يتعاضد الأمر فتفاوتاً كثيراً ( والثاني ) أنه وصل  
إلى ثواب كثير وهو الثواب الدائم الأبدى .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ  
مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

لما أرشد الله المؤمنين إلى مكارم الأخلاق وأدب النبي عليه السلام بأحسن الآداب ، بين أن  
التكليف الذي وجهه الله إلى الإنسان أمر عظيم فقال : ( إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ) أي التكليف وهو  
الأمر بخلاف ما في الطبيعة ، واعلم أن هذا النوع من التكليف ليس في السموات ولا في الأرض  
لأن الأرض والحل والسهادة كلها على ما خلقت عليه : الجبل لا يطلب منه أن يدير والأرض لا يطلب  
منها الصعود ولا من السماء الهبوط ولا في الملائكة لأن الملائكة وإن كانوا مأمورين منهم عن  
أشياء لكن ذلك هم كالأكل والشرب لذاتهم بحسب الخلق والهار لا يفتررون كما يشغل الإنسان  
بأمر موافق لطبعه ، وفي الآية مسائل :

( الأولى ) في الأمانة وجو ، كثيرة منها من قال هو التكليف وحسب أمانة لأن من قصر فيه

عليه العرامة . ومن وفرقه ففكرامة . ومنهم من قال هو قول لا إله إلا الله وهو بعيد فالسموات والأرض والجنات بأسمائها تعلقه بأن الله واحد لا إله إلا هو . ومنهم من قال الاختصاص فالعين أمانة يبنى أن يحفظها والأذن كذلك واليد كذلك ، والرجل والفرج والمكان . ومنهم من قال معرفة الله بها فهم وأما أعلم

﴿ المسألة الثانية ﴾ في العرض وجوه منهم من قال المراد العرض ومنهم من قال المحترق ومنهم من قال الخافية أي فالتا الأمانة على السموات فوجعت الأمانة على أهل السموات والأرض .  
﴿ المسألة الثالثة ﴾ ( في السموات والأرض ) وجوه ( أحدها ) أن المراد من بأعيانها ، ( وثاني ) المراد أهلها ، فيه إضمار تقديره : إنا عرضنا الأمانة على أهل السموات والأرض .  
﴿ المسألة الرابعة ﴾ قوله ( فمبى أن يحملها ) لم يكن إلهاً من كلياته إلهيس في قوله تعالى ( أن أن يكون مع الساجدين ) من وجوه ( أحدها ) أن هناك السجود كان فرضاً . وهنا الأمانة كانت عرضاً ( وثانيها ) أن الإله كان هناك استكباراً وهنا استصغاراً استصغرت أعيانها ، فليس قوله ( وأشقق منها ) .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ ما سبب الإشفاق ؟ نقول الأمانة لا تقبل لوجوه ( أحدها ) أن يكون عريزاً صعب الحفظ كالآثار في من الجواهر التي تكون عزيزة سريعة الانكسار . فان العاقول يتنوع عن قبولها ولو كانت من الذهب والفضة لقبلها ولو كانت من الزجاج لقبلها . في الأول لا إله من هلاكها . وفي الثاني لكونها غير عزيزة لوجود التكليف كذلك ( وثاني ) أن يكون الوقت زمان شهب وغارة فلا يقبل العاقل في ذلك الوقت الودائع ، والأمر كان كذلك لأن الشيطان وجوده كما هو في قصد المكافئين إذ الفرض كان بعد خروج آدم من الجنة ( الثالث ) مراعاة الأمانة والإنسان بما يجب كإبداع الحيوانات التي تحتاج إلى العلف والسقي وموضع عموه . ومن يكون رحيماً ، قال تعالى ( أنت تعلم من قولها بخلاف منافع يوضع في صندوق أو في زاوية بيت وتكليف كذلك فانه يحتاج إلى تربية وتنمية .

﴿ المسألة السادسة ﴾ كيف حمل الإنسان ولم يحملها هذه الأشياء ؟ فيه جوابان ( أحدهما ) بسبب جهله بما فيها وعليها . ولهذا قال تعالى ( إنه كان ظلوماً جهولاً ) . ( والثاني ) أن الأشياء نظرت إلى أسمى مراتب مدققين فاستحسنوا ، والإنسان نظر إلى جانب التكليف . وقال المردع عالم قادر لا يعرض الأمانة إلا على أهلها وإذا أودع لا يتركها على يحفظها بعينه وعونه فقبلها . وقال ( إياك نعبد وإياك نستعين ) .

﴿ المسألة السابعة ﴾ قوله تعالى ( إنه كان ظلوماً جهولاً ) فيه وجوه ( أحدها ) أن المراد من آدم ظلم نفسه بالخالعه ولم يعلم ما يعاقب عليه من الإخراج من الجنة ( ثانيها ) المراد الإنسان بظلم بالعباد . ويحمل ما عليه من العقاب ( ثالثها ) إنه كان ظلوماً جهولاً ، أي كان من شأنه الظلم والجهل

يقال فرس شمس ودابة جروح وماء طهور أى من شأنه ذلك ، فكذلك الإنسان من شأنه الظلم والجبل فيما أودع الأمانة بين بعضهم على ما كان عليه وبعدهم ترك الظلم كما قال تعالى ( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ) وترك الجبل كما قال تعالى فى حق آدم عليه السلام ( وعلم آدم الأسماء كلها ) وقال فى حق المؤمنين عامة ( والراغبون فى العلم يقولون أماناً به ) وقال تعالى ( وما يخفى الله من عباده العلماء ) ( رابعها ) ( إنه كان ظلوماً جهولاً ) فى ظن الملائكة حيث قالوا ( أحمل فيها من عبادة ربها ) وبين عليه عذم حيث قال تعالى ( أنبتوني بأسماء هؤلاء ) وقال بعضهم فى تفسير الآية ( إن الخلق على قسمين مدرك وغير مدرك . والمدرك منه من يدرك الكلى والجزئى مثل آدمى . ومنه من يدرك الجزئى كالله تعالى ثم يدرك الشئ الذى تأكله ولا تتحرك فى عراشب الأمور ولا تنظر فى الدلائل والبراهين ، ومنه من يدرك الكلى ولا يدرك الجزئى كالملاك يدرك السكيات ولا يدرك لذة الجماع والأكلى ، قالوا وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله ( ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ) فاستوفوا بعدم علمهم تلك الجزئيات والتكليف لم يكن إلا على مدرك الأمرين إذ له لذات أمور جزئية . ففتح منها لتحصيل لذات حقيقية هى مثل لذة الملائكة بعبادة الله وسروره . ولما غيره فإن كان مكلفاً يكون مكلفاً لا بمعنى الأمر بها فيه علمه كلفه وحشفه بل بمعنى الخطاب فإن الخطاب بمعنى مكلفاً لما أن المكلف مخاطب بمعنى الخطاب مكلفاً وفى الآية لطائف ( الأولى ) الأمانة كان عرصها على آدم قبلها فكان أمياً عنها والقول قول المؤمنين فهو فائز . بن أولاده أخفوا الأمانة منه والأخذ من المؤمنين ليس بمؤمن . ولهذا وارتد المودع لا يكون القول قوله ولم يكره له من تجديد عهد واتيان ، فالؤمن اتخذ عهده عهداً نصراً أمياً من الله فصار القول قوله فكان له ما كان لأدم من لقون . ولما قال تعالى ( ويوسف على المؤمنين والمودعات ) أى كما تاب على آدم فى قوله تعالى ( تاب عليه ) والكافر صار آخذاً للأمانة من المؤمنين فبقى فى ضلائه . ثم إن المؤمن إذا أصاب الأمانة فى بدء شئ بقضاء الله وقدره كان ذلك من غير تقصير منه المؤمن لا يضمن ما فات بعير تقصير . والكافر إذا أصاب الأمانة فى بدء شئ . ضمن وإن كان غفلاً . الله وقدره . لأنه يضمن ما فات وإن لم يكن بتقصير ( الناطقة الثانية ) خص الأشياء الثلاثة بالذكر لأنها أشد الأمور واحتمالاً للأفهام . وأما السموات فقولها تعالى ( وحلقنا فوقكم سماءاً شداداً ) أو الأرض والجبال لا تحصى شدتها وصلابتها . ثم إن هذه الأشياء لما كانت لها شدة وصلابة عرص الله تعالى الأمانة عليها واكتفى بشدتين وقوتين فاستغن . لأنهن وإن كن أقرى . إلا أن أمانة الله تعالى فوق قوتها . وحملها الإنسان مع ضعفه الذى قال الله تعالى فيه ( وعلم الإنسان ضعيفاً ) والكر . وعده بالاعانة على حفظ الأمانة بقوله ( ومن يتوكل على الله فهو حسبه ) فان قيل فالذى يسه الله تعالى كيف يسدب فلم يندب الكافر ؟ بقول قال الله تعالى ( أنا أعين من يستعين بى ويتوكل على ) والكافر لم يرجع إلى الله تعالى فتركه مع تحب فيبقى فى عبده الأمانة ( الناطقة الثالثة ) قوله

يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ  
اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٦﴾

قَالَ قَاتِبٌ (أَنْ يَحْمِلَهَا) وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَجَلَّ الْإِنْسَانُ) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ فِيهِ شَفْعَةً تَخْلُفُ مَا يُوْجِبُ  
عَذَابُهُمْ أَنْ يَتَّيَمُوا وَقَبْلَهَا الْإِنْسَانُ ، وَمَنْ قَالَ يُعَذِّبُهُ أَفْعَلُ هَذَا الْفِعْلُ مَا تَمْ كَزُوْرُ الْفِعْلِ تَعَبٌ بِمَا لِي  
بِأَجْرَةٍ فَإِذَا صِلَتْ لَا يَسْتَحِقُّ أَجْرَهُ قَدْ تَعَالَى (رَحِمَهَا) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ عَمَّا يَسْتَحِقُّ لِأَجْرٍ عَلَيْهِ أَوْ  
عَلَى يَجُودِ حَسْبُ الْإِيمَانَةِ . وَإِذَا عَلَى رَحْمَتِهَا حَقُّ الرِّغَابَةِ يَسْتَحِقُّ الرِّبَاةَ فَإِنَّ قَبْلَ ذَلِكَ حُلُولُهَا غَايَةً  
مَا فِي بَابِ أَنَّ الْكَافِرَ لَمْ يَأْتِ شَيْءٌ : أَلَمْ عَلَى أَحْسَنِ عَيْدِي أَنْ يَسْتَحِقُّ الْأَجْرَ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ أَحْسَنُ هَذَا  
إِذَا كَانَ عَلَى وَفَى الْأَدْوَى مِنَ الْمَلِكِ الْأَمْرِ يَسْتَحِقُّ الْفَاعِلُ الْأَجْرَ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ أَحْسَنُ هَذَا  
إِلَى الصَّبَةِ الْقِيَّ عَلَى تَشْبَاهِ الْفِعْلِ وَقَبْلَهَا إِلَى النَّصِيحَةِ نَبِيٍّ عَنِ الْحَزْبِ لَا يَسْتَحِقُّ الْأَجْرَ وَيُلْزَمُهُ رَدُّهَا  
إِلَى الْمَوْصِي الَّذِي كَانَ فِيهِ كَذَلِكَ الْكَافِرُ حَمَلٌ عَلَى عِبَرِهِ الْإِدْنُ فَرَمَ وَزَاتِ حَدِيثَهُ الَّتِي عَلَيْهَا يُعَذِّبُ .  
قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى  
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

أَيُّ حَسْبِ الْإِنْسَانِ لِيُعَذِّبَ الْمُنَافِقَ وَالْمُشْرِكَ . قَالَ قَاتِبٌ لَمْ يَدْعُ الْعَذَابَ عَلَى التَّوْبَةِ قَوْلُ  
لِمَا سَمِيَ التَّكَايُفَ أَرَادَ بِالْإِيمَانَةِ مِنْ حِكْمَةِ التَّزْوِمِ أَنَّ الْخَاتَمَ يَحْضُرُ وَيُخَيَّرُ مِنْ حِكْمَةِ الْإِلَازِمِ أَنَّ  
الْأَمْرَ يُبَادِلُ جِهَتَهُ يَسْتَعِدُّ أَجْرَهُ فَكَانَ الْعَذَابُ عَلَى الْحَيَاةِ كَالْإِلَازِمِ وَالْأَجْرُ عَلَى الْخُلُوفِ أَحْسَنُ  
وَالْعَذَابُ قَبْلَ الْإِحْسَانِ وَفِيهِ سَأَلْنَا :

﴿ السَّأَلَةُ الْأُولَى ﴾ لَمْ يَعْطَ الْمُنْكَرُ عَلَى الْمُنَافِقِ ، وَلَمْ يَدْعُ أَحَدَهُ تَعَالَى فَلَمْ يَقُلْ يُعَذِّبُ اللَّهُ  
الْمُنْكَرِينَ وَعَذَابُ التَّوْبَةِ أَتَادَ أَحَدَهُ وَقَالَ وَيَتُوبُ اللَّهُ وَلَوْ قَالَ وَيَتُوبُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَانَ الْمُنَافِقُ حَاصِلًا ؟  
قَوْلُ أَرَادَ تَعْمِيلُ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُنَافِقِ لِحُطِّهِ كَالْكَلَامِ الْمُسْتَعْتَفِ وَبِحَسْبِ هُنَاكَ ذِكْرُ الْفَاعِلِ فَقَالَ  
( وَيَتُوبُ اللَّهُ ) وَيَحْفَظُ هَذَا قِرَاءَةً مِنْ قُرْآنِ وَيَتُوبُ اللَّهُ يَارْتَعِ .

﴿ السَّأَلَةُ الثَّانِيَّةُ ﴾ يَذْكُرُ أَنَّ فِي الْإِنْسَانِ وَصْفَيْنِ الظُّلْمَ وَالْجَهْلَ وَذَكَرَ مِنْ أَوْصَافِهِ وَصْفَيْنِ  
فَقَالَ ( وَيَكُنْ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ) أَيْ كَانَ غَفُورًا لِلظُّلْمِ وَرَحِيمًا عَلَى الْجَهْلِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
وَعَدَ عِبَادَهُ بِأَنَّهُ يَغْفِرُ ظُلْمَ رَحِيمًا ( لَا الظُّلْمَ الْعَظِيمَ الَّذِي هُوَ تَذَكُّرُكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى (إِنَّ الشِّرْكَ أَعْلَمُ عَظِيمٌ)  
وَأَمَّا الْوَعْدُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَنْ يَشْرِكْ بِهِ وَيَغْفِرُ لِمَنْ دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) وَأَمَّا الرِّحْمَةُ  
عَلَى الْجَهْلِ فَلِأَنَّ الْجَهْلَ حَقْلُ الرِّحْمَةِ وَذَلِكَ بِعَيْنِ الْمَسِي . بقوله مَا عَشْتُ .

( وَهِيَ الْخُفْيَةُ ) وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْلَمُ عَمْدَهُ بِأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَبِهِ وَبُغْضُهُ وَأَرَادَ غُفْرًا جَهْلًا  
ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِ الْإِيمَانَةَ فَجَاءَ بِهَا مَعَ طَلَبِهِ وَجَهْلِهِ لَعَلَّهُ يَجْعَلُهَا مِنَ الْغُفْرَانِ وَالرَّحْمَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(٢٤) سُبْحَانَكَ يَا مَنْ  
 وَاسِعَتْ سَمَوَاتُكَ وَخَشَعَتْ  
 لَكَ الْآيَاتُ  
 (وقيل فيها آية مدنية وهي (ورث الذين آمنوا العلم الذي أنزل إليك الآية)  
 وقيل عمر وعمر بن الخطاب  
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي تَرْمَى السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَكْبَادِ  
 وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَلِيمُ ①

### بسم الله الرحمن الرحيم

✦ الحمد لله الذي له مال السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ✦  
 السور المفتحة بأحد حسن سورتان منها في النصف الأول وهما الأسماء والكهف  
 وسورتان في الأخير وهما هذه السورة وسورة الملائكة والخافس وهي هامة تكتسب تفرامع  
 النصف الأول ومع النصف الآخر والحكمة فيها أن نعم الله مع أكثرهم وعدم قدرتها على حصاتها  
 منهجرة في قديم نعمة الإيجاد ونعمة الإبقاء. فإن الله فعل خلقنا أولاً برحمته وخلق لنا ما نعو  
 به وهذه النعمة تزداد مرة أخرى وبالإعادة فله تعلقنا مرة أخرى ويخلق لنا ما نعو به من حالان بالإع  
 والاعادة وفي كل حال له تعالى مجبا لنعمة الإبقاء ونعمة الإبقاء فقال في النصف الأول  
 الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وحمل الطوائف والنور (إشارة إلى شكره على نعمة الإيجاد وبذلك  
 عليه قوة حال فيه) هو الذي خلقكم من طين (إشارة إلى الإيجاد الأول) وقال في السورة فتارة  
 وهو الشكور (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوج فيها) إشارة إلى الشكر  
 على نعمة الإبقاء. فإن الشرائع بها الظاهر ولا شرع بخلافه الخلق لا ينع كل واحد ما له ولو قدمت  
 المبرعات في المصنوعات وأمر إلى الثقات والعلماء. ثم قال في هذه السورة (الحمد لله) إشارة إلى  
 صفة الإيجاد الثاني وبذلك عليه قوله تعالى (وله الحمد في الآخرة) وقال في الملائكة (أحمد لله)  
 إشارة إلى نعمة الإبقاء وبذلك عليه قوله تعالى جالس الملائكة رسلا والملائكة راجعهم لا تكونون  
 إلا يوم القيامة برسلكم الله مطهرين كما قال تعالى (وتلقاهم الملائكة) وقال تعالى عنهم  
 (سلام عليكم طمأنينة على ما خالفتم) وقائمة الكتاب ما استعانت على ذكر المصنف بقوله تعالى  
 (الحمد لله رب العالمين) إشارة إلى نعمة حاجته وقوله (مالك يوم الدين) إشارة إلى النعمة

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ يَدَيْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَخْرُجُ

فِيهَا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٧﴾

الآية قرأت في الافتتاح وفي الاحكام ، ثم في مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ اخذ شكر والشكر على النعمة والله تعالى جعل ما في السموات وما في الأرض لنفسه بقوله ( له ما في السموات وما في الأرض ) ولم يزل لنا حتى يجب الشكر فقول جواباً عنه اخذ بفرق الشكر في مدني وهو أن اعمد أشبه فيحمد من فيه صفات مبدية وإن لم ينعم على الخلق أصلاً ، فإن الإنسان يحسن به أن يقول في حق عالم لم يجتمع به أصلاً له عالم علم بارع كائن يقال له إنه يعمد علاناً ولا يقال له يشكره إلا إذا ذكر نعمة أو ذكره على نفسه فانه تعالى محود في الأول لا تفتنه بأوصاف الكمال ونعمت الجلال وشكوره ولا يزال على ما أبدى من الشكر وأسدى من النعم ولا يلزم ذكر النعمة للحمد بل يكفي ذكر النعمة وفي كونه مالك ما في السموات وما في الأرض عظيمة كاملة لله الحمد على أن يقول ( له ما في السموات وما في الأرض ) يوجب شكراً أتم ، ما يوجب قوله تعالى ( خلق لكم ما في الأرض ) وذلك لأن ما في السموات والأرض إذا كان لله ونحن المنعمون به لا هو ، يوجب ذلك شكراً لا يوجب كونه ذلك لنا .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قد ذكرتم أن الحمد هنا إشارة إلى النعمة التي في الآخرة ، ثم ذكر الله السموات والأرض فنقول نعم الآخرة غير مرتبة فذكر الله النعم المرتبة وهي ما في السموات وما في الأرض ، ثم قال ( وله الحمد في الآخرة ) يقاس نعم الآخرة بنعم الدنيا ويعلم فضلها بغيرها وغدا العاجلة ولهذا قال ( وهو الحكيم الخبير ) إشارة إلى أن خلق هذه الأشياء بالحكمة والخير ، والحكمة صفة ثابتة لله لا يمكن زوالها فيمكن منه إيجاد أشكال هذه مرة أخرى في الآخرة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ الحكمة هي العلم الذي يتصل به الفعل فإن من يعلم أسراً ولم يأت بما يناسب عمله لا يقال له حكيم . فالغافل الذي فعله على رفق نعيم هو الحكيم ، والخير هو الذي يعلم عواقب الأمور ويواطئها فله ( حكم ) أي في الابتداء بخلق كما ينبغي وخير أي بالابتداء يعلم ماذا يصدر من الخلق وما لا يصدر إلى ماذا يكون مصير كل أحد فهو حكيم في الابتداء بخير في الابتداء .

ثم بين الله تعالى كما أخبره بقوله ( يعلم ما بين يدي الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يخرج منها وهو الرحيم الغفور )  
ما بين يدي الأرض من الحية والاموات ويخرج منها من السنايل والاحياء وما ينزل من السماء



وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِي السَّاعَةُ قَبْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ نَسْتَجِيبُكَ عَنِ الْمَسْئَلَةِ الَّتِي تَسْأَلُنَا عَنْهَا وَتَجِيبُ  
لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ  
وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١٠٠﴾ نَجْزِي الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَسَلُوا أَنَّهَا مُسْخَرَةٌ  
لَهُمْ مَغْفِرَةً وَرِزْقًا كَرِيمًا ﴿١٠١﴾

من أنواع : حجة منها المظن ومنها الملائكة ومنها المراقب . وما يرجع بها أنها الحكم الغيب لعوله تعالى  
( إليه بعد الحكم الظاهر ) ومنها الأرواح ومنها الأعمال الصالحة لعوله ( ولعل الصالح يرفعه )  
ومنه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ : قد ما يرجع في الأرض على ما ينفذ من السماء ، لأن الحق ينفذ أولاً ثم  
ينفذ ثانياً .

﴿ المسألة الثانية ﴾ : قال وما يرجع بها ولم يقل يرجع إليها إشارة إلى قبول الأعمال الصالحة  
ومرئيتها نفوس أرواحها وهذا ليس كلمة إلى الغاية ، فهو قال وما يرجع فيها فهم الوجود عند  
السور فقال ( وما يرجع فيها ) فهم غودها فيها وحدها ، وهذا قال ( الحكم الظاهر ) إليه  
تصدق الحكم الظاهر لأن الله هو المحسن ولا مرنة فوق التوصل إليه ، وأما السماء فهي دنيا  
ومنها المثاني .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ : قال ( وهو الرحيم الغفور ) رحيم بالإزال حيث يزل الرزق عن السماء .  
غفور حيث ما ترجع إليه الأرواح والأعمال فرسم أولاً بالأزوال وعمر ثانياً عند العروج  
ثم بين أن هذه النعمة التي يسعون الله بها الحق . وهي نعمة الآخرة أنكرها قوم فقال تعالى  
( وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ) ثم رد عليهم وقال ( قل على ودي أن أتيتكم عالم الغيب  
لا يعمى عنه مثقال خرف في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب  
مبين ) يجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ﴿

أخبر بإنبيائها وكده بالبين ، قال الزمخشري رحمه الله : لم قال قائل كيف يصح التأكيده بالبين  
مع أنهم يقولون لا ورب وإن كانوا يقولون به ، لكن المسألة الإلهية لا تثبت بالبين وأجاب عنه  
بأنه لم يقتصر على البين بل ذكر التعويل وهو قوله ( يجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) ويؤيد  
كونه دليلاً هو أن نكس قد بين في الدنيا مدة متدبرة في اللغات الفاجلة ويموت عليها والمحسن قد  
يوم في دار الدنيا في الآلام الشديدة مدة ويموت بها ، فلو دار شكوك الأجرية فيها لمكان  
الغفر الرادي - ج ٢٥ م ١٦

الأمر على خلاف الحكمة ، والذي أتوه أنا هو أن الدلائل المذكورة في قوله ( علم قطيب لا يعرب عنه مثقال ذرة ) أظهر . وذلك لأنه إذا كان علماً لجميع الأشياء يعلم أجزاء الأجسام ويقتدر على جميع الساعة بمكة القيام ، وقد أخبر عنها الصادق فيكون واقعة ، وعلى هذا فقولته تعالى ( في السموات ولا في الأرض ) فيه نظرية وهي أن الإنسان له جسم وروح والأجسام أجزاءها في الأرض والأرواح في السماء فقولته ( لا يعرب عنه مثقال ذرة في السموات ) إشارة إلى علمه بالأرواح وقوله ( ولا في الأرض ) إشارة إلى علمه بالأجسام . وإذا علم الأرواح والأشباح وقدر على جميعها لا يبين استبعاد في المبدأ . وقوله ( ولا أصغر من ذلك ) إشارة إلى أن ذكر مثقال الفرة ليس للتجديد بل الأصغر منه لا يعرب ، وعلى هذا هو قال قائل تأتي حاجة إلى ذكر الأكبر ، فإن من علم الأصغر من الفرة لا يد من أن يعلم الأكبر ؟ فنقول : لما كان الله تعالى أراد بيان إثبات الأمور في الكتاب ، فهو أقصر عن الأصغر لحرمة متوهم أنه يشك الصغير ، فتكون على النسيان ، أما الأكبر فلا ينسى فلا حاجة إلى إثباته . فقال الإنان في الكتاب ليس كذلك فإن الأكبر أيضاً مكتوب فيه . ثم لما بين علمه بالصغائر والكبائر ذكر أن جمع ذلك وإتمامه للجزء فقال ( ليعزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم مغفرة ورق كريمة ) ذكر فهم أمرين الإيمان والعمل الصالح ، وذكر لهم أمرين المغفرة والرزق الكريم ، فالمغفرة جزاء الإيمان فكل مؤمن مغفوره وبدل عليه قوله تعالى ( إن الله لا يعزى أن يتركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ) وقوله عليه السلام فيها أخبر بما به نافع الدين عيسى بن أحمد من الحاكم البغدادي قال أخبرني والذي عن جدي عن يحيى البسة عن عبد الواحد الملبعي عن أحمد بن عبد الله التميمي عن محمد بن يوسف الغبري عن محمد بن إسحاق البخاري : يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان ، والرزق الكريم من العمل الصالح وهو مناسب فإن من عمل لسيد كريم عملاً ، فقد مرأته من العمل لا بد من أن ينعم عليه بإنعام وطعمه طاماً ، ووصف الرزق بالكريم قد ذكرنا أنه بمعنى ذي كرم أو مكرم . أو لأنه يأتي من غير طلب بخلاف رزق الدنيا فإنه مالم يطلب ويستيب فيه لا يأتي ، وفي التفسير سائل :

❖ **المسألة الأولى** ❖ قوله ( أولئك هم مغفرة ورق كريمة ) يعمل وجهين ( أحدهما ) أن يكون لهم تلك جزاء جود الله إليهم لقوله ( ليعزى الذين آمنوا ) ، ( وثانيهما ) أن يكون ذلك لهم وأنه يجزيهم بشي آخر لأن قوله ( أولئك هم ) جملة تامة إسمية . وقوله تعالى ( ليعزى الذين آمنوا ) جملة نفية مستقلة . وهذا أبلغ في الإشارة من قوله القائل . ليعزى الذين آمنوا رزقاً .

❖ **المسألة الثانية** ❖ اللام في ليعزى التعليل . معناه الآخرة للجزء . فإن قال قائل : فأوجه المناسبة بمنقول : أنه تعالى أراد أن لا ينقطع ثوابه بفعل التكليف داراً بآية ليكون ثوابه وأصلاً إليه دائماً أبداً ، وجعل قلبها داراً فيها اللام والأقسام وفيها الموت ليعلم التكليف مقدار ما يكون

وَالَّذِينَ سَمَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ

فيه في الاخر إذا نسبوا ما عايناهم إذا نظروا إليه في نفسه .

المسئلة الثالثة في غير الرزق يوصف بقوله كريم ولم يصف المفعلة واحدة من لذين من الرزق منه بخلة الرزق والسمي . ومنه العواكة والشراب العور . غير الرزق حصول الانقسام فيه . ولم يبين المفعلة لعدم الانقسام فيها .

ثم قال تعالى والذين سموا في آياتنا عاصرين أولئك لهم عذاب من رجز أليم .

لما بين حال المؤمنين يوم القيامة بين حال الكافرين . وقوله ( والذين سموا في آياتنا ) أي بالابطال . ويكون معناه الذين كذبوا بآياتنا وحشد يكون هذا في مقابل ما تقدم لأن قوله تعالى ( سموا ) معناه صدقوا وهذه آياتهم كذبوا لأن عين علم كونه سموا في الإبطال مع أن المذكور على السمع ؟ فقوله فهم من قوله تعالى عاصرين . وذلك لأنه حال معناه سموا فيها وهم يسمون المعصروا بمعنى في الغمر . وتبلغ لا يكون الساعي معاصراً لأن القرآن وآيات الله معصية وفي معصية لا سابع لها إلى أحد . وأما المكذب فهو آث واحد . آيات بنات . فيحتاج إلى السعي العظيم والجهد البالغ ليرجح كذبه لله بغير التمسك به . وقيل بأن المراد من قوله ( معاصرين ) أي ظاهرين أنهم يموتون الله . وعلى هذا يكون كون ساعي ساعياً بالمعنى في غاية الظهور . ولهم عذاب في مقابل لهم رزق . وفي الآية لطائف ( الأولى ) قال هنا ( لهم عذاب ) ولم يقل يحزنهم الله . وقد تقدم القول بأن قوله تعالى ( يجزي الذين آمنوا ) يعمل أن يكون الله يجزيهم بشئ آخر . وقوله ( أولئك لهم منفرة ) خالف عن مستحقهم الله لهم . وعلى الجملة فاحتمال الزيادة هناك قائم نظر إلى قوله ( يجزي ) وهنا لم يقل يجزيهم هم . فم يوجد ذلك ( الثانية ) قال هناك فيه منفرة ثم زادهم فقال ( ورزق كريم ) وهنا لم يقل إلا لهم عذاب من رجز أليم . والجواب بعدم في مثله ( الثالثة ) قال هناك ( هم معصرون ورزق كريم ) ولم يقل من تنبيهية فم يقل لهم نصيب من رزق ولا رزق من رجز كريم . وقال هنا ( لهم عذاب من رجز أليم ) بلفظة صالحة للتبعية وكل ذلك إشارة إلى سعة الرحمة وقلة النقص . الثالثة ( أيها والرحمن فيل أسوأ العذاب . وعلى هذا ( من ) لبيان الخس كقول الخالق حاتم من فصة . وفي الآية قرأتان الحر والإيع فالمرح على أن الأليم وصف العذاب كأنه قال عذاب أليم من أسوأ العذاب والحر على أنه وصف للحر والزعيم أقرب نظراً إلى المذنب . والحر نظراً إلى اللط . فإن قيل علم محض الانقسام في النظم فصالح عمله والمكذب الساعي الماهر لجز أن يكون أحد مؤمنين ليس له عمل صالح أو كافر منوّه . فقوله إذا علم حال التعريف المذكورين يعلم أن المؤمن قريب للدرجة من تقدم أمره والكافر قريب للدرجة من سبق ذكره وللمؤمن منفرة ورزق كريم . وإن لم يذكر في التكرامة مثل رزق الذي عمل صالحاً

④ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَهُمْ عَلَىٰ  
صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⑤ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ تُنْصِرُونَا عَلَىٰ رَجُلٍ يَمْسِكُ إِذَا  
مُرِفْتُمْ كُلٌّ مُمَرِّقٍ ⑥ إِنَّكُمْ لَنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ⑦

ولما كافر غير الملائكة عذاب وإن لم يكن من أسرار الأنوار التي للكافرين الماعدين .

قوله تعالى : ④ ويري الذين آمنوا أنهم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق يعني أن صراط  
العزير الحميد ⑤ .

لما بين حال من يسعى في التكذيب في الآخرة بين حاله في الدنيا ومرا أن سعيه باطل فإن  
من أولي عناية لا يفتقر بتكذيبه ويعلم أن ما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق ، وقوله  
هو الحق بقية المعصية أي ليس الحق إلا ذلك ، وأما قول المكذب باطل ، بخلاف ما إذا نازع  
خصمان ، والزمح فلعلي فيكون قول كل واحد حقا في نفسه ، وقوله تعالى ( ويهدي إلى صراط  
العزير الحميد ) يحتمل أن يكون بابا ذكره هو الحق فيه هذا إلى هذا الصراط ، ويحتمل أن  
يكون بياناً لفائدة أخرى ، وهي أنه مع كونه سقا حادياً والحق واجب القول فكيف إذا كان به  
فائدة في الاستفصال وهي الوصول إلى الله ، وقوله ( العزيز الحميد ) بغير رغبة ورهبة ، فإنه إذا كان  
عزيراً لا يكون لنا انتقام ينتقم من الذي يسعى في التكذيب ، وإذا كان هدياً شكر من يصدق  
ويعمل صالحاً ، فإن قيل كيف قدم الصفة التي للبهية على الصفة التي لمرهبة مع أنك أبدأ تسعى في  
بيان تخديم جانب الرحمة ؟ فنقول كونه عزيراً ثم الحية شديد الانتقام بقوى جانب الرغبة لأن  
رضا الجبار العزيز أهمل وأكرم من رضا من لا يكون كذلك ، فامره كما تحوط برحمة أيضاً ، وكما  
ترغب عن التكذيب ترغب في التصديق ليحصل القرب من العزيز .

قوله تعالى : ⑥ وقال الذين كفروا هل نملك على رجل يفتكهم إلا من أمر كل فريق ينصروا  
لن خلق جديد ⑦ .

وجه الترتيب : هو أن الله تعالى لما بين أنهم أنكروا الساعة ورد عليه بقوله ( قل  
على ربّي فتأتيتكم ) وبين ما تكونت بعد إتيانها من جزاء المؤمن على عمله الصالح وجزاء  
الكافر على تكذيب الآيات بالعذاب على الذنوب ، من حال المؤمن والكافر بعد قوله  
( قل على ربّي فتأتيتكم ) فقال المؤمن هو الذي يقول الذي أنزل إليك الحق وهو يهدي ، وقال  
الكافر هو الذي يقول هو باطل ، ومن غلبة اعتقادهم وعادهم في إبطال ذلك ظفروا على سبيل  
التمحيد ( هل نملك على رجل يفتكهم ) أي منكم يفتكهم كل فريق إنكم لني خلق جديد ؟ وهذا كقول  
الفاصل في الاستبعاد ، جاء رجل يقول إن الشمس تطلع من المغرب إلى غير ذلك من المحاللات .

أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ  
وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿١٠﴾ أَقَلَّمْ بِرَوَايَاكَ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلَقَهُمْ مِنْ أَنْسَاءِ وَالْأَرْضِ  
إِنْ نَشَأْ نُخَفِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

قوله تعالى : ﴿١٠﴾ أفترى على الله كذباً أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب  
والضلال البعيد ﴿١٠﴾ هذا يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون تام قول الذين كفروا أولاً أني  
هو من كلام من قال (هل ذلككم يحتمل أن يكون من كلام السامع المحيى لمن قال (هل ذلككم)  
كأن السامع ما سمع قول الله تعالى (هل ذلككم على رجل قال له : أفترى على الله كذباً فإن كان  
بصدق خلافه ، لم به جنة) أي (جواباً إن كان لا يصدق خلافه : وفي هذا العاطفة) وهو أن الكافر لا يرضى  
بأن يظهر كذبه ، ولهذا قسم ولم يحزم ، أنه مقرر ، بل قال مقرر أو مجنون ، احترازاً من أن يقول  
قائل كيف يقول ، أنه مقرر ، مع أنه حائز أن يقرر أن الحق ذلك نفس تصديق جميع نسبة العاقل  
مقررماً وكاذباً في بعض المواضع ، ألا ترى أن من يقول جاء زيد ، عدائين أنه لم يبحي ، فويل له  
كذبت ، يقول ما كذبت ، وإفاحت من فلان أنه جار ، حلفت أنه صادق فيدفع الكذب عن  
نفسه الطل ، فهم احترازوا عن تبرير كذبهم ، وكل عاقل ينبغي أن يحتراز عن ظهور كذبه عند  
الخاص ، ولا يكون العاقل الذي درجة من التكلم ، ثم إنه نهار أهاجهم مرة أخرى وهذا (بل الذين  
لا يؤمنون بالآخرة في العذاب) في معاملة هولم (أفترى على الله كذباً) وقوله (الضلال البعيد)  
في مقابلة هولم (ه جنة) وكلامه مناسب ، أما العذاب فلأن نسبة الكذب ، في الصادق مؤذية ،  
لأنه شهادة عليه بأنه يستحق العذاب لحمل العذاب عنهم حيث نسبوه إلى الكذب ، وأما المجنون  
فلأن نسبة المجنون إلى الدافع دونه في الإبتداء ، لأنه لا يشهد عليه بأنه يعذب ، ولكن ينسب إليه  
عدم الهداية غير أنهم هم الضالون ، ثم وصف هؤلاء بالبعد ، لأن من يسمى المهتدي ضالاً يكون  
هو الضال ، من يسمى الهادي ضالاً يكون أضل ، والذي عليه خلاصه وسلام كان هادي كل مهتد ،  
قوله تعالى : ﴿١١﴾ أفترى على الله كذباً أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب  
والضلال البعيد ﴿١١﴾ هذا يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون تام قول الذين كفروا أولاً أني  
هو من كلام من قال (هل ذلككم يحتمل أن يكون من كلام السامع المحيى لمن قال (هل ذلككم)  
كأن السامع ما سمع قول الله تعالى (هل ذلككم على رجل قال له : أفترى على الله كذباً فإن كان  
بصدق خلافه ، لم به جنة) أي (جواباً إن كان لا يصدق خلافه : وفي هذا العاطفة) وهو أن الكافر لا يرضى  
بأن يظهر كذبه ، ولهذا قسم ولم يحزم ، أنه مقرر ، بل قال مقرر أو مجنون ، احترازاً من أن يقول  
قائل كيف يقول ، أنه مقرر ، مع أنه حائز أن يقرر أن الحق ذلك نفس تصديق جميع نسبة العاقل  
مقررماً وكاذباً في بعض المواضع ، ألا ترى أن من يقول جاء زيد ، عدائين أنه لم يبحي ، فويل له  
كذبت ، يقول ما كذبت ، وإفاحت من فلان أنه جار ، حلفت أنه صادق فيدفع الكذب عن  
نفسه الطل ، فهم احترازوا عن تبرير كذبهم ، وكل عاقل ينبغي أن يحتراز عن ظهور كذبه عند  
الخاص ، ولا يكون العاقل الذي درجة من التكلم ، ثم إنه نهار أهاجهم مرة أخرى وهذا (بل الذين  
لا يؤمنون بالآخرة في العذاب) في معاملة هولم (أفترى على الله كذباً) وقوله (الضلال البعيد)  
في مقابلة هولم (ه جنة) وكلامه مناسب ، أما العذاب فلأن نسبة الكذب ، في الصادق مؤذية ،  
لأنه شهادة عليه بأنه يستحق العذاب لحمل العذاب عنهم حيث نسبوه إلى الكذب ، وأما المجنون  
فلأن نسبة المجنون إلى الدافع دونه في الإبتداء ، لأنه لا يشهد عليه بأنه يعذب ، ولكن ينسب إليه  
عدم الهداية غير أنهم هم الضالون ، ثم وصف هؤلاء بالبعد ، لأن من يسمى المهتدي ضالاً يكون  
هو الضال ، من يسمى الهادي ضالاً يكون أضل ، والذي عليه خلاصه وسلام كان هادي كل مهتد ،

لِكُلِّ عَبْدٍ مُبِينٌ ۝ وَنَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَشِجِبَالُ أُوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ بِأَمْرِهِ ۝ وَأَنَّا لَهُ الْخَبِيرَةُ ۝

وأما التهديد فبقوله (إن نشأ نخسفهم الأرض) يعني يجعل عين ناعقهم ضارهم بالخسف والنفخ .  
قوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآية لكل عبد عاقل ﴾ أي لكل من يرجع إلى الله ويترك التمسك  
بم إن الله تعالى لما ذكر من نبين من عباده ، ذكر منهم من أناب وأصاب ومن جهلهم داود كما  
قال تعالى عنه ( يستغفر له ) وغيره كما وأتاب ( وبين ما أتاه الله على آياته تعالى :

﴿ ولقد آتينا داود منا فضلا بإبيل أوبي معه والطير وأتينا له الحديد ﴾ وفي الآية مسائل :  
﴿ المسألة الأولى ﴾ قوله تعالى ( منا ) إشارة إلى بيان فضيلة داود عليه السلام ، وتقريره هو أن  
قوله ( ونقد آتينا داود منا فضلا ) مستغن بالمفهوم وتام كما يقول القائل : آتى الملك زيدا عطلة ،  
إذا قال القائل آتاه منه عطلة فبعد أنه كان من خاص ما يكون له ، فكذلك إيتاء الله الفضل عام  
لكن البهجة من عده خاص بالعض ، ومثل هذا قوله تعالى ( يسترهم بهم برحة منه ورضوان )  
فإن برحة الله واسعة تصل إلى كل أحد في الدنيا لكن برحته في الآخرة هي المؤمنين برحة من  
عده لخواصه فقال ( يسترهم بهم برحة منه ) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ في قوله ( بإبيل أوبي معه ) قال الزعزعي ( بإبيل ) بدل من قوله ( فضلا )  
معناه آتينا فضلا قرنا بإبيل ، أو من آتينا ومعناه قلنا بإبيل .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ترى أوبي يشديد الواو من التأويب ويسكونها وحسن الحمزة أوبي من  
الأوب وهو الرجوع والتأويب ترجيع ، وقيل بأن معناه سري معه ، وفي قوله ( يسبحن )  
قالوا هو من السباحة وهي الحركة المخصوصة .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ ترى (و الطير) بالنصب حلا على محل المتأدى والطير بالرفع حلا على خطه .  
﴿ المسألة الخامسة ﴾ لم يكن الموافق له في التأويب متحصرا في الجبال والطير ولكن ذكر  
الجبال ، لأن تصوير جمودها وأجبارها تغرر تسبب منها الموافقة ، فإذا وافقه هذه الأشياء  
غيرها أولى ، ثم إن من الناس من لم يوافقهم ولم يوافقهم وهم القسبة ظوهم التي هي أشد قسوة من الحجارة .  
﴿ المسألة السادسة ﴾ قوله ( وأتينا له الحديد ) عقيب : والمعطوف عليه يحتمل أن يكون قلنا  
المعنى في قوله ( بإبيل ) تأويله ( بإبيل ) أوبي وأتينا ، ويحتمل أن يكون عطفا على آتينا تقديره  
آتينا فضلا وأتينا له .

﴿ المسألة السابعة ﴾ لأن الله له الحديد حتى كان في يده كالشمع وهو في قدرة الله سحر ، فانه  
بين بالدار ويصل حتى يصير كاللذات الذي يكتب به ، فأى عاقل يسلم ذلك من قدرة الله ، قل

أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

﴿١١﴾ وَرَسُلَيْمَنْ الرِّيحِ غَدُّوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسْلَسْنَا لَكَ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنْ الْجَنِّ

مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يُادِنُ رَبَّهُ وَمَنْ بَخِغَ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُفَقِّهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ

﴿١٢﴾

إنه طلب من الله أن يمنة عن أكل مال بيت المال فالآن له الحريد وعله صنعة الخبوس وهي الدود و إنما اختار الله له ذلك . لأنه وقاية للروح التي من أمره وسى في حفظ الأدمى الحكيم عند الله من القتل . فالمراد خبر من القواس والسباغ وغيرها .

قوله تعالى : ﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ قبل إن أن همما للتفسير فهي مفسرة ، بمعنى أى عمل سابغات وهو تفسير (أنا) وتحقيقه لأن يعمل ، يعنى ألساله الحديد لعمل سابغات ويمكن أن يقال ألمتاء أن يعمل وأن مع الفعل المستقبل المصدر فيكون معناه : ألساله الحديد والمهنة عمل سابغات وهي الدود الواسعة ذكر الصفة ويظهر منها الموصوف وقد في السرد . قال المفسرون أى لا تفلظ المسابير فتسبب القتب ولا توسع القتب فتقتل المسابير فيها . ويعتدل أن قال السرد هو عمل الزرد ، وقوله (وقدر في السرد) أى الزرد إشارة إلى أنه غير مأثور به أمر إيجاب إنما هو الكذاب والكذب يكون بفدر الحاجة وباقى الأيام والآلئ للعبادة قددر في ذلك العمل ولا تفعل جميع أوتامك بالكذب بل حصل به القوت فحسب . ويدل عليه قوله تعالى (واعملوا صالحاً) أى اسم مخلوقين إلا للعمل الصالح واعملوا ذلك واكثروا به . وتكذب فندوا فيه . ثم أكد طاب الفعل الصالح بقوله (إني بما تعملون بصير) وقد ذكرنا مراراً أن من يعمل ملك شعلا ويعلم أنه بمرأى من الملك يحسن العمل ويشفه ويحجده به . ثم لما ذكر المنيب الواحد ذكر منياً آخر وهو سايان . كما قال تعالى (والفيا على كرميه جدم أناب) .

وذكر ما استفاد هو بالإجابة فقال (وليليان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلسنا لعين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه إذن ربه ومن بخرع منهم صرأه فافقه من عذاب السعير) وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ فرى . (وليليان الريح) بالرفع والنصب وجه الرفع (وليليان الريح) مسخرة أو مسخرة (وليليان الريح) بوجه النصب (وليليان) مسخرة (الريح) بالرفع وجه آخر

وهو أن يقال معناه ( ولسليمان الريح ) كما يقال لزيد الدار . وذلك لأن الريح كانت له كالملوك المحتصر به بأمرها بما يريد حيث يريد .

﴿ المسألة الثانية ﴾ في الواو المصنف فعل في قراءة الرفع بصير عطفاً لحلة اسمية على جملة فعلية وهو لا يجوز أولاً بحسن فكيف هذا فنقول لما بين حال داود كأنه تعالى قال ما ذكرنا لداود ولسليمان الريح . وإنما على المنصب فعل في قوله وألنا له الحديد ( كأنه قال وألنا لداود الحديد ) ومخرجا لسليمان الريح .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ المصدر لسليمان كانت ريحاً مخصوصة لا هذه الريح ، فإياها الماضع عامة في أوقات الحاضرات ويدل عليه أنه لم يقرأ إلا على فتوحه ما قرأ أسد الزباج .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قال بعض الناس : المراد من تسخير الجبال وتسبيحها مع داود أنها كانت تسبح كما يسبح كل شيء ( وإن من شيء إلا يسبح بحمده ) ، وكان هو عليه السلام يفتنه تسبيحها يسبح . ومن تفسير الريح أنه راضٍ أخيل وهي كالريح وقوله ( غدها شهر ) ثلاثون فرسخاً لأن من يخرج للفرسخ في أكثر الأمر لا يسير أكثر من فرسخ ويرجع كذلك . وقوله في حق داود ( وألنا له الحديد ) وقوله في حق سليمان ( وألنا له عين القطر ) أنهم استخرجوا تذيب الحديد وانحسرت بالنار واستعمال الآلات منهما وتشييعا لهن أي أذاً أنواراً وهذا كله فائدة جملة على هذا منبغ اعتقاده [ وإجماع اعتقاده على قدرة الله والله قادر على كل ممكن وهذه أشياء ممكنة .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ أقول قوله تعالى ( ومخرجا مع داود الجبل ) وقوله ( ولسليمان الريح عاصفة ) لو قال فائق ما الحكمة في أن الله تعالى قال في الآية ( ومخرجا مع داود الجبال ) وفي هذه السورة قال ( يا جبال أوبي معه ) وقال في الريح هناك وهما ( ولسليمان ) يقول الجبال لما سيحدث شرفه بذكر أنه لم يضعها إلى داود بلام الملك بل جعلها معه كالصاحب ، والريح لم يذكر فيها أنها سبغت لجعلها كالملوك له وهذا حسن وفيه أمر آخر مقول يظهر في وهو أن على قولنا ( أوبي معه ) سيري فاجل في السير ليس أهلاً بل هو يتحرك معه تبعاً ، والريح لا تتحرك مع سليمان بل تتحرك سليمان مع نفسها ، فلم يقل الريح مع سليمان ، بل سليمان كان مع الريح ( وألنا له عين القطر ) أي التحسرت ( ومن الجن ) أي مخرجا له من الجن . وهذا ينبغي عن أن جميع ما كانوا تحت أمره وهو الظاهر .

واعلم أن الله تعالى ذكر خلقه أشياء في حق داود وثلاثة في حق سليمان عليهما الصلاة والسلام فاجل الجبال الشجرة لداود من جنس تسخير الريح لسليمان . وذلك لأن التخليل مع ما هو أخف منه إذا تحركا سبق الخفيف الثقل وبقى الثقل مكانه ، لكن الجبال كانت أثقل من الأولى والأدنى أثقل من الريح فتدور الله أن سار الثقل مع الخفيف أي الجبال مع داود على ما قلنا ( أوبي ) أي سيري وسليمان وجنوده مع الريح الثقيل مع الخفيف أيضاً ، وتظهر من جنس تسخير الجن لأنهما



يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْبُوبٍ وَتَتَّخِذُ لِرَبِّكَ الْحُجُوبَ وَقَدْ دُرِّرَ رَأْسِي  
أَتَعْمَلُونَ آيَاتِ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿٣٧﴾

لا يجتمعان مع الإنسان : الطير انغوره من الإنس والإنس لغوره من الجن ، فان الإنسان يتقى مواضع الجن . والجن يطالب أبدأ اصطياد الإنسان والإنسان يطلب اصطياد الطير فقدر الله أن صار الطير لا يغرن داود بل يستأنس به ويطلبه ، ومنه أن لا يغرن من الجن بل يسخره ويستخدمه وأما القطر والمهذب فتجاذبا غير حسي (وهما لطيفة) وهي أن الأرض ينبغي أن يتقى الجن ويحذره والاجتماع به يقضى إلى الفسدة ولهذا قال تعالى : (أعوذ بك من هزات انسياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) فكيف طلب سليمان الأفتاح بهم فغول قوله تعالى (من يعمل بين يديه ما يؤمن به) إشارة إلى أن ذلك الغصن لم يكن فيه مقسدة (ولطيفة أخرى) وهي أن الله تعالى قال حينئذ (يا ذر رب) بلفظ الرب وقال (ومن نزغ منهم عن أمرنا) ولم يقل عن أمر ربه ، وذلك لأن الرب لفظ يجرى من الرحمة ، فقد كانت الإشارة إلى حفظ ما بين عليه السلام قال (رب) وعندها كانت الإشارة إلى تعذيبهم قل (عن أمرنا) بلفظ التعميم الموحى لزيادة اخوف وقوله تعالى (لقد فرغنا من عذاب السمير) فيه وجهان : (أحدهما) : أن الملائكة كانوا موكلين بهم وبأيديهم يفلح من نار فالإشارة إليه (والثاني) : أن السمير هو ما يكون في الأسرة فأوعدهم بما في الأسرة من العذاب قوله تعالى : ﴿ يعملون له ما يشاء من محبوب ﴾ والجن لا يحجبون ولا يسترهم ، وإنما يعرفونها آي داور شكرا وظل من عبادي الشكور ﴿

المحارب إشارة إلى الآية الرابعة ولهذا قال تعالى (يا تسودوا المحارب) والجن لا يكون فيها من الثقوش ، ثم لما ذكر البناء الذي هو الحكر بين ما يكون في السكنى من ماعون الأكل قال (وجنك للجواب) جمع جارية وهي الماوض الكبير الذي يحصى الماء أي يحميه وفيه كان يجمع على حته وأحدة البهائم (وقدور) رأيت ثابتا لا تتغير لكبرها . وإنما يعرف منها في ترك الجفان ، وفيه مسائل :

المسألة الأولى : قدم المحارب على الثابت لأن الثقوش تكون في الأبنية وقدم (الجفان) في الذكر على (القدور) مع أن القدور آلة لطبخ والجفان آلة الأكل والطبخ قبل الأكل . فتقول لما بين الآية الملائكة أو ما بين عظمة السباحة الذي يمدن تلك الدور ، وأشار إلى الجفان لأنها تكون فيه . وأما القدور فلا تكون فيه ، ولا تحضر هناك . ولهذا قال (رأسيت) أي غير مفولات . ثم لما بين حال الجفان العظيمة كان يقع في النفس أن الطعام الذي يكون بها في أي ثوبه يطبخ فأشار إلى القدور الثانية للجفان .

قُلْنَا قُضِيَنا عَلَيْهِ الْمَوْتُ مَا دَلَّهمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِن مَّاءِهِمْ

﴿ المسألة الثانية ﴾ ذكر في حق داود اشتماله بآية الحرب ، وفي حق سليمان بحالة السلم وهي المساكن والمآكل وذلك لأن سليمان كان له داود ، وداود قتل جالوت والملوك الجبارة ، واستوى داود على الملوك . فكان سليمان كوكبه ملك يكون أبوه قد سوى على ابنه الملك وجمع له المال فهو يفرقه على جنوده ، ولأن سليمان لم يقدر أحد عليه في ظنه فترجسوا الحرب منه وإن حارب أحد كان زمان الحرب يسير لإدراكه إياه باترخ فكان في زمانه العطية بالإعطاء والإنعام .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ما قال غيب قوله تعالى ( أن نحن سابغات ) اعلموا صالحاً . قال غيب ما يفعله الجن ( اعلموا أن داود شكر ) إشارة إلى ما ذكر ، أن هذه الأشياء حاله لا ينبغي أن يجعل الإنسان نفسه مسخرة فيها وإنما الواجب الذي ينبغي أن يكثر منه هو السمل الصالح الذي يكون شكراً ، وجه إشارة إلى عدم الالتفات إلى هذه الأشياء . وقلة الاشتغال بها كما في قوله ( وقد نرى السرد ) أي يجعله بغير الحاجة .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ انتصاب شكراً بحتمل ثلاثة أوجه ( أحدها ) أن يكون مفعولاً له كقول القائل جئتكم طمعاً وعبدت الله رجاءً غفرانه ( وثانيه ) أن يكون مصدرأ كقول القائل شكرت الله شكراً ويكون المصدر من غير لفظ القفل كقول القائل جلست قعوداً ، وذلك لأن العمل شكر فوله ( اعلموا ) يقوم مقام قوله ( اشكروا ) ( وثالثه ) أن يكون مفعولاً له كقولك أصرب زبداً كما قال تعالى ( واعلموا صالحاً ) لأن الشكر صالح .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قوله ( وقل من عبادي الشكور ) إشارة إلى أن الله خضع الأمر على عباده ، وذلك لأنه لما قال ( اعلموا آل داود شكراً ) فهم منه أن الشكر واجب لكن شكر نفسه كما ينبغي لا يمكن ، لأن الشكر بالتوفيق وهو نعمة يحتاج إلى شكر آخر وهو بتوفيق آخر ، وإنما تكون نعمة الله بعد الشكر خالية عن الشكر ، فقال تعالى إن كنتم لا تعلمون على الشكر انعام فليس عليكم في ذلك حرج ، فإن عبادي قليل منهم الشكور ويهوى قولنا أنه تعالى أدخل الكل في قوله ( عبادي ) مع الإضافة إلى نفسه ، وعبادي بلفظ الإضافة إلى نفس المتكلم لم ترد في القرآن إلا في حق التاجين ، كقوله تعالى ( يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ) وقوله ( إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ) فإن قيل على ما ذكرتم شكر الله سبحانه لا يمكن وقوله ( قل ) يدل على أن في عباده من هو شاكر لانه ، فنزل الشكر بقدر الطاقة البشرية هو الواقع وقيل فاعله ، وأما الشكر الذي يناسبهم الله فلا قدرة عليه ، ولا يكلف الله شيئاً إلا وسعها ، أو خزن الصاكر انعام ليس إلا من رضى الله عنه ، وقال لم يا عبدي ما أتيت به من الذكر القليل قلته منك وكتبته لك أنك شاكر لأنهم بأسرها ، وهذا القول نعمة عظيمة لا تكلفك شكرها .

قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا قُضِيَنا عَلَيْهِ الْمَوْتُ مَا دَلَّهمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِن مَّاءِهِمْ

قُلْنَا سِرَّ تَبَيَّنَتْ إِلَيْنُ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣١﴾

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ  
وَاشْكُرُوا لَهُمْ بِلَهْطِ طَيِّبَةٍ وَرَبِّ غُفُورٍ ﴿٣٢﴾

فما سر تبينت إلين أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴿٣١﴾

ما بين عظمة سليمان وسخير الريح والروح له بين أنه لم يبع من الموت ، وأنه قضى عليه الموت ، تنبأ للعالم على أن الموت لا بد منه ، ولو نعامه أحد لما كان سليمان أولى بالنعمة منه ، وبه مسائل : ﴿ المسألة الأولى ﴾ : كان سبأ من عليه السلام يقص في عبادته الله بلة كاملة ويرمأها دائماً وفي بعض الأوقات يزيد عليه ، وكان له عصا يشكى عليها واقفا بين يدي ربه ، ثم في بعض الأوقات كان واقفاً على عبادته في عبادته إذ تولى ، فخلت جنوده أنه في العارية وبين كدلك أياً ما وعادى شهيراً ، ثم أراد الله إظهار الأمر لهم ، فقدر إذ أكلت دابة الأرض عصاه فوضع وعلم حاله .

قوله تعالى : ﴿ ما سر تبينت إلين أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ كانت الحس تعلم حالاً يعلمه الإنسان فعل أن ذلك القدر علم الغيب وليس كذلك ، بل الإنسان لم يؤت من علم إلا قليلاً هو أكثر الأشياء المأمورة لا يعلمه ، والحس لم تعلم إلا الأشياء المظاهرة وإن كانت سمية بالنسبة إلى الإنسان ، وتبين لهم الأمر بأنهم لا يعلمون الغيب إذ لو كانوا يعلمونه لما جبروا في الاعتدال لشدة طائفة أن سبأ من سبأ ، وقوله ( ما لبثوا في العذاب المهين ) دليل على أن المؤمنين من الجبر لم يكونوا في التسخير ، لأن المؤمن لا يكون في عذاب النبي في العذاب المهين . ثم قال تعالى ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلة طيبة ورب غفور ﴾

لما بين الله حال الضحك كريب لعمه بذكر داود وسليمان بن حال الكافرين بأنهم ، بحكمة أهل سبأ ، وفي سبأ من كان بالفتح على أنه اسم بعمه وبالجر مع التنوين على أنه اسم قبيلة وهو الظاهر ، لأن الله جعل الآية لسبأ والظاهر هو الخافق لا المكان فلا يحتاج إلى إضمار الأهل وقوله ( آية ) أي من فضل ربه ، ثم بينها بذكر بلة بقوله ( جنتان عن يمين وشمال ) قال الرازي آية في جنتين ، مع أن بعض بلاد العراق فيها آلاف من الجنات ؟ وأجاب بأن المراد لكل واحد حنتان أو عن يمين يدهم وشمالها جنتان من الجنات ، ولا اتصال بينهما ببعض جعلها جنة واحدة ، قوله ( كلوا من رزق ربكم ) إشارة إلى تكليل التمتع عليهم

(٣١) قوله تعالى : لقد كان لسبأ في ما ينزلون سورة ... يعني أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين . (٣٢) قوله تعالى : واشكروا له بلة طيبة ورب غفور .

فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جُنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ  
وَأَثَلٍ وَشَجَرٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا  
الْكُفُورَ ﴿٥٢﴾

حيث لم ينهم من أكل ثمارها خوف ولا عرض ، وغرلة (واشكروا له) بيان أيضاً لكمال النعمة .  
فإن الشكر لا يطلب إلا على فائدة المسترة ، ثم لما بين سالم في مساكنهم وبساتينهم وأكلهم ثم  
بيان النعمة بأن من أن لا قاتلة عليه ولا تبع في المال في الدنيا ، فقال (بعدة عليه) أي ماهرة عن  
الكوذبات لاجبة فيها ولا عقرب ولا واد ولا وشم ، وقال (ورب غفور) أي لا عقاب عليه ولا  
عذاب في الآخرة ، فبعد هذا بأن كان النعمة حيث كانت لذة حالية جارية عن المفاهيم المتأنية .

ثم إنه يدل لما بين ما كان من جانب ذكر ما كان من جانبهم فقال (فأعرضوا فأرسلنا عليهم  
سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذوات أكل خَمْطٍ وأَثَلٍ رَثٍ) من سدر قليل ، ذلك جزينهم بما  
كفروا وهل تجازي إلا الكفور ﴿٥٢﴾

فبين كمال ظلمهم بالإعراض بعد إبانة الآية كما قال تعالى (ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه ثم  
أعرض عنها) ثم بين كيفية الانتقام منهم كما قال (إن من المجرمين منقلبون) وركبته أنه تعالى  
أرسل عليهم سيلاً غرق أموالهم وخرّب دورهم ، وفي العرم وحوه (أحدها) أنه الجرذ الذي سبب  
خراب السكر ، وذلك من حيث إن القيس كانت قد عمدت إلى جبال بينها شعب عمدت فالتعب  
حتى كانت مياه الأمطار والعيون تجتمع فيها وتضيق كالبحر وجعلت لها أبواباً ثلاثة مرتبة  
بعضها فوق بعض وكانت الأبواب يتسع بعضها بعد بعض ، فغضب الجرذ السكر ، وحرب السكر  
بسبه وانقلب البحر عليهم (وثانيها) أن العرم اسم السكر وهو جمع العرمة وهي الحجارة  
(ثالثاً) اسم الوادي الذي خرج منه الماء وقوله (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذوات أكل خَمْطٍ) بين به  
دوام الخراب ، وذلك لأن البساتين التي فيها الناس يكون فيها الثمرات كالهبط بسبب الحرارة فإذا  
ترك سبب نصيب كالتفحيط والآفة تنكف الأشجار بعضها ببعض وتنتفخ القسيدات فيها فتفشل  
أثمارها وتكثر الأشجار ، والخط كل شجرة لها شوك أو كل شجرة ثمرتها مرة ، أو كل شجرة ثمرتها  
لا تؤكل ، والأثَرُ نوع من الطراف ولا يكون عليه ثمر إلا في بعض الإوقات ، يكون عليه ثمر  
كالنخس أو أصغر منه في طعمه وضعفه ، والسدر معروف ، وقال فيه قليل لأنه كان أحسن النجارم  
فقال الله ، ثم بين أنه أن ذلك كان مجازاة لهم على كفرانهم فقال (ذلك جزيناهم بما كفروا  
وهل تجازي) أي لا تجازي بذلك الجزاء (إلا الكفور) قال بعضهم : المجازاة تقال في النعمة والجزاء

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ  
سَبَرُوا فِيهَا لَيَالِيًا وَأَيَّامًا آَمِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ  
فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

في النسخة السكت قوله تعالى (ذلك جزاءهم) يدل على أن الجزاء يستعمل في النعمة - ولعل من قال ذلك أخذه من أن المخالفة مفاعلة وهي في أكثر الأمر تكون بين اثنين - يؤخذ من كل واحد جزء في حق الآخر - وفي النسخة لا تكون عازاة لأن الله تعالى مستدى بالدم .

قوله تعالى : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة ﴾ : وقدرنا فيها السير سبروا فيها لآيال وأياماً آمين . فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صابر شكور .

أى بينهم وبين الشام فانها هي النعمة المباركة . وقرى ظاهرة أى يظهر بعضها لبعضها يرى سواد القرية من القرية الأخرى . فان قال قائل : هذا من الدم والله تعالى قد شرع في بيان تبديل نعيم بقوله (و بدلناهم بجنهم جئين) فكيف عازاة أخرى إلى بيان النعمة بعد النعمة ؟ فقول ذكر حال نفس بدم وبين تبديل ذلك بالخط والأكل . ثم ذكر حال خارج بدم وذكر عازاتها بكثرة القرى . ثم ذكر تبديده ذلك بالمعاور والبارى بقوله (ربنا باعد بين أسفارنا) وقد امن ذلك . وبدل عليه قراءة من قرأ ربنا بعد على المشا والخر . وقوله (وقدرنا فيها السير) إلا ما ذكر المعمورة تكون منازلها مملوءة سفرة لانتعاليور . فلما كان بين كل قرية مسيرة نصف جاز . وكانوا يندون إلى قرية ويروحون إلى أخرى مما تمكن في العرف تجاوزها . فهو المراد بالتقدير والتقدير لا يقتدر السير فيها بل يسير السائر فيها بقدر الطاقة جازاً حتى يخطئها . وقوله (سبروا فيها لآيال وأياماً) أى كان بينهم ليال وأيام مملوءة . وقوله (آمين) إشارة إلى كثرة العارة . فان عرف فصاح الطريق والانقطاع عن الرقيق لا يكون في مثل هذه الأماكن . وقيل بأن معنى قوله (ليال وأياماً) سبرون فيه إن شتم لآيال وإن شتم أياماً لعدم الحروف بخلاف المواضع المخوفة فان بعضها يسقط ليلاً . فلا يملأ ليلته بسيرهم . وبعضها يسقط نهاراً لئلا يقصدهم العدو . إذا كان العدو غير مجاهر بالقصد والمداومة . وقوله تعالى (قلوا ربنا باعد بين أسفارنا) قيل بأنهم طلبوا ذلك وهو محتمل وجهين (أحدهما) أن يسألوا بطراً كما طلبت اليهود التوم والبصل . وبمحتمل أن يكون ذلك لفساد اعتقادهم وشدة اعتمادهم على أن ذلك لا يقتدر كما يقول الحنابل لغيره الصريى إشارة إلى أنه لا يقدر عليه . ويمكن أن يقال : (قلوا ربنا باعد) بسلى الخلال . أى لما كفرناشد طلبوا أن يبعد

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنُّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٠﴾ وَمَكَانُ  
لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ شَطَرٍ إِلَّا لَعَلَّهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ ﴿١٠١﴾

بين أسفارهم وبحر السمور من ديارهم . وقوله ( واطلوا أنفسهم ) يكون بابا لذلك . وقوله  
( ليعلمهم آياتك ) أى فلما بهم ما جعلهم به مثلاً . يقال : خرفوا أى سبوا . وقوله ( ومزقناهم  
كل فرق ) بيان ليعلمهم آياتك . وقوله تعالى ( إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ) أى فيما  
ذكرناه من حاله الشاكرين وويلان الكافرين .

قوله تعالى : ﴿١٠٠﴾ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه . تبوءه إلا فريقاً من المؤمنين . أى ظنه أنه يفرجه  
كما قال (يعزلك لاغوينهم بوفرة تبوءه) بيان لذلك أى أقوام ما تبوءه (إلا فريقاً من المؤمنين)  
قال تعالى في حقهم (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) ويمكن أن يقال (صدق عليهم ظنه) فى أنه  
خير منه كما قال تعالى عنه (أنا خير منه) ويتحقق ذلك فى قوله فاتبعوه . لأن المتبوع خير من  
التابع وإلا لا يبقيه العاقل والهدى يدل على أنا إيشير خبر من الكافر . هو أن إبليس امتنع من عبادة  
غير الله لكن لما كان فى امتناعه ترك عبادة الله عناداً كفر . والمشارك بعبدة غير الله فهو كفر  
بأسر أقرب إلى التوحيد . وهم كفروا بأمر هو الإشراف . ويؤيد هذا الذى اختاره الاستثناء . ويانه  
هو أنه وإن لم يطل أنه يفرى الكل . دليل أنه تعالى قال عنه (إلا عبادك منهم المخلصين) فاطل  
أنه دعوى المؤمنين فى ظنه صدقه ولا حاجة إلى الاستثناء . وأما فى قوله (أنا خير منه) اعتقد  
أغلبية بالنسبة إلى جميع الناس بدليل تعينه بقوله (خلقنى من نار وخلقته من طين) وقد كذب  
فى ظنه فى حق المؤمنين . ويمكن الأجواب عن هذا الوجه الأول . وهو أنه وإن لم يطل  
إغواء الكفار . علم أن البعض نافع . لكن ظن فى كل واحد أنه ليس هو ذلك الناس . إلى أن بين له  
بطلان أنه يغويه فكذب فى ظنه فى حق البعض وصدق فى البعض .

قوله تعالى : ﴿١٠١﴾ وما كان له عليهم من سلطان إلا لعلهم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك  
وربك على كل شيء حفيظ ﴿١٠٢﴾ .

قد ذكرنا فى تفسير قوله تعالى ( فليعلن الله الهمم صدقوا وليعلن الكاذبين ) أن عالم الله من  
الأنزل إلى الأبد محيط بكل مخلوق وظنه لا يتغير وهو فى كونه عالم لا يتغير ولكن يتغير تلقى  
عنه . فان العلم صفة كاشفة يظهر بها كل ما فى نفس الأمر فعلم الله فى الأول أن العالم سيجد ، فإذا  
وجد علمه موجوداً بذات العلم ، وإذا عدم علمه معدوماً بذلك . مثله : أن المرأة الصالحة قبل الاصطفا

قُلْ ادْعُوا إِلَهِكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مَتَاعَ ذُرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ مِنْ شَرِكِ وَمَا لَهُمْ بِهِمْ مِنْ فَهْمٍ ۝ وَلَا تَسْمَعُ الشَّيْءَ عِنْدَهُ ۝ إِلَّا لَعْنٌ أَدْنَىٰ لَهُمْ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قُلُوا اتَّقُوا ۝ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝

فبطير بها صورة زيد بن قايما، ثم إذا قالوا همرو بطير بها صورة به، والمرة ولم تتغير في ذاتها ولا تملك في مدياتها. أيضا تشير في الحارسات فيكذلك بها قوله (إلا أعلم) أي ليبلغ في السور صدور الكفر من الكفار والإيمان من المؤمنين وكان قفه به أنه سيكفر زيد ويؤمن عمرو. وقوله (وما كان له عليم من سلطان) إشارة إلى أنه ليس بنسخ وإمام هو آية، وعلامة خفيها الله ليعلم ما هو في علة السابق. وقوله (وبك على كل شيء حفيظ) عني ذلك أي الله تعالى قادر على منع إبليس عنهم عالم بما يقع، ما حفظ يدهن في معونه العلم والتقدير، إذا الجاهل بالشيء لا يملكه حفظه ولا السابق.

قوله تعالى: قُلْ ادْعُوا إِلَهِكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مَتَاعَ ذُرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ مِنْ شَرِكِ وَمَا لَهُمْ بِهِمْ مِنْ فَهْمٍ ۝ وَلَا تَسْمَعُ الشَّيْءَ عِنْدَهُ إِلَّا لَعْنٌ أَدْنَىٰ لَهُمْ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قُلُوا اتَّقُوا ۝ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝

ثم إن الله تعالى حال الشاكين، وحال الكافرين وذاكرهم بين معنى عاد إلى خطابهم وقال لرسوله ﷺ قُلْ لِلشِّرْكِ كَيْدٌ أَعْرَافُهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَكْشِفُوا عَمَّا نَصَرَ عَلَى سَبِيلِ اللَّهِ كَيْدَهُمْ مِنْهُمْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً بَعْدَهُ (لا يملكون متاع ذرة في السموات ولا في الأرض).

واضح أن الشاغب المصعب إلى الشرك أربعة (أحدها) قول من يقول الله تعالى خلق السماوات والأرض واليه أوبت وسعي الأرض والأرضيات في حكمهم، ونحن من حلة الأرضيات فمبدأ الكواكب والملائكة إلى السماوات فهم آفتنا والله أعلم. فقال الله تعالى في إطلاق قولهم (إنهم لا يملكون في السموات شيئاً) كما عرفت، قال ولا في الأرض على خلاف ما عرفت (وثابتها) فون من يقول السموات من الله على سبيل الاستبعاد والأرضيات منه ولكن بواسطة الكواكب فإن الله خلق العناصر والتركيبات التي فيها بالاتصالات والحركات وانطواعهم الغير الله معه شركا في الأرض والأولون جعلوا الأرض لغيره والسماوات فقال في إطلاق قولهم (إنهم لا يملكون في الأرض شيئاً) لغيره. ولا لغيره بها تعجب (وثابتها) قول من قال: التركيبات والحوادث كلها من

الله تعالى لكن مرض ذلك بأن الكواكب ، وفعل المأذون ينسب إلى الآذن ، ويسلب عن المأذون فيه ، مثاله إذا قال ملك لمبلوكة اضرب فلاناً فضربه يقال في العرف الملك ضربه ويصح عرفاً قول القتال ما ضرب فلان فلاناً ، وإنما الملك أمر ضربه وضرب ، هؤلاء جعلوا السلاطات معينات لله فقال تعالى في إبطال قولهم ( وما له منهم من ظهير ) ما توسل إلى شيء شيئاً ، بل هو على كل شيء حفيظ وقيوم ( ورأيهم ) قول من قال إنما تعد الأصنام حتى هي صور الملائكة ليضعوا الناس فقال تعالى في إبطال قولهم ( ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ) فلا فائدة لعبادتك بخلافه فان الله لا يأذن في الشفاعة لمن يبد غيره فطلبكم الشفاعة فتأتون على الحكم الشفاعة وقوله ( حتى إذا فرغ عن قلوبهم ) أي أزيل الفزع عنهم ، يقال فرد البعير إذا أخذ منه القراء ويقال لهذا تشديد الطلب ، وفي قوله تعالى ( حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق ) ( وأوحى ) الفزع الذي أوحى الله عندما أوحى يفزع من في السموات ، ثم أزيل الله عنهم الفزع فيقولون لجبريل عليه السلام ماذا قال الله ؟ فيقول قال الحق أي الوحي ( وثائب ) الفزع الذي من الساعة وذلك لأن الله تعالى لما أوحى إلى محمد عليه السلام ( فزع من في السموات ) من القيامة لأن إرسال محمد عليه السلام من أشراط الساعة ، فلما زال عنهم ذلك الفزع قالوا ماذا قال الله قال جبريل ( الحق ) أي الوحي ( وثائبها ) هو أن الله تعالى يرسل الفزع وقت الموت عن القلوب فيعرف كل أحد بأن ما قال الله تعالى هو الحق فينفع ذلك القول من سبق ذلك منه ، ثم يقبض روحه على الأيمان المتعلق بربه وبين الله تعالى ، ويضر ذلك القول من سبق منه خلافة فيقبض روحه على الكفر المتعلق بربه وبين الله تعالى ، إذا علمت هذا فنقول على القولين الأولين قوله تعالى ( حتى ) غاية متعلقة بقوله تعالى ( قل ) لأنه بینه بالوحي لأن قول القائل قل فلان للاختار حتى يسمع المخاطب ما يقوله ، ثم يقول بعد هذا الكلام ما يجب قوله فلما قال ( قل ) فزع من في السموات ، ثم أزيل عنه الفزع ، وعلى الثالث متعلقة بقوله تعالى ( زعمتم ) أي زعمتم الكفر إلى غاية التوزيع ، ثم تركتم ما زعمتم وقلم قال الحق ، وعلى القولين الأولين فاعل قوله تعالى ( قالوا ) ماذا هو الملائكة السائلون من جبريل ، وعلى الثالث الكفار السائلون من الملائكة والفاعل في قوله ( الحق ) على القولين الأولين هم الملائكة ، وعلى الثالث هم المشركون .

وأعلم أن الحق هو الموجود ثم إن الله تعالى لما كان وجوده لا يرد عليه علم كان حقاً مطلقاً لا يرتفع بالباطل الذي هو العدم والكلام الذي يكون صدقاً يسمى حقاً ، لأن الكلام له متعلق في الخارج بواسطة أنه متعلق بما في الذهن ، والذي في الذهن متعلق بما في الخارج ، فإذا قال القائل جاء زيد يكون هذا اللفظ متعلقه بما في ذهن القائل وذهن القائل متعلقه بما في الخارج لكن للصدق متعلق يكون في الخارج فيصير له وجود مستمر ولكن كذب متعلق لا يكون في الخارج ، وحفظ إما أن لا يكون له متعلق في الذهن فيكون كالمعلوم من الأول وهو الإنطاط التي تكون صادرة



قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِبْرَاهِيمَ هُدًى نُوَفِّي

ضَلَالِي مُبِينٍ ﴿٢٥٧﴾

عن معاند كاذب ، وإما أن يكون له متعلق في الجاهن على خلاف ما في الخارج فيكون اعتقاداً باطلاً جهلاً أو خطأ لكن ما لم يكن متعلقاً بتعلق برول ذلك الكلام وبطلان ، وكلام الله لا يطلن له في أول الأمر كما يكون كلام الكاذب المعاند ( ولا يأتيه القائل ) كما يكون كلام الضال ، وهو تعالى ( وهو العلي الكبير ) قد ذكرنا في مصير قوله تعالى ( ذلكم الله هو الحق ) وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير ( أن ( الحق ) إشارة إلى أنه كامل لا نقص فيه فيقول نسبة الصم ، وموق الكاشين لأن كل كمال هو في كمال فقوله ( وهو العلي الكبير ) إشارة إلى أنه فوق الكاملين في ذاته وصفاته ، وهذا يطل القول بكونه جسيماً وفي حين . لأن كل من كان في حين فاق العقل بحكم بأنه مشار إليه وهو مقطع الإشارة لأن الإشارة لو لم تقع إليه لما كان المشار إليه هو ، وإذا وقعت الإشارة إليه فقد انتهت الإشارة عنده ، وفي كل موضع نفع الإشارة بقدر العقل على أن يبرز من حيث أكثر من ذلك فيقول لو كان بين ما حدث الإشارة والمشار إليه أكثر من هذا البعد لكان هذا المشار إليه أهمل ويصير عبثاً بالإشارة لا مطلقاً وهو على مطلقاً ولو كان جسيماً لكان له مقدار ، وكل مقدار يمكن أن يفرض أكبر منه فيكون كبيراً بالسبب إلى غيره لا مطلقاً وهو كبير مطلقاً .

قوله تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السموات والأرض ﴾ قد ذكرنا مراراً أن العامة يعبدون الله لا لشكره إنما ، وإنما يطلبون به شيئاً ، وذلك إما دفع ضرر أو سر جمع منه الله تعالى العامة بقوله ( قل ادعوا الذين دعونكم ) على أنه لا يدفع الضرر أسد إلا هو كما قال تعالى ( وإن يمسك الله بعض فلا كشف له إلا هو ) وقال بعد ( دعواهم ) ذلك ( قل من يرزقكم من السموات والأرض ) إشارة إلى أن جبر النعم ليس إلا به ومنه ، فإذا أب كثر من الخواص « عبيده الملو » وكبريائه « ما يدفع عنكم ضرراً أو لم يدفع وسوا » فكم يحجر أولم يدفع فإن لم تذكروا كذلك فاعيدوه لدفع الضرر وجر الضع . ثم قال تعالى ( قل الله ) يعني إن لم يقولوا هم قائل أنت الله برزق ( وهذا لطيفة ) وهي أن الله تعالى عند الضرر ذكر أنهم يقولون الله ويعترفون بالحق حيث قال : ﴿ قلوا الحق ﴾ وعند الضع لم يقل إنهم يقولون ذلك وذلك لأن لهم حالة يعترفون بأن كاشف الضرر هو الله حيث يعترفون في الضرر كما قال تعالى ( وإذا مس الناس ضرر دعواهم منيدين إليه ) وأما عند الراحة فلا تنبه لهم لذلك فذلك قال ( قل الله ) أي هم في حالة الراحة ناقلون عن الله .

ثم قال تعالى : ﴿ قلوا أو إبرايم هدى أو في ضلال مبين ﴾ وفيه مسائل :

قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُحْرِمْنَا وَلَا تَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٦٧﴾

﴿ المسألة الأولى ﴾ هذا إرشاد من الله لرسوله إلى المناظرات الجارية في العلوم وغيرها وذلك لأن أحد المناظرين إذا قال هذا الذي نقوله خطأ وأنت فيه محطى - يفضيه وعند الغضب لا يبنى سداد الفكر وعند اغتلاله لا مطمع في أنهم يفوت الغرض ، وأما إذا قال له بأن أحدا لا يشك في أنه محطى ، والمعادى في الباطل فيجرح والمرجع إلى الحق أحسن الأخلاق فتجهد وتبصر أينما حل الخطأ ليعترف أنه يجتهد ذلك الحسم في النظر ويترك التعصب وذلك لا يوجب نقصاً في المراتل لأنه أوم بأنه في قوله شك وبدل عليه قول الله تعالى لبيه ( وإذا أو إياكم ) مع أنه لا يشك في أنه هو الهادي وهو المهتدى وهم الضالون والمضلون .

﴿ المسألة الثانية ﴾ في قوله ( لملى هدى أو في ضلال بين ) ذكر في الهدى كلمة على وفي الضلال كلمة ن لأن المهتدى كأنه مرتفع منقطع فذكره بكلمة الفعل ، والضال منغمس في الظلمة غريق فيها فذكره بكلمة في .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ وحذف الضلال بالمبين ولم يصف الهدى لأن الهدى هو الصراط المستقيم الموصل إلى الحق والضلال خلافه لكن المستقيم واحد وما هو غيره كله ضلال ويصه بين من بعض ، فبعض البعض من البعض بالوصف .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قدم الهدى على الضلال لأنه كان وحذف المؤننين المذكورين بقوله ( إنا ) وهو مقدم في الذكر .

قوله تعالى : ﴿ قل لا تسألون عما أحرمتنا ولا تسأل عما تعملون ﴾ أضاف الإجماع إلى النفس وقال في خفيه ( ولا تسأل عما تعملون ) ذكر لفظ العمل ثلاثاً يحصل الإغضاب المانع من التهم وقوله ( لا تسألون ) ( ولا تسأل ) زيادة حث على النظر وذلك لأن كل أحد إذا كان مؤاخفاً بحرمه فإذا احتراز عما ، ولو كان البرى بواخذ بالجرم لما كفى النظر .

ثم قال تعالى : ﴿ قل يجمع بيننا وبينكم بفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم ﴾ أكد ما يوجب النظر والفكر ، فإن مجرد الخطأ والضلال واجب الاجتناب ، فكيف إذا كان يوم عرس حساب و ثواب وعذاب وقوله ( يفتح ) قبل معناه يحكم ، ويمكن أن يقال بأن الفتح هنا مجاز وذلك لأن أبواب الحق والشفقة المدد يقال فيه فتمه على طريق الحفيظة . ثم إن الأمر إذا كان فيه انغلاق وعدم وصول إليه فإذا به أحد يكون قد فتحه وقوله ( وهو الفتاح العليم ) إشارة إلى أن حكمه يكون مع العلم لا مثل حكم من يحكم بما يفتى له بمجرد موافقه .

قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ الْمُظَنُّمُ بِهِمْ شُرَكَاءُ كُلًّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِنَاسٍ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَفْهِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِرُونَ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى : ﴿ قل أروني الذين المظنم به شركاء . كلا بل هو الله العزيز الحكيم ﴾ قد ذكرنا أن المعبود قد يبدع قوم لدفع الضرر وجمع لتوقع المنفعة وقيل من الاعتراض الأعراف وبدونه لأنه يستحق العبادة لذاته فلا بين أنه لا يبدع غير الله لدفع الضرر إذا لا دافع للضرر غيره بقوله ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ﴾ وبين أنه لا يبدع غير الله لتوقع المنفعة بقوله ﴿ قل من يرزقكم من السموات والأرض ﴾ بين هنا أنه لا يبدع أحد لاستحقاقه العبادة غير الله فقال ﴿ قل أروني الذين المظنم به شركاء . كلا بل هو الله العزيز الحكيم ﴾ أي هو المعبود لذاته واتصافه بالقدرة وهي القدرة الكاملة والحكمة وهي نعم التام الذي عمله موافق له .

ثم قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إِلَّا كَافَّةً لِنَاسٍ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لما بين مسألة التوحيد شرع في الرسالة فقال تعالى ﴿ وما أرسلناك إِلَّا كَافَّةً ﴾ وفيه وجهان ( أحدهما ) كَافَّةً أي رسالة كَافَّةً أي عامة لجميع الناس تنعمهم من الخروج عن الانقياد لها ( والثاني ) كَافَّةً أي أرسلناك كَافَّةً نكف الناس أنت من الكفر والهدى للبالغة على هذا الوجه ( بشيراً ) أي تنهمم بالوعد ( ونذيراً ) يترجم بالوعيد ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) ذلك لاختلافه ولكن لاختلافهم ثم قال تعالى : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ لما ذكر الرسالة بين الخبر وقال ﴿ قل لکم مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَفْهِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِرُونَ ﴾ قد ذكرنا في سورة الأعراف أن قوله ﴿ لا تستأخرون ﴾ يوجب الإنذار ، لأن معناه عدم المهلة عن الأجل ولكن الاستعداد لما وجهه ذكرنا هناك وجهه ونذكر هنا أنهم لما طلبوا الاستعجال بين أنه لا استعجال فيه كالأهبال ، وهنا يفيد عظم الأمر وخطر الخطب ، وذلك لأن الأمر الخطير إذا طال به طالب من غيره لا يؤخره ولا يؤخره على وقت بخلاف الأمر الخطير وفي قوله تعالى ﴿ لكم ميعاد يوم ﴾ قرأت ( أحدها ) وقصها مع التوبين وعلى هذا يوم بدل ( وثانيها ) نصب يوم مع رفع ميعاد والتوبين فيها ميعاد يوماً قال العنبري وجهه أنه منصوب بفعل محذوف كآفة قال ميعاد أعني يوماً وذلك يفيد التظيم والتبويل ، ويحتمل أن يقال نصب على الظرف فذكر لكم ميعاد يوماً

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ  
مَوْفُوقُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا  
لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾

كما يقول القائل : أنا جاثلك يوماً وعلى هذا يكون الجاثم فيه العلم كأنه يقول لكم معاد تملونه يوماً وغداً معلوم يدل عليه كقول القائل إنه مقبول يوماً (الثالثة) الإحسانة لكم معاد يوم كما في قول القائل حتى ثوب للتين وإسناد الفعل إليهم بقوله (لا تستأخرون عنه) بدلا عن إقرؤه (لا يؤخر عنكم) زيادة تأكيد لوقوع اليوم .

قوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لن يؤمن هذا القرآن ولا بالذي بين يديه ﴾ لما بين الأمور الثلاثة من التوحيد والرسالة والحشر وكانوا بالكل كافرين بين كفرهم العام بقوله (وقال الذين كفروا لن يؤمن هذا القرآن) وذلك لأن القرآن مشتمل على الكل وقوله (ولا بالذي بين يديه) المشهور أنه التوراة والإنجيل ، وعلى هذا فالذين كفروا المراد منهم المنكرون للنبوة والحشر ، ويحتمل أن يقال إن المعنى هو أننا لا تؤمن بالقرآن أنه من الله ولا بالذي بين يديه أي ولا بما فيه من الإخبارات والمسائل والآيات والدلائل ، وعلى هذا فالذين كفروا المراد منهم الصموم ، لأن أهل الكتاب لم يؤمنوا بالقرآن أنه من الله ولا بالذي فيه من الرسالة وتفصيل الحشر ، فإن قيل : أليس هم مؤمنون بالوحدة والحشر ، فنقول إنما لم يصدق واحد مائى الكتاب من الأمور المختصة به يقال فيه (لم يؤمن بنبي) منه وإن آمن ببعض ما فيه لكونه في غيره فيكون إيمانه لا بما فيه ، مثله : أن من يكذب رجلا فيها يقوله فلذا أخبره بأن النار حارة لا يكذب فيه ولكن لا يغال بأنه صفة لاه (إله) صدق نفسه ، فإنه كان عالما به من قبل وعلى هذا قوله بين يديه أي الذي هو مشتمل عليه من حيث أنه وارد فيه .

قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكننا مؤمنين ﴾

لما وقع البأس من إيمانهم في هذه الدار يقولهم لن يؤمن فونه تأييد للنبي وعد نبيه عليه الصلاة والسلام بأنه يرأى على أفضل حال موقوفين للسؤال يرجع بعضهم إلى بعض القول كما يكون عليه حال جماعة أخطوا في أمر يقول بعضهم كان ذلك يسبك ويرد عليه الآخر مثل ذلك ، رجواب لو محذوف ، خبره ، وتروى إذ الظالمون موقوفون رأيت عجبا ، ثم بدأ بالاتباع لأن الماض أول بالترتيب فقال (يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكننا مؤمنين) إشارة إلى أن

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا أَفَنَحْنُ صَدْدٌ نَكُرُ عَنْ أَهْدَى بَعْدَ  
إِذْ جَاءَ كَمْ بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمِينَ ﴿٦٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ  
مَكْرُ الْإِنْسِي وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا

كفرهم كان لما منع لا لعدم المقتضى لأنهم لا يمكنهم أن يقولوا ما جازنا رسول ، ولا أن يقولوا  
نصر الرسول ، وهذا إشارة إلى إتيان الرسول بما عليه لأن الرسول لو أمر شيئاً لما كانوا  
يؤمنون ولو لا المستكبرون لأمرنا .

قوله تعالى : ﴿٦٠﴾ وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أفنحن صدناكم عن الهدى بعد إذ  
جاءكم بل كنتم مجرمين ﴿٦٠﴾ ،

رداً لما قالوا إن كفرنا كان لما منع ( أفنحن صدناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم  
جرمين ) يعني المانع من أن يكون راجعاً على المقتضى حتى يعمل عمله ، والذي جاء به هو الهدى ،  
والذي صدر من المستكبرين لم يكن شيئاً يوجب الامتناع من قبول ما جاء به فلم يصح تسليمكم  
بالمانع . ثم بين أن كفرهم كان إجراماً من حيث إن المدور لا يكون مدوراً إلا لعدم المقتضى  
أو لقيام المانع ولم يوجد شيء منهما .

ثم قال تعالى : ﴿٦١﴾ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا  
أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً . ﴿٦١﴾

لا ذكر للمستكبرين أننا صدناكم وما صدر منا ما يصلح مانعاً وصارفةً عن التضعفون به  
وقالوا بل مكر الليل والنهار صدناكم عما قالوا لهم إنكم وإن كنتم ما نهيتم بالصالحات القلبي والمانع  
القوى ولكن انضم أمرهم إيانا بالكفر إلى طول الأمد والامتداد في المدد مكفرتنا فكان قولكم  
جزءاً منسباً ، ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يكون المراد بل مكركم بالليل والنهار بخلاف المضاف  
إليه . وقوله ( إذ تأمرونا أن نكفر بالله ) أي شكره ( ونجعل له أنداداً ) هذا بين أن الشرك  
بأنه مع أنه في الضرورة مثبت لكنه في الحقيقة شكر لو جرد الله لأن من يساويه المخلوق المنحوت  
لا يكون إلهاً ، وقوله في الأول ( يرجع بعضهم إلى بعض القول ) يقول الذين استضعفوا بلفظ  
المستقبل ، وقوله في الآيتين المتأخرتين ( وقال الذين استكبروا ، وقال الذين استضعفوا ) بصيغة  
الماضي مع أن السؤال والتراجع في القول لم يقع إشارة إلى أن ذلك لا يد ، وأن يقع ، فإن الأمر  
الواجب الوقوع بوجد كانه وقع ، ألا ترى إلى قوله تعالى ( إنك ميت وإهم ميتون ) .

وَأَسْرُوا الثَّامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجِيرُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَقَالُوا لَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن رَّبِّي بِسَطِّ الرِّزْقِ لَعَنَ بَشَاءً وَبَقَدِيرُ لِّكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وما أسروا الثامنة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجرون إلا ما كانوا يعملون ﴾ .

معناه أنهم يراجعون القول في الأول ، ثم إذا جاءهم العذاب التماثل بسرون ذلك التراجع الدال على الثامنة ، وقبل معنى الإصرار الإظهار أي أظهروا الثامنة ، ويحتمل أن يقال بأنهم لما تراجعوا في القول رجعوا إلى الله بقولهم (وبنا أبصرنا وصمنا فارحنا نعمل صالحا) ثم أسيروا وأخبروا بأن لا مرد لكم فأسروا ذلك القول ، وقوله ( وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا ) إشارة إلى كيفية العذاب وإلى أن مجرد الرؤية ليس كافيا بل لما رأوا العذاب قطعوا بأنهم واقعون فيه فتركوا الدم ووفوا به لجلل الأغلال في أعناقهم ، وقوله (يجرون إلا ما كانوا يعملون) إشارة إلى أن ذلك حقهم عدلا .

ثم قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ، وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين ﴾ .

نسبة لفلق الذي صلى الله عليه وسلم وبياناً لأن إيقاظ الكفار الانبياء الأخيار ليس بيسرا ، بل ذلك عادة جرت من قبل (وبما نسب القول إلى المترفين مع أن غيرهم أيضاً قالوا (إنا بما أرسلتم به كافرون) لأن الأغلب المترفين هم الأصل في ذلك القول . ألا ترى أن الله قال من الذين استعصفوا (إنهم قالوا للمشككين لولا أنهم لتكاثروا مؤمنين ، ثم استعصفا على كونهم حبيبين في ذلك بكثرة الأموال والأولاد فقالوا (نحن أكثر أموالا وأولادا) أي بسبب لزومنا لهذا ، وقوله (وما نحن بمعذبين) أي في الآخرة كأنهم قالوا حالتنا عاجلة غير من حالكم ، وأما أجلا فلا تنفب إنما إنكاراً منهم للعذاب رباً أو اعتقاداً لحسن حالهم في الآخرة أيضاً قسماً [على حسن حالهم في الدنيا] . ثم إن الله تعالى بين خطاهم بقوله ﴿ قل إن الرزق لي بشاء وبقدير ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ

صَالِحًا فَإِنَّهُ يَكُنْ مِنْكُمْ جِزَاءً لِّضَعْفٍ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٦٧﴾

وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَ فِي آلِهَاتِنَا مُنْجِرِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ

إِنْ رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ

فَهُوَ يَخْلُقُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٦٩﴾

يعنى أن الرزق في الدنيا لا يندب سعة وضيقة على حال الحق والمطل فكم من مومنين ومسلمين (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي بأن فة الرزق وضيق العيش وكثرة المال وخسب العيش بالمشيئة من غير اختصاص بالعاسق والصالح.

ثم بين فساد استدلالهم بقوله هو وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك هم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون ﴿٦٧﴾.

يعنى قولكم عن أكثر أموالنا نحن أحسن عند الله حالاً ليس استدلالاً صحيحاً، فإن المال لا يجرب إلى الله ولا اعتبار بالتمرد به، وإنما المقيد بالعمل الصالح بعد الإيمان، والذي يدل عليه هو أن المال والولد يشغل عن الله فيسد عنه فكيف يقرب به والعمل الصالح إقبال على الله واشتغال بالله ومن توجه إلى الله وصل ومن طلب من الله شيئاً حصل، وقوله (وأولئك هم جزاء الضعف) أي الخسة من الضعف لا يكون إلا في الخسة وفي السبئية لا يكون إلا المثل.

ثم راد وقال (وهم في الغرفات آمنون) إشارة إلى دوام النعم وتأبيدها، فإن من تقطع عنه النعمة لا يكون آمناً.

ثم بين حال المني، بقوله هو والذين يسمعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون ﴿٦٨﴾ وقد ذكرنا تفسيره، وقوله (أولئك في العذاب محضرون) إشارة إلى الدوام أيضاً كما قال تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) وكما قال تعالى (وندام عنها بفتاين).

ثم قال (وقال تعالى) ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ من قوله فهو يخلق وهو خير الرازقين ﴿٦٩﴾ إشارة إلى أن نعم الآخرة لا ينالها نعم الدنيا، بل الصالحون قد يحصل لهم في الدنيا التمتع مع القطع بحصول التمتع لهم في الآخرة، قطعاً لقول من يقول: إذا كانت الحاجة لنا والآلة لم تأتد أول، فقال هذا التمتع غير محتص بكم

فإن كثيراً من الأشقياء مدقون ، وكثير من الأتقياء ممنوعون وفيه مسائل :

(الاول) ذكر هذا المعنى مرتين : مرة ليبيان أن كثرة أموالهم وأولادهم غير دالة على حسن أعمالهم واعتقادهم ، ومرة ليبيان أنه غير مختص بهم كآفة قال وجود القرف لا يدل على الشرف ، ثم إن سألنا أنه كذلك لكن المؤمنين سيحصل لهم ذلك ، فإن الله يملكهم ويبارك وأموالكم ، والذي يدل عليه هو أن الله تعالى لم يذكر أولاد المؤمنين يشاء من عباده ، بل قال لمن يشاء ، ونائباً قال لمن يشاء من عباده ، والعباد الصالحة يراد بها المؤمن ، ثم وعد المؤمن بخلاف ما للكافر ، فإن الكافر دابر مفلطح ، وماله إلى الزوال ، وماله إلى الزوال ، وأما المؤمن فما ينفعه يخلفه الله ، ويخلفه الله خير ، فإن ما في يد الإنسان في معرض اليوار والثلث وما لا يطرأ على ما عند الله من الخلف ، ثم أكد ذلك بقوله ( والله خير الرازيين ) وخيرية الرازي في أمور ( أحدها ) أن لا يؤخر عن رغب الحاجة ( والثاني ) أن لا ينقص عن قدر الحاجة ( والثالث ) أن لا يتكبد بالحساب ( والرابع ) أن لا يكفره بطلب الثواب والله تعالى كذلك .

أما (الاول) فلا يعلم وقادر ( والثاني ) فلا يخفى واسع ( والثالث ) فلا تكريم ، وقد ذكر ذلك بقوله ( يرزق من يشاء بغير حساب ) وما ذكرنا هو المراد ، أي برزقه جلالة لا يحاسبه عليه ( والرابع ) فلا يخفى على كبير والثواب يطلبه الأدنى من الأعلى ، ألا ترى أن مبة الأعلى من الأدنى لا تقتضي ثواباً .

في المسألة الثانية في قوله تعالى ( وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ) يحقق معنى قوله عليه الصلاة والسلام ( ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملئ مكان بذيول ) ، يقول أحدهما اللهم أعط متضاً خلفاً . ويقول الآخر اللهم أعط مسكاً ثلماً ، وذلك لأن الله تعالى ملك على دهر غنى ملي ، فإذا قال أنفق وعلى بدله فيحكم الوعد بلومه ، كما إذا قال قاتل : أنت مناشك في البحر وعلى مناشه ، فمن أنفق فقد أنى بما هو شرط حصول الجدل . فيحصل الجدل ، ومن لم ينفق قال الزوال لازم للسل ولم يأت بما يستحق عليه من الجدل فيقوت من غير خلف ، وهو الخلف ، ثم إن من الحجب أن التاجر إذا علم أن ماله من أمواله في معرض الهلاك يبيع به نسبة ، وإن كان من التفريط ، ويقول بأن ذلك أولى من الإهمال (١) إلى الهلاك ، فإن لم يبيع خوفه بك ينسب إلى الخطأ ، ثم إن حصل به تكفيل ملي . ولا يبيع ينسب إلى غلة العقل ، فإن حصل به رهن وكتب به ربيعة ولا يبيع به ينسب إلى الجنون ، ثم إن كل أحد يضل هذا ولا يعلم أن ذلك قريب من الجنون ، فإن أموالنا كلها في معرض الزوال المحقق ، والإنفاق على الأهل والولد إقراض ، وقد حصل الضامن المثل وهو الله العلي وقال تعالى ( وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ) ثم رهن عند كل واحد إما أرضاً أو بيتاً أو عاترة أو حلاً أو متعة ، فإن الإنسان لا بد من أن يكون له متعة أو جبة يحصل له منها مال وكل ذلك ملك الله وفي يد الإنسان حكم العارية فكانه موهون بما تكفل الله من رزقه ليحصل له التوفيق التام ، ومع هذا لا ينفق ويترك ماله لينفق لا مأجوراً ولا مشكوراً .

(١) في نسخة الأخرى إلى . الإهمال . ولكن ما كتبه أدري راسب نسبة الكلام .



وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْبُوا لَهُ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا

سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونِهِمْ ﴿١٦﴾ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ

(١٥)

المسألة الثالثة ﴿ قوله ﴾ (حشر الرازقين) ينبغي عن كثرة في الرازقين ولا رازق إلا الله .  
 فالجواب عنه ؟ فنقول عنه جوابان (أحدهما) أن يقال الله خير الرازقين الذين تقطنهم رازقين  
 وكذا قال في قوله تعالى (وهو أحسن الخالقين) (وثانيهما) هو أن الصفات مباحة لا حصة لله والعبادة  
 حقيقته . ومنها ما يقال في طريق الحقيقة والعباد بطريق المجاز . ومنها ما يقال في طريق الحقيقة  
 ولا يقال للعباد لا بطريق الحقيقة ولا بطريق المجاز لعدم حصوله للعباد لا حقيقة ولا صورة . مثال  
 الأول العلم . فإن الله يعلم أنه واحد والعباد يعلم أنه واحد بطريق الحقيقة . وكذلك العلم بكون  
 النار حارة . غاية ما في الباب أن علمه قدم وعلمنا حادث . مثال الثاني الرازق والخالق . فإن العبد  
 إذا أعطى غيره شيئاً فإن الله هو المعطي . ولكن لأجل صفة المظالمه من مطلقاً . كما يقال  
 للصورة المتوشحة على الخياط غرس وإنسان . مثال الثالث الأول والله وغيرهما . وقد يقال في  
 أشبار في الإحاطة على العبد حقيقة وعلى الله تعالى كالاتواء والوزن والمعية ويد الله وجنب الله .  
 قوله تعالى ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهولاً إياكم كانوا يعبدون ﴾ قالوا  
 سبحانه أنت ولست من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴿ لما بين أن حال  
 الذين يفتخرون بكل من تقدمه من الأنبياء . وحال قومه كمال من تقدم من الكفار . وبين بطلان  
 استدلالهم بكثرة أمورهم وأولادهم . بين ما يكون من عاقبة حالهم فقال (ويوم نحشرهم جميعاً) يعني  
 المكذبين بك وبمر تقدمك . ثم يقول لمن يدعون أنهم يسجدونهم وهم الملائكة . فإن غاية ما ترفع  
 إليه مراتبهم أنهم يقولون نحن «به الملائكة والكواكب» . فيسأل الملائكة أقم كانوا يعبدونكم  
 بإحسان لهم . فيقول كل منهم سبحانه نزهة عن أن يكون بخبرك مسبوداً وأنت مسبودنا ومسبود  
 كل خلق . ويقولهم (أنت ونبياً من دونهم) إشارة إلى معنى الضيف وهو أن مذهب الناس مختلفة :  
 بعضهم لا يسكن الموانع له مودة في يكون فيها سواد محض . لأنه لا يترأس هناك غيرهم  
 تبعاً والبلاد الصغيرة . وبعضهم لا يريد البلاد الصغيرة لعدم احتياجه فيها بالناس وقلة وصوله  
 فيها إلى الأكرام . ثم إن المرعفين ربما إذا عرض عليهم خدمة السلطان واستخدام الأبدال  
 الذين لا لغات إليهم أصلاً يختار المالك خدمة السلطان على استخدام من لا يؤبه به . ولو أن  
 رجلاً سكن جبلاً ووضع بين يديه شيئاً من الفانزوات واجتمع عليه الذباب والديدان . وهو

قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا

عَذَابَ النَّارِ إِنَّهُمْ كَانُوا فِيهَا كَاذِبِينَ ﴿١٥﴾

يقول هؤلاء أتبعني وأشيأني . ولا أدخل المدينة خوفاً أن أحتاج إلى خدمة الساطن العظيم والفرود إليه بالنسب إلى الجنون ، فكذلك من رضى بأن يترك حصة الله وعيادته ، ورضى باستباح اجمع الذين هم أحسن من البهائم وأقل من الموانم يكون مجنوناً . فقالوا ( أنت وإنما من دولهم ) يعني كبريتك ولينا مافيدية أولى ، وأحب إلينا من كونهم أولادنا بالعبادة لنا وقالوا ( بل كانوا يعبدون الجن ) أي كانوا يفاوضون لأمر الجن . فهم في الحقيقة كانوا يعبدون الجن . ونحن كنا كالقذبة لهم ، لأن العبادة هي الخاطئة وفرقة تعالى ( أكثرهم بهم مؤمنون ) قال قائل جسيمهم كانوا تابعين لشيء طين ، فوجه قوله ( أكثرهم بهم مؤمنون ) فانه يبنى أن بعضهم يترى بهم ولم يطع لهم . يقول الجواب عنه من وجهين : ( أحدهما ) أن اللاتسكة استزدوا عن دعوى الإحاطة بهم فقالوا ( أكثرهم لأن الدين وأمرهم وأطاعوا على أحوالهم كانوا يعبدون الجنوية سنون بهم ولعل في الموحود من لم يطلع هذه اللاتسكة عليه من الكفاؤ ( الثاني ) هو أن العبادة على ظاهره والإيمان على باطن فقالوا ( بل كانوا يعبدون الحق ) لا اطلاعهم على أصلهم وقالوا ( أكثرهم بهم مؤمنون ) عند عمل قلب فلا يكونوا مدعين اطلاعهم على ما في القلوب فان القلب لا اطلاع عليه إلا الله ، كما قال تعالى ( إنه عليم بذات الصدور ) .

ثم بين أن ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم فقال ﴿ قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ إِنَّهُمْ كَانُوا فِيهَا كَاذِبِينَ ﴾ وفي مسائل :  
﴿ المسألة الأولى ﴾ الخطاب بقوله ( بعضكم ) مع من ؟ تقول يحتمل أن يكون اللاتسكة لبقية قوته تعالى ( هؤلاء إياكم كانوا يعبدون ) وعلى هذا يكون ذلك تشكيلا للكافرين حيث بين لهم أن معبودهم لا ينفع ولا يضر . وبصح هذا قوله تعالى ( لا يملكون الشفاعة إلا من أذن ) . فبعد ( ونقول للذين ظلموا ذوقوا )  
فأفردهم ولو كان المخاطب هم الكفار فقالوا .

وعلى هذا يكون الكفار داخلين في الخطاب حتى يصح معنى قوله ( بعضكم لبعض ) أي اللاتسكة والكفار ، والمخاطب الواحد يجوز أن يجعل من يشاركه في أمر محظاً بسببه كما يقول القائل لو اشد حاضر له شريك في كلام أنهم قلم . على معنى أنت قلت ، وهم قالوا ، ويحتمل أن يكون معهم الجن أي لا يملك بعضكم لبعض أي اللاتسكة والجن . وإذا لم تملكوها لأنفسكم فلا تملكوها لغيركم ويحتمل أن يكون الخطاب هم الكفار لأن ذكر اليوم يدل على حضورهم . وعلى هذا قوله ( ونقول للذين ظلموا ) إنما ذكره تأكيداً لبيان صالحهم في الظلم . وسبب نكلمهم من الإثم ولو قال ( ذوقوا عذاب النار ) لكان كافياً لكنه ، لا يحصل ما ذكرنا من الفائدة ، فانهم كلما كانوا يسمون ما كانوا

وَإِذَا نَزَّلْنَاهُ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قُلُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَبْسُطَ كُرْسِيَّكَانَ يَبْعَثُهُ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُكَ وَقُلُوا مَا هَذَا إِلَّا قَوْلُ مَقْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ

عليه من الظلم والعدا والإثم ونحوه .

المسألة الثانية في قوله ( نفعاً ) مفيد للحسنة . وأما النذر فإلا الفلذ فيهم مع أنهم لو كانوا يملكون الضر لما نفع الكافرين ذلك ؟ فيقول ما كانت السادة تقع دفعهم صر المنعود كما بعد الجبل وبهم غفلة شره بين أنهم ليس فيهم ذلك الوجه الذي يحسن لأجله بطلانهم .

المسألة الثالثة في قال ( وهنا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ) وقال في السجدة ( عذاب النار الذي كنتم بها ) جعل المكذب هناك العذاب وجعل المكذب هنا النار وهم كانوا يكذبون بالكل ، والمفادة فيها أن هناك لم يكن أول ما رأوا النار بل كانوا هم من زمان دليل قوله تعالى ( كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ) . وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون أي العذاب المؤبد الذي أنكرتموه بقولكم ( لن نؤمن بالله إلا أياماً معدودة ) أي قتم إن العذاب إن وقع فلا يدوم فذوقوا الله اسم . وهنا أول ما رأوا النار لأنه مذكور عقب المشرك والسؤال فضيل لهم ( هذه النار التي كنتم بها تكذبون ) .

قوله تعالى : وإذا نزل عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كنتم بعبادة آبائكم وظنوا ما هذا إلا إفك مفترى . وقال الذين كفروا للحق ما جاءهم إن هذا إلا بشر مبين .  
 ( فظنوا أنفساد اعتقادهم واشتداد عنادهم حيث تبين أن أهل من يسمونه وهم الملائكة لا يتأهل العبادة لنسبهم كما قالوا ( سبحانك أنت وإبنا ) أي لأهلنا لنا إلا لعبادتك من دونهم أي لأهلنا لنا لأن تكون مصوبين لهم ولا نفع أو ضرر كما قال تعالى : فالיום لا يملك بعبادتكم لمعاً ( ولا ضرراً ) ثم مع هذا كله إذا غاب لهم النبي عليه السلام كلاماً من التوحيد ولا عليهم آيات الله الصالحة عليه ، فإن قد في كل شيء آيات رآه على وحدانيته أنكرها وظنوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كنتم بعبادة آبائكم يعني بعبادتهم بغيره بالاعتقاد ( وظنوا ما هذا إلا إفك مفترى ) وهو يحصل وجوهاً : ( أحدها ) أن يكون المراد أن القول بالوحدانية ( إفك مفترى ) وبطل عليه هو أن الموحدين يقول في حق المشرك إنه يملك كما قال تعالى في جهنم ( أفنكأ آلهة دون الله نريدون ) وكما قالوا المرسول ( أجبنا ثأفكنا عن الحق ) ( وثانيها ) أن يكون المراد ( ما هذا إلا إفك ) أي القرآن إفك وعلى الأول يكون قوله ( وقال الذين كفروا للحق ما جاءهم إن هذا

وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٣٦﴾ وَكَذَّبَ  
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا يَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ  
 نَكِيرِ ﴿٣٧﴾ قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيَكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنُونَ وَفَرَدَى ثُمَّ تُشْكِرُوا  
 مَا بَصَرُ حِكْمٍ مِنْ حِجَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٣٨﴾

(إلا مخرجين) إشارة إلى القرآن وعلى الثاني يكون إشارة إلى ما أتى به من المعجزات وعلى الوجهين  
 قوله تعالى ( وقال الذين كفروا ) بدلا عن أن يقول وقالوا الحق هو أن إنكار التوحيد كان  
 مختصا بالمشركين ، وإنما إنكار القرآن والمعجزات ( فقد ) كان متفقا عليه بين المشركين وأهل  
 الكتاب ( فقال ) تعالى ( وقال الذين كفروا الحق ) على وجه العموم .  
 قوله تعالى : ﴿ وما آتيناكم من كتب يدروسونها وما أرسنا إليهم قبلك من نذير ، وكذب الذين  
 من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناكم فكذبوا رسلنا فكيف كان نكير ﴾ .

وما أرسنا إليهم قبلك من نذير تأكيديا ليان تخليدكم بني بقولون عندما تلى عليهم الآيات  
 البينات هذا رجل كاذب يقولهم (إلك مفترى) من غير برهان ولا كتاب أنزل عليهم ولا رسول أرسل  
 إليهم ، فالآيات البينات لا تخارص إلا بالبراهين المغلقة . ولم يأتمروا بها أو بالتفانيات وما عديم كتب  
 ولا رسول غيرك ، والبقول المعتبر آيات من كتاب الله أو خبر رسول الله ، ثم بين أنهم كالذين  
 من قبلهم كذبوا مثل عاد وثمود ، وقوله تعالى ( وما بلغوا معشار ما آتيناكم ) قال المنصرون  
 معناه : وما بلغ هؤلاء المشركون معشار ما آتينا المتضمين من القوة والنعمة وطول العمر ، ثم إن  
 الله أخذهم وما نفعهم قوتهم ، فكيف حال هؤلاء الضعفاء ، وعنده ( أنه ) يشمل ذلك وجهاً آخر وهو  
 أن يقال المراد ( وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناكم ) أي الذين من قبلهم ما بلغوا  
 معشار ما آتينا قوم محمد من البيان والبرهان ، وذلك لأن كتاب محمد عليه السلام أكمل من سائر  
 الكتب وأوضح ، ومحمد عليه السلام أفضل من جميع الرسل وأنصح ، وبرهانه أقوى ، وبيانه أشق ، ثم  
 إن المتضمين لما كذبوا بما جاءهم من الكتب وبين أنهم من الرسل أنكر عليهم وكيف لا ينكر  
 عليهم ، وقد كذبوا بأصح الرسل ، وأوضح السبل ، يؤيد ما ذكرنا من المعنى قوله تعالى ( وما آتيناكم  
 من كتب يدروسونها ) يعني غير القرآن ما آتيناكم كتاباً وما أرسنا إليهم قبلك من نذير ، فلما كان  
 المثنى في الآية الأولى هو الكتاب ، فجعل الإتياء في الآية الثانية على إتياء الكتاب أول .  
 ثم قال تعالى : ﴿ قل إنما أُعْطِيَكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنُونَ وَفَرَدَى ثُمَّ تُشْكِرُوا مَا بَصَرُ حِكْمٍ  
 مِنْ حِجَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾

ذكر الأصوات الثلاثة في هذه الآية بعد ما سبق منه تقريرها باللائل فقولته (أن تقر حواشي) إشارة إلى التوحيد وقوله (ما يصاحكم من جهة) هو إلا ما ذكرتم في الآية إلى الوصال وقوله (من يبعث عذاب شديد) إشارة إلى البراءة الآخرة في الآية مبني.

في الأول تم قوله (إنا أصطكم واحدة) بمعنى أن لا يكون إلا ما سبق به والإيمان لا يتم إلا بالاعتقاد بالرسالة والخبر فكيف يصح إحصاءه كقولته (إنا أصطكم واحدة)؟ فنقول التوحيد هو المقصود ومن رجع الله على التوحيد بشرح الله صدره ورفع في الآخرة قدره قال النبي ﷺ ما يصح عليه أبواب العبادات ربيهم لهم أصوات السعادات. وجواب آخر وهو أن النبي ﷺ ما قال إني لا أترككم في مرجع عربي إلا نبيا واحدا. وإنا قال أصطكم أربا بالتوحيد ولا آخر في أول الأمر جبره لأنه ساقى على الشكل يدل عليه قوله تعالى (تم تنكروا) فإن التفكير أيضا حال ما مر أنه وهو عموما.

في المسألة الثانية في قوله (واحدة) قال المفسرون أنها على أنها صفة حسنة أي أعطاكم حسنة واحدة. وبمحمل أن شأن المراتب حسنة واحدة لأن التوحيد حسنة وإحسانه. وقد ذكرنا في قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) أن العدل من الإلغية عن غير الله والإحسان إثبات الإلهية له. وفي تفسير قوله تعالى (وهي جزاء الإحسان إلا الإحسان) أن المراد هو حرمان الإحسان إلا الخلق. وكذا يدل عليه قوله تعالى (ومن أحسن قولاً من دعا إلى الله).

في المسألة الثالثة في قوله (بني وفرائد) إشارة إلى جميع الأحوال فإن الإنسان إما أن يكون مع غيره أو يكون وحده. وإذا كان مع غيره دخل في قوله (ملئ) وإذا كان وحده دخل في قوله (فرايد) فكانه يقول تقوموا معه مجتمعين ومفردين لأنكم أخيه من ذكر الله ولا يجوزكم الاغتراف إلى حين يبتكر على ذكر الله.

في المسألة الرابعة في قوله (تم تنكروا) يعني اختلفوا عما هو الأصح والتوحيد ولا حاجة فيه إلى تفكير ونظر بعد ما بيننا وخبرتم تنكروا أي التول بعد من الرسالة والخبر. فإنه يحتاج إلى تفكير. وكلمة تم غيبة ما ذكرنا، فإنه قال (أن تقوموا معه تم تنكروا) ثم بين ما يتكروون به وهو أمر النبي ﷺ بالسلم فقال (ما يصاحكم من جهة).

في المسألة الخامسة في قوله (ما يصاحكم من جهة) بغية كونه رسولا وإن كانت لا يزم في كل من لا يكون به جهة أن يكون رسولا. وذلك لأن النبي عليه السلام كان يظهر منه أشياء لا تكون مقدرة على البشر وغير البشر من تعجزه عنه العجائب إما لمجن أو الخلق. وإذا لم يكن الصادر من النبي ﷺ بواسطة الجن يكون بواسطة الملك أو مقدرة الله تعالى من غير واسطة. وعلى التقديرين فهو رسول الله. وهذا من أحسن الطرق. وهو أن يستلحقه التي هي أشرف الصفات في البشر من أحسن الصفات. فإنه لو قال أولاهو رسول الله كما يقولون فيه الزاع. فانه قال ما به. فانه

قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَبْتُمْ بِلَاغِي إِلَى اللَّهِ وَهَرَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ

تَبَيَّنَ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَخْفِئُ بِالْحَقِّ عَلَيْهِ الْغُيُوبُ ﴿٤٨﴾

يستمع إنكار ذلك لعلمهم بمولاهة وحاله في قلوبهم رجاءه - وهذا ساعدوا على ذلك لزمهم المسألة.  
ولما قال بعده إنه هو إذا شير، يعني إما به عنة أو غير رسول لشر بين آليس به جفت هو شير -  
﴿ المسألة الخامسة ﴾ قوله (بين يدي عذاب شديد) إشارة إلى قرب العقاب كأنه قال ينظركم  
مذاب عاتق علك عن قريب بين يدي العذاب أي سوف يأتي العذاب بعده .

ثم قال تعالى ﴿فَإِنْ مَسَّكُمْ مِنْ أَفْعَالِهِمُ ابْرَأُوا إِلَهُكُمْ﴾ الآية، ولا على لغة وهو على كل شيء شبيهة بما ذكرناه من جهة اللزوم منه كونه بيا ذكر وحيا آخر يلزم منه أنه ينبغي إدام يكن بحسب ما كان من تركيب اللغة العربية لا لمرص عاجل إدام بكون ذلك فيه ثواب أخروي يكون بحسب ما نفي عليه السلام بدعوا الشوك بعمل معه غرضه بذلك عاجلا، فإن كل أحد يقصده وبما فيه ولا يظلم أخرا في الدنيا فهو في الآخرة، والكاتب في الآخرة معدب لا مثب، فلو كان كاذبا لكان عذوب، لكنه ليس بمعصوم وليس بكاذب، فهو في صلاته وقوله (وهو على كل شيء شهيد) فهو بر آخر ثم سأل ذلك لأن الرسالة لا تنبت إلا بالدهوى والبيئة، ما بدعي شخص النبوة ويعلم الله له ما جاز فهو به شاهد وكصديق بالعلم يقوم مقام تصديق ما تقول في إفادة العلم بدليل أن من قال يقوم إن مرسل من هذا الملك إليكم الزعمكم قول قول والملك حاصر بالمر، ثم قال لذلك أي الملك إن كنت أأرسلك إليهم فقل لهم أي رسولك فإذا قال إنه رسولك إليكم لا يبق فيه شك كذلك إذا قال يا أيها الناس إن كنت أأرسل إليهم فأناي فذلك قول الله فبأنه في عقب كلامه يقوم الناس أنه رسولك، كذلك حال الرسل إذا قال الأنبياء أقومهم عن رسول الله، ثم قالوا يا أيها إن كنت أرسلك فأناي هذه الحجارة أو أنشر هذا الميت فعليه حصل الحزم بأنه صدقه.

ثم قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ رَأَيْتُمْ خُلُوفَ عَلَامٍ﴾ (قريب) وفي وجهان (أحدهما) يندف  
بالخُلُوف القلوب (تخمين) وعلى هذا الوجه لا ينافيها اتفاق، وذلك من حيث إن الله تعالى لما  
بين رسالة النبي ﷺ قوله (إن هو إلا نبي لكم) وأكده بقوله (قل عاشتكم من أئمة نبي لكم)  
وكان من عادة المشركين استبعاد تخصيص واحد من بينهم بإزالة الذكر عليه. كما قال تعالى عنهم  
(الذين كفروا الذكر من أبناء) فكيف ما يصلح جواباً فعبه فقال (قل إن ربي يخلف بالخلق) أي في  
القلوب إشارة إلى أن الأمر لله جعل ما يشاء ويعطي ما يشاء.

۱۔ قول امدادی (علامہ غفریب) : اشارۃً الی جواب سوال طحاہ، بذکر علیہ و هو ان من یعمل شیئاً

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِى الْبَاطِلُ وَمَا يُعْبِدُ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَلَيْسَ أَضِلُّ

كما يريد من غير اختصاص محل الفصل بشئ لا يوجد غيره لا يكون علما أو انما ضل ذلك اتفاقا ، كما إذا أصاب السهم موحشا دون غيره مع نسبة الموضع في المحاذاة فقال ( يقذف بالحق ) كيف يشاء ، وهو عالم بما يضله وعالم بما يقبضه فهو يفعل ما يريد لا كما يفعله الهامس العاقل عز العواقب إذ هو علام الغيوب ( الوجه الثاني ) أن المراد منه هو أنه يقذف بالحق على الباطل كما كان حال في سورة الأنبياء ( بل يقذف بالحق على الباطل فيدمنه ) وعلى هذا تعلق الآية بما قبلها أيضا ظاهر وذلك من حيث إن براهين التوحيد لما ظهرت ودحضت شبههم قال ( قل إن ربى يقذف بالحق ) أى على باطلكم ، وقوله ( علام الغيوب ) على هذا الوجه له معنى لطيف وهو أن البراهين الباهرة المقول الظاهر لم يغم إلا على التوحيد والرسالة ، وأما الخشر فعلى وفوه لا يراهم غير إخبار الله تعالى عنه ، وعن أسوائه وأمواله ، ولو لا بيان الله بالقول لما بان لأحد بتخالف التوحيد والرسالة ، فلما قال ( يقذف بالحق ) أى على الباطل ، إشارة إلى ظهور البراهين على التوحيد والنسوة قال ( علام الغيوب ) أى ما يخبر عن العجب وهو قيام الساعة وأحوالها فهو لا يخفى به فإن الله علام الغيوب ، والآية تحتل ضميرا أسر وهو أن يقال ( ربى يقذف بالحق ) أى ما يفعله يقضه بالحق لا بالباطل والبال على الوجهين الأولين متعلق بالمفعول به أى الحق مقنوف وعلى هذا الباب فيه كناية في قوله ( وحشى بهم بالحق ) وقوله ( فاحكم بين الناس بالحق ) والحق على هذا الوجه هو أن الله تعالى يقذف ما يقذف في قلب الرسل وهو علام الغيوب يعلم ما في قلوبهم وما في خباياهم .

قوله تعالى : ﴿ قل جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعبد ﴾ .

لما ذكر الله أنه يقذف بالحق وكان ذلك بصيغة الاستفهام . ذكر أن ذلك الحق قد جاء وفيه وجوه ( أحدها ) أنه القرآن ( الثاني ) أنه بيان التوحيد والخشر وكل ما ظهر على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ( الثالث ) المبررات الصالحة على نبوة محمد عليه السلام . ويعمل أن يكون أفراد من ( جاء الحق ) ظهر الحق لأن كل ما جاء فقد ظهر والباطل غلاف الحق ، وقد بينا أن الحق هو الموجود ، ولما كان ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكن انتفاؤه كالنوحيد والرسالة والخشر . كان حقا لا يخفى ، ولما كان ما أتوا به من الإصرار والكذب لا يمكن وجوده كان باطلا لا يثبت . وهذا المعنى يفهم من قوله ( وما يبدى الباطل ) أى الباطل لا يفيد شيئا في الأولى ولا في الآخرة فلا إمكان لوجوده أصلا ، والحق المأني لا عدم له أصلا ، وبطل المراد لا يبدى ، الباطل ولا يعبد ، وفيه معنى لطيف وهو أن قوله تعالى ( قل إن ربى يقذف بالحق ) إما كان فيه معنى قوله تعالى ( بل يقذف بالحق على الباطل فيدمنه ) كان يقع بثبوت أن الباطل كان يورد عليه الحق

عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اعْتَدَيْتُ فَمَا يُوحِيَ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٦﴾ وَلَوْ تَرَى إِذِ انْفَضَّ عَوْا قُلُوبُ فَتَأْتَى فُتُورٌ وَأَخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَازُؤُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٨﴾

فأبطله ودمغه ، فقال هنا ليس قبائل تعقل أولا وأخرا ، وإنما المراد من قوله ( فبعضه ) أى يظهر بطلانه الذى لم يزل كذلك وإليه الإشارة بقوله تعالى فى موضع آخر ( وزهى الباطل إن الباطل كان زهوقا ) يعنى ليس أمرا متجددا زهوق الباطل ، فلهذا ( وما يعنى الباطل ) أى لا يثبت فى الأول شيئا خلاف الحق ( ولا يعنى ) أى لا يعنى فى الآخرة شيئا خلاف الحق .  
ثم قال تعالى : قل إنما ضللت من قبل الله تعالى . فبما يوحى إلى ربى إنه سميع قريب ﴿٥٦﴾ .

هذا . به تقرير الرسالة أسفا وذلك لأن الله تعالى قال على سبيل العموم ( من اعتدى قلعه ) وقال فى حق النسي صلى الله عليه وسلم ( وإن اعتديت فبما يوحى إلى ربى ) يعنى ضلالى على نفسى كضلالتكم ، وأما اعتدائى فليس بالنظر والاستدلال كاعتدائكم ، وإنما هو تلووس الميّن ، وقوله ( إنه سميع ) أى يسمع إذا نادى به واستدعى به عليكم قريب بأنكم من غير تأخير ، ليس يسمع عن بعد ولا يلقى الداعى .

ثم قال تعالى : فلو ترى إذ انزعوا فلا فتوت وأخذوا من مكان قريب ﴿٥٧﴾  
لما قال ( سميع ) قال هو قريب فإن لم يعذب عاجلا ولا يعين صاحب الحق فى الحال فيوم تفرج آت لا فتوت ، وإنما يستعجل من يخاف الفتوت . وقوله ( ولو ترى ) جوابه محذوف أى ترى نجبا ( وأخذوا من مكان قريب ) لا يهربون وإنما الأخذ قبل تمكنكم من الحرب .  
ثم قال تعالى : فو قالوا آتاه وآتى لهم التناؤ من مكان بعيد ﴿٥٨﴾ .

أى بعد ظهور الأمر حيث لا يرفع إيمان ، قالوا آتاه ( أى لهم التناؤ ) أى كيف يتقدمون على الظفر بالظفر ، وذلك لا يكون إلا فى الدنيا وهم فى الآخرة والدنيا من الآخرة بعيدة ، فأن قيل فكيف قال كثير من الموضحين إن الآخرة من الدنيا قريبة ، ولهذا جاءها الله الساعة وقال ( لئن لم يأتكم الله بالبرهان ما يكون إلا لا وصول إليه ، والمستغنى وإن كان بينه وبين الحاضر سبعين مائة آت ، يوم القيامة الدنيا بعيدة عنها وفى الدنيا يوم القيامة قريب لآتياءه والتناؤ هو التناول عن قرب . وقيل عن بعد . ولم يجعل الله الفعل مأخوذا كالجسم جعل طرف الفعل وهو الزمان كقوله . الجسم وهو المكان قال ( من مكان بعيد ) والمراد بمعنى من الدنيا .

ثم بين الله تعالى أن إيمانهم فيه بسبب أنهم كمدروا به من قبل ، والإشارة إلى قوله



وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْقَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٣٧﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ  
وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٣٨﴾

(آياته) وقوله (وقد كفروا به من قبل) إلى ثلث واحد ، إما محذوف عليه الصلاة والسلام وإما القرآن وإما الحى الذى أتى به محذوف عليه السلام وهو أقرب وأول . وقوله (ويقذفون بالقيب) ضد يرمون بالقيب لأن القيب بزل من الله على لسان الرسول . يقذفه الله فى القلوب ويضيق المؤمن . وأما الكافر فهو يقذف بالقيب . أى يقول ما لا يملكه . وقوله (من مكان بعيد) يحتمل أن يكون المراد منه أن ما صنعهم بعد أخذوا الشريك من أنهم لا يقدرون على أعمال كثيرة إلا إذا كانوا أشخاصاً كثيرة . وكذلك مخلوقات كثيرة وأعدوا بعد الإعادة من حالهم وعجزهم عن الإحياء . فإن المريض يداوى فإذا شئت لا يمكنهم إعادة الروح إليه . ويقاس الله على المخلوقات بعيد المأخذ . ويحتمل أن يقال لهم كانوا يقولون بأن الساعة إذا كانت قائمة فالجواب والحيوات . كقول قائلهم (ولقد جئت إلى ربى) إلى الله الحسنى فكانوا يقولون ذلك فإن كان من قول الرسول فما كان ذلك عندهم حتى يقولوا نحن إحساس فإن ما لا يجب محض لا يعلم إلا بالاحساس . أو يقول الصادق . هم كانوا يقولون عز العيس من مكان بعيد . فإن قيل قد ذكرت أن الآخرة قريب فكيف قال من مكان بعيد ؟ نقول الجواب عنه من وجه (أحدهما) أن ذلك قريب عند من آمن بحمد <sup>عليه</sup> ومن لم يؤمن لا يمكنه التصديق به فيكون بعيداً عنه (الثانى) أن الحكاية يوم القيامة ، فكانه قال كانوا يقدرون من مكان بعيد وهو الدنيا . ويحتمل وسماً آخر وهو أنهم فى الآخرة يقولون (وما أبصرنا رجساً فارجعنا ففعل صالحاً) وهو قدفى بالسبب من مكان بعيد وهو الدنيا .

ثم قال تعالى : ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من العود إلى الدنيا أو بين لدات الدنيا . فان قيل : كيف يصح قولك ما يشتهون من العود مع أنه تعالى قال (كان فعل بأشياءهم من قبل) إنهم كانوا فى شك مرِيب) وما حيل بينهم وبين العود ؟ قلنا لم غلبهم به ما حيل بينهم ، إلى كل من حاد ما ملك طلب التأخير ولم يعط أو أدوا أن يؤمنوا عند ظهور الرأس ولم يقبل . وقوله (مرِيب) يحتمل وجهين (أحدهما) ذى ريب (والثانى) موقع فى الرِيب : وسد كره فى موضع آخر إن شاء الله تعالى . والله أعلم بالصواب . والله قد رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبي وآله وصحبه وآزواجه أجمعين .

## فهرست

## الجزء الخامس والعشرون من التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي

صفحة	صفحة
٣٦ قوله تعالى (ووصينا الإنسان لوالديه).	٣ قوله تعالى (ذلك لانهي من اجبت) الآية
٣٧ (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية.	٥ (وكم أهلكنا من قرية) .
٣٨ (ومن الناس من يقول آمنا).	٦ (وما أوفيق من شيء) فزع
٤١ (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) الآية.	الحياة الدنيا) الآية
٤٢ (وليعلمن أنهم لا مع أنقالم) الآية	٧ (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي) الآيات
٤٤ (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه).	١٠ (فأما من تاب وأمن) الآيات
٤٥ (وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله) الآية.	١٢ (قل أدين إن جعل الله عليكم
٤٨ (إنما تعبدون من دون الله) الآية.	الميل سريئلاً) الآيات .
٤٩ (وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قديمك) الآية.	١٣ (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي
٥٠ (أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق) الآية.	الذين كنتم تزعمون) الآيات .
٥١ (فل سبيوا في الأرض) الآية	١٤ (إنظرون كأن من قوم مرسى) .
٥٢ (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء) الآيات .	١٨ (مخرج على قومه في زينة) .
٥٣ (والذين كفروا بآيات الله) الآية.	٢٠ (وأصبح الذين كفروا مكاه) .
٥٤ (فأما كان جبراً قومه فلا إن قالوا) الآية.	٢١ (من جاحلحة طه غير بها) .
	٢٦ تفسير سورة العنكبوت .
	قوله تعالى (ألم . أحصى الناس أن
	يفرخوا) الآيات .
	٣٠ (ولقد فتنا الذين من قبلهم) الآية
	٣١ (ألم حسب الذين يعملون
	السيئات أن يسبقونا) الآيات .
	٣٢ (ومن جاهد فإنما بجاهد
	نفسه) الآية .
	٣٤ (والله آمنوا وعملوا الصالحات)

صفحة	صفحة
٥٤ قوله تعالى ( وما كنا لننقذهم من	٨٥ قوله تعالى ( كلا نفس ذائقة الموت )
دون الله ثواباً ) الآية .	٨٦ ( والذين آمنوا وعملوا الص
٥٦ ( فأمر له فرط ) الآية .	٨٧ ( الذين صدقوا ) الآيات .
٥٧ ( وروى عنه الحق ويصوب ) .	٨٩ ( وروى ما أنهم من خلق ) الآية
٥٨ ( ولو لم يكن له في الجحيم )	٩٠ ( الله يوسع الرزق )
٦٠ ( ولما جاءت رسلنا	٩١ ( وروى ما أنهم من نزل )
إبراهيم بالبرى ) الآيات .	٩٢ ( وما هذا خيال له )
٦٢ ( ولما أتت رسلنا	٩٣ ( وماذا كبروا في العرش )
لوطاً من بينهم ) الآيات	٩٤ ( ولو لم يروا آياتنا ) الآيات .
٦٥ ( وفي من أنعام شعباً )	٩٥ ( والذين ياهدسون آياتنا ) الآية
٦٧ ( وعاداً ولمود وفد ثمين	٩٦ تفسير سورة الروم
لكم من مساكنهم ) الآيات	فوله تعالى ( ألم تغفل الروم ) الآيات
٦٨ ( فكلا أخذنا بذن )	١٠١ ( أو لم يسموا )
٦٩ ( مثل الذين اتخذوا من	١٠٢ ( ويوم تقوم الساعة )
دون الله أولياء ) الآية .	١٠٤ ( فصحان الله حين )
٧٠ ( وإن أرمز البسوت	١٠٨ ( ومن آياتنا خلقكم )
ليبت المكبوت ) الآيات	١١١ ( خلق لكم من
٧١ ( وما يفتلها إلا المانوس )	من أنعمكم أو أوجعكم ) الآية .
٧٢ ( مثل ما أوحى إليك )	١١٢ ( ومن آياتنا خلق السموات
٧٥ ( ولذكر الله أكبر )	والأرض ) الآية
٧٦ ( ولا تحطوا ) الآيات .	١١٣ ( ومن آياتنا ما جعل الليل
٧٧ ( وما كنت تدرى )	١١٤ ( من يربك أترق )
٧٨ ( وقالوا لا تأتي على ) الآية	١١٥ ( من آياتنا أن تقوم الساعة
٧٩ ( أو لم يكفهم ) الآيات .	والأرض بأمر ) الآية .
٨٢ ( ويضعونك ما عذاب )	١١٧ ( وإن من في السموات
الآيات	والأرض ) الآيات .
٨٤ ( يا عبادي الذين آمنوا ) الآية	١١٨ ( سرب لكم مثلاً ) الآية

صفحة	صفحة
١٢٠	قوله تعالى (من اتبع الذين ظلموا) الآية .
١٢١	د (متبين إليه وانقره) د .
١٢٢	د (وإذا لمس الناس صرا) د .
١٢٣	د (ليكفروا بنا آتيناكم) د .
١٢٤	د (وإذا أذقنا الناس رجعة) د .
١٢٥	د (فأتت ذاتنرى حقة) د .
١٢٦	د (وما آتيتكم من رياء) د .
١٢٧	د (الله الذى خلقكم) د .
١٢٨	د (ظاهر انفساد في البر) د .
١٢٩	د (فلسيروا في الارض) د .
١٣٠	د (فأقم وجهك للدين) د .
١٣١	د (ايحزى الذين آمنوا) د .
١٣٢	د (ومن آياته أن يرسل) د .
١٣٣	د (ولقد أدر سلطان من فقت) د .
١٣٤	د (وما أنت بهادى حمى) د .
١٣٥	د (الله الذى خلقكم) د .
١٣٦	د (ويوم تقوم الساعة) د .
١٣٧	د (وقال الذين آمنوا العلم) د .
١٣٨	د (فيمرند لا يرفع الذين) د .
١٣٩	د (كذلك يطع الله) د .
١٤٠	تفسير سورة الفتح
	قوله تعالى (الآن نطك آيات الكتاب) د .
١٤١	د (ومن الناس من يشترى) د .
١٤٢	د (وإذا تتلى عليه آياتنا) د .
١٤٣	د (إن الله يري آمنوا وعملوا) د .
١٤٤	د (والتي في الارض) د .
١٤٥	د (هذا خلق الله فأروني) د .
١٤٦	د (وإذا قال لقمان لانه) د .
١٤٧	د (ولأن جاهدك على أن) د .
١٤٨	د (ولو نرى إذا) الآية .
١٤٩	قوله تعالى (يا أي أمة الصلاة) الآية
١٥٠	د (ولا تصم عنك الناس) د .
١٥١	د (واقصد في مشبك) د .
١٥٢	د (ألم تروا أن الله يحرككم) د .
١٥٣	د (وإذا قيل لهم اتبعوا) د .
١٥٤	د (ومن كفر فلا يحزنك) د .
١٥٥	د (ولئن سألتهم من خلق) د .
١٥٦	د (ولو أن ما في الارض) د .
١٥٧	د (ألم تروا أن الله يرفع الجبل) د .
١٥٨	د (ذلك بأن الله هو الحق) د .
١٥٩	د (ألم تروا أن الله يجرى) د .
١٦٠	د (وإذا غشيهم موج كالكظلم
١٦١	دعوا الله) الآية
١٦٢	د (يا أيها الناس اتقوا ربكم) د .
١٦٣	د (إن الله عند علم الساعة) الآية
١٦٤	تفسير سورة الحج
١٦٥	د (ألم تروا أن الله يرفع الجبل) د .
١٦٦	د (ألم تروا أن الله يرفع الجبل) د .
١٦٧	د (ألم تروا أن الله يرفع الجبل) د .
١٦٨	د (ألم تروا أن الله يرفع الجبل) د .
١٦٩	د (ألم تروا أن الله يرفع الجبل) د .
١٧٠	د (ألم تروا أن الله يرفع الجبل) د .
١٧١	د (ألم تروا أن الله يرفع الجبل) د .
١٧٢	د (ألم تروا أن الله يرفع الجبل) د .
١٧٣	د (ألم تروا أن الله يرفع الجبل) د .
١٧٤	د (ألم تروا أن الله يرفع الجبل) د .
١٧٥	د (ألم تروا أن الله يرفع الجبل) د .
١٧٦	د (ألم تروا أن الله يرفع الجبل) د .
١٧٧	د (ألم تروا أن الله يرفع الجبل) د .
١٧٨	د (ألم تروا أن الله يرفع الجبل) د .
١٧٩	د (ألم تروا أن الله يرفع الجبل) د .
١٨٠	د (ألم تروا أن الله يرفع الجبل) د .

صفحة	صفحة
١٩٧ تفسير قوله تعالى ( وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ) .	١٧٩ قوله تعالى ( ولوشئنا لآتيناك كل نفس هدياً ) الآية .
١٩٧ قوله تعالى ( وإذا أخذنا من بين يدينا ) .	١٨٠ ( هذروا بما كنتم بالآية .
١٩٨ ( ليسأل الصادقين عن صدقهم ) .	١٨١ ( إنا نؤمر بالآيات ) .
( يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ) .	١٨٢ ( فلا تعلم نفس ما أعز لهم ) الآية .
١٩٩ تفسير هذه الآية .	١٨٣ ( أفمن كان مؤمناً ) الآية
٢٠٠ قوله تعالى ( هنالك اتلى المؤمنين ) .	١٨٤ ( وأند بقسم من العذاب )
( وإذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض )	١٨٥ ( ومن أعظم من ذكر آيات ربه ) الآيات .
عنى الطونيزيان وأقضاء	١٨٧ ( إنك ربك عوفصل ) الآية .
قوله تعالى ( ولود حاسطهم من أقطارها )	١٨٨ ( أو لم يروا أناسوق الماء )
( ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل )	١٩٠ تعبير حذرة الأحزاب
( نك من ذا الذي يمسك من الله ) .	قوله تعالى ( يا أيها الذين اتقوا الله ) الآية .
٢٠٢ ( فديعلم الله المتوكلين منكم )	١٩١ ( ولا تطع الكافرين والمنافقين ) الآية .
( فإذا جاء الخوف وأبهم ينظرون إليك ) .	١٩٢ ( وانج ما يرجح إليك من ربك ) الآيات .
٢٠٣ ( أولئك لم يؤمنوا فأجبدهم الله أعلم ) .	( ما جعل الله لرجل من قلبين لئلا جرم ) .
( يحسبون الآيات باليهديهم ) .	١٩٣ ( ذلكم قولكم بأمرهم ) .
( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة )	( والله يقول الحق )
٢٠٤ ( وللمؤمنين الأحزاب )	١٩٤ ( ادعهم لأيمانهم هو أقطب عند الله ) الآية .
	( وهو يهدي السبيل )
	١٩٥ ( التي أولى المؤمنين من أنفسهم ) .
	١٩٦ ( ولأزواجه أمهاتهم )

صفحة	صفحة
٢٠٤ قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا)	٢١٢ قوله تعالى (أعد الله لهم عذرة ) .
٢٠٥ (ليجزي تصديقهم)	٢١٣ (وما كان المؤمن ولا مؤمنة ) .
٢٠٦ (ورد الله الذين كفروا	٢١٤ (وإذ يقول للذي أتم الله عليه)
بغيرهم) .	٢١٥ (أعدك عليك زجرك ) .
٢٠٧ (وكنى الله المؤمنين القتال) .	٢١٦ (فلما قضى زيد منها وطراً ) .
٢٠٨ ( وأنزل الذين ظاهروهم ) .	٢١٧ (ما كان على النبي من حرج ) .
٢٠٩ (وقذف في قلوبهم الرعب) .	٢١٨ (سنة الله في الذين خطوا) .
٢١٠ (وأردكم إلى ما كنتم تعملون)	٢١٩ (وكان أمر الله عندكم مستورا)
٢١١ (بأولئك الذين كفروا)	٢٢٠ (الذين يلغون رسالات الله)
٢١٢ (وإن كنتم تردونه فمردونه)	٢٢١ (ولا يخشون إلا الله ) .
٢١٣ (فصلين أمكن ) .	٢٢٢ (ما كان محمد أباً أحسن رجلاً)
٢١٤ (وأمر حكيم سراجاً جليلاً)	٢٢٣ (بأولئك الذين آمنوا اذكروا
٢١٥ (أعد للجنات ) .	الله) .
٢١٦ (بأنسائه التي من أتى منكن	٢٢٤ (وسبحه بكرة وأصيلاً) .
بغاشية ) .	٢٢٥ (هو الذي يصل عليكم ) .
٢١٧ (ومن يقتل منكن )	٢٢٦ (تعينهم يوم يلقونه ) .
٢١٨ (بأنسائه التي لستن كأحد	٢٢٧ (وأعد لهم أجراً كريماً ) .
من النساء ) .	٢٢٨ (بأولئك التي إنا أرسلناك
٢١٩ (إن أحببتن فلا تهنطن بالقول)	٢٢٩ (وداعياً إلى الله يادته ) .
٢٢٠ (وغيرن في بيوتكن ) .	٢٣٠ (ويتر المؤمنين ) .
٢٢١ (وأقرن الصلاة) .	٢٣١ (ولا تطع الكافرين ) .
٢٢٢ (إنما يريد الله ليذهب عنكم	٢٣٢ (بأولئك الذين آمنوا إذا
الرجس ) .	تكنتم المؤمنين ) .
٢٢٣ (وإذ كنتم على قلوبكن	٢٣٣ (بأولئك التي إنا أرسلناك)
٢٢٤ (إن الله كان لطيفاً ) .	٢٣٤ (وكان الله غفوراً رحباً)
٢٢٥ (إن المسلمين والمسلمات)	٢٣٥ (ترحم من تشاء منهم ) .
الآيات .	٢٣٦ (ذلك أدق أن تقرأ عني)
٢٢٦ (والذاكرين الله كثيراً)	٢٣٧ (وأن الله يعلم عني قولكم ) .

صفحة	صفحة
٢٢٢ قوله تعالى (لا يعلم لك تناسل من بعد)	٢٢٢ قوله تعالى (لا يعلم لك تناسل من بعد)
٢٢٤ (إلا ما ملكك بيئتك)	٢٢٤ (إلا ما ملكك بيئتك)
٢٢٤ (وكان الله على كل شيء رقيباً)	٢٢٤ (وكان الله على كل شيء رقيباً)
٢٢٥ (يا أيها الذين آمنوا)	٢٢٥ (يا أيها الذين آمنوا)
٢٢٥ (لا تدخلوا بيوت التي)	٢٢٥ (لا تدخلوا بيوت التي)
٢٢٥ (ولكن إذا دعيت فادخلوا)	٢٢٥ (ولكن إذا دعيت فادخلوا)
٢٢٥ (إلا أن يؤذن لكم إلى طعام)	٢٢٥ (إلا أن يؤذن لكم إلى طعام)
٢٢٦ (فإذا أطمعتم فانشدوا)	٢٢٦ (فإذا أطمعتم فانشدوا)
٢٢٧ (إن يدعوا شيئاً أو يخفوه)	٢٢٧ (إن يدعوا شيئاً أو يخفوه)
٢٢٧ (لا جناح عليهن في آياتهن)	٢٢٧ (لا جناح عليهن في آياتهن)
٢٢٨ (فأسألوهن من وراء حجاب)	٢٢٨ (فأسألوهن من وراء حجاب)
٢٢٨ (والتيهن الله)	٢٢٨ (والتيهن الله)
٢٢٨ (إن الله وملائكته يصلون	٢٢٨ (إن الله وملائكته يصلون
على النور)	٢٢٨ (على النور)
٢٢٩ (إن الذين يؤذون الله	٢٢٩ (إن الذين يؤذون الله
ورسوله)	٢٢٩ (ورسوله)
٢٣٠ (والذين يؤذون المؤمنين)	٢٣٠ (والذين يؤذون المؤمنين)
٢٣١ (يا أيها النبي قل لأزواجك)	٢٣١ (يا أيها النبي قل لأزواجك)
٢٣١ (ذلك أدنى أن يعرفن)	٢٣١ (ذلك أدنى أن يعرفن)
٢٣١ (أنت لم يذم المنافقون)	٢٣١ (أنت لم يذم المنافقون)
٢٣٢ (عاصونين ألبا تقصوا)	٢٣٢ (عاصونين ألبا تقصوا)
٢٣٢ (من الله في الذين خلوا)	٢٣٢ (من الله في الذين خلوا)
٢٣٢ (بذلك تناس عن الساعة)	٢٣٢ (بذلك تناس عن الساعة)
٢٣٢ (وما يدريك لعل الساعة	٢٣٢ (وما يدريك لعل الساعة
تكون قريباً)	٢٣٢ (تكون قريباً)
٢٣٢ (إن الله لمن الكافرين)	٢٣٢ (إن الله لمن الكافرين)
٢٣٢ (لا يحدون وأباً ولا نصيراً)	٢٣٢ (لا يحدون وأباً ولا نصيراً)
٢٣٢ (يوم غلب وجوههم في النار)	٢٣٢ (يوم غلب وجوههم في النار)
٢٣٤ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا)	٢٣٤ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا)
٢٣٤ (لا تكونوا كالذين آذوا موسى)	٢٣٤ (لا تكونوا كالذين آذوا موسى)
٢٣٥ (وكان عند الله وجهاً)	٢٣٥ (وكان عند الله وجهاً)
٢٣٥ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله)	٢٣٥ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله)
٢٣٥ (ومن يطلع الله رسوله)	٢٣٥ (ومن يطلع الله رسوله)
٢٣٥ (إننا عرضنا الأمانة على	٢٣٥ (إننا عرضنا الأمانة على
السموات)	٢٣٥ (السموات)
٢٣٦ (وأيمن أن يحملها)	٢٣٦ (وأيمن أن يحملها)
٢٣٦ (إنه كان طوعاً جهولاً)	٢٣٦ (إنه كان طوعاً جهولاً)
٢٣٨ (لبيد الله المنافقين)	٢٣٨ (لبيد الله المنافقين)
٢٣٩ سورة بآ	٢٣٩ سورة بآ
٢٣٩ (الحمد لله الذي نهى ما في	٢٣٩ (الحمد لله الذي نهى ما في
السموات)	٢٣٩ (السموات)
٢٤٠ (يطلع ما يطلع في الأرض)	٢٤٠ (يطلع ما يطلع في الأرض)
٢٤١ (وقال الذين كفروا لا تأتينا	٢٤١ (وقال الذين كفروا لا تأتينا
الساعة)	٢٤١ (الساعة)
٢٤٢ (أولئك لهم مغفرة ودرق	٢٤٢ (أولئك لهم مغفرة ودرق
كريم)	٢٤٢ (كريم)
٢٤٢ (والذين صدوا في آياتنا)	٢٤٢ (والذين صدوا في آياتنا)
٢٤٢ (أولئك لهم عذاب من	٢٤٢ (أولئك لهم عذاب من
رجز أليم)	٢٤٢ (رجز أليم)
٢٤٢ (ويرى الذين أنونا لهم)	٢٤٢ (ويرى الذين أنونا لهم)
٢٤٢ (وقال الذين كفروا هل	٢٤٢ (وقال الذين كفروا هل
نملككم على رجل)	٢٤٢ (نملككم على رجل)
٢٤٤ (أنقرى على الله كذباً)	٢٤٤ (أنقرى على الله كذباً)
٢٤٤ (أظلم بؤساً إلى ما بين أيديهم)	٢٤٤ (أظلم بؤساً إلى ما بين أيديهم)
٢٤٤ (إن في ذلك لآية لمن	٢٤٤ (إن في ذلك لآية لمن
عبد سبي)	٢٤٤ (عبد سبي)

صفحة	صفحة
٢٦٠ قوله تعالى ( وتوترى إذ الظالمون )	٢٤٦ قوله تعالى ( ولقد آتينا داود منا فضلا )
٢٦١ د ( وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا )	٢٤٧ د ( أن عملنا جنت )
.. ( وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا )	د ( وسليمان الريح )
٢٦٢ .. ( وأسرنا النملاء لما رافوا العنقب )	٢٤٩ د ( يدعون له ما يشاء )
.. ( وما أرسلنا في قرية )	٢٥٠ د ( علما فكتبنا عليه الموت )
٢٦٣ .. ( وما أمروا لئلا يولدكم )	٢ ( وأولئك من عبادي المكشوف )
.. ( والذين يسمعون في آياتنا معاجزين )	٢٥١ د ( فلما خرجت بيات الجن )
٢٦٤ د ( ويوم نحشرهم جميعاً )	د ( كفو من رزق ربكم )
٢٦٥ د ( فاليوم لا ينفعهم )	٢٥٢ د ( فأمر حقوا فأرسلنا عليهم )
٢٦٦ د ( بعض نعماً )	.. ( جبل العرم )
٢٦٧ د ( وإذا أتى عليهم آياتنا )	٢٥٣ د ( وحملنا جنبهم بين القري )
٢٦٨ د ( وما آتيناكم من كتب )	٢٥٤ د ( وتعد صدق عليهم فينبس ظنه )
د ( فقل إنما أعظكم بواحدة )	د ( وما كان له عليهم من سلطان )
٢٦٩ د ( قل يا أيها الكفرة آل هدى )	٢٥٥ د ( قل ادعوا الذين رخصتم من دون الله )
٢٧٠ د ( قل يا أيها الكفرة آل هدى )	٢٥٦ د ( قل من يرزقكم )
٢٧١ د ( قل إن ربى يغفر الذنوب )	د ( ويا أيها الكفرة آل هدى )
٢٧٢ د ( قل إن صلت فأما أضل نفسي )	د ( أو في ضلال )
٢٧٣ د ( وقد كفروا به من قبل )	٢٥٨ د ( قل لا تسألون عما أجرمت )
.. ( وحبل بينهم وبين ما يشتهون )	٢٥٩ د ( قل أروني الذين المقسم به )
٢٧٤ د ( وقد كفروا به من قبل )	.. ( شرركم )
٢٧٥ د ( وقد كفروا به من قبل )	٢٦٠ د ( وما أرسلناك إلا كافه )
٢٧٦ د ( وقد كفروا به من قبل )	٢٦١ د ( وقال الذين كفروا لن )
٢٧٧ د ( وقد كفروا به من قبل )	٢٦٢ د ( ومن هذا القرآن )